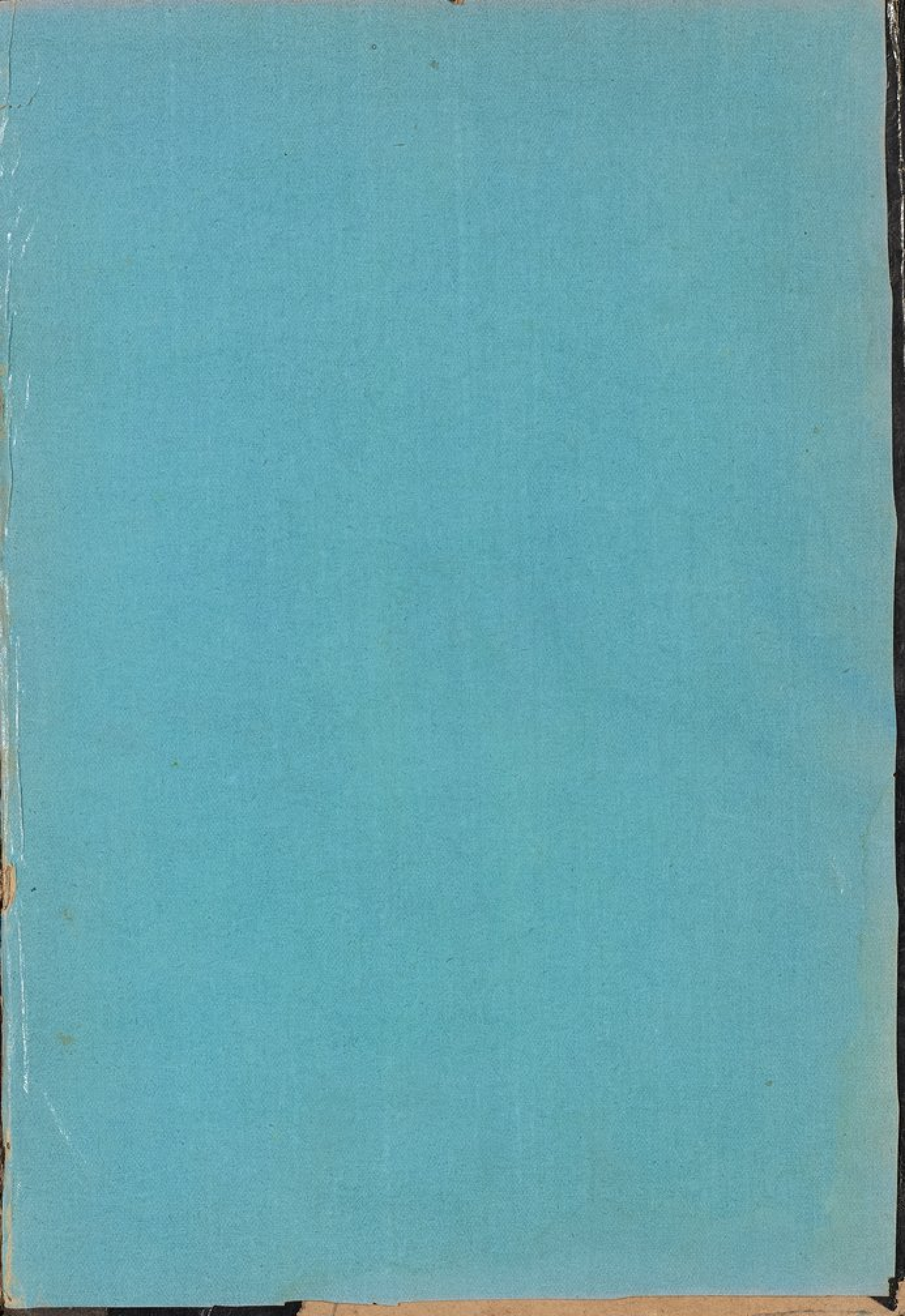
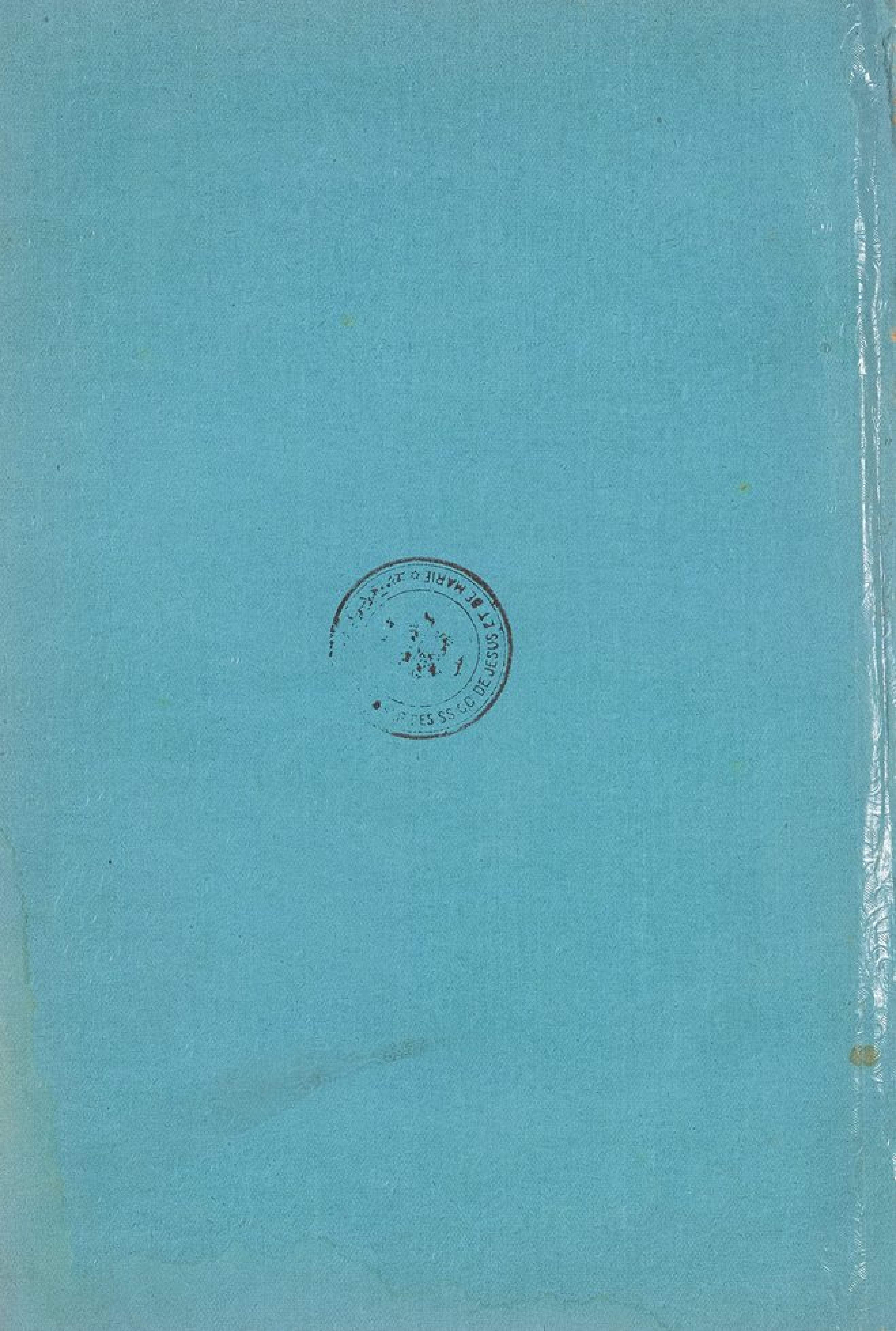
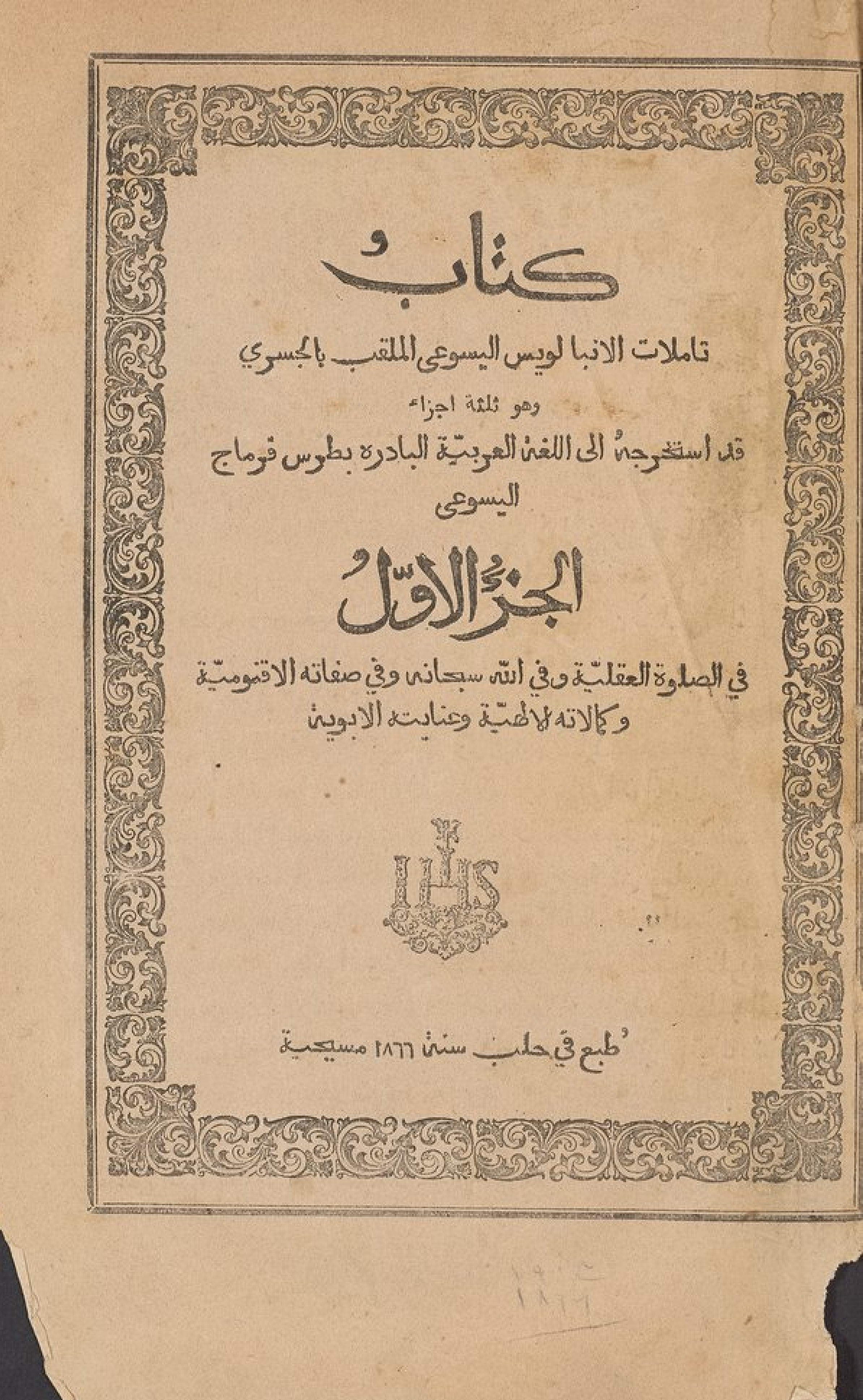










كتاب

تاملات الانبا لويس اليسوعي الملقب بالجسري

وهو ثلثة اجزاء

قد استخرجهُ الى اللغة العربيّة البادره بطرس فروماج

اليسوعي

الجزءُ الاوّل

في الصلوة العقليّة وفي الله سبحانهُ وفي صفاته الاقنوميّة

وكمالاته الالهيّة وعنايته الابويّة

طُبع في حلب سنة ١٨٦٦ مسيحية

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد

* فاتحة الكتاب *

الحمد لله الذي ايّدهم العقل البشري بانوار معرفة ذاته * ورقاه بالتامّل النظري لادراك حقايق صفاته واسرار مفعولاته * مقتاده ببرّة تذكر حسناته وفهم جسامة منحاته * الى كمال التعبد له واداء الشكر في جميع اوقاته * وذلك لنيل ما اعدّ له في ملكوته العليّ من جلايل خيراته * ما لم تره عين ولم تسمع به اذن ولم يخطر على قلب بشر من مخلوقاته * نحمده حمد مومن معترف بتثليث اقانيمه ووحدانيّة ذاته * ونشكره شكر من اخلص له الحبّ بكمال طاعته لتعليم وصاياه وتهذيب مشوراته امين *

وبعد فهذا كتاب جليل الافادة يشتمل على تعاليم رياضيّة وتاملات روحيّة * في الله سبحانه وفي صفاته الاقنوميّة * وكمالاته الالهية وعنايته الفضلى الابويّة * الظاهرة بمفعولاته نحو خلايقه الانسيّة لا سيما باسرار الديانة المسيحيّة * ثم في تجسد ابنه سيدنا يسوع المسيح واسرار حياته القدسيّة وتعاليمه السماويّة * قد استخرجه حديثاً الى اللغة العربيّة البادره بطرس فرماج اليسوعي احد مرسلي البيعة الرومانيّة الكاتوليكيّة * متوخياً بذلك نفع المومنين في هذه البلاد الشرقيّة * لا سيما الراغبين الكمال والتايقين الى اتقان السيرة النظرية * وذلك في سنة الف وسبعماية وتسع وعشرين للتجسد الالهي في مدينة حلب المحميّة * وقد قسمه وفق اصله المنقول عنه الى ثلثة اجزاء بثلثة كتب وفيّة * يشتمل كلّ منها على مقدّمة وعدة تاملات ادبيّة * وقد طبع لحفظه من غلط الكتبة وتحريف الناسخين ولحصول الفايدة العامّة به وسهولة امتلاكه على الطالبين * بامر قدس السيد الجليل مار يوسف مطران الكلي الشرف والجزيل الاحترام مطران

الطائفة المارونية * ونسأله تعالى ان ينفع به المنعكفين على مطالعته . بشفاعة والدته مريم البتول النقية وجميع قديسيه امين *

المقدمة

* لمترجم هذا الكتاب *

* في بيان ضرورة تامل العقل وهذيذ القلب فيما يجب لخلاص النفس . وفي مولف هذا الكتاب *

ارميا ١٢ع١١ حكمة ٢ع١ سيراخ ١٦ع٢٣ حكمة ٦ع١٦ جامعة ٢ع٣ متى ١٦ع٢٦

قال ارميا النبي * خرابًا خربت الارض لان ليس من يفتكر بالقلب * اي ليس من يفتكر افكارًا واجبة * على ان الجميع يفتكرون . لان المنافقين يفتكرون في انفسهم . الا انهم يفتكرون افكارًا غير واجبة * والناقصي القلوب يفتكرون بالباطل والجهال يفتكرون في الجهالة * ماعدا الكاملي الفطنة فانهم يفتكرون في الحكمة . ويتاملون في قلوبهم ماهو المفيد * فما هو هذا الشي المفيد والضروري وحده الذي ينبغي للانسان ان يفتكر به افتكارًا متصلًا ويهتم فيه اهتمامًا بليغًا * فالسيد المسيح قد اوضحه لنا بقوله العزيز : ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه * فكانه تعالى يقول . لا شي نافع ومفيد سوى ما يفيد خلاص النفس ودون هذه المنفعة لايوجد شي نافع البتة . وكل ربح غير ربح النفس والخلاص الابدي يجب ان يحسب خسارة محضة * فاذًا يالغباوة العالم الذي لايفتكر في امر الخلاص . لكن يفتكر اما بالنفاق واما بالجهل او بالباطل * فترى العالم فيه انما يفتكر بالعلوم . والغني بالارزاق . والمتكبر بالكرامات . اما الامور التي تخص خلاص النفس كفحص الضمير والصلوة صباحًا ومساء . وحضور القداس الالهي كل يوم . وتلاوة الكتب الروحية وممارسة الصلوة العقلية . وتناول الاسرار المقدسة بتكاثر * فالاكثرون يحسبونها امورًا باطلة تخص النسا الخفيفات العقل او الكثيرات الغنى . وكذلك كثيرون الذين يرحلون من العالم قبل ان يفتكروا ويعقلوا جيدًا السبب والغاية التي من اجلهما اتوا اليه *

فالان لكي تفهم مقدار جسامة امر الخلاص وان الاشيا كلها بالنسبة اليه كلا شي . فافتكر ان الله اذ اراد ان يصنع العالم وكلما فيه لم يتحرك من كرسي مجده ولم يقل سوى كلمة واحدة . امّا اذ رام ان يصنع خلاصنا فانهُ تعالى انحدر من علو السما وصار انسانًا وتردد علي الارض ثلث وثلثين سنة . ولم يزل يفتكر ويهتم في امر خلاصنا ويباشرهُ بكدٍ وعناء جزيل مفرغًا لاجله كل جهده ودمه ايضًا ❊ فالامر الذي اهتم فيه ابن الله هذا الاهتمام هل يمكن ان يكون امرًا دنيًا لايسوغ للمسيحي ان يفتكر ويهتم فيه . وقد تفلسفَ هنا حسنًا القديس برنردوس قايلًا . امّا ان العالم قد ضلّ اما ان المسيح خدع العالم ❊ والحال انهُ لمن المستحيل ان الحكمة الازليّة تخدع . فاذًا العالم قد ضل . حقًا يا اخي ان العالم قد ضلّ ضلًا مهلكًا وخرب خرابًا كليًا لانهُ لا يفتكر بالقلب ❊ على انهُ لا يكفينا ان نتامّل حقايق الايمان بالفهم فقط . بل ينبغي ان تقترن الارادة بالفهم وتميل بعواطفها الي ما يتامله العقل . ومن ثمّ كان المرتل عند هذين وتاملي ناموس الرب كان يجعل فيه هواهُ . وقال في موضع اخر . هذذتُ بالليل في قلبي واهتممتُ ونقبتُ روحي . فكانهُ يقول اني لولم اهتم في تنقية قلبي وخلاص نفسي عند تاملي ناموس الرب لكنتُ قد تاملتهُ باطلًا ❊ فها انا اقدم لك ايها المومن كتابًا حاويًا الحقايق الخلاصية لتتامّلها بالقلب . واني لواثق انك اذا استمريتَ علي تلاوته . وتاملتَ معانيه جيدًا تجدهُ احلى من شهد العسل . وتجتني منهُ اثمار الخلاص ❊ ولستُ بمحتاج ان اسهب الكلام في مدحة هذا التصنيف الممدوح في كل مكانٍ ولسان . الذي اذا ماقراتهُ مدحتهُ انتَ ايضًا . غير انني احرر كلامًا وجيزًا عن مصنفهِ . مترجمة كلمة فكلمة مما قد حُرر عنهُ في كتابٍ قد طُبع في رومية العظمى باذن الحبر الاعظم ❊

مزمور ٢٧٦

فاعلم ان مصنف هذا الكتاب الشريف الانبا لويس الملقب بالجسري قد كان راهبًا من اخوية الرهبان اليسوعية . ولد في اسبانيا من بيت ذي حسب ونسب في السنة الرابعة والخمسين بعد الخمسماية والالف لتجسد المسيح . وكان منذ طفوليته مايلًا منصبًا بكلية قلبه الى امور العبادة . فدخل في جماعة يسوع في اليوم الثاني

من شهر كانون الاول في السنة الاربع و السبعين بعد الخمسماية والالف اذ كان بلغ من العمر عشرين سنة * فوجد في دير التجربة المبتدين سالكين في طريق الكمال بالحرارة التي كان اضومها هناك الانبا يختنصر الفارسي اليسوعي مرشد القديسة ترازيا ومعلم اعترافها. فاخذ في هذه الخلوة المقدسة يمارس بنشاط عظيم جميع الفضايل الرهبانية * فبعدما فرغ من التجربة دخل في مدرسة اللاهوت وهناك تسامى جدًا علي كل اقرانه بحسن عقله الثاقب الحاذق. ثم ارتسم كاهنًا في السنة الثمانين بعد الخمسماية والالف وعلم علم الفلسفة في مدينة لاون ثم علم هناك ايضًا علم اللاهوت. وفي هتين الوظيفتين ظهر معلمًا جزيل الحذاقة والمعرفة والاحتشام * ثم ان الروسا لمعرفتهم بحسن فضايله اقاموه ريسًا علي المبتدين في دير التجربة وعلي اديرة اخر من الرهبنة. فدبرها كلها بحكمة كاملة الى ان خارت قوته وتكاثرت عليه الامراض بهذه المقدار. حتي انه اضطر ان يترك وظيفة التعليم في المدارس وتدبير الاديرة * فاخذ حينيذٍ يصنف و يكتب ما كان قد تعلمه لا بقراءة الكتب الروحية فقط. بل على الخصوص بتجربته واختباره الذاتي و بممارسة الصلوة العقلية واماتة ذاته وحواسه المتصلة * اما فضايله على الخصوص فهي انه احب الفقر حبًا هذا احد حتي انه لم يكن يدع في قلايته سوى ما كان ضروريًا له جدًا. ولم يكن يستعمل لباسًا لكسوته الا ادنى ما كان في الدير. ومن جهة الماكل فقد كان يقتنع دايمًا فيما كان يقدم للاخوة بوجه العموم. متجنبًا الاطعمة الخصوصية اللذيذة. ثم انه حفظ ثوب البتولية بريًا من كل عيب ودنس، وقد كان يبان في وجهه وفي كل حركاته احتشام مليكي كعلامة دالة علي طهارة جسده ونفسه. اما احترامه لروسايه فكان بليغًا جدًا. ولو ان البعض منهم قد كانوا بما تقدم تلامذة في المدارس او تحت تدبيره في الاديرة. ولم يكن يفعل شيًا اصلًا بغير مشورتهم و رضاهم. حتي انه اذ كان ريسًا اختار له من الرهبان المروسين منه واحدًا و جعله ريسًا على نفسه وكان يطيعه في كلما كان يخص تدبيره الخصوصي. ولم يكن يحتقر احدًا غير ذاته فقط. و مع ان الجميع كانوا يتعجبون من عقله وعلمه وحسن فطنته فكان هو يعتد نفسه ادنى الكل. و من ثم كان يخضع

تصانيفه لتميز ممن هم اقل معرفة وفطنة منه علي كل وجه . ويفضل حكمهم عليها على حكمه * اما انعام الله الخصوصية فكان يخفيها باحتراس كلي . وقد كانت فضيلته الخصوصية محبة الله * علي ان قلبه كان مضطرماً بهذا اللهيب وعقله متمتعاً بالحضور الالهي علي الدوام . مترددًا معه تعالى بتلك الدالة المستعملة من القديسين . مجتهداً في حفظها بالمواظبة المتصلة علي الصلوة العقلية ، مصرفاً مرات كثيرة الليل كله في التامل النظري امام جسد ربه ومخلصه ، وفي النهار كان يفتقد كثيراً في الهياكل المقدسة . ولهذه الافتقادات خاصةً كان الروح القدس يهبه انوارًا جزيلة ويملا قلبه من التعزيات السماوية وعند تامله كمالات ربه كان يلتهب قلبه بحرارة هذا حدها . ويأثر الله في نفسه تاثيراً قوياً بهذا المقدار . حتي انه كاد مرات كثيرة ان يموت من افراط محبته * وقد اتفق يوماً انه في وقت صلاته العقلية طلب من سيدنا يسوع المسيح انوارًا وقوةً لكي يستطيع ان يخدم النفوس وينفعها . واذا نورٌ سماويٌ قد اشرق عليه بغتةً بوفور هذا حده . حتي انه التزم ان ينهض من صلاته كانسان انهزم النظر الي الشمس . ولعجزه عن احتمال هذا النور العظيم شرع يصرخ الى الله قايلاً : يكفي يارب يكفي لاتكثر عليّ انوارك : وفي هذا الوقت لم يرَ حوله سوى لهيب مضطرم حتي ظن انه هو بكليته ملتهب بالنار وانه يموت حالاً من حرارتها . ولقد كان مات حقاً في تلك الساعة لو لم يشفق الله علي ضعفه * فبعد هذا الافتقاد الالهي اخذ يصنف ويباشر وظيفة خدمة النفوس . ثم انه استمر زماناً مديداً يطلب اذناً من روسايه لان يمضي الي بلاد الهند ليفني حياته في هذه الرسالة المتعبة فلم يرتضوا بذلك . الا انه بكرزه ومذاكراته صار سبباً لكثيرين حتي انهم مضوا الي هناك عوضه * وقد اصرف ثلثين سنة في اتعاب الحيوة الرسولية وفي السنة التسع والتسعين بعد الخمسماية والالف خدم المطعونين باذن رييسه بشجاعة كلية . وكان الله منحه نعمة خصوصية يعرف بها اسرار القلوب . ويشرح للناس حالهم الباطنة قبل ان يبتديوا بان يكلموه عنها * وقد اثمر في النفوس بحسن ارشاده اياها اثماراً عجيبة .

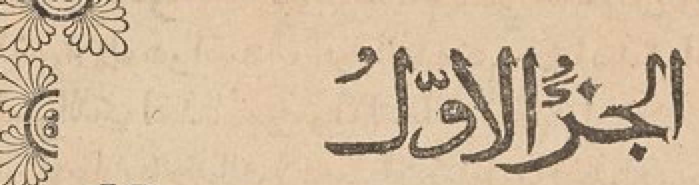
حيث انه كان بكلمة واحدة يرد النفوس المضطربة المتحمسة الى حال السلام والسكينة * اما جسده فقد عامله بصرامة هذا عظم مقدارها حتى ان كثرة تقشفاته سببت له امراضًا واوجاعًا احتملها مدة ستة وثلثين سنة بصبر عجيب قد اذهل عقول المطلعين عليه . حتي ان الاطبا زعموا انه لم يكن عايشًا الّا بطريق العجوبة . وقبل موته بعشرين سنة الزم نفسه بنذر لله بانه لا يرتكب ادنى زلة اختياريًا . ومن ذلك الوقت لم يُرَ فيه شيًا كان يمكن ان يحكم عليه انه خطية * والرب الجزيل صلاحه علي اصدقايه انعم عليه بانعام عظيمة وافرة . ومن جملتها كانت موهبة الدموع وروح النبوة واشفا المرضى وفطنة ما منحدرة من العلا * وقد اتفق مرات كثيرة انه ظهر متردياً بنور سماوي عجيب . ومرةً راوا كرةً نارية واقعةً علي هامته واوقاتًا اخر ابصروه في وسط نور عظيم باعثًا اشعة ساطعة من كل ناحية ومزلزلًا حيطان قلايته * وقد يتبين انه سبق فعرف يوم موته وساعته . لانه اذ طلب ان يناولوه الاسرار المقدسة قال انه لم يبقَ من حياته سوى زمن يسير * وبعد تناولها اخذ في يده القلم وكتب مدة ثلث ساعات مكملًا كتابًا من تصنيفه . ولما فرغ من هذا العمل وختم الكتاب صرخ قايلًا * هوذا يا رب تطلق عبدك بسلام * واخيرًا اسلم روحه لله بهدوٍ قايلًا * بين يديك يا رب استودع روحي * وقد حدث موته الصالح في اليوم السابع عشر من شهر اشباط في السنة الاربع والعشرين بعد الستماية والالف . وحينيذٍ كان بلغ من العمر سبعين سنة . اصرف منها خمسين سنة في الرهبنة * فبعد موته استحال وجهه الي حال احسن وابهى مما كان قبلًا ويداه استمرتا على حال اللين والرطوبة * فلما شاع في المدينة خبر موته اتى شعب غفير لاكرامه . واتخذوا من شعر راسه وثيابه ليحفظوا ذلك كذخاير مقدسة * ثم بعد دفنه بتسعة عشر شهرًا في اليوم الثامن عشر من ايلول في السنة الخامسة والعشرين بعد الستماية والالف * فتحوا قبره ليضعوه في مكان اخر اكثر اكرامًا . فراوا جسده انه قد فني بكليته ولم يبقَ من لحمه سوى شي يسير جدًا ومع هذا فكان دماغ راسه صحيحًا كاملًا لم يعتره

لوقا ٢ع ٢٩
لوقا ٢٣ع ٤٦

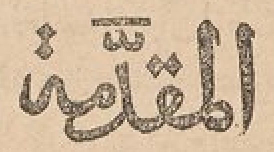
الفساد بوجه من الوجوه * ثم انه بعد موته تراى للبعض متلاليا بمجد وسيم ليعرفهم بالحال الذي كان حاصلاً عليه ولكي يعزيهم ويعينهم * وقد ظهر علي انواع مختلفة وبعلامات متنوعة تدل علي المجد الذي لبسه وعلي الخصوص ظهر باكليل معلم قد مجده الله به لما دفع الي الكنيسة من التعاليم الخلاصية الممنوحة له من الروح القدس * وبعد ذلك اشتهر في كل مكان خبر قداسته وعجايبه * فطلب ملك اسبانيا من الحبر الاعظم ان يحرر اسمه في دفتر الطوبانيين لكي يحرره بعد ذلك في دفتر القديسين * وكاتبه في هذا المقصود قلما يكون مرتين او ثلث مرات * ومثله توسل الى البابا مطارنة كثيرون وغيرهم من اعيان المدن * ولنا ان نرجوا من الكرسي الرسولي ان يفعل بموجب هذه الطلبات لتوكيد اخبار قداسة الانبا المذكور والحمد لله الذي عظم مشياته في قديسيه * الان والي كل اوان والى دهر الداهرين امين

*





من تاملات الاب اويس اليسوعي الملقب بالجسري



❋ في كيفية ممارسة الصلوة العقلية وتشتمل على ثلثة عشر فصلاً ❋

اعلم ان الصلوة العقليّة التي بها نتردد مع الله بواسطة تامل اسرار ديانتنا المقدسة. هي شي سام بهذا المقدار حتى انه لا يستطيع احدٌ ان يعلمنا اياها و يرشدنا الى كيفيّة ممارستها سوى الروح الكلي قدسه الذي مسحته تعلمنا كل شي ❋ فبتعليم هذا الروح الالهي وتنويره قد حصل القديسون ماهرين في ممارسة هذه الرياضة السامية. فقدّموا لنا بعض رسومات حسنة ومفيدة جداً لكي نمارسها ايضاً تحت ارشاد هذا المعلم الالهي وتدبيره ❋ فلذلك نحن على تعليمهم المختبر بالتجربة نوسس ما نحن عتيدون ان نذكره بالاختصار عن الصلوة العقليّة ❋

يوحنا ١
٢٧:٢

الفصل الاول

❋ في ماهية الصلوة العقلية ❋

اعلم ان الصلوة العقليّة هي رياضة ما روحيّة تشتغل بها مع المعونة الالهيّة ثلث قوى النفس الباطنة. وهي القوة الذاكرة والفهم والارادة. في ابراز افعال وعواطف مختلفة نحو اسرار ايماننا وحقايقه. وذلك امّا بترددنا في الباطن مع الله سبحانه. وامّا بالتوسل اليه تعالى وطلب انعامه. واما بمشورتنا اياه

واسترشادنا منه في الامور الضرورية لخلاصنا وكمالنا. فتكون اذًا الصلوة العقلية نظرًا الى جوهرها قايمة علي الخصوص في اربعة اشيا *

الشي الاول هو استعمال القوة الذاكرة. وبها نتذكر الله ونردد في عقولنا ذكر السر الذي اتخذناه موضوعًا لتاملنا. ونجتهد ان نفهمه فهمًا جيدًا بحسبما تعلمناه من الايمان * ولذلك لا يجب ان نتامل ما اتخذناه موضوعًا لتاملنا تاملًا بديهًا وبسرعة خلوًا من تأني وترتيب. لكن ينبغي لنا لكي نحسن فهمه ان نقسمه الى اجزاء كثيرة كما سنورد ذلك فيما بعد * وان اردت ان تكون لك هذه الرياضة مفيدة جدًا فمارسها بحسن الايمان معتقدًا بخضوع عقل كلي ما يخص السر الذي تتامله. موسسًا اعتقادك به علي مجرد كلام الله وشهادته. فانك بهذا الفعل تميل الله الى ان يحسن بك فهم ذلك السر الالهي حسب قول النبي: اذ لم تومنوا فلا تفهموا *

اشعيا ٩:٧

الشي الثاني الضروري جدًا في ممارسة الصلوة العقلية هو استعمال الفهم. وبه نتفلسف في ذلك السر وذلك لكي نصل بالبحث البليغ عن علله وخواصه ومفعولاته واعراضه الدنيا الى معرفة اخفى ما يوجد فيه *

الشي الثالث هو ممارسة الارادة التي بما انها معتوقة وذات اختيار تبرز عواطف مختلفة وافعال فضايل متنوعة مناسبة للموضوع الذي اختاره الفهم للتامل. وهذه الافعال تتجه اما الى الله واما الى الشخص المتامل. كفعل بغض الذات والندامة على الخطايا. والخجل عند نظره الى شقايه والاتكال علي رحمة الله وحبه وتمجيد عزته. وتقدمة الشكر له لاجل احسانه. واشواق مضطرمة لاكتساب الفضايل الراهنة ومقاصد حتية فاعلة لممارسة الاعمال الصالحة. وتغيير السيرة والنمو في الفضيلة. وتسليم الذات لله التسليم الذي به نقبل كلما يريد تعالى ان نعمله ونحتمله * وهذه الافعال نسميها عواطف لانه ينبغي ان نمارسها بذوق وانعطاف باطن صادر عن الارادة. حيث انه علي هذه تتوقف العبادة الحقيقية التي تصدر فينا سلام القلب وسروره * وهذه هي الغاية الخصوصية كما قال القديس توما اللاهوتي التي يتجه اليها التامل وبقية افعال الفهم المستعملة في الصلوة العقلية المدعوة من القديس يوحنا الدمشقي ارتفاع النفس نحو الله سبحانه. وذلك لاننا

لها نتحد حقًا مع الله بواسطة المعرفة والمحبة *

الشي الرابع هو الطلبات التي بها نسال السيد المسيح ان يعطينا ما نرغبهُ جلّه من انعامه ونعتقدهُ اكثر ضرورةً لخلاصنا . وعلى هذا خاصةً تتوقف الصلوة العقلية * على ان لفظة صلوة ليست هي بحسب معناها الحقيقي الاول سوى طلبة نشيطة ذات اتكال واتضاع نسال الله بها ما نحتاجهُ * وهذه الطلبات يجب ان نوجهها تارةً الى الاب الازلي وتارةً الى الابن الوحيد وتارةً الى الروح القدس وتارةً الى الثالوث الاقدس اجمالاً * وقد يحسن بك ان تورد لهم حججًا تميلهم الى الاستجابة . وهذه الحجج تقسم الى ثلثة اقسام . فبعضها نتخذها من جهة الله نظرًا الى جوهره الالهي كما نفعل حينما نسالهُ شيئًا لاجل رحمته الغير المتناهية او لاجل حبه لنا وميله الى فيض انعامه علينا . او لاجل تمجيد اسمه المستحق ان يكرم ويسبح من جميع الخلايق . او لانهُ يريد بجوده العظيم الغير المتناهي ان نقدم لهُ طلباتنا * وقد يمكن حينيذٍ ان نصف بالتفصيل كمالاته الالهية قايلين . نسالك يارب بجودك ورحمتك وسخايك وقدرتك وغير ذلك من الصفات الالهية ان تتفضل علينا بهذا الاحسان * وبعضها نتخذها من جهة سيدنا يسوع المسيح الاله الحقيقي والانسان الحقيقي . ونعني بهذه الحجج اسرار تجسده وميلاده واختتانه وتقدمته الى الهيكل وهربه الى مصر وصومه واتعابه واهاناته واوجاعه . لا سيما عرقه الدمي وامتساكه في بستان الزيتون وجلده وتكليله بالشوك . ثم المسامير والمرارة والخل وبقية عذاباته التي كابدها لاجل خلاصنا * فاحيانًا نتوسل الى الله الاب ونطلب منهُ ان يستجيب لنا لاجل حبه ابنه الوحيد . اما لاجل خدمته الجليلة وطاعته الكلية التي اطاعهُ بها . او لاجل ما احتملهُ من الاتعاب في خدمته وتمجيد اسمه . واحيانًا نجثو عند قدمي يسوع ذاكرين لهُ افراط حبه لنا وعدم تناهي ثمن دمه الذي سفكه لاجلنا . وجوده الالهي الغير المحدود الذي به احبَّ ان يكون لنا مخلصًا وشفيعًا عند ابيه * وهكذا يجب علينا ايضًا ان نلتجي الى الروح القدس واصفين له استحقاق سيدنا يسوع المسيح وفضايله الفايقة . اي اتضاعه وفقره ودعته وصبره ورحمته ومحبته وغير ذلك

من فضايله السامية. ثم اطلب منه ما ترغبه بحق هذه الفضايل واستحقاقها *
وقد توجد لنا حج اخر نستميح بها الجود الالهي موجودة في ذواتنا وهي تلك التي
نتخذها من شقاينا الذاتي. فنقول في ايرادها مع المرتل: هذا بالاثام حبل بي *
فقد تضطهدنا يارب باطنًا شهوات شديدة وتحاربنا خارجًا اعداء اقويا. وها هوذا
مخاطر الهلاك محدقة بنا من كل جهة. وبدونك يارب لا نقدر علي المقاومة. فانت
الذي خلقتنا علي صورتك ولاجل ذلك يجتهد عدونا في اهلاكنا اجتهادًا بليغًا
فالي من نلتجي الا اليك ياملجانا وقوتنا * ثم بعد ذلك لنعترف امام عزته بخطايانا
بشدة الندامة والتاسف. ولنحذرن من ان نقدم عنها اعتذارًا بوجه ما. بل الاجدر
لنا ان نبالغ في ايرادها علي نوع ما. علي انه بمقدار ما نحسن بيانها وقبح شناعتها
بمقدار ذلك يسهل علينا نيل الصفح عنها * ثم ينبغي ان تعلم انه توجد رياضة اخري
تخص الذين تقدموا في الكمال. وهي ايراد الانسان استحقاقاته واعماله الصالحة
امام الله بكل تذلل وتواضع. كما فعل حزقيا الملك الفاضل اذ طلب من الله ان يطيل
مدة حياته بعض سنين ايضًا فقال: اذكر يارب اني سرت بين يديك بالعدل
وبقلب سليم وعملت الحسنات امامك: وهذا عينه فعله السيد المسيح بعد
العشا السري * فهذه الثلثة الانواع من الحج وان كانت مختلفة. فقد يمكننا ان
نستعملها معًا كما فعل داود حين قال اغفر يارب خطاياي من اجل اسمك فانها كثيرة *
الآن جميع هذه الاعتبارات المستعملة في الصلوة العقلية تسعفنا في ممارسة
الصلوة بعبادة ونشاط ورجاء. اكثر مما تسعفنا في ان نميل الله ونعطفه الي
الاستجابة. وذلك لانه جل تودده يرتاح ان يمنحنا روحه اكثر مما نرتاح نحن
لنيله * وقد اشار الى ذلك القديس اغوستينوس بقوله. ان الله لم يكن يامرنا ان
نساله لو لم يكن مستعدًا لان يستجيب لنا * فاذا مارسنا الصلوة العقلية علي النوع
المذكور. نتمم ما امرنا به الرسول وهو ان نقدم لله طلباتنا بمفردها فقط. بل نقرنها
بثلثة افعال اخر ايضًا. وهي الصلوة والتوسل وتقدمة الشكر * فبالصلوة نرفع
افكارنا وعواطفنا الي السماء. وبالتوسل نورد الحج التي نرجو لاجلها الاستجابة.
وبتقدمة الشكر نظهر المعروف لاجل ما حصل لنا من الانعام ونستعد لقبول

مزمور ٥٠ ع ٧

ملوك ٤ ٢٠ ع ٣

مزمور ٢٤ ع ١١

حسنات جديدة *
فهذا ما يوجد على الخصوص في الصلوة العقلية . وكلما قلناه عنها قد حواه ونظمه مثلنا القديس الجليل اغوستينوس بالفاظ وجيزة قايلاً * الصلوة العقلية تصدر في المتامل العلم والعلم يسبب الندامة . والندامة تلد العبادة والعبادة تكمل الصلوة العقلية * ويشير القديس بذلك ان الانسان بالمواظبة على التامل يصل الي معرفة الله ومعرفة ذاته . وانه من هذه المعرفة تصدر عواطف الندامة عند نظره خطاياه وحال شقايه . وان هذه الندامة تمنحه عقيب ذلك عبادة لطيفة نحو الله . لانه تعالى هو الموضوع الذي يستحق محبتنا اكثر من كل موضوع سواه لاسيما لاجل كمالاته ومراحمه الغير المتناهية * ثم ان العبادة تصير الصلوة كاملة لانها تتحد قلوبنا بالله بواسطة المحبة . وتعلمنا كيف ينبغي ان نطلب ما يناسبنا اكثر مناسبة * فلنصف اذاً كيف يلزمنا ان نمارس هذه المذكورات كلها . ولنبتدي بالشي الذي يخص الصلوة العقلية اكثر من سواه *

الفصل الثاني

* في كيف يجب علينا ان نتردد مع الله في الصلوة العقلية *

انه مما اوردناه يمكننا ان ننتج هذه النتيجة وهي ان جوهر الصلوة العقلية يتوقف على تردد النفس باطناً مع الله . وذلك على الخصوص لاجل غايتين ضروريتين جداً * الغاية الاولى هي لكي نسبح الله ونمدح مولانا العظيم على ما يمتلك في ذاته من الخيرات الغير المتناهية . ثم نشكره بعد ذلك على كلما اقتبلناه من النعم * وعلى هذه الصلوة يحثنا الرسول بقوله : امتلئوا من الروح القدس وكلموا انفوسكم بمزامير وتسابيح وتراتيل روحية مسبحين ومرتلين للرب في قلوبكم مقدمين الشكر عن كل شيء في كل حين باسم يسوع المسيح لله الاب * وقد اراد الرسول بذلك اربعة انواع من العواطف الجزيلة النفع حال ترددنا مع الله . وهي المزامير والتسابيح والتراتيل الروحية وتقدمة الشكر *

افسس ١٩٥

فالمزامير التي يرتلها القلب هي افعال المحبة نحو الله مع اشواق مضطرمة ومقاصد فعالة تشتهي وتقصد بها ان نخدمه تعالى و نطيعه. لا بحفظ وصاياه فقط بل بتتميم مشوراته الالهية ايضاً * وقد عبرت عن ذلك تلك الآلة ذات العشرة الاوتار. لانه كما ان الذي يضرب بالقيثارة تارة يمس جملة اوتارها معاً وتارة يمس واحداً فواحداً و باختلاف هذه الاصوات يبهج سماع الناس. هكذا المومن فانه يبهج الله في محل صلاته التي تصير لديه تعالى كانغام موسيقية واصوات لذيذة متى ماحركنا بها نفوسنا الى فضايل مختلفة كالطاعة والاتضاع والصبر. ممارسين تارةً واحدة فواحدة وتارةً كلها معاً بفعل واحد و متقصدين حفظ وصايا الله ومشوراته بنية متجهة تارةً الى واحدة منها بمفردها وتارةً الى كل منها بالاجمال * اما التسابيح فيريد بها الرسول عواطف لطيفة تسوقنا الى امتداح الله وكمالاته الغير المحدودة و افعال قدرته المذهلة العقول. التي لاجلها يستحق ان يُمدح من كل الخلايق * وبها قد يحسن بك ان تهتف مع السيرافيم قدوس قدوس قدوس الرب اله الجيوش * اما ان تبدل لفظة قدوس فتقول ربي والهي حقاً انك صالح و جواد ورحيم وحكيم وقادر على كل شي. وقد يجب على السارافيم ان يسجدوا قدامك ويشيدوا بمدح عظايمك * واحياناً تقول مع الشيوخ القديسين: ايها الحمل الالهي المذبوح لاجلنا انك لمستحق ان تقبل القدرة واللاهوت والحكمة والقوة والاكرام والمجد و المديح الى ابد الدهور امين * و اوقاتاً يسوغ لك ان تحث الخلايق كافة ان يباركوا السيد المخلص كما فعلت الفتية الثلثة في الاتون البابلي * او تقتدي بالنبي والملك داود الذي كان يحث نفسه وكل قواها علي تمجيد اسم الرب *

اشعيا ٦ : ٣ رويا ٥ : ١٢

ثم ان الرسول يشير بالتراتيل الروحية الى بهجة ما باطنة تصيرنا ان نسر فرحين من كونه تعالى حاوياً في ذاته كل الخيرات. ممتلكاً جميع الكمالات ومن انه يُمدح من جميع الطوبانيين في السما. وتفني الابرار حياتهم في خدمته * وقد يوجد لنا ايضاً سبب فرح روحي من قبل الخيرات الابدية الموعودة و المعدة لنا * فلنهتف اذاً مع الارواح السماوية: سبحوا الله لان الرب الضابط الكل قد تملك فلنفرح

رويا ١٩ : ٦

ونتهلل ونمجد لان عرس الخروف قد قرب وعروسه قد استعدت *
واخيرًا تقدمة الشكر ليست هي شيًا اخر غير اظهار المعروف نحو سيدنا يسوع المسيح لاجل الخيرات التي اقتبلناها منه. الا انه لا يكفينا ان نشكره لاجل احساناته الينا فقط بل يجب علينا ان نشكره ايضًا لاجل كلما تفضل به على الملايكة والبشر. حتي لاجل ما انعم به علي الخلايق الغير الناطقة ايضًا التي لا تستطيع ان تشكره. بل ينبغي ايضًا ان نشكره عما احسن به الى الشياطين والهالكين الذين لا يمكنهم ان يظهروا له ما يجب عليهم من المعروف * فبهذه الانواع الاربعة نستطيع ان نخاطب الله في محل الصلوة. الا انه ينبغي ان يكون الروح القدس مبلّغ صلاتنا كما قال الرسول. وان يكون السيد المسيح شفيعًا لنا عند الله ابيه الذي نكون نحن عتيدين لان نخاطبه. مع انه امرٌ مفيدٌ لنا ان نخاطب ايضًا الثلثة الاقانيم كما قلنا انفًا *
الغاية الثانية التي لاجلها نمارس هذا التردد العقلي مع الله والضرورية جدًّا في وقت التردد المذكور. هي ان نطلب من جوده الالهي نعمًا جديدةً لا لاجل خلاصنا ونمونا في الكمال فقط بل لاجل مجده تعالى ايضًا * وقد يمكنك ان تمارس هذه الرياضة علي انواع كثيرة مختلفة الاشكال على حسب اختلاف حالك * فيمكنك اولًا ان تخاطب الله كما يخاطب البنون والدهم. طالبًا منه تعالى بروح المحبة والاتكال كلما يستطيع الابن. ان يطلبه من ابيه الجواد * ثانيًا يفيدك احيانًا ان تتقدم الى الله بزي رجل مسكين بايس مادًّا يده نحو ذي ثروة وسخاء. وبهذا الروح كان ذاك النبي النبيل يقول للربّ مراتٍ كثيرة: انه رجل فقير ومسكين: ويطلب منه صدقةً واحسانًا كالذي يلتمس ذلك ممن هو غني وسخي نحو كل الذين يستغيثون به * ثالثًا يحسن بك احيانًا ان تمثل امام الله بشكل انسانٍ مريض يصف امراضه لطبيبه ويستشيره في تدبيره ويطلب منه دواءً لاسقامه. او بشكل رجل اثيم يسال ديانه ان يعامله بالرحمة والاشفاق. وحينيذٍ ينبغي ان تكون صلاتك متصفة باتضاع عميق وندامة حقيقية علي خطاياك وقصدٍ ثابتٍ في تقدمة الوفاء عنها * رابعًا يسوغ لك احيانًا ان تخاطب الله كما

مزمور ٣٤ عدد ١٦

يخاطب التلميذ معلمه . ملتمسًا منه ان يمدك بانواره ويعلمك ويرشدك الى معرفة ما لا تعرفه بعد * او ان تخاطبه كما يخاطب الصديق صديقه في حال احتياجه الى مشورته وارشاده وعونه في امر باهظ ثقيل . وان كانت النفس الامينة تشعر في ذاتها بمحبة جزيلة نحو سيدنا يسوع المسيح وبحسن الاتكال عليه فيجوز لها ان تخاطبه كما تخاطب العروس ختنها بالفاظ ذات دالة وملاطفة مقدسة كتلك الالفاظ المحررة في سفر نشيد الانشاد *

فعلى حسب جميع هذه الانواع المتفننة يمكننا التردد مع الله . مبرزين جميع هذه العواطف النقية . ممارسين تارة هذه وتارة تلك * الا انه لكي نمارسها جيدًا ينبغي ان الروح القدس يعلمنا ويرشدنا لانه كما قال الرسول هو الذي يصلي عنا بزفرات لا توصف . وهو الذي يعلمنا كيف ينبغي ان نصلي ويحركنا الى ذلك ويرتب طلباتنا وينظمها . ويصدر في قلبنا هذه العواطف المقدسة * وقد اورد ذلك القديس برنردوس بمثل حسن فقال : ان العبادة هي كلسان النفس وان كل من له عبادة له ايضًا ان يكلم الكلمة الازلية كما ينبغي * ولكن مع هذا كله اعني مع اننا محتاجون جدًا الى عون الروح القدس في هذا الامر احتياجًا كليًا . فقد يلزمنا ان نفتكر بحرص في كيف ينبغي لنا ان نتردد مع الله . معتبرين كيفية تصرف الناس متى التزموا لامر باهظ بان يخاطبوا والدهم او قاضيهم او طبيبهم او غير هولاء ممن يماثلهم *

وقد يوجد شي اخر يخص ما نحن في صدده واريد ان اذكره هنا قبل ختام هذا الفصل . وهو ولو ان الصلوة العقلية ليست هي على الخصوص سوى تردد الانسان مع الله . فمع ذلك يمكننا ان نتردد لها ايضًا مع ذواتنا محثين نفوسنا تارة على ابراز الافعال والطلبات المتقدم ذكرها : وتارة موبخينها على خطاياها وموبخينها على توانيها فيما يخص اكرام الله وخدمته * وقد كان النبي والملك داود يخاطب نفسه على هذا النحو قايلا : لماذا انت حزينة يا نفسي ولماذا تقلقيني توكلي على الله فاني اعترف له لانه هو مخلصي والهي : اخضعي لله يا نفسي لان من قبله خلاصك * ثم انه يحسن بك ان توجه خطابك الروحي الى السيدة الكلية الطهارة والغبطة مريم

مزمور ٥ع٤٢

البتول . والى بقيّة القديسين والتقديسات لاجل تلك الغايات التي تقصدها بالتردد مع الله * اي امّا لكي تقدم لهم الاكرام الواجب . واما لكي تظهر لهم ما يجب عليك من المعروف وتشكرهم على احساناتهم اليك . واما لكي تلتمس منهم المعونة في امر خلاصك * وحينئذٍ يمكنك ان تذكر بعضاً من الحجج المذكورة في الفصل الاول . وتزيد عليها بعض اعتبارات تخص كلاً من هولاء القديسين * اما من جهة مريم المجيدة فاذكر لها انها هي امّ لنا وشفيعة للخطاة . وان ابنها قد اقامها على هذه الوظيفة لاجل تقديسنا . ذاك الابن الوحيد الحبيب الذي احبته بمحبّة مضطرمة . وتشتهي بشوق متقد ان يحبه ويخدمه الجميع : فاطلب منها ان تظهر مقدار ما تحبه وترغب بحدة بمساعدتها ايانا في عبادته * ثم يجب عليك ايضاً ان تطلب من ملاكك الحارس ان يكمل لوازم وظيفته نحوك . فيقدم لله صلواتك ويصيرها مقبولة لدى عزته . وقل له انه مما يخص اكرامه وشرفه ان نحصل نحن قديسين ونربح السما * ثم اطلب منه ان يحرسك ويصونك من عدوك المجتهد نهاراً وليلاً في هلاكك *

الفصل الثالث

* في شرف الصلوة العقلية وفي الفضايل المقترنة بها *

انه مما تقدمنا فحررناه في الفصلين المتقدمين يتضح ويفهم بسهولة سموّ شرف الصلوة العقليّة واستحقاقها . وذلك من حيث انها تمارس اعظم الفضايل المسيحيّة * قال القديس يوحنا الذهبي فمه : انه كما ان الملكة عند دخولها الاول الى مدينتها يرافقها أشرف من يوجد في ملكها من النسا والرجال : هكذا فضيلة الصلوة فانها متى دخلت نفساً اجتذبت معها بقيّة الفضايل . فبعضها تتقدم الصلوة يمهد لها الطريق ويعد النفس لاستقبالها . ومنها اي من هذه الفضايل الايمان والاتضاع والاحترام الباطن ونقا النيّة وغير هذه سنذكرها فيما بعد * وقد اشار الى ذلك الحكيم بقوله : عدّ نفسك قبل الصلوة ولا تكن كمن يجرب الله : وبعضها ترافق الصلوة كالمحبّة وحسن التدين والتقوى والحكمة وبقيّة مواهب

سيراخ ١٨ع ٢٣

الروح القدس التي تنير النفس وتسعفها جدًّا في اتقان الصلوة وبعضها تتبعها * على ان هذه الصلوة العقلية تتبعها فضايل كثيرة واشواق ومقاصد مقدسة عديدة لممارسة الفضايل كالطاعة والصبر والقناعة والادب والعفة وغيرها * فهذه الفضايل كلها كما انها منتظمة ومرتبطة بعضها ببعض . هكذا هي مرتبطة ومتحدة بالصلوة العقلية * وقد اشار الى ذلك القديسون والمعلمون الروحيون بقولهم عن هذه الصلوة . انها تصير الناس شبيهين بالله . وذلك لا لسبب انها تكون عمل القوى الروحية فقط . بل لانها تصيرهم ان يعيشوا عيشًا طاهرًا ذا كمال مليكي * على ان هذه الصلوة اذا بلغت كمال نوعها تسعف الانسان جدًّا في اكتساب محبة السارافيم المضطرمة . وكمال علم الشاروبيم . وسكينة الكراسي . والسلطان على الذات المختص بالسلاطين . والتسلط على الشياطين المنتسب للارباب . والشجاعة المختصة بالقوات . ومعرفة حسن التدبير المنتمي للافضال المفهومين بكثيري الاعين . والقوة في مباشرة الامور العسرة المختصة برؤسا الملايكة . والطاعة في تكميل اوامر الله المنتسبة للملايكة . والحكمة والطهارة التي تختص بالطبيعة المليكية مطلقًا * لانه كما قال الذهبي فمه لا توجد حكمة ولا كمال ولا قداسة تشبه ما يبلغ اليه من الحكمة والكمال والقداسة الانسان الذي يعرف يتردد مع الله ويخاطبه . حيث انه بهذا التردد المقدس يقتبل ملو الانعام الذي عليه تتوقف الحكمة الحقيقية والقداسة الكاملة . وذلك لان سيدنا يسوع المسيح الجزيل صلاحه وجوده الذي يجتذبنا الى الصلوة . يحب ان نخاطبه ويجيبنا بسرور ويجعل تنعمه في التردد مع الذين يختلون في ذواتهم ليحظوا بمفاوضته *

وقد يجب ان تعتبر هنا مع القديس برنردوس ان مخاطبة الله تعالى ليست هي قايمة على مجرد الالفاظ . بل انما هي حقًّا علامات محبته الحقيقية ومفعولاتها . ولهذا قال القديس المذكور ان خطاب الكلمة هو فيض مواهبه . وحقًّا انه تعالى لا يخاطب النفس الا ويغنيها بالفضايل ويوعبها فرحًا روحيًّا يفوق افهام البشر . قال المرتل : اسمع ما يتكلم فيَّ الرب الاله لانه يتكلم بالسلام على شعبه وعلى ابراره وعلى الذين يردون قلوبهم اليه : وقد يتبين من ذلك انه في حين

مزمور ٩:٨٤

مخاطبتنا الله ينبغي ان تكون اذن قلبنا منفتحة لسماع ما يكلمنا به تعالى . مماثلين تلك المرأة الكنعانية التي اذ امتثلت بازاء السيد المسيح شبهت نفسها بالكلاب التي تقف حول مايدة ربها . فتستمر ناظرةً اليه متوقعةً بنوع تذللها ان تظفر منه بشيء لغذاها . او انه ينبغي ان نماثل النبي والملك داود محتسبين نفوسنا امام الله كعبد امين لم تزل عيناه شاخصتين لدى مولاه وقلبه مستعدًّا لتكميل اوامره سيّن متى لاحت له ادنى اشارة من ارادته * هكذا كان يفعل حبقوق النبي الذي يقول مخبرًا عن نفسه : على محرسي اقوم وانصب قدمي علي الحصن واتامّل لارى ما يقال لي وما اجيب به لموبخي : فكانه يقول باوضح كلام . انني اذا ارتفعت الى تامل سام فاني اصغي لما يكلمني به الله في مخدع قلبي . وذلك اما لتوبيخي علي ذنوبي واما لتعزيتي وتمكيني * فاذًا بعد ان تكون انتصبت امام الله صامتًا زمنًا ما اذا رايت انه سبحانه لا يكلمك . فلا تضيع الزمن هكذا بل اجتهد ان تحثه علي الخطاب قايلًا مع صموئيل النبي : تكلم يارب فان عبدك يسمع : او مع العروس الطاهرة سمعني صوتك لانه حلو شهي : فقد قلت يا الهي علي لسان نبيك : اوديها الى البرية واتكلم الي قلبها : فصير في نفسي برّية مقدسة خالية من كل تصورٍ عالمي لكي تكلمني انت وحدك واسمعك واتمم اوامرك *

حبقوق ٢ع١

ملوك ١ ٣ع٩

نشيد ٢ع١٤

هوشع ٢ع١٤

ولعمري انه يتضح مما حررناه من الابتدا الى الان شرف الصلوة العقلية وضرورتها . وهذا قد اثبته الانبا كاسيانوس بقوله . اننا لا نستطيع ان نكتسب الفضايل ونحافظ عليها بدون الصلوة العقلية كما انه لا يمكننا ان نحصل اناسًا روحيين ماهرين في هذه الصلوة بدون الفضايل * علي ان الصلوة العقلية هي الغاية التي تتجه اليها الفضايل كافةً وجميع الاتعاب التي نحتملها لاكتساب الفضيلة . ثم اقول ان الصلوة العقلية اذا بلغت الى درجة سامية . فشانها ان تتحد نفوسنا بالله وتوعبها بعد ذلك سرورًا عظيمًا بواسطة معرفة الخير الاعظم وحبه والتمتع به . ولهذا قال القديس اكليمكوس ان الصلوة العقلية هي الواسطة التي بها يجازي الله الانسان بماية ضعفٍ عن كلما هجره واحتمله حبًا له *

الفصل الرابع

* في موضوع الصلوة العقلية *

اعلم ان موضوع الصلوة العقلية يشتمل على كل الحقايق التي اعلنها الله لنا في الكتب المقدسة وعلى الخصوص لاسرار الافضل اعتبارًا . وهذه تعتبر بثلثة انواع نظرًا الى اختلاف احوال الذين يتاملونها . وذلك اولاً لانه يوجد قوم من هولاء المتاملين خطاة او حديثين في ممارسة الفضيلة . يوجهون اجتهادهم كله الى ترك الرذيلة او الى اماتة شهواتهم . فهولاء يسلكون طريق التطهير الذي غايته اكتساب كمال نقاوة القلب وتطهير النفس بالكلية من الملكات الرديه كافة * ثانيًا يوجد غيرهم قد تقدموا بالفضيلة قليلاً ولا يزالون ينمون فيها يومًا فيومًا . فهولاء يسلكون طريق التنوير الذي غايته انارة النفس واكتساب الفضايل * ثالثًا يوجد اخرون قد بلغوا قمة الكمال فيسلكون في الطريق الاكمل المدعو من المعلمين الروحيين طريق الاتحاد * على ان الذين رقاهم الروح القدس الى هذه الطريقة السامية لا يفتكرون بعد الا في اتحاد انفسهم مع الله برباط المحبة الكاملة . فيجب اذًا على اصحاب هذه الدرجات ان يختاروا لتاملاتهم موضوعات مناسبة لحالهم ودرجتهم لكي يستنتجوا منها ما يفتقرون اليه اكثر افتقارًا من العواطف والمقاصد الصالحة *

فالخطاة الذين يقصدون اصلاح سيرتهم ينبغي لهم ان يجعلوا موضوع تاملاتهم خطاياهم ومهما يمكنهم ان يفهموا به مقدار كثرتها وجزيل جسامتها وشناعتها ويحركهم الى بغضها والندامة عليها . ومن حيث ان الخوف من العدل الالهي يعد القلوب لنعمة التبرير . فمن ثم يجب عليهم جدًا ان يجتهدوا فوق كل شي بان يتاملوا بتانى ما يمكن ان يغرس فيهم هذا الخوف الخلاصي ويسمرهم كعواقب الانسان اعني بها الموت والدينونة والجحيم وغيرها مما يشبهها . هكذا يجب ان يمارسوا ايضًا بعض رياضات مفيدة لفحص الضمير والاعتراف وتناول القربان المقدس ولاكتساب

التبرير الكامل الذي هو مقصود كل من يمارس رياضات السيرة المطهرة *
امّا الذين قد تابوا الى الله واصطلحوا مع حضرته الالهيّة بتطهير نفوسهم .
ويقصدون مع ذلك ربح الفضايل السامية والنمو بها فينبغي ان يجعلوا موضوع
تاملاتهم حيوة يسوع المسيح الذى صار انسانًا قابل الموت نظيرنا . حيث انهم
يجدون في حياته وتعليمه والامه وموته مثال كل الفضايل علي اكمل نوع . الَّا انهم
يجدون ذلك علي نوع مختلف على حسب حال كل منهم . لان المحبّة كما قال الجليل
اغوستينوس وماري توما اللاهوتي اذا حبل بها وولدت بواسطة التوبة فانها تنتقل
بعد ذلك الى الطفوليّة الروحيّة ثم الي الشبوبيّة الروحيّة ثم للرجوليّة الروحيّة *
فالمبتديون الذين قد ولدوا حديثًا بالنعمة ينبغي ان يكون موضوع تاملاتهم غالبًا
تجسد المسيح وطفوليته . اما الذين تقدموا الي ما قدام وهم في حال النمو بالفضيلة
كل يوم فلهم طريقتان لبلوغ الكمال المختص بحالهم هذه وهما العمل والصبر علي الشق .
اعني اما انهم يتقدسون بممارسة افعال كثيرة صالحة ملايمة الحيوة العمليّة والحيوة
النظرية . واما انهم يبلغون ذلك بحسن احتمال الاتعاب والاضطهادات وغير ذلك
من الشدايد التي تدركهم من خارج * ولعمري ان هذه الطريقة الثانية هي الاكثر
صعوبة الَّا انها الانفع والافيد للنمو في الفضيلة ولبلوغ كمالها . وقد رام السيد المسيح
ان يسير في هتين الطريقتين ولذلك قال عنه القديس اغوستينوس : انه تعالى
اصرف حياته كلها في فعل العجايب واحتمال الشدايد ولم يقصد بذلك سوى تعليمنا *
فليكن اذًا موضوع تاملات هولاء ما علمناه يسوع من اعتماده الى دخوله الاخير
في اورشليم وما احتمله في الامه بعد ذلك . لانهم يجدون هنا وهناك بحجًا موثرة
معينة جدًّا لممارسة كل الفضايل ولاحتمال كل الشدايد * واخيرًا نقول ان الذين
يسلكون في الطريق الثالث الاكمل المدعو طريق الاتحاد مرتاحين علي الدوام
الي الاتحاد بالله بواسطة المحبّة لهم سبيلان للبلوغ الى مقصودهم * فالسبيل الاول
هو التامل بحيوة السيد المسيح المجيدة والاشيا العجيبة التي صنعها بعد قيامته . لا سيما
ارساله علي تلاميذه روحه القدوس الذي هو روح المحبة * والسبيل الثاني هو تامل
الاسرار الاسمى فوقًا المختصة باللاهوت وتثليث الاقانيم الالهيّة وكمالات الله

الجوهرية وجزيل احساناته . فهذان السبيلان يناسبان بوجه الخصوص هولاء
الذين ارتقوا جداً في الفضيلة وذلك حسب قول النبي : الجبال العالية للايلة
والصخور ملجا للقنافذ * وقد فسر ذلك الانبا كاسيانوس بحسب المعني السري
عن الافاضل المرتقين في الكمال الذين يشبهون الايلة بسرعة سلوكهم في طريق
الملكوت . فانهم يسرون بتامل الكمالات الالهيّة ومجد سيدنا يسوع المسيح
المعبر عنهما بالجبال العالية . اما الخطاة الذين يشبهون القنافذ باشواك خطاياهم
وهمومهم التي تنخس ضمايرهم وتمزقها . فليس لهم شي انسب وانفع من تامل دناتهم
والتراب الذي كوّنوا منهُ واعتبار اسرار ناسوت سيدنا يسوع المسيح المعبر عنهُ
بالصخر . لانهم يجدون في جراحاته ملجاء وفي تعاليمه ونموذجاته تعزيةً وقوةً *
وهذا الذي قلناهُ عن ترتيب موضوع التامل واوانهُ يجب حفظه غالباً . الا اني
لا اريد ان يتمسك بهِ المتامل بسجس وتعب محتسباً قولنا هذا قانوناً لا يجوز
تعديّه اصلاً . لانه قد يجوز حقاً تغييرٌ هذا الترتيب . بل قد يحسن احياناً ايضاً
ان البعض من الناس لا يطيقون تامل موضوع مريع وقد يلين قلبهم بسهولة
بواسطة بعض اعتبارات لطيفة ذات تعطف . وبعكس ذلك توجد اناس لا يوثر
فيهم ولا يحركهم الا موضوع مخيف . هكذا نرى قوماً يجدون عبادةً ونفعاً في تامل
اسرار طفوليّة يسوع . واخرين يجدون ذلك في تامل الامه . وفي هذه الاسرار
عينها ينفعل البعض باعراضها اكثر مما ينفعل بجوهرها . فليحذر اذاً المرشد
من ان يدبر السالكين في ذلك الطريق الاضطرار ويلزمهم بترك موضوع تاملاتهم
الاعتيادي لياخذوا موضوعاً اخر لا يجتنون منهُ الخير المقصود منهم * وقد عرفنا
بالتجربة ان الذي يهتم في تحصيل فضيلة محبوبة ومرغوبة منه فانهُ مهما كان موضوع
تامله تتجه كل افكاره الى تلك الفضيلة ويجد في كل شيءٍ اسباباً لممارستها . فاذا
كان روح التواضع متسلطاً عليه تسلطاً خصوصياً فانهُ مهما تامل سواء كان
موضوع تامله جهنم او النعيم او شقاهُ الذاتي او كمالات الله . فيكون ذلك جميعه
مفيداً لاعتباره تلك الفضيلة وحبه لها . هكذا ان كان حب الله هو المتسلط على
قلبه بوجه الخصوص فانهُ يجد في كل موضوع حتي في ارهب ما صدر عن العدل

مزمور ١٨٤:١٠٣

لالهي اسبابًا لاضرام تلك المحبة . ولذلك نقول اخيرًا ان المبتدين والمتقدمين الى ما قدام والسامي كمالهم ايضًا يجدون في كل موضوع افكارًا وعواطف مناسبة لاحوالهم ولاستعداد قلوبهم ❊

الفصل الخامس

❊ فيما يجب فعله في ابتدا الصلوة العقلية ❊

انه لنصح جيد ومفيد في الغاية ذلك الذي وعظنا به الروح القدس نفسه بقوله على لسان الحكيم : عدّ نفسك قبل الصلوة : على ان الذي يتقدم الى الصلوة خلوًا من استعداد فانه يجرب الله بظنه انه يستطيع ان يصلي جيدًا بدون استعمال الوسايط الموسومة منه تعالى لهذا الغرض ❊ فاذًا قبل كل شي ينبغي ان تسبق وتنظر الى موضوع تاملك العتيد . وذلك لانه بالنادر يمكن ان يتم التامل حسنًا ان لم تكن سبقت وعددت موضوعه وقسمت مادته الى اجزاء كثيرة على النوع الذي نورده فيما بعد ❊ الا انك اذا شعرت في نفسك بالهام ما يسوقك بغتة الى تامل شي اخر غير الذي اعددته قبلًا فلست امنعك عن ذلك بل احثك على مطاوعة ذلك الالهام ❊ على ان الذي ينبغي ان يرشدنا في الصلوة هو الروح القدس . غير انني انصحك الا تغير موضوع تاملك بخفة عقل وخلوًا من سبب داع ❊

ثم بعد ذلك وقبلما تبتدي التامل احفظ ما اقوله لك الان . اي ارفع او لًا قلبك وكل قوى نفسك الى الله الحاضر والموجود حقًا امامك وانظره بعين الايمان بكل تأني وتهيب واحترام ومحبة ❊ على ان الذي يلتزم ان يخاطب احدًا من الامرا المعظمين فلا بدّ له ان يمضي الى صرايته ويمثل امامه لانه كيف يمكن ان يكلم شخصًا غايبًا ❊ والحال ان الامر يجري بخلاف ذلك مع الباري سبحانه . وذلك لكونه موجودًا على الارض كما هو موجود في السما ❊ وبالنتيجة هو موجود في كل مكان لا يخفى شي عن نظره وعلمه . واذا اردت ان اكلمه فلا احتاج ان اطلبه مما هو بعيدًا عني . بل يكفيني ان اومن ايمانًا حيًا انه تعالى حاضر حيث انا موجود . وانه في وقت صلاتي يكون معي حقًا الاب والابن والروح القدس ناظرين اليّ وسامعين

طلبتي ، وقد يجيبونني باطنًا بالهاماتهم وانوارهم المقدسة وبما يضرمونه من العواطف الصالحة في ارادتي وبغير ذلك من النعم الجزيلة التي ينعمون بها عليّ * وقد يجوز لك ان تفتكر ان الله حولك وانك انت فيه علي نحو ما يوجد السمك في البحر * ويسوغ لك احيانًا ان تتصوره حاضرًا بازايك بجوهره الالهي ومعرفته وقدرته . ناظرًا اليك والى ما تعمله ومقدمًا لك نعمته لتفعله حسنًا . وعلي هذا النحو تتم كلام السيد المسيح : وانت اذا صليت فادخل مخدعك اي داخل قلبك واغلق عليك بابك اي باب حواسك وصلِّ لابيك سرًا وابوك الرؤوم الذي يراك يعطيك مرغوباتك * فاعتبارك هذا الحضور الالهي اعني حضور الله الذي هو حقًا داخلك وحولك . ينبغي ان يكون صادرًا عن ايمان حي مضطرم لكي يضرم فيك الاكرام والاتكال والاصغا الواجب . فاذا اكفى هذا الاعتبار لابراز هذه العواطف في قلبك فقف هنا وتمتع بهذه العذوبة العابقة المقدمة لك من الله . لان هذا يغني عن صلوة عقلية جزيلة الكمال * لانه في غالب الاوقات يكفيك ان تقف عند ذلك مقدار تلاوة الصلوة الربية فقط . مع انه يلزمك ان تحترس جدًا على محافظة حضوره تعالى مقتديًا بالنبي القايل : فكر قلبي وتاملي امام الرب في كل حين : واما المحل الذي ينبغي لك ان تحسن فيه الاصغا واستحضار الله سبحانه علي الخصوص . فهو المحل الذي تطلب فيه شيًا من الله وتخاطبه بدالة لانه حينئذ يجب عليك كما قال المرتل ان تسكب امامه تضرعك *

متى ٦ع٦

مزمور ١٥ع١٨

مزمور ٣ع١٤١

ثم بعد هذا الاستحضار الالهي اركع ساجدًا للعزة الغير المتناهية سجودًا بالروح والجسد * فالسجود الاول والافضل هو سجود القلب وبه نحترم الله جل وعز كرب جميع الموجودات المطلق وكاب وملك يستوجب اكرامًا وحبًا غير محدود * السجود الثاني هو سجود الجسد وبه نتواضع امام الله مقبلين الارض بازاء حضرته الالهية السيدية جاثين عليها بكل تذلل كما صنع سيدنا يسوع المسيح في بستان الزيتون . حيث استحق بذلك الاحترام العظيم الذي صلى به ان يستجيب له الاب الازلي * فان اردت اذًا ان يستجيب الله لك في وقت صلاتك فكن ماثلًا امام عزته باحترام بليغ *

وهكذا بعد ان تكمل امام الله فعل تواضعك علي النحو المذكور . اجثُ علي ركبك وارسم حالاً الصليب علي جبهتك قايلاً بخشوع وتقوى . بعلامة الصليب المقدس نجنا يارب من اعدائنا باسم الاب والابن والروح القدس . مشيرًا بذلك علي انك انما تبقي اتكالك على قدرة الثالوث الاقدس لا علي قوتك * وقد توجد اناس يقرون في ابتداء صلاتهم صورة الاعتراف بوجه الاجمال ليتمموا بذلك فعل التواضع . وهذا قد اوضحه الحكيم بقوله : الرجل التقي يعترف بذنوبه ويشكو نفسه في ابتداء صلاته * واخرون يبتديون بتقدمة الشكر لله حسب مشورة القديس باسيليوس * فمن هذه الرياضات وغيرها مارس انت التي تميل اليها عبادتك اكثر ميلاً . الا ان القانون العام بذلك هو ان يبتدي المتامل بصلوة وجيزة معدًّا نفسه بها للتامل * ثم بعد ان تكون رفعت قلبك الى الله قل نحوه هكذا بغاية النشاط والخشوع . اقدم لك يارب كل افكاري واقوالي وكل اعراض عملي هذا ليكون لتمجيدك . فاعني يارب بنعمتك وبارك علي صلاتي هذه لتكون مفيدة لنفسي . واعلم ان هذه الصلوة الوجيزة المقدمة على التامل يمكنك ان توجهها تارةً الى الاب قايلاً هكذا . ايها الاب الازلي اني اقدم لك صلاتي هذه مع تلك الصلوة الجليلة التي قدمها لك ابنك الوحيد سيدنا يسوع المسيح . ملتمسًا منك باستحقاقه ان تعلمني كيفية صلاته لتكون صلاتي مرضية لك كما ارضاك هو بصلاته * ويمكنك ان توجهها تارةً الى الابن مخاطبًا اياه هكذا مع رسله ربي ومخلصي علمني ان اصلي وامنحني ذلك الاصغا والنشاط اللذين كنتَ تصلي بهما * هكذا يسوغ لك ايضًا ان تتجه نحو الروح القدس قايلاً له مع الرسول اني انسان شقي خاط قد ولدت في الجهل ولذلك لستُ اعرف ان اصلي كما يجب فانت اطلب عني ومن اجلي ما انا مفتقر اليه اكثر افتقارًا وحرك قلبي لاطلبه بزفرات لا توصف . فعلى هذا النحو تكمل ما قاله القديس ديونيسيوس وهو ان كل عمل متجه الى الله ذاتيًا وعلي الوجه المستقيم ينبغي ان يبتدي بالصلوة . وبالنتيجة انه يلزم الانسان قبل كل شي ان يطلب العون من الثالوث الاقدس . ويسلم ذاته بين يديه تعالى بنية جزيلة النقاوة وبعقل هادٍ وبقلب مستعد للاتحاد الالهي المقصود في اكتسابه بواسطة هذه الرياضة *

امثال ١٨ع ١٧

الفصل السادس

❋ في كيف ينبغي ان نمارس التامل وفي كيف يمكننا ان نقاوم الطياشات العقلية ❋

حقاً ان التامل هو احد اجزاء الصلوة العقلية الاصعب ممارسةً. على انهُ كما قد يسهل على الانسان ان يفتكر في كلما يتقدم لعقلهِ وان ينتقل من مادةٍ الى مادةٍ بلا ترتيب وخلواً من قصد. هكذا هو امرٌ مستصعبٌ جداً جداً ان يلصق فكرهُ وبجنهُ زماناً ما مديداً في مادةٍ واحدةٍ بغير ان يتشتت عقلهُ ويتمسك بمادةٍ اخرى. ولذلك فالقديسون انفسهم قد شكوا من هذه الصعوبة. قال ايوب البار: افكاري تبددت وهي تعذب قلبي وقد جعلت لي الليل نهاراً: وقال المرتل تركني قلبي ارتضي يارب بان تخلصني ❋ وهذا العارض قد يوجد لهُ جملة اسباب. فالسبب الاول هو الشيطان الذي يجتهد اجتهاداً كلياً في اننا لا نستفيد من صلاتنا ❋ السبب الثاني هو عدم ثبات مخيلتنا ❋ السبب الثالث هو السجس الحاصل فينا من قبل بعض شهوات غير مرتبة تجتذب افكارنا وراها حسب قوله تعالى: حيثما يكن كنزك فهناك يكون قلبك ❋ السبب الرابع هو افراط الاهتمام في الامور الدنيوية التي من شانها ان تقسم قلبنا وتشتته وتمزقه ❋ السبب الخامس هو الفتور في ممارسة هذه الرياضة المقدسة ❋ السبب السادس هو ضعف العقل وعجزه عن مفاوضة الله في الصلوة العقلية وعن البحث الواجب عن حقايق الايمان وعما يمكن ان يحرك الارادة ويضرمها. وهذا الداء يمكنك ان تداويه على النحو الاتي ذكره ❋

ايوب ١٧ع ١١

متى ٦ع ٢١

فاولاً يلزمك ان تفهم جيداً السر المزمع ان تتاملهُ وان تعتقد وتومن ايماناً ثابتاً بكلما علمناهُ الله تعالى في الاسفار المقدسة. ثم افحص عن حجج ذلك السر الحقيقية وميزها من تلك التي ليس لها سوى شبه الحجج الحقيقية وظلها. وهكذا اصنع نظراً الى الغاية الحقيقية التي قصدها الله في ذلك السر وميزها مما سواها. ثم انتقل الى البحث عن مفعولاته واعتبر حينئذٍ بتانٍ واصغِ روحي ما ينتج لك منها من الخيرات او الشرور. ثم تامل ايضاً ادنى عوارض هذه المفعولات ❋

فاذا قصدت ان تتامل مثلاً سر التجسد فردد في عقلك اولاً كلما تعلمتهُ عنهُ من

قبل الايمان . وافتكر ان ابن الله اتحد بطبيعتنا اتحاداً هذا احدهُ . حتى انهُ يصدق فيه هذا القول وهو ان الله هو انسان والانسان هو الله . ثم افحص بعد ذلك عن نتج هذا السر العظيم التي ليست هي استحقاقنا بل الجود الالهي لا غير *

ثم تامل غاية هذا السر الالهي التي هي خلاص العالم وقدم مجداً لله الذي اظهر بهذا السر جزيل افراط محبته للبشر . وبعد ذلك اعتبر من احدى الجهات الخيرات التي تستطيع ان تجتنيها من تجسد ابن الله وهي مغفرة الخطايا والدخول في الملك السماوي . ومن جهة اخرى اعتبر ما كان عتيداً ان يصيبنا من الشرور لو لم يتجسد ابن الله . علي انهُ لولا ذلك لكنا مكثنا الي الابد اعداء الله واسرى الشيطان مستوجبين العذابات الجهنمية . واخيراً افحص بالتفصيل عن عوارض هذا السر الغير الموصوف . وانظر علي الخصوص الى صفات النفس والجسد اللذين اتخذهما ابن الله بتجسده ومناقبهما العجيبة التي لا نظير لها * وهكذا اتردد مع الله بواسطة هذه الاعتبارات طالما تجد في نفسك عبادة وعذوبة ما روحية . على ان الشي الاخص الذي يجب عليك ان تهتم فيه اكثر اهتماماً هو ابراز افعال المحبة نحو الله والاتكال علي جوده وطلب الانعام المرغوبة منك لا سيما التي تناسب موضوع تاملك . فبعد ان تكون تاملت بكفاية جزءا واحداً من اجزاء التامل انتقل الى جزء اخر وعلى هذا النحو تاملها كلها بهدوٍ وتاني *

وقد يتفق احياناً ان الروح القدس يرشدنا في حين التامل ارشاداً خصوصياً . وحينئذٍ نفعل كل شي بسهولة بل بعذوبة وفرح . لانه تعالى ينظم الصور في القوة الذاكرة ويصير البراهين قوية موثرة . ويملا العقل من الافكار الصالحة ويضرم في القلب العواطف المقدسة . ويرتب الطلبات ويعلمنا ما يجب ان نقوله في محل الخاطبة . واقول علي الاطلاق ان الروح القدس حينئذٍ يحرك النفس ويعمل فيها كل شي لاتقان صلاتها . فلا تحتاج ان تجتهد في شيء ولا ان تتعب البتة . الا انهُ متي ما زال هذا العون الخصوصي فيجب حينئذٍ على النفس التي لا تفقد النعمة ابداً بالكلية ان تحرك بسلطانها كل قواها الروحية . وهذا الاجتهاد قد يلزم احياناً الروح القدس بان يتحنن علينا فيعيننا في ضرورتنا . ولذلك انا انصح اهل العبادة

بان لا يكونوا نظير المراكب الكبيرة التي لا تستطيع ان تتحرك وتسير اذ لم يسوقها ريح ثقيل مناسب . بل يجب عليهم ان يكونوا نظير السفن الصغار التي تسير بالريح وبالمقاديف . فاذا افقدوا التسليات الحسية فليستعملوا قواهم الروحية كمجاذف يسيرون بها سيرًا سعيدًا مع المعونة الالهية التي لا تعوزهم اصلاً ولو انهم لا يشعرون بها . وهذا النوع الثاني من الصلوة العقلية حقًا انهُ اقل عذوبة الآانهُ اوقاتًا كثيرة هو اوفر نفعًا . على ان اجتهاد المتامل في ان ينتصر على طياشات عقله ويبوسة قلبه هو جزيل الاستحقاق لدى الله . فاستمر مجتهدًا قاذفًا ضد الريح العاصف فانك على هذا النحو تلزم يسوع بان ياتي لمعونتك وانقاذك من تعبك كما انقذ رسله في مثل هذا المحل * والآن يجب ان تتعلم الوسايط المساعدة على مقاومة يبوسة القلب وطياشات العقل * فالواسطة الاولى هي اتضاع القلب وبه نعترف بفتورنا وشقاينا ونخجل مستخزين من شتات افكارنا امام العزة الالهية . ونعتقد اننا اهل لهذا العذاب لاجل خطايانا . على ان من يتضع هكذا سيرتفع لا محالة

الواسطة الثانية هي قصد ثابت في ان ندفع عنا ونطرد كل الافكار الغريبة عن موضوعنا . وذلك لاعتقادنا ان الشيء الذي يلزمنا اكثر الزامًا في محل الصلوة هو اننا نوجه كل فكرنا وجهدنا الى ما نعملهُ والى الله الذي يصغي الى صلاتنا . فاذا شرد عقلك وتاه فحالما تفيق على ذلك ارجع حالاً الى موضوع تاملك . وان تهت الف مرة فارجع الى طريقك كذلك ولا يفشل قلبك ولا يضعف اتكالك على الله . بل تذكر ان ابرهيم بعد مواظبته على طرد الدبابير التي كانت تاتيه كل وقت وتنجسه في حال تقدمة الذبايح . رقد اخيرًا ونام نومًا سريًا عجيبًا وفيه اراهُ الله اسرارًا عظيمة ومصباحًا يشبه اللهيب جايزًا بين تلك الذبايح . مشيرًا تعالى بذلك الى حسن رضاهُ في ذبيحته . فانتج من ذلك انك اذا واظبت على طرد كل هذه الافكار التي تاتيك فتنجسك حين تقدمتك ذبيحة صلاتك فانك تستحق ان يرسل لك الله رقادًا لذيذًا الذي هو رقاد التامل النظري فيشركك بانواره ويضرمك بمحبته

تكوين ١١:١٥

الواسطة الثالثة هي الصلوة نفسها . فبها اطلب من سيدنا يسوع المسيح ان يبني في مخدع نفسك اورشليم غير منظورة تكون لديك رويا السلام فيجمع فيها

كل افكارك وعواطفك فلا تسجسها الخلايق عن التردد مع الله. اطلب هذا ايضًا من الملايكة لانهم يعينون المومنين في محل الصلوة * فهذه الواسطة تساعدك كثيرًا في ان تستمر متحدًا بالله. لان الصلوة تنال مهما تريد حتى ما يخصها ويقدر ان يزيدها كمالًا ايضًا. فاذا سجسنك الطياشات فاستعمل بعض صلوات قصيرة موثرة مفيدة جدًا واصرخ مع النبي والملك داود قايلًا: لقد تركني قلبي فارتض يارب بان تخلصني مسرعًا الى معونتي: صارت نفسي قدامك كارض بلا ماء اسرع فاجبني يارب فقد فنيت روحي: وقل ايضًا مع الرسل: نجنا يارب لاننا نهلك: او مع الاعمى المذكور في الانجيل المقدس: ارحمني يا ابن داود: فاذا لبثتَ صارخًا هكذا فلا شك في انه يتحنن عليك يسوع كما تحنن على ذاك الاعمى *

مزمور ٣٩ ع ١٣
مزمور ١٤٢ ع ٦
متى ٨ ع ٢٥
لوقا ١٨ ع ٣٨

الواسطة الرابعة هي حسن الاتكال على الله والرجا اليقين بانه تعالى الذي امرنا بالصلوة يقدرنا بنعمته على ان نتممها كما يجب. ويعطينا قوةً لننتصر على الشياطين ونضبط مخيلتنا ونقهر شهواتنا ونهدي هيجان اهتمامنا ونغلب توانينا. ونطرد عنا كلما يمكن ان يسجس سكوننا ويفسد صلاتنا. ولكن يجب ان تحذر ايضًا من ان يصيرك اتكالك هذا متراخيًا فيما يخص حفظ قلبك. ولذلك حسنًا يامرنا الانبا كاسيانوس بان نسبق باكرًا فندفع عنا كل الافكار التي يمكن ان تاتينا وتسجسنا في محل الصلوة. وقال القديس نيلوس ان الشيطان خزاه الله لا يحرب الناس الروحيين طول النهار الا لكي يفسد ويسجس مخيلتهم فينزع عنهم كل اثمار صلواتهم. فاذا حركهم الى الحنجرة يريد بهذا ان يصيرهم ثقيلين بانفسهم مستحوذًا عليهم النعاس في وقت الصلوة. وان قدم لهم اسباب الحزن فقصده ان يتلف هدو سلامة نفوسهم. واذا اضرم في قلوبهم اشواق التنزه والتفتيش فمرامه ان يشتت عقولهم. وان ساقهم الى كثرة الاشغال والامور المهمة فنيته بذلك ان يلصق قلوبهم بها ليفتكروا فيها دايمًا * والحال انه لمن الواجب والصواب ان يكون اهتمامنا واجتهادنا في خلاصنا مساويًا اهتمام الشيطان اللعين واجتهاده في هلاكنا. فافرغ اذًا مجهودك في ان ترتب جيدًا جميع امورك واشغالك الاعتيادية لكي تستعد لها بمباشرتها لممارسة الصلوة. وبهذه الواسطة تتمم قول المسيح صلوا ولا تملوا:

وقد يصلي بلا ملل من يصرف حياته كلها اما في ممارسة الصلوة اما في الاستعداد
لها. فلنتقدم اذًا الى الصلوة باتكال كلي على الله قايلين للارواح الخبيثة: اعدلوا
عني ايها الاشرار فافحص وصايا الهي: ثم خاطب قوى نفسك وافكار قلبك
وعواطفه وقل نحوها هكذا: هلمّ نسجد ونركع للرب الهنا ونبكي امامه لانه هو
الرب ونحن شعبه وغنم رعيته *

مزمور ١٢٠:١١٨

مزمور ٦:٩٤

الفصل السابع

* في كيف ينبغي ان نستعمل المخيلة واللسان في الصلوة العقلية *

انهُ ولو كانت الصلوة العقليّة هي على الخصوص عمل قوانا الروحيّة حسب معنى
لفظة صلوة عقليّة. فمع هذا لمن المحقق ان القوى الدنيا تسعى ايضًا مع تلك
وتسعفها جدًّا. ولا ريب ان التي تسعى معها اكثر هي المخيلة التي يمكننا ان نقول
عنها انها كما هي اشد الموانع للصلوة متى ما ندعها بغير لجام يضبطها ويصدها عن
المضي بلا ترتيب وراء كل نوع من اشكال الموضوعات. هكذا تكون ايضًا واسطة
معينة جدًّا لهذه الصلوة متى ما ضبطناها. فتريبنا على نوع حي صور الاشيا التي
نتاملها. على انها تكون حينيذ كانها واقفة مستمرة في مكان ما تصور لنا السر
الذي نتفرسه. ولهذا يجب جدًّا على المتامل قبل ان يبتدي التامل ان يشغل
مخيلته في تصوير هذه الاشيا الحسيّة باحسن ما يمكنه. مثلًا اذا اردت ان
تتامل عذابات الهالكين المويدة. فتصور اولًا سجنًا في عمق الارض مظلمًا ضيقًا
ملتهبًا بالنار حيث تحترق الانفس الشقيّة الى الابد. واذا اخذت تتامل مولد
سيدنا يسوع المسيح فتصور قبل كل شيء اصطبلًا مفتوحًا من كل ناحيةٍ وطفلًا
ملفوفًا ملقى على تبن في مذود بقر وهكذا افعل ببقيّة الاسرار. الا اني انصحك
لا تشغل مخيلتك في ذلك باجتهاد وكدٍّ مفرط. فان كنت لا تقدر ان تتصور جيدًا
هذه الاشيا بغير اجتهاد متزايد ومتعب جدًّا. فخير لك ان تدع هذه الرياضة
وتشغل في الصلوة قواك الروحية فقط. وقد يوجد قوم اصحاب مخيلة حسيّة حارة

يجب عليهم ان يحذروا جدًّا. حيث ان اجتهادهم في تصوير الاشياء وضعها بازائهم كانهم يبصرونها باعينهم. يعميهم احيانًا هذه المقدار حتى انهم يحسبون تصوراتهم الخياليّة اشخاصًا ورؤيا حقيقيّة. وهذه عارضٌ خطرٌ جدًّا لا يفيد صلاتهم بل يفسدها ويضرّ دماغهم ضررًا جسيمًا *

ثم ان اللسان يسعفنا ويفيدنا ايضًا في الصلوة العقليّة. على ان هذه الصلوة كما قال حسنًا ماري توما اللاهوتي لا تضادّ الصلوة اللفظيّة بل انهما كاختين تسعف احداهما الاخرى. وقال القديس اوغستينوس ان الصلوة العقليّة تفر احيانًا خارجًا من ذاتها بحركة ما من العبادة الحارة. والصلوة اللفظية تنبّه النفس وتحركها وتمنعها عن النعاس والفشل والغفلة. فاذا وجدت ذاتك بحال اليبس فلينطق فمك ببعض الفاظ تنبهك وتردك عن ضلالك مخاطبًا لها اما الله تعالى اما ذاتك. على انهُ كما ان الجسد ينفع النفس جدًّا بخدم مختلفة. هكذا افعالهُ تسعفها ايضًا جدًّا في اتقان افعالها. واللفظة التي تخرج من الفم تصل الى القلب مرات كثيرة وتنفذه. وهذا يمكنك ان تمارسهُ على نوعين كما قال القديس بونا ونتورا فاولًا قل في مناجاتك الله مهما ياتي في بالك من قبل ضرورتك او عبادتك. ولا تبالي من ان الذي تقولهُ يكون حسن النظام والترتيب او بعكس ذلك. لان الله لا يطلب منك شيئًا سوى استعداد قلبك ونشاط عواطفك. ولا يعتبر ظرافة الكلام وحسن نظام الالفاظ * ثانيًا استعمل بعض صلوات مصنفة من الكنيسة او من احد القديسين. وخصصها لذاتك واتلها بعبادة كانك الفتها قبلًا او تولفها حالًا كما سنقرر ذلك في الفصل التاسع * اما من جهة الحواس الخارجة فليس لنا قانون عام نضعه على الكل على الاطلاق. على ان البعض ينتفعون في الصلوة العقلية من تغميض اعينهم. وبعضًا بعكس ذلك ينتفعون من فتحها مستعدين النظر الى السما او الى ايقونة ما من الايقونات المقدسة. وقومًا لا يطيقون ادنى صوت. واخرين ينبسطون من سماع التراتيل الكنايسيّة. وبعضًا يجدون عبادةً بضرب صدورهم كما كان يصنع القديس ايرونيموس وذلك العشار. وبعضًا يستحسنون الركوع بتكاثرٍ كالقديس سمعان العامودي الذي كان في صلاته لم

يزل يجثو على ركبتيه ويحني راسه حتى الارض ثم ينهض حالا * وقل هكذا عن رياضات غير هذه كبسط الايدي والوقوف والجلوس والمسير. فليختر كل واحد من هذه ما يناسبه ويسعفه اكثر في تحصيل العبادة واكتساب هدو العقل. وليقس نشاطه مع قوته وليحترس على ان يعمر القريب متى ما صلى مع الجمهور *

الفصل الثامن

* في فحص الصلوة العقلية *

انه يجب عليك بعد الفروغ من الصلوة ان تنظر كيف كانت. على انه وان كان من الواجب ان تمارس هذا الفحص في اخر كل رياضة روحية حتى وبعد الصلوة اللفظية ايضا كتلاوة الفرض الكنايسي والمسبحة والقداس الالهي. الا انه يجب عليك بافضل وجه ان تمارس هذا الفحص بعد الصلوة العقلية التي هي عمل روحي بالكلية *

فاعتبر اولا كيف حفظت الرسومات اللازم حفظها قبل الصلوة العقلية. هل اعددت موضوع التامل هل استحضرت الله هل قدمت له صلاتك بحسن النشاط ونقاوة النية. فاذا رايت انك قد زللت بشي ما من هذه الاشيا. فاندم عليه واقصد اصلاحه فيما بعد *

اعتبر ثانيا هل مارست التامل باصغا عقل او بتشتيت الافكار. هل شعرت بعبادة او بيبس. هل تعلق عقلك بابحاث وبراهين باطلة تخص اهل المدرسة لا اهل العبادة. هل وجهت جهدك على الخصوص الى ابراز المقاصد والعواطف المقدسة. وهل انك اذ كنت تكشف لله احتياجاتك كنت تفعل ذلك بالاحترام والاتكال الواجب امرلا. فان رايت انه قد تم كل شي حسنا فقدم لله الشكر وخصص ذلك كله له تعالى ولنعمته لا لذاتك ولا لاجتهادك وفطنتك. وان جرى الامر بخلاف ذلك فافحص عن سببه هل هو ضعف او كسل او تسجيس الامارات. واندم على كل شي واقصد اصلاحه بواسطة الاماتة *

اعتبر ثالثاً ما حصل لك من الانوار والالهامات والتعزيات والعواطف المقدسة. واجتهد خاصةً في انك تعرف مفعولات هذه الاشيا كلها لكي تعرف اسبابها. هل ان سببها الروح الصالح او الروح الخبيث. على انك بهذا التفتيش والفحص تكتسب معرفة تمييز الارواح التي هي جزيلة الضرورة في السيرة الروحية *

اعتبر رابعاً مقاصدك. وانظر متى وكيف يمكنك ان تتممها. واقول على وجه العموم انهُ ينبغي للمتامل ان يفحص جيداً عن الاثمار التي اجتناها من صلاته * على ان الصلوة اذا شابهت شجرة خالية من الثمار فتقع عليها لعنة الرب كما وقعت على تلك التينة المذكورة في الانجيل المقدس. وعلّتها يكون اليبس الابدي. وبعكس ذلك اذا اثمرت كثيراً فيباركها الله فتنبت كشجرة مغروسة على مجاري المياه *

اعتبر خامساً ان اخصّ الثمار الواصلة لنا من الصلوة العقلية هي اصلاح سيرتنا بواسطة بغض ادنى هفواتنا واصغرها. والهرب من اسباب الخطية والانتصار على شهواتنا واخضاع حواسنا للروح. ومقاومة التجارب بشجاعة واستعداد القلب لاحتمال اعظم الاتعاب بفرح ولتكميل ارادة الله في كل شي. والاجتهاد في اكتساب الفضايل لاسيما المحبة والاتضاع والطاعة والصبر في الاتعاب *

الفصل التاسع

* في انه يمكننا ان نمارس الصلوة العقلية على انواع مختلفة *

ان ذوق الانسان فيما يخص الرياضات الروحية ينقلب ويتغير بسهولة هذا حد مقدارها. حتى ان الذّ الاشيا يجدها لا طعم لها ولا لذة اذ لم يجد فيها تغييراً ما. وبهذا يشبه الشعب الاسرايلي الغبي الذي استكره المنّ في الفيافي لاجل مجرد هذا السبب وهو عدم تغيير الطعام. ولذلك شرع القديسون والمعلمون الروحيون يخترعون انواعاً مختلفة لممارسة الصلوة العقلية. ليزيلوا بذلك هذا الكره الروحي الذي يعتري اغلب الناس الذين لا ينعم عليهم الروح القدس بوفور تعزياته. التي بها يصيرهم ان يرتلوا دايماً للرب تسبحة جديدة *

ومن جملة الذين احسنوا التصنيف بهذا الصدد هو القديس السيرافيمي بوناونتورا وموسس رهبنتنا القديس اغناتيوس . الذى قد ميّز ثلثة انواع جزيلة النفع لاهل العبادة * النوع الاول هو تامل وصايا الله والخطايا السبع الروسيّة وثلث قوى النفس وحواس الجسد الخمس . وسنورد هذا النوع ان شاء الله تعالى في الجزء الثاني من هذه التاملات * النوع الثاني هو اعتبار بعض الفاظ مقدسة كمزمور ما من المزامير الداودية . او بعض مضامين من الكتب الانجيليّة . او صلوة ما او تسبحة من الصلوات والتسابيح الكنايسيّة . وذلك بتانٍ في كل لفظة كمن يريد ان يستخرج كل زومها وجوهرها * على ان الكتب المقدسة بما انها تصانيف الروح القدس فان الفاظها كلها متضمنة اسرارًا يجب ان نفحصها ونتاملها . ولان الروح القدس يدبر الكنيسة في تدابيرها واقوالها فان كلماتها كلها هي روح وحيوة * فان رمتَ اذًا ان تمارس حسنًا هذا النوع من انواع الصلوة العقليّة فينبغي لك عند تاملك الالفاظ ان تعتبر . مَن نطق بها ونحو من قيلت وما هو قصد المتكلم وكيف وباية روح حُررت وما هو معناها . اعني ما الذي تامرنا به او تشير اليه وماذا يكون ثواب الذين يحفظونها وعذاب الذين يخالفونها . وما هي الطلبات المتضمنة فيها . ومن هذه كلها اتخذ لك عواطف مناسبة للموضوع . ولعمري ان تامل اقوال الله ينبغي ان يكون مختلفًا عن تامل اقوال الانسان * على انهُ حينما يتكلم الله ينبغي ان الانسان يصمت وينصت بالخضوع الذي يحق لرب الارباب الذي وضع هذا الناموس الالهي . وبه يشير علينا بالخير والصواب على الدوام . ويعضد الملتجين اليه ويوزع الجازاة . وقد يلزمنا ان نسمع كلامهُ بهذا الروح لكى نعقل جيدًا ما يعلمناهُ . ونتمم بالتدقيق ما يوصينا به . ونفعل ما يشير اليه . ونخشى العذاب الذي يتوعدنا به . ونتوق الى الخيرات التي يعدنا بها . واخيرًا يلزمنا ان نحثّ نفوسنا على حبه لاجل توددهِ الذى به يكلمنا ويعلمنا . اما الانسان حينما يخاطب الله فينبغي ان يعتبر ما يكلمهُ به وان يتكلم بالروح الذي نطق به ذاك الذى اتخذ منهُ كلامهُ * وقد يسهل هذا على من يتامل مزامير داود التي ببعضها يسبح الله ويشكرهُ على حسناته اليه والى شعبه . وبعضها تميل بالقلب الى التوبة

والانسحاق . وبعضها تعزي النفس الحزينة وتقوي رجاها . فاذا اخذت هذه المزمورات موضوعاً لتاملاتك . يجب عليك كما قال الانبا كاسيانوس ان تتصف بالروح والقصد الذي كان هذا النبي متصفاً بهما حينما صنفها ❊

واعتبر لي هنا ان من حصل علي السرور لاجل احسانات الله . يجب وير غب اظهار المعروف بتراتيل مبهجة مفرحة نظير هذه : باركي يا نفسي للرب وجميع ما في باطني لاسمه القدوس الخ : او سبحوا الرب من السموات سبحوه في العلا وما شاكل ذلك . وهذا لا يجد حينئذٍ مثل هذه العبادة في تامل المزمور الخمسين . وبعكس ذلك الذي حصل علي توجع قلبٍ جسيم لاجل خطاياه فانهُ يستحسن مزامير التوبة ويفضلها علي مزمورات اخر ذات ابتهاج روحي . ومن ثمَّ انصحك انك لا تختار موضوعاً لتاملك غير الذي يلايم حالك ويناسب مقصودك ❊ النوع الثالث يمارس بواسطة عواطف القلب ونوافذه . حتي ان كلما ابرز الجسد مثل هذه النوافذ تبرز النفس ايضاً نوافذها نحو السما . اما بشوق ملتهب اما بعاطفة محبّة مضطرمة . وحينئذٍ تستلذ النفس جداً في الاشيا المعشوقة منها التي تصيرها ان تتنهد نحو الله قايلةً مع المرتل : فتحت فمي واستنشقت الروح لاني لوصاياك اشتقت ❊

مزمور ١٠٢ع١ ؛ مزمور ١١٨ع١٣١

الفصل العاشر

❊ في الصلوة العقلية النظرية وفي نوع ما من انواع الصلوة العقلية جزيل البساطة ومنزه عن كثرة افعال العقل واعتباراته ❊

اننا قد فسرنا بكفايةٍ انواع التامل الاعتيادية والاكثر اشتهاراً . التي مع انها تناسب الجميع ويقدر كلٌ ان يمارسها . فمع ذلك لا يمارسها الجميع علي حدٍ سوى . لان البعض منهم يوجهون كل جهدهم الى اعتبار موضوع التامل والتفلسف فيه . ويحسبون العواطف اقل اعتباراً . وبخلاف ذلك البعض منهم يستخفون باعتبارات الفهم ويوجهون كل جهدهم الى ابراز عواطف الارادة . وقوماً اذا ما اشرق عليهم شعاع رفيع من قبل الحق . فيوثر فيهم حالاً ويحركهم بهذا المقدار حتي انهم يمارسون في الحين كل افعال الفضايل التي تكلمنا عنها . وهولاء هم

الذين على الخصوص يحظون بالموهبة الكريمة الثمينة موهبة الصلوة العقلية النظرية . التي ليست هي شيئاً اخر كما قال القديس توما اللاهوتي سوى نظر بسيط متنزه عن التفلسف وبه اي لهذا النظر نرى الحق الازلي ونحب بهاء جماله . وهذا النظر الجزيل النقاوة هو فعل صادر من نور سماوي غير اعتيادي : لا يكتسبه الانسان غالب الاوقات الا بعد تاملات مستطيلة عميقة في اعظم حقايق الايمان . والامر هنا يجري علي نحو ما يجري ببنت حكيمة التي قبل ان تتزوج بمن يطلبها تصرف زماناً مديداً في البحث والاستخبار عنه الى ان تعرف يقيناً طبعه ونسبه وماله وصفاته . فاذا وجدته علي خاطرها تحبه حينيذٍ وتتخذه ختناً لها . وبعد ذلك فلا حاجة لها في الاستخبار عنه لتعرفه . لكنها لكي يلتهب قلبها بحبه وترغب خدمته فيكفيها ان تبصره او تفتكر فيه او تسمع من يتكلم عنه لا غير . وهذا الامر نفسه يجري ايضاً بالاجير الذي يطلب معلماً ماهراً . وبعبدٍ يرغب سيداً جديداً . وبمن يقصد ان يتخذ له صديقاً صحيحاً * علي ان كل مبتدٍ في الفضيلة يلزمه بانه يتامل زماناً مديداً من هو الله ومن هو سيدنا يسوع المسيح . وما هي كمالاته وفضايله وافعاله العجيبة . وهذه الاعتبارات بحث ذاته على حبه وعلي ان يتخذه معلماً وسيداً وصديقاً وختناً . الا انه بعدما امتلا عقله من هذه المعارف الالهية لا يحتاج الى بحث مستطيل ولا ينتفع من التفلسف العميق . بل يكفيه نظر ما بسيط وفكر خفيف بالله . فهذا وحده يلهب في قلبه نار محبته ويصدر فيه افعال جميع الفضايل . وقد يتفق مرات كثيرة انه بمجرد استماعه اسم يسوع او اسم الخطية المميتة او جهنم او الفردوس يفهم حالاً بدقيقة واحدة من الزمان معاني هذه الالفاظ . ويبرز عنها بحرارة عواطف المحبة او التوجع . الا انه مع هذا كله ينبغي ان نقر معترفين انه من حيث ان الامور الروحية التي لا تقع تحت الحس لا تدخل اغلب الاوقات الا قليلاً قليلاً في العقل . وانما تؤثر فيه يسيراً فيزول اعتبارنا اياها سريعاً بل ننساها ايضاً بالكلية . فلذلك يلزمنا ان نعود مرات كثيرة الى تاملها وان نمارس نحوها اعتبارات جديدة . والا فستحصل عاجلاً علي حال يبسٍ عظيم اذ لم يتفضل الله علينا باحسانٍ جزيل . ويمنحنا مع موهبة التامل

وفور انواره لاضرام ارادتنا * فمما تقدمنا فقلنا تنتج حقيقة جزيلة التعزية للذين يجتذبهم الله الى الخلوة والصلوة العقلية. لكنهم لسبب ضعف مزاجهم او لسبب اخر مانع لايقدرون ان يمارسوا كثيرًا هذه الرياضة. وهذه الحقيقة هي انهم ولو لم يستطيعوا ان يصرفوا في الصلوة العقلية سوى زمان يسير. فلا شك في انهم يجتنون منها اخص الثمار المفيدة. لان الله من شانه ان ياجر صبرهم في الامراض كما ياجر نشاط الذين يتعبون في خدمته او يهتمون في تامل حقايقه. والسبب لذلك هو انه جلّ سخاوة يكتفي بالقليل ولايطلب من احد غير الذي يقدر عليه. وان راى انه يعوزه شي فانه تعالى يغني عن ذلك بوفور انواره * اعتبر اخيرًا ان غاية كل تاملات هذا الكتاب هي اكتساب معرفة ثلثة اشيا بالكمال * الاول هو معرفة الانسان ذاته واحتياجاته الروحية وضعفه الجسدي والروحي * الثاني هو معرفة سيدنا يسوع المسيح الاله الحق والانسان الحق ومعرفة فضايله خاصةً تلك التي تتلالا في ميلاده والامه وموته * الثالث هو معرفة الله والثالوث الاقدس ومعرفة كمالات الاقانيم الالهية الثلثة واحساناتهم الطبيعية والفايقة الطبيعة. وهذه الثلثة الانواع من المعارف متحد بعضها ببعض اتحادًا هذا حده. حتى ان المتامل ينتقل طبعًا من واحد الى الاخر مرتقيًا درجةً فدرجة من ذاته الى سيدنا يسوع المسيح. ومنه الى الله ثم يرتجع من الله الى سيدنا يسوع المسيح ومنه الى ذاته. ومن هنا كما قال القديس توما اللاهوتي تتلد العبادة الحقيقية التي تصدر في قلب الانسان ثلث حركات وعواطف مختلفة مقدسة مناسبة الثلث المعارف المتقدم ذكرها * فالعاطفة الاولى تناسب الشخص المتامل. وقد يبرزها متى ما افتكر في خطاياه فيخجل ويتوجع من اجلها ويعد الله بالتوبة عنها. ويعترف انه ليس له شي من تلقا ذاته سوى العدم والخطية * والعاطفة الثانية تخص سيدنا يسوع المسيح. الذى يجب ان تحرك فينا اوجاعه عواطف الحنو والاشفاق. وان تصدر فينا فضايله سرورًا وابتهاجًا. وتحثنا على الاقتدا بها بواسطة نعمته التي يلزمنا ان نطلبها من سخايه * العاطفة الثالثة تلاحظ الله كموضوعها. وهي متوقفة على التعجب من عظايمه وتقدمة الشكر لاجل

حسناته والتعبد لخدمته . وفيما بين هذه العواطف المتنوعة ينبغي ان ندخل بعض طلبات مختلفة لكي ننال من الله انعامًا لنا وللكنيسة كلها ولبعض اشخاص يجب علينا ان نعتبرهم اعتبارًا خصوصيًا . وقد يفيدك تفصيل لاشيا التي نحتاجها افضل احتياجًا ❊

فعلى موجب ذلك اقول ان الذي يجب الصلوة العقلية وقد قصد ان يفرغ فيها جهده . فمهما كان ضعفه ومرضه يمكن ان يستحضر الله الذي ليس انهُ قريب منهُ فقط بل انما هو حقًا في داخله . ولذلك يسهل عليه ان يردد في عقله ما يعلمناهُ الايمان عن الثلثة الانواع التي ذكرناها . ويستطيع ايضًا ان يحرك ارادتهُ لهدو الى ابراز العواطف المناسبة لها ❊ فتارةً يعترف امام الله بشقاوته ويصف لهُ امراضه الروحية فردًا فردًا ويطلب منه ان يلاويها ويشفيها . وتارةً يتذكر فضايل المسيح العجيبة مثلًا اتضاعه وطاعته وصبره ويشتهي ان يماثلها . وتارةً يفتكر في حسنات الله فيشكره عليها . او يتعجب من كمالاته الغير الموصوفة كجوده ورحمته وعنايته ممجدًا اسمه على كل شي ومبتهجًا فيه . وقد يسهل عليك مع عونه تعالى ابراز هذه العواطف المقدسة . لان اسرار الايمان تفعل في المتامل فعلًا يشبه ما يفعله حجر الصوان الذي اذا ما ضربته بالزناد ابرز حالًا شرارات ملتهبة . فهكذا النفس اذا كانت مستعدة جيدًا للاضطرام الروحي . فان حينئذٍ ادنى اعتبار للامور الالهية يوثر فيها لهذا المقدار حتى انها تتقد حالًا وتبرز لهيب نار جسيم . الا انه لكي تتمم هذا كله بسهولةٍ فيجب عليك ان تقرا قبلًا بعضًا من التاملات العتيد ايرادها لتمتلي عقلك من اخص حقايق الايمان . وتستخدمها كذخيرة في اضرام عواطف الارادة حسبما قالت عروس الانشاد : حبيبي لي كجرزة مراضعهُ على حضني : فكانها تقول انها جمعت فيما بين اسرار حيوة ختنها الالهي نموذجات كثيرة جليلة تضعها بازائها لتراها دايمًا باعين عقلها وتتاملها وتعتنقها بكل رغبة قلبها ❊

الفصل الحادي عشر

في ذكر بعض انواع من الصلوة العقلية غير الاعتيادية وفي كيف يعامل الله النفس في ممارستها اياها

قال القديس اغوستينوس ان الصلوة هي هبة الروح القدس قد وعد الله بها كنيسته بقوله: افيض على بيت داود وعلى سكان اورشليم روح النعمة والصلوة: الذي بدونه لا يستطيع احد ان يصلي كما يجب * على اننا كما قال الرسول: كيف نصلي كما يجب علينا ولا علم لنا بما يجب ان نطلبه: لان يعلمناه الروح القدس. والحال ان هذا الروح الكلي قدسه له طرايق كثيرة يرشدنا بها ويسلكنا فيها. ولا يدخل الجميع في منهج واحد. وقد ضل ضلالاً باهظاً من يريد ان يمشي الجميع في سبيل واحد خلواً من تمييز الاشخاص. حيث اننا قد عرفنا من الكتاب المقدس ان روح الله هو وحيد وكثير: فهو حقاً وحيد نظراً الى الغاية المقدمة لنا منه لا انه كثير ومختلف نظراً للوسايط العديدة المتنوعة التي بها يرشدنا الى هذه الغاية. ومع هذا فقد يجوز لنا ان نقول انه ليس له تعالى على الخصوص سوى طريقتين يبلغنا بهما الى هذه الغاية * فالطريقة الاولى هي اعتيادية تتضمن كل الانواع المختلفة من الصلوة العقلية التي تكلمنا عنها الى الان * والطريقة الثانية غير اعتيادية وهي اسمى من الاولى وفايقة ادراك البشر وقد دعيت صلوة الراحة والسكوت. وفي هذا النوع من الصلوة العقلية يصير وقوف تصرف الحواس في افعالها واختطاف روحي وسبات مقدس وتصويرات كاينة في المخيلة توضح لنا جلياً حقيقة اسرارنا. واشعة صادرة من النور الغير المخلوق تري العقل اشيا الهية فايقة الطبيعة. ووحي الهي ايضاً ومذاكرات ذات دالة * واقول على الاطلاق انه في هذا النوع الغير الاعتيادي من الصلوة العقلية توجد انواع كثيرة فايقة الادراك يتردد الله بها مع النفوس النقية ليشركها في ذاته لا يمكن ان توضع لها قوانين ثابتة * على ان القانون الواحد الممكن حفظه في هذه الصلوة هو ارشاد المعلم الاعظم الالهي الذي يعلم هذه القوانين لمن يريد وكما يريد * وقد ينتج من ذلك واضحاً ان طلب هذه المناقب والاجتهاد في اكتسابها بقوتنا الذاتية. هو نوع من الجسارة

زخريا ١٠:١٢
روميه ٢٦:٨

الردية التي من شانها ان تصيرنا غير اهل لها * فلا يجوز لنا اذاً ان نطلبها هكذا بل الاجدر بنا ان نميل الى الفرار منها لئلا نقع في فخ الشيطان الذي عادته ان يتراى بزيّ ملك النور لكي يخدعنا. الا انه متى ما اراد الله ان يمنّ علينا بهذه الانعام. فيجب حينئذ علينا ان نقبلها باتضاع وشكر متذكرين النصايح التي سنوضحها في الجزء الثالث من التامل الخامس والاربعين الى التامل السادس والخمسين في هذا الكتاب. لاسيما تلك التي بها نورد الافعال العجيبة التي يفعلها الله حينما يفتقد النفس ومن جملتها وعلى الخصوص الكمال السامي الذي ترتقي اليه بواسطة مواهب الروح القدس التي هي الشي الوحيد الذي يجب علينا ان نبتغيه ونبتاعه بثمن دمنا باسره وحياتنا كلها *

ولكي نفسر هذا الموضوع اوفر تفسيراً ونورد بالتفصيل اعراض تلك الافتقادات الالهية النادرة نذكر هنا البعض منها * وقد نجد فيها اشيا كثيرة ليست هي بنادرة وغريبة بهذا المقدار حتي انه لا يجوز ان يشترك الكل بها * ولهذا ينبغي ان تعرف منهم قليلاً فيستعملوا قلما يكون بان يمارسوا نوعاً ما من هذه الصلوة العقلية يشبه جداً نوعها الاعتيادي * وهذا النوع يمارس بواسطة الحواس الباطنة كما سنقرر ذلك الان * فاقول اذاً انه كما ان الجسد بواسطة الحواس الخمس يميز خاصات الاشيا المحسوسة التي منها يستطيع ان يكتسب لذة ما * هكذا النفس تفعل في ذاتها بواسطة فهمها وارادتها خمسة افعال تشبه جداً افعال الحواس الجسمانية وبها تبصر وتسمع وتشم وتذوق وتلمس علي نوع روحي. وبهذه تعلم بل تحسّ ايضاً علي نوع ما بالاشيا الالهية والعذوبات الروحية الموجودة بالجوهر الالهي وتشعر بالعلم بها * فهذا هو نوعٌ ما من الاختبار الذي يفوق جداً كل انواع المعرفة الممكن تحصيلها بواسطة البحث والتفلسف. كما اننا نرى ان الذوق بذاته يميز العسل افضل مما يمكن ان تميز الاذن بواسطة استماع ما يقوله عنه احذق العلما * وهذا الاختبار هو الواسطة الاكثر امناً التي بها يمكننا ان نتمهر في علم اللاهوت السري الذي ليس هو شيأ اخر سوى معرفة ماذات تعطف وبها نتعلم ان نذوق الله علي النوع الذي به قال القديس ديونيسيوس عن

القديس ايروناوس المعظم انه كان يعرف الاشيا الالهيّة لا بدرسه وبحثه وبتعليم الرسل فقط . لكن بالحسّ ايضًا وبالتجربة . وذلك يتم بالحواس الباطنة التي قد عينها الكتاب المقدس جليًا جدًّا . وذكرتها الابا القديسون مرات كثيرة لا سيما القديس اوغستينوس والقديس غريغوريوس الكبير والقديس برنردوس واخرين مذكورين من القديس بوناونتورا . ولكن قبل كل شي ينبغي ان تفترض كلام القديس برنردوس كمبدا حقيقي لا يشوبه ريبٌ وهو انه نظرًا الى ما نحن في صدده لا يفهم العقل اكثر مما تدركه التجربة والاختبار . ولهذا فالذي نقوله يتاسس على مجرد ما يمكن ان يختبره كل احد في نفسه ويحس به . فاقول اذًا اولًا ان الله يشرك النفوس التقيّة في ذاته بنظرٍ ما روحي . وهو حينما يفيض عليها انواره بوفور هذا عظم مقداره . حتي انه يصدق عليها بما سطر عن موسى الكليم انه راى الغير المنظور . والامر العجيب في ذلك هو ان الانسان مع انه لا يبصر حينئذ الاشيا الّا بالايمان . فان ايمانه يكون كاملًا ومستنيرًا فيما يخص اسرارنا كمالًا واستنارةً هذا حدهما . حتي انه يتبين انه قد زال عنه الظلام بالكليّة . وقد يقترن بايمانه سرورٌ ما باطن يسمى تهليلًا من شانه ان يصير النفس مختطفة عن الحواس وخارجة عن ذاتها عند نظرها الكمالات الالهيّة التي لم تكن تعرفها قبلًا حسب قول ايوب البار : يتضرع الى الله ويهتدي غضبه ويرى وجهه بتهليل : وقد يريد الله منا ان نرتاح الى هذه الدرجة السامية من التامل والى مشاهدة جوهره تعالى الجزيلة الكمال وذلك بقوله لنا : اخلوا وذوقوا اني انا الحكيم : فكانه جل ذكره يقول اتركوا الخطيّة دعوا عنكم سجس الامور العالميّة وتاملوا ما صنعت من العظايم . وهكذا ستعلمون انه ليس اله غيري وكم مقدار ما انا مرتفع ومتعالي على الارض * وقد اعتاد سيدنا يسوع المسيح ان يحسن الى ابراره بهذه الهبة الجليلة . ويفعل ذلك ببروق روحيّة تظهر لهم بغتةً وبدقيقة من الزمان الحقايق المحجوبة عن معرفتنا اكثر احتجابًا . فيرونها على نوع مختلف بالكليّة عن ذلك الذي كانوا يرونها به قبلًا * وهذه الاشعة ولو انها تكون عابرة سريعًا . فمع ذلك تصدر في القلب عواطف المحبّة نحو الله او الندامة بحسب الحقايق التي راها هولاء الابرار . وتلك العواطف لا تزول مع

ايوب ٣٣ع٢٦

مزمور ٤٥ع١١

زوال تلك البروق والاشعة * ومن هنا يتفق ان اقسي الخطاة واقصاهم صلابةً يشعرون في نفوسهم كانهم مضطرون على التوبة. وذلك حينما تتصور بغتةً في مخيلتهم كثرة خطاياهم وجسامتها. ويشاهدون انهم لفي خطر مريع من ان يهلكوا الى الابد اذا اخروا توبتهم قليلاً * اقول ثانياً ان الله يشرك الابرار في ذاته بواسطة اذن القلب حيث ان الهاماته تعالى هي الكلمات التي يكلمهم بها ويسمعهم صوته. وهي كلمات حيّة موثرة جدًا جدًا. وقد يتفق مرات كثيرة ان تكون واضحة نظير تلك التي تقرع اذن الجسد وبهذه الواسطة يظهر لهم اسرار الحيوة الروحيّة ويريهم ارادته بقوةٍ هذا عظم مقدارها حتي انه يلزمهم بالطاعة لها. واحياناً لافراط ما تبتهج النفس التقيّة في هذه المذاكرة الالهيّة تلين وتذوب من قبل نار المحبّة التي تضرمها. وان كانت حالها حال الحزن والفشل والفتور واليبس فتنتقل حالاً الى حال السرور والطمانينة والنشاط وتسليم الذات لله * لانه اذ كان هذا الخطاب الخصوصي الذي يكلم الله به اصدقاءه الاعزا خطاباً خفياً غريباً بهذا المقدار حتي انه لا يعرفه احد سواهم. فلناخذ الان بايراد نوع اخر من الخطاب اسهل من المتقدم نظراً الى الجميع وهو النوع المعروف باسم الهام الهي. وقد علمنا القديس اغوستينوس ان كلام الله الباطن ليس هو شيًا اخر سوى الهام سري وبه يظهر تعالى ارادته او حقه. وبهذا يكلم الصديقين والخطاة لا انه تعالى يخاطب به الصديقين اكثر مما يخاطب به غيرهم. وهو الواسطة التي بها يعلمهم ويونبهم ويحثهم ويعزيهم ويشجعهم في ممارسة الفضيلة. ومن ثمّ اذ كان يعلم النبي والملك داود بهذه الحركات الباطنة والالهامات السرية. فكان يشتهي جدًا ويرغب كثيرًا ان يكلمه الله حتى انه كان يهتف نحوه بقلب مستعد لتكميل ارادته قايلاً: اني سامع ما يكلمني به الرب: وقد اشار ايوب الصدّيق الى هذين النوعين من الصلوة العقليّة النظرية اللذين يمارسان بنظر النفس وسماعها الروحيين بقوله نحو الله هكذا: بسماع الاذن سمعتك فالان عيني تبصرك: وهذا الدليل كما قال القديس غريغوريوس علي ان مجرد استماع الرب هو شي اقل شرفًا وكمالاً من النظر اليه تعالى علي ان السماع تشوبه ظلمة الايمان. وبخلاف ذلك

مزمور ٨٤ عدد ٩

ايوب ٤٢ عدد ٥

النظر يقتضي نوراً عظيماً كي يرى الله واضحاً ومواجهةً. ومع ذلك فقد نرى
الكتاب المقدس في مواضع شتى يشير بلفظة سماع الى الصلوة العقلية الاوفر سموّاً *
اقول ثالثاً ان الله يشرك عبيده الابرار في ذاته بواسطة الشم الروحي وبه تمتلي
النفس من رايحة عذبة نحو الاشيا الروحية من شانها ان تصير النفس لذتها مرتاحة
اليها. اي الى الامور الروحية بكل رغبةٍ ومحبة ساعية ورا نسيم هذه الطيوب
السماوية. وعلى هذا المعنى قال التلميذ الحبيب حسبما ذكر عنه القديس بونا ونتورا
انك لقد املات نفوسنا من روايحك الطيبة يارب وعنها يصدر فينا شوق عظيم
الي الخيرات الابدية. وقد يسمى هنا لفظة رايحة ذوقاً ما لطيفاً روحياً نحو
هذه الخيرات التي لانراها ونومن بها ونرجو امتلاكها في الحيوة العتيدة. وهذا
الذوق يصيرنا ان نقصد قصداً نشيطاً ان نبذل مجهودنا الكلي في تحصيلها. ويتم
ذلك فينا بسرور وفرح محسوس قد دعاه الرسول فرحاً بالرجا * علي انه كما ان
كلب الصيد حينما يستنشق رايحة الوحش يسير وراه بسرعةٍ عظيمة ولا يزال
راكضاً الى ان يدركه. هكذا النفس التي حست بحضور الله وناسوت سيدنا يسوع
المسيح حينما امتلات من طيب فضايله. تبتغي بحرارة الخيرات الابدية ولا تستريح
حتي تمتلكها هنا علي النوع الممكن الان وتحظى بها بالكمال في الدهر الاتي. وهذا
يظهر جلياً في الذين يدعوهم الله الى الرهبنة لانه لايجتذبهم اليها الا برايحة
القداسة الموجودة هناك. وهي لعمري كسحر مقدس ينزع عنهم كل الخوف الذي
كان يمكن ان يعتريهم من قبل الصعوبات الكثيرة في تكميل مقصودهم. ولاجل هذا
السبب ايضاً قال بولس الرسول عن الصديقين انهم رايحة المسيح الطيبة وذلك
لانهم بنموذجاتهم الصالحة يحركون الفاترين الى الاقتدا بالمسيح *
اقول رابعاً ان الله يشرك في ذاته العابدين بواسطة الذوق الروحي علي انه يتفق
مرات كثيرة انهم يشعرون بنشاط في عبادة الله وبعذوبة نحو الامور المقدسة
لهذا المقدار. حتي ان جميع اللذات الحسية تستبين لهم مرّة عديمة الذوق.
وحينيذ ليس الروح وحده بل اللحم ايضاً يبتهجا بالرب. ومن هذه العذوبة تصدر
افعال اخر عجيبة. علي اننا بها نعرف عظمة الله وسمو شرف الايمان وكمال الفضايل

وسعادة القديسين في السما . قال المرتل : ذوقوا وانظروا ما اطيب الرب : فكانهُ يقول ان ذقتم ما هو الله وما يفعلهُ في بواطنكم فستعلموا ما اعظم عذوبته وجوده وحكمته وقدرته ورحمته . او ذوقوا وانظروا ما احلا احتمال نيره وحفظ ناموسه ما الذّ الطاعة والاتضاع والصبر والقناعة والعفة والمحبّة * على ان كل فضيلة لها عذوبة خصوصية مختلفة عن غيرها كما يشير النبي الى ذلك بقوله : ما اعظم كثرة عذوبتك يا رب التي اذخرتها لخائفيك : فكما ان الاطعمة تطبخ في الوليمة على انواع مختلفة لتكون افضل لذةً . هكذا الله يقدم لنا في اسراره وفي ممارسة الفضائل اشكالاً مختلفة من اللذات الروحيّة . وقد ذكر الكتاب المقدس ان المنّ ولو انه كان طعاماً واحداً بسيطاً فمع ذلك كان له بافواه الذين ياكلونه لذة كل مذاقة وطعم كل ماكل من المواكيل اللذيذة . فكم بالحري الله المتضمن في ذاته جميع اللذات ان يشرك فيها احباهُ في وليمة افتقاده . فالبعض يذوقون طيب الرب وعذوبته حينما يتاملون كمالاته الالهيّة او احساناته او ناموسهُ المقدس الذي كان يجدهُ المرتل احلى من العسل * لان هذه العذوبات هي مخفيّة لا يشعر بها غير الذين يخافون الله لانهم وحدهم يتمتعون بها بالكمال . واذا ذاقوها لا يمكنهم ان يفسروها كما قال الانبا كاسياذوس لكونها فايقة ادراك كل عقل بشري . نعم انه تعالى لا يمسكها بالكلية عن المبتدين في الفضيلة ولا عن الخطاة الذين يريد يفطمهم عن اللذات العالميّة . غير ان الذين يذوقون وفور هذه العذوبة هم الذين يميتون ذواتهم فيمتنعون عن تلك اللذات الكاذبة حباً به تعالى *

مزمور ٩:٣٣

مزمور ٢٠:٣٠

اقول خامساً واخيراً ان الله يشرك في ذاته النفس العابدة بواسطة اللمس . وذلك حينما يلج اقصى مخدع القلب ويلمسها حقاً ويتحد بها ويلاطفها ملاطفةً لا يمكننا ان نصفها الّا بالامثال الموجودة في سفر نشيد الانشاد . غير ان الاولى بنا ان نسكت عنها حذراً من ان تحولها عقولنا الغليظة العاجزة عن فهم اسرارها الى معاني منحرفة . الّا انهُ يمكننا ان نحصرها فيما قالهُ الرسول : مَن يلتصق بالله يصير معهُ روحاً واحداً معهُ : لان الله يعتنقهُ حقاً ويضمهُ شديداً بسواعد محبته . ويظهر باطناً على نوع حسي حضورهُ وحبهُ واهتمامهُ فيه . ويملا قلبهُ من السرور والتهليل ويفاوضهُ

قرنتيه ١ ١٧:٦

بلاله لاتوصف * ومن ثمّ فالنفس العابدة تحب ايضاً محبها الالهي وتحتضنه بمحبة متزددة وتلتصق به بسواعد حبها قايلة مع العروس النقية: امسكته ولا ادعه ان يفلت مني: ثم تبتدي المذاكرة معهُ تعالى وتورد لهُ طلباتها بزفرات غير موصوفة * فهل هي لانواع المختلفة التي بها يشركنا الله في ذاته بواسطة الحواس الباطنة. فلنجتهدنّ اذاً مع النعمة الالهية في اماتة حواسنا الجسدية وحينيذ كما قال القديس غريغوريوس سيفتح الله حواسنا الروحية جزاءً عن ذلك *

الفصل الثاني عشر

* في الازمنة الاعتيادية والغير الاعتيادية التي يلزمنا ان نصرفها في الصلوة العقلية وفي استعمال الصلوات المسماة نوافذ روحية *

ان الصلوة العقلية لها زمانان يصرفهما فيها العابدون. فالزمان الاول هو اعتيادي وهو الذي يخصونهُ لرياضاتهم الروحية اليومية التي لا يجوز لنا ان نتركها اصلاً الا بسبب المرض. والزمان الثاني هو غير اعتيادي وهو ذلك الذي يختارونهُ لكي يتاملوا في الخلوة امور الخلاص مقدار سبة واحدة او سبتين. وهذا يحسن فعله لاجل بعض اسباب وفي بعض حوادث مختلفة * اولاً متى ما راى الانسان نفسهُ انهُ قد ثقلت عليه الخطايا وكثرت وقصد الاعتراف بها والتوبة عنها. على انهُ حينيذ يجب عليه جداً جداً ان يختلي قلما يكون ثمانية ايام ليفحص عن سيرته الماضية. ويتامل ما ينبغي لهُ ان يغرسهُ في قلبه من بغض الخطية * ثانياً متى ما اراد الانسان ان يتعلم جيداً الامور الروحية ويتفقه في هذا العلم السامي. فحينيذ ينبغي لهُ ان يخصص لهذه الرياضة شهراً واحداً وذلك لانه لكي يتعلم جيداً التردد مع الله ويعرف ذلك بالتجربة فلا يكون شياً زايداً ان اصرف في هذا شهراً تحت تدبير مرشد ماهر. لانهُ وان كان الله نظراً الى هذا العلم الالهي هو المعلم الاول. فمع هذا يحتاج الانسان الى ارشاد معلم منظور. وبالنتيجة انهُ لابدّ لهُ عن مدة من الزمان لكي يفهم تعاليمهُ ويمارسها * ثالثاً متى ما حان الزمان الذي يلتزم الانسان فيه بان يختار لهُ دعوةً ما ولا يعرف ماذا تكون. او متى ما دعي

لان يقتبل وظيفة باهظة تخص خدمة الله ولم يكن تبين له بعد هل هذه هي ارادة الله. او اذا ما تحقق ذلك اعني تحقق ان الله يريد هذا غير انه يريد ان يطلب عونه تعالى قبلما يباشر تلك الوظيفة. ففي هذه الاتفاقات يسوغ للمسيحي ان يختلي اياما مباينا لامور العالمية. مقتديا بسيدنا يسوع المسيح الذي اصرف اربعين يوما في البرية قبل ان يباشر وظيفة الكرز والتبشير بالانجيل المقدس * رابعا متى ما وجد العابد المحب رياضة الصلوة العقلية ذاته في حال الفتور وتشتيت العقل وفشل القلب واليبس الروحي. علي ان احدى الوسايط المفيدة لاضرام نار نشاطه الاول هي ممارسة الرياضة المتقدم ذكرها مقدار جمعة * واقول اخيرا انه وان كان العابد ليس هو بحاصل على حال الفتور والتراخي. فمع ذلك يجب عليه احيانا ان يمارس هذه الرياضة المقدسة مرة سنة. صانعا لنفسه وليمة روحية لكي يشبع بالكمال ويمتلي من الله امتلاء بليغا. وهذه هي واسطة امينة سهلة للنمو الروحي ومن ثم مارسها كثيرون من القديسين وبها وصلوا الى كمال سامر *

اما من جهة الزمان الاعتيادي الذي ينبغي ان نصرفه في الصلوة العقلية. فلا يمكن ان نضع في ذلك قانونا عاما مطلقا * على انه يقتضي الصواب ان نلاحظ ونميز عافية العابد ورتبته ودعوته ووظيفته. لا انه بعد البحث عن هذه كلها لا يمكن ان نصرف في الصلوة العقلية زمانا متزايدا. لكن بشرط ان نبقي منه ما نحتاجه لتتميم لوازم دعوتنا ووظيفتنا. فلتكن. اذا عادتك ان تصرف فيها كل يوم ساعة واحدة كما فعل سيدنا يسوع المسيح في صلاته الى ابيه في البستان. على انه يتبين لنا انه اصرف هذا المقدار من الزمان في صلاته بما قاله تعالى لبطرس اهكذا ما قدرتم ان تسهروا معي ساعة: وان وجدت هذا المقدار زايدا نظرا الى دعوتك ووظيفتك فاكتف بنصف ساعة. واذا استصعبت ايضا ذلك اصرف بها ربع ساعة لا غير * غير انه بعدما تكون اتخذت لك زمانا ما معينا فاحذر من ان تغيره او تفوته ولو يوما واحدا او تنقص منه دقيقة واحدة. والسبب لذلك هو ان الشيطان يفرغ كل حيلة في ان يصدك عن ممارسة هذه الرياضة بحجج مختلفة.

متى ٢٦ع ٤٠

كحجة ضعف الجسد او بعض افعال جيدة ملايمة خدمة الله او خدمة القريب ٠ وقد كان القديس العسجدي فمه يخاف من هذا العارض خوفاً هذا عظم مقداره ٠ حتى انه كان يقول ان خسارة الحيوة خيرٌ لي من خسارة الصلوة ٠ ويتحقق ذلك بما صنع دانيال النبي على ان هذا النبي القديس الذي كان يصلي كل يوم ثلث مرات لما راى ان ملك العجم قد امر بان لا يتوسل احد الى الله مدة ثلثين يوماً وحكم بالموت على من يتعدى وصيته هذه ٠ فلم يرض النبي بترك رياضات العبادة لعلمه بان حياته الروحية كانت متعلقة بالصلوة ٠ وانها الغباوة عظمى ان يخسر الانسان حيوة نفسه لاجل حفظ حيوة الجسد ٠ وفي هذا قال الذهبي فمه ايضاً انه كما ان الجسد بعد انفصال النفس منه لا يكون سوى جثة مستكرهة ٠ هكذا النفس اذا فقدت روح الصلوة فانها تحصل ميتة عديمة الحركة ٠ وبعكس ذلك كما ان دانيال النبي لم يمت ولو انه حباً بالصلوة القى نفسه في خطر الموت وطرح في سجن الاسد ٠ حيث ان الله سدَّ حينئذٍ افواهها لئلا تفترس من كان فتح فمه للصلاة ٭ هكذا هو من المحقق ان الذي يواظب على رياضاته الاعتيادية لا يخسر حياته ولا عافيته ولا سروره وسلامة قلبه ٠ ولا يلحق امور دعوته ووظيفته ضررٌ من ذلك اصلاً ٠ بل انه سيستحق بهذا ان الله يهتم في هذه كلها وان يدبره ويدبر اموره الخارجية بحسن قدرته وحكمته ٠ ليفعل بنا ما لا نستطيع ان نفعله لاجل ضعفنا وجهلنا ٠ فاذا الزمنا المرض او امر اخر ضروري بترك الصلوة العقلية فينبغي ان نرجع حالاً اليها بعد زوال هذه الحجج والموانع ٭

ولكن لكي لا يترك احدٌ هذه الرياضة الكلية الضرورة اصلاً اقول ٠ ان الذي يريد ان يحفظ روح العبادة يلزمه ان يتقيد في ممارسة الصلوات الوجيزة المسماة نوافذ وان يمارسها امّا بالفم اما بالقلب فقط ٠ وقد تسلمنا هذه الرياضة عن ابا البرّية حسبما ذكر عنهم القديس اغوستينوس ٠ على ان هولاء الابا كانوا حذرًا من ان يفقدوا حضور الله وذكر حسناته ونقايصهم الذاتية يبرزون في نهارهم افعالاً كثيرة من افعال الفضايل ٠ ويطلبون من الله تلك التي كانت تعوزهم ٠ ولهذا الغرض كانوا يستعملون صلوات وجيزة ذات نشاط وحرارة تشبه سهاماً

ملتهبة كانوا يرشقونها نحو السما قايلين : ليتني يا الهي احبك و اطيعك كما تستحق انت . امنحني يارب نقاوة ضمير كاملة وخلوص اتضاع القلب و مسكنة روح حقيقية ايها المخلص اغفر لي خطاياي لانها عظيمة هي و ما شاكل ذلك *
و هذه الصلوات لكونها قصيرة تكمل بدقيقة من الزمان فهو امر سهل علي الجميع ان يمارسوها . و قد يمكننا ان نمارسها باوفر نشاط من بقية الصلوات المستطيلة كما زعم الانبا كاسيانوس . و هذا عينه يصيرها موثرة جدًا و بها ننال من الله كل شيء . و من ثم قال القديس كاسيانوس انه لاجدر بنا ان نصلي قليلاً كما يجب من انّا نطيل الصلوة و نمارسها بعقل مشتت . على اننا ننال من الله مطلوباتنا لا باطالة الصلوة بل بممارستها بنشاط . و اما الذي ينقص هذه الصلوات من قبل قصرها فاصلاحه بتكثيرها لكي تتم علي نوع ما وصية الرب القايل : صلوا و لا تملوا : نمارس اذًا الصلوة و لا نتوانى في شيء نظرًا الى الزمان الذي يجب ان نصرفه فيها . و نظرًا الى ممارستها بنشاط و حسن الاتكال علي الله . و نظرًا الى تكثير هذه الصلوات الوجيزة التي هي كما قال المرتل : كبواقي ثمينة و فضلات الافكار التي رددناها وتاملناها باكرًا في صلاتنا العقلية وتفيدنا جدًا لحفظ حرارة العباده نهارنا كله و بتقدمتها علي هذا النحو نصيره نهار عيد مبهج *

لوقا ١٨:١

مزمور ٧٥:١١

قال القديس يوحنا الذهبي الفم . انه كان يجب علينا ان نمارس بعضًا من هذه الصلوات قلما يكون كل ساعة مرة . لان العابدين النشيطين لا يكتفون بذلك . بل انهم يماثلون اوليك السواح المتقدمين الذين قد ذكر عنهم الانبا كاسيانوس ان الاشغال الخارجية لم تكن تمنعهم عن ممارسة الصلوة طول النهار . و ان هذه كانت لهم واسطة مفيدة جدًا لبلوغ كمال سام . و لعمري انه لجاهل وغبي من لا يحب هذه الرياضة . حيث انه يقدر كما قال القديس بونا و نتورا ان يربح في كل ساعة و في كل دقيقة كنزًا اعظم من كل كنوز العالم . علي انه اذا فرضنا وجود انسان يردد في عقله النهار كله افكار التجديف ولا يزال يبغض الله و يخالف وصاياه لكان هذا مستحقًا اشد عذابات جهنم . فهكذا لو فرضنا وجود انسان اخر يصرف النهار كله في ممارسة النوافذ الروحية و في حث نفسه علي الفضيلة

فلا شك في انهُ يحصل غنيًا جدًا بالله. وان اكليله في السما يكون عظيمًا. وهذا الامر لاينكرهُ احدٌ لاسيما اذا افتكر ان سخاء الله في مجازاة الابرار يفوق جدًا صرامتهُ في عقاب الاشرار *

الفصل الثالث عشر

* في ذكر بعض نصايح للذين يقراون هذا الكتاب *

انهُ لكي تستفيد من التاملات العتيد ايرادها اعلم انك لتستطيع ان تتلوها لاجل اغراض مختلفة قد حركتني الى تاليف هذا الكتاب * فالغاية الاولى هي لكي يكون لنا مادة نصرف فيها زمانًا ما ممارسين اشرف الرياضات الروحية وافيدها وهي تلاوة كتاب روحي. على انهُ قد علم جمهور القديسين اننا اذ نقرا كتابًا ما روحيًا يكلمنا الله باطنًا ويوضح لنا ويفهمنا مضمونهُ. وينير عقولنا بنور الحقايق العظمى التي نضعها بازاء اعيننا. ويضرم قلوبنا بعواطف حية ملتهبة بارزة من هذا النور. ولهذا السبب قد اسهبت احيانًا الكلام في بعض التاملات لكي يتعلم الذين يقراونها ما تتوقف عليهِ الحيوة الروحية. لانهُ لكي يجتنوا من هذا التاليف كل الفايدة المقصودة. يلزمهم ان يتلوهُ بتاني متاملين معانيهِ طالبين في ابتدا التلاوة ان يوضح لهم الله مضمون الكتاب قايلين: تكلم يارب لان عبدك يصغي * الغاية الثانية التي يمكن ان تقصدها في تلاوة هذا الكتاب. هو ان تستخرج مادةً وموضوعًا للتامل وللصلوة العقلية * على ان القراة كما قال القديس برنردوس تعدّ العقل وتعين كثيرًا على التامل. وبدونها او بدون مايكون نظيرها لمن المستحيل ان لا يشرد العقل ويتشتت جدًا في محل الصلوة. فاقرا اذًا من الكتاب ما يكفي لتاملك المزمع * ثم اني انصحك نصحًا معتبرًا وهو انك ولو وجدت في التاملات العواطف والطلبات والمخاطبات. فاحذر من ان تتقيد في الالفاظ بافراط. بل الخليق بك ان تخاطب الله بالالفاظ التي يضعها الروح القدس في فمك. او بحسب موجب موضوع التامل على ان الذي تقولهُ بحركة عبادتك يكون هو الافضل. لكون العبادة كما قال القديس برنردوس هي لسان النفس وبها تجد دايمًا مادةً

ملوك ١ ١٠:٣

وافق للتكلم مع الله. وبعكس ذلك اذا فقدتها تكون كرجل اصم لا يقدر ان ينطق. فاذا غابت وبادت حرارة العبادة فالتج الى الالفاظ والعواطف المحررة في الكتاب وخصصها لذاتك كانك تخرجها من داخل قلبك *

الغاية الثالثة التي يمكن ان تتلو لاجلها هذه التاملات هي لكي تشرحها للغير. على انه يلزم المرشد الروحي ان يقدم لتلاميذه مادةً ما للتامل لكي يمرنهم على هذه الرياضة المقدسة رويداً رويداً اذا وجدهم قابلين لها. وحينئذٍ ينبغي لهم ان يختاروا منها بعض اعتبارات مناسبة لقابليتهم ودعوتهم * وقد يمكنك ان تستخرج من هذا الكتاب بعض عظات ومذاكرات روحية. فهذه هي الغايات التي لاجلها الفت هذا الكتاب واجتهدت اجتهاداً خصوصياً في اني لا اذكر شيئاً غير مثبوت من الكتب المقدسة. لاعتقادي اليقين ان الروح القدس لم يقصد غير هذه اذ اراد ان يكلمنا بواسطة الانبيا والرسل. ولم اتمسك من معاني الكتاب المقدس التي قد تفسر بها الا بالتفسير الاكثر قبولاً وثباتاً عند الابا القديسين. وقد اجاسر بان اقول ان كل الذي كتبته قد اتخذته من تصانيفهم ومن تصانيف معلمي الحيوة الروحية الاكثر معرفةً واختباراً *

ثم اني اقول اخيراً. ان الذين يتوقون ان يرتقوا كل يوم في سلم يعقوب المسمى من القديس اغوستينوس سلم الفردوس. ومن القديس برنردوس سلم الرهبان الذي درجاته هي التلاوة والتامل والصلوة. فهولا يتعلمون ان يرتقوا فيه بمعونة الله ونعمته لا محالة. وعليها اي وعلى النعمة الالهية ينبغي ان يبنوا اتكالهم الاخص. وبهذه يستطيع كل احد ان يتحد بالله الذي ينظر الينا من علو السلم ويمد لنا يديه ويدعونا اليه. وبامره تعالى تنحدر الملايكة على هذه السلم لمعاضدتنا. ويصعدون عليه ليقدموا له تعالى صلواتنا. ثم ينحدرون ايضاً لكي يخبرونا بان الله استجاب لنا. وفي كل دقيقة يحثوننا ويسوقوننا في طريق الكمال لكي نصعد دايماً فنصل اخيراً الى الوطن السماوي ونشترك معهم في مشاهدة الله الى ابد الابدين. امين *



التاملات

وهى واحد وخمسون تاملاً

التامل الاول

في وجود الله

عبرانيه ١١:٦

اعلم ان حقايق الايمان كلها قد تاسست على ان الانسان يومن ان الله هو موجود: اي على ان يعتقد اعتقاداً متيناً ثابتاً انهُ ليوجد في هذا العالم المنظور روح غير منظور الذي هو مبدا جميع الاشيا المخلوقة وغايتها. الاشيا التي قد ابرزها بقدرته ويدبرها بحكمته ويوجهها كلها الى ذاته ولهُ وحدهُ يحق اسم اله. فلكى نفهم هذه الحقيقة جيداً اقام الله لنا ماعدا نور الايمان معلمين ومنذرين كثيرين يوضحون لنا هذه الحقيقة وينبهون عقولنا الى معرفتها كما نوضح ذلك بالكلام التالي ❊

❂ الجزء الاول ❂

فتامل اولاً ان جميع خلايق العالم هى بمنزلة منذرين تنادي علينا بصوت واحد متفق شاهدة بوجود الله. فالسما مع نجومها وكواكبها. والجو مع طيوره. والبحر مع اسماكه. والارض مع نباتاتها تخبرنا على الدوام بانها لم تتخذ وجودها من ذاتها. وان هذا النظام العجيب الذى قد انتظمت به ليس هو فعلاً صادراً من قبل الاتفاق ولا من قبل فطنتها وحكمتها. بل ان الله هو الذي اوجدها ورتبها جميعها.

مزمور ٣:٩٩

وهكذا نرى جميع البرايا حتى العادمة الحس ايضاً تعترف بمولاها وتنذر به قايلة هو صنعنا اذ لم نكن نحن: فاذاً كما اننا اذا نظرنا الى صورة جميلة او عمارة حسنة التكوين والنظام. نستنتج بالصواب ان تلك الصورة عمل مصور ماهر. وهذه العمارة بناء مهندس حاذق قد قصد اشياء بعملهما. ولذلك نرتاح من قبل هذا المنظر الى أن نعرف اسمهما فنبحث عنهُ مستخبرين. هكذا متي ما شاهدنا بهاء هذا العالم

وحسن نظام اجزايه. فينبغي كما قال الكتاب المقدس ان نفهم ونعترف حالاً بان الله هو الذي صنع هذا. وانهُ لم يكن ممكناً ان يبرز مثل هذا العمل العجيب كماله الّا من ذلك الفاعل العجيب الذي لا نظير لهُ. وانهُ وحدهُ الذى يقدر ان يحفظ علي الدوام حسن هذا النظام فيما بين هذه الاشيا الكثيرة العدد والجزيلة الاختلاف. واخيراً انهُ لا بدّ من ان يكون تبارك اسمهُ قد قصد في هذا جميعهِ شيئاً ما عظيماً وغايةً تحق لعزته. ولذلك يجب علينا ان نرغب معرفتهُ لكي نحبهُ ونعبدهُ. وعلي هذا النحو والى هذا المقصود ينبغي ان نوجه افكارنا حينما ننظر الى الخلايق ونسمع ما تخاطبنا به * فارفع اذاً احياناً الحاظك لتبصر السما وكواكبها. وانظر كيف ان الشمس والقمر والنجوم تستمر منتظمة في حركاتها. فتسمع بابتهاج القلب السموات تذيع بلسان الحال مجد خالقها والليل والنهار لا يبرحان من مديح حكمته. علي انهُ من عظم البها ومن البرايا يُشاهد خالقها ويُعرف. واحياناً تامل ادوب فسل حيوانات الارض وطيور السما وسمك البحر مَن خلقهنّ. وخولهنّ هذا البها. مَن منحهنّ القوة لتكثير جنسهنّ. مَن مَنّ عليهنّ بهذه المزيّة والمعرفة الغريزيّة التي بها يميزنَ فصول السنة ويفرزنَ الاشيا التي تنفعهنّ من تلك التي تلحق بهنّ ضرراً. فانهنّ يجبنك قايلات مَن ذا الذي لا يعرف ان يد الله صنعت هذا كلهُ. فبلا شك اننا حينيذ نستبشر متهللين ونطلب من الله ان يفتح اذاننا لنسمع جيداً اصوات جميع المخلوقات التي تخبرنا بعظمته وتدعونا الى حبه. ثم فلندعها نحن ايضاً ونحثها علي تمجيد هذا المولى العظيم الموجود فيما بينها قايلين مع دانيال النبي: باركوا يا جميع اعمال الرب للرب امدحوهُ وارفعوهُ الى الدهور: وايضاً مع اشعيا النبي: افرحي وسبحي يا صهيون انهُ لعظيم في وسطكِ قدوس اسرايل: انتبهي يا نفسي وارتقي بالروح فوق البرايا المنظورة جميعها. ومن هذا العلو تفرسي بالخلايق كلها وامدحي وباركي ومجدي بفرحٍ عظيمٍ ذلك الذي هو في وسطها كالروح في الجسد يحرك كل اجزايه. واهتفي عند ذلك قايلةً اشكرك ايها الاله والرب السرمدي علي انك اظهرت لنا جلال عزتك بافعال قدرتك الغير المتناهية: ولم تترك نفسك بغير شهود اذ تحسن من السما بان تعطي المطر والازمنة المثمرة وتملي قلوبنا

دانيال
٣ع٥٧

اشعيا
١٢ع٦

ابركسيس
١٤ع١٦

طعاماً وفرحاً: فافتح يا الهي اعين نفسي لكيلا تحدق بنظرها باطلاً في اشيا هيولية زايلة. بل ترفع الحاظها الى الخيرات الغير المنظورة الثابتة لا سيما اليك يا ربي والهي المرتفع فوق كل شيء فوقاً لا يقدر *

الجزء الثاني

تامل ايضاً اننا في انفسنا وداخلنا نجد اشيا كثيرة تشهد لنا بوجود الله بغير ان نفتقر ان نخرج الى الخارج. لاننا اذا غصنا بالفكر في العالم المختصر اعني به الانسان واذا تفرسنا بذواتنا فسنجد بها ما يحقق لنا وجود الله تحقيقاً ثابتاً. وبرهان النبي لاجل هذا قال: قد عجبت معرفتك مني: اي ان معرفتي اياك الحاصلة لي بما هو فيّ لعجيبة جداً * فالشي الاول الذي نراه في باطننا هو النور الطبيعي المضي فينا والمعطى لنا من الله كشعاع بارز من نور وجهه تعالى حسب كلام النبي داود. وبه اي بواسطة هذا النور نرى ونعلم الخير الاعظم الذي منه يصدر كل خير. ومن هذا النور نستمد هذا الميل الغريزي الذي يسوقنا الى ما يتبين لنا صواباً وعدلاً وعلى مقتضى العدل الاصلي الذي هو الله. الذي قد عرفنا من الطبيعة انه يلزمنا ان نخضع له باحترام ومحبة. ومن ثم اذا لم تكن الخطية قد برقعت انفسنا واظلمتها بالكلية. فانه تنبثق فينا من قبل هذا النور بعض اشعة كبروق ساطعة ترينا الله وتحقق لنا وجوده بابتهاج قلب عظيم *

الشي الثاني الذي يجب ان نلاحظه فينا هو التفنن المبهج الموجود في قوانا وحواسنا الخارجة والباطنة. كالعظام والعروق والمفاصل وغير هذه التي قد تركب منها الجسد بانتظام عظيم. فهذه جميعها تنادي نحونا مخبرة بوجود الله وانها لم تخرج من العدم بطريق الصدفة والاتفاق ولا من ذواتها. بل ان الباري تعالى الذي خلق العالم كله هو الذي اوجدها. قال النبي: عظامي كلها تقول من مثلك: فها ان عظامي وعروقي ومفاصلي وعيوني واذاني وجميع ما فيّ يصرخ ويعترف انك انت الاله الذي لا نظير لعزته. وانك وحدك قد استطعت ان تخلق كلما خلقته. فياليت الالسنة جميعها تعترف بهذه الحقيقة فتسبح عزتك وتمجد قدرتك *

الشيء الثالث الذي يوضح لنا ايضاحاً جلياً وجود الله هو الروح الذي يحيي

مزمور ١٣٨ ع ٦

مزمور ٣٤ ع ١٠

اجسادنا . فهذا نفسهُ يشهد بوجود روح اخر ممتد في هذا العالم كلهِ وخارجًا
عنهُ غير محدود . لاننا اذا ولجنا الى باطننا فنمتلي تعجبًا من جلال كمال نفسنا
وافعالها الشريفة الروحية البارزة من قواها الثلث اعني بها الفهم والذكر
والارادة . فالنفس ليست هي في الجسد كانها في سجن . بل تخرج عقليًا الى الخارج
متى تشا فتطوف بادنى دقيقة الارض كلها وكل البحار والسموات بل ترتفع فوقها
ايضًا وتنفذ الى اخفى مخادع الطبيعة واعمق سرايرها . ومن هنا اتتنا هذه العلوم
والصنايع العجيبة والتعاليم الحسنة لارشاد البشر في كل رتبة وحال . ومن هذا
ينتج جليًا ان النفس هي روح غير ملحوظ غير قابل الموت وغير متعلق بالجسد .
على ان الموت الذي يقتل الجسد لا يميت الروح بل انهُ قهرًا عن الموت يملك
اربهُ الطبيعي فيفوز بحيوة ابدية . والحال ان هذا جميعه يحقق لنا ان الله هو روح
غير منظور غير قابل الموت خالق بقية الارواح وانهُ ممتد في العالم كلهِ وضابطهُ .
وانهُ فيهِ يمنح الوجود والحيوة لكل شيء حي . لا على نحو ما تمنح النفس ذلك
للاجساد . بل على نوع اخر افضل كمالًا وشرفًا . وانهُ هو الذي منهُ تتخذ جميع
الخلايق الناطقة معرفة العلوم والصنايع ⁂ وهذا الميل الذي تميل بهِ طبعًا الى
الخير . وهو جل ذكرهُ معتوق على الاطلاق من كل تعلق بها . على انهُ وان
بادت كلها وتلاشت لمازال ان يكون دايمًا كما هو ⁂ فيا ايها الاله الازلي اني الان
قد حزت المعرفة العجيبة بك بواسطة المعرفة بما فيَّ . فاعترف اذًا مصدقًا اننا
بك موجودون وانك انت كنفس لنفوسنا . وقد نبتهج ونفرح جدًا في كونك الهنا .
ونشتهي ان نحبك اكثر من ذواتنا . والشي الذي نرغبهُ اكثر رغبة هو ان يعرفك
البشريون كافةً ويحبوك افضل من نفوسهم وحياتهم اذ تكون انت نفسهم وحياتهم

⁂ الجزء الثالث ⁂

تامل اخيرًا اننا نعرف ونتحقق وجود الله لا من حسن النظام الذي نراهُ في
العالم وفي الانسان فقط . بل انهُ يتوكد عندنا ذلك مما يحدث في العالم من النحس
والشرور سواء كانت العامة ام الخصوصية ومما يصيب الانسان من الشقا ⁂
على انهُ اولًا الرعود والبروق والصواعق والثلج والبرد والرياح والعواصف

والزلزال والامراض والحروب حتي اقول علي الاطلاق كل شرور هذه الحيوة
تخبرنا بوجود الله يستطيع ان يعالجها وينجينا منها. ومن ثمّ نرى الانسان في محل
الحزن والشدة يرفع طبعًا نظرهُ الى العلا ويذكر الله ويستغيث به. دليلاً علي
ان النور النطقي قد حقق لنا غاية التحقيق انهُ ينبغي لنا ان نجعل عليه تعالى
وحده كل اتكالنا. وليس ان الشدايد والشرور الطبيعية فقط تشهد بوجود الله.
بل الشرور الروحية والاضطهادات القادحة التي يكابدها الصديقون تشهد
ايضًا بذلك. اي تعلن انهُ ليوجد في السماء اله يخصه ويحق له الحكم والسلطان
علي مجازاة الفضايل وتعذيب الرذايل. من حيث انهُ هنا وفي هذا الدهر لا يمكن
للعدل البشري ان يكافيها كما يجب * ثانيًا الحرب الروحية التي بها نحارب
باطنًا بواسطة تمرد اللحم علي الروح والشهوة على العقل. فهذه تشهد ايضًا
بوجود الله الذي مع كوننا عاجزين عن الظفر بها بقوتنا الذاتية. يستطيع هو
عزّ وجلّ ان يخولنا الانتصار عليها* وهذا الاعتبار فانهُ يعزي المومن في شدايده
وفي ورود البلايا على غيره. من حيث انه قد يمكن ان تلك الشدايد تبلغنا
الخير الاعظم الموجود في الله وحده الذي منه نترجا كل عزاينا وسلوتنا * فهلمي
اذًا يا نفسي واستيقظي وافتحي الحاظكِ. وتفرسي كل شيء من كل ناحية سواءٌ كان
ما في داخلكِ او ما كان خارجًا عنك من الخيرات والشرور. واصغي لما تخاطبكِ به
هذه الاشيا جميعها فانها تصرخ نحوكِ قايلةً انهُ حقًا ليوجد اله في العالم يمنح
الخيرات وينجي من الشدايد كل الذين قد عجزوا عن النجاة منها بقدرتهم * فاقبلي
بفرح هذا التعليم المعزي والمبهج. ومنذ الان ماثلي الرسول وحاربي : بسلاح
البر في اليمين والشمال: في زمني السراء والضراء في وقت الكرامة والاهانة.
وذلك لاكرام ذلك الذي يظهر ذاتهُ في كل مكان وفي كل زمان انهُ الالهُ وحده
ومن ثمّ يستحق ان تعبده كل خليقة وتكرمهُ *

قرنتيه ٢ ع ٦ ٧

تنبيه

انهُ مما تقدم من القول قد اتضح كم مقدار ما يلزمنا ان نعتقد جيدًا بايمان حي هذه
الحقيقة الاولى. وكم يجب ان نضعها في كل حين بازاء اعيننا * علي انهُ لا يوجد شيء
يصدنا اكثر صدًا عن الرذيلة ويحثنا اكثر حثًا علي الفضيلة نظيرها.

وبخلاف ذلك من لا يعتقد هذه الحقيقة او يعتقدها اعتقادًا خفيفًا ضعيفًا او يتغاضى عنها متناسيًا. فله ان يخاف من ان يسقط في لجة الشرور كافةً وان يرتخي في عبادة الله متكاسلًا ولهذا قال النبي: قال الجاهل في قلبه ليس اله فسدوا ورذلوا بصنايعهم وليس من يصنع خيرًا ولا واحد: على انه كما ان المدينة التي لا يوجد فيها قاضٍ يعذب الاشرار تمتلي من الشرور سريعًا. هكذا الذين ينسون الله يمتلئون من الرزايا ولذلك يوصينا الروح القدس في الناموس وفي المزامير والانبيا وصيةً خصوصيةً بالا ننسى الله بل نتفكر فيه دايمًا. لان من يذكره لن يخطي بل يقضي حياته بسرورٍ وطمانينةٍ وبتقوى في ممارسة رياضات التقوى كما يشهد النبي بقوله: اني ذكرت الله ففرحت: فمن ذا الذي بعد هذا التامل لا يتوجع قلبه من الحزن على الخطاة الذين يقرون بانهم يعرفون الله وهم كافرون به باعمالهم * فيا لعظم تفاقم شر الخطية التي من يرتكبها يكون قد جحد الله ونكر على وجهٍ ما بافعاله وجود مولى في العالم يلتزم ان يطيعه الجميع ويخضع له. وله سلطان وقدرة على تعذيب الخطاة * فلنعترف اذًا بقلبنا ولساننا وافعالنا ان الله هو موجود * ولنردد هذه الحقيقة كثيرًا في عقولنا مبتهجين بهذا الذكر. وليلًا نتغافل عنه فلندعوا كلما خلق الى ان يذكرونا ذلك * وعند نظرنا المخلوقات لنرتقين بالفكر الى خالقها وخالقنا له المجد الى ابد الدهور *

مزمور ١٤:١٣

مزمور ٤:٧٦

التامل الثاني

* في ابدية الله *

❂ الجزء الاول ❂

تامل اولًا ان الله ليس هو كاينًا فقط بل انه كاين ايضًا وسيكون دايمًا موجودًا ضرورةً. والسبب لذلك هو ان ماهيته ووجوده هما شيٌ واحد اعني ان كونه الهًا يقتضي ضرورةً ان يكون موجودًا * ولهذا لما ساله موسى عن اسمه اجابه تعالى: انا هو الكاين. فكانه تبارك اسمه يقول ان شان ذاتي وماهية جوهري تقتضي ان اكون موجودًا على الدوام: ولمن المستحيل الّا اكون موجودًا كما انه من

خروج ١٤:٣

المحال ان لا يكون الانسان ناطقًا الّا ان يزول حالاً كونه انسانًا. فمن هذا المبدا ينتج ان الله قد كان قبل كون العالم. حتى ان من يتصور في مخيلته الوفًا وربوات من السنين قبل تكوين العالم. فينبغي له حينئذ ان يتصور الله قد كان قبلها ايضًا اذ هو من الازل. ولذلك يسمى في الكتاب المقدس: القديم الايام: ويشار بذلك الى ان الاشيا المخلوقة كلها لحديثة وكونها حديث ثانيًا. وانه تقدس اسمه لقديم هذا المقدار حتى انه ليس لكونه ابتدا * وماعدا ذلك فان الله هو في ابديته ثابت غير قابل التغيير كقوله عزّ وجلّ: انى انا الرب ولا اتغير: اي لا تعتريني الشيخوخة ولا تضعف قوتي وبعيد عني تغيير الاعوجاج بهذا المقدار حتى ان ظلة لا يقترب اليّ * ولنزيدنّ على ذلك قايلين. ان الله سيكون هكذا الى الابد بغير ان الوف الالوف من الدهور وربوات الربوات منها تستطيع ان تضعفه او تفنيه. ولهذا قال النبي: انت كما انت وسنوك لا تنقص: فبالحق والصواب يقال عن الله انه ابدي. بما انه ما كان له ابتدا قط ولا سيكون له انتها اصلاً. وان دوامه ليس هو على قياس الايام والسنين. وانه لمن الممتنع ان يشوبه التغيير. وان كل ما له فهذا له من الابد وهو مالكه دايمًا وسيمتلكه سرمديًا * فليحثك هذا الاعتبار على تمجيد ربك وسبحه قايلاً: قدوس قدوس قدوس الرب الاله الموجود قديمًا والكاين الان والاتي اخيرًا *

دانيال ٧: ٩

ملاخيا ٣: ٦

مزمور ١٠١: ٢٨

رويا ٤: ٨

* الجزء الثاني *

تامل ثانيًا ان ذات الله وماهيته تقتضي ضرورةً ان يكون على ما هو. اذ انه بهذا يفرز ويتميز من جميع الخلايق * على انه تعالى وحده يتخذ كونه من ذاته. وكل شيء خارج عنه يستمد كونه من الله. فهو المبدا الذي لا مبدا له. وكل شيء متعلق به وهو غير متعلق بشيء: وله وحده عدم الموت: لانه به وحده يختص عدم امكانية الزوال. فالخلايق جميعها لم تتخذ كونها من ذاتها. وقد يمكن ان السماء والشمس والقمر والنجوم والمليكة لا تكون في الوجود. اذ ليس لها شيء من تلقا ذواتها سوى العدم. ولقد كانت بالحقيقة تبلى كالثوب وتفنى بطولة الزمان لو لم يحفظها الله * فاحسن هذا الاعتبار جيدًا لان عليه تتاسس الحيوة الروحية كلها. على ان هذا هو الذي يصون فينا افكار الاتضاع وعواطفه اللازمة ممارستها نحو الله.

تيموثاوس ١ ٦: ١٦

وقد يلازمها الملبكة والقديسون حتي والعذراء الطوباوية نفسها وناسوت سيدنا يسوع المسيح ايضاً وقد يقتضي الصواب والعدل ان الانسان وكل خليقة تتصف بهذه الافكار والعواطف . ولابدّ ان نتصف بها حينما نفتكر ان الله وحده له ذاتياً ان يكون موجوداً . وان الخليقة ليس لها وجود من ذاتها البتة ولا يمكن ان تستمد من ذاتها اصلاً . بل ان كل شيءٍ لها قد اتخذته من الله ولقد كانت بدونه تعالى ترتد ضرورةً الى العدم الذي خرجت منه * فافتكرن اذاً ان الله يخاطبك بما قال لادم : انك تراب والى التراب تعود : فالارض التي اخذت منها ستكون لك مقبرة . وكما انك اتيت من العدم فستعود اليه سريعاً . انا قد اخرجتك من هوة العدم وانت بذاتك لست بشيءٍ . ولقد كنت تلاشيت لولا ان يدي لم تزل تحفظ وجودك في كل دقيقة . فان كنت الان تمتلك في جسد قابل الموت نفساً لا تموت فانك قد اتخذتها مني وانا الذى قد ابدعتها *

تكوين ١٩ع٣

فالذي قلناه عن كوننا على وجه العموم قد يمكن ان ننسبه لبقية الكمالات التي تفترض الكون والوجود كشيءٍ يتاسس عليه كل شي . على انه ان كنا من ذاتنا لا شي فمن الضرورة الّا يكون لنا من قبل ذاتنا لا علم ولا قوة ولا حركة ولا فضيلة . وكل شي يوجد فينا هو قابل التغيير والفساد والموت . وكل شي كاين ليس مسند لقوامه سوى الله ولهذا السبب قال النبي : هوذا بالاشبار جعلت ايامي وقوامي كلا شي امامك : فيشير النبي بلفظة قوامي الى كونه وقوايه وكلما يمتلكه في باطنه وخارجاً عنه . فهذا جميعه بالنسبة الى ما في الله يزدري به ويحسبه كلا شي . فمن اعتبارنا العدم الذي لنا من ذاتنا ومن اعتبار كون الباري تعالى الغير المتعلق بشي والغير القابل التغيير الكون الذي له من ذاته . قد يمكن ان نجتني عواطف كثيرة مقدسة . لانه اولاً نظراً الى الله لا يمكن ان نتحقق عنه هتين الحقيقتين المتقدم ذكرهما بغير ان نحبه كانه علة كل كون . وان نحترم عظمته الغير المتناهية وعزته الغير المحدودة . ونقدم له الشكر علي اخراجه ايانا من العدم وان نقصد ونرغب من كل قلوبنا ان نكون له خاضعين * ثانياً نظراً الينا لا يمكن ان نعقل عدمنا جيداً بغير ان نحتقر ذواتنا و نياس من قوتنا . وبغير ان لا نعتمد علي فضايلنا

مزمور ٦ع٣٨

واستحقاقاتنا ولا نخص لنا عملاً ما حسناً بالكلية. بل نودي الحمد لله في كل امر وعمل اذ انهُ بقوته ونعمته قد كمل. فنقمع فينا كل حركة وعاطفة صادرة من الكبريا والجسارة والفخفخة * فانر يارب نفسي لاعرف مَن انت ومَن انا. لكي اكرم عزتك الالهية وازدري بنفسي واحبك انت وحدك وابغض ذاتي *

* الجزء الثالث *

تامل ثالثاً ان ماهية الله تقتضي ان يكون دائماً كما هو. علي ان كونهُ البسيط الغير المركب يحوي بغير اختلاف في وحدانية جوهره الغير القابل الانفصال جميع الكمالات المخلوقة وكمالات غير هذه لاعدد لها ولاقدرة للعقل البشري علي ان يدركها. وقد ينتج من ذلك ان كل الخلايق الموجودة والممكن وجودها ايضاً تكون بازاء الله كلا شي. ومن ثمَّ قال اشعيا النبي: ها هوذا الامم كنقطة الدلو وكرجحان الميزان: ونقول على الاطلاق ان كل الاشيا المخلوقة ليست هي سوى عدم محض. وهذا الاعتبار من شانه ان يملا قلوبنا هيبةً واحتراماً نحو عزة خالقنا الذي بازايه يضمحل كل بهاء الخلايق وشرفها وتكون امامهُ كانها ليست بشيء * حاشية * وقد نسهب بهذا الصدد الكلام في التامل الرابع وغيره. ثم انهُ من جهة اخرى يجب ان يصيرنا هذا الاعتبار محتقرين. في اقصي غاية جميع الاشيا المخلوقة. لاسيما تلك التي تبهرنا وتخدعنا بلمعها الكاذب. ليت شعري ما هي هذه الاشيا كلها بالنسبة الى الله سوى نقطة ما التي لاتستطيع ان تطفي او تخفف ظما انفسنا. فيا الهنا الاله الازلي السرمدي اشكرك علي انك قد اتخذت لك هذا الاسم العظيم الذي هو الموجود: اسماً يختص بعزتك بهذا المقدار حتي انهُ لايمكن ان يختص بغيرك * فياله من اسم عظيم لايوصف ولايدرك شرفهُ لم يعرفهُ ابرهيم ولا اسحق ولا يعقوب. لم يظهرهُ الله قط في العهد العتيق الا لموسى كليمه العزيز * عرّفني يارب بالكنوز المحتوية في هذا الاسم. لكي اسجد لك واحبك واعبدك كما يجب * اعلمي يانفسي انهُ ليس احد غير الله الذي يقدر ان يفتخر بانهُ هو كاين حقاً. على انهُ وحده يحتوي في ذاته كل كمال الكون. فلماذا اذاً لاتجتهدي في ان تتحدي به لكي تتشرفي بهذا الاتحاد الالهي وتتباعدي اكثر بعداً من دناءة العدم. لماذا تنسحي

اشعيا ٤٠ : ١٥

باطلاً ورا الخلايق التي لكونها خاليةً فارغةً لاتقدر ان تمنحك شيئاً * فها منذ الان فصاعداً لست اعتبر ياالهي الاشيا المخلوقة الا كالخمامات والظل والعدم . ولا يلتصق قلبي سوى بك يارب لاحبك واعبدك الى الابد *

التامل الثالث

* في كيف ان الله هو غير متناهٍ وغير مدرك *

انه لكي نلج في معرفة عظايم الله وكمالاته كما يجب . ينبغي ان نعتقد محققين ونعترف مصدقين ان الله هو غير متناهٍ وغير مدرك . وان احد مناقب عظمته هو انه لايستطيع احدٌ سواه تعالى ان يدرك عظمته بكمال الادراك . فلكي تعقل هذه الحقيقة جيداً اعتبر ان الصورة والتمثال يمكن ان يتصورا علي نوعين . اولاً بوضع الالوان كما يفعل المصورون . ثانياً برفع ما في المادة غير ملايم ومانع ظهور ذلك التمثال كما يفعل النقاشون صانعوا التماثيل * فعلي هذا النحو كما قال القديس ديونيسيوس يمكننا ان نعرف الالوهية ونتصورها علي نوعين . اولاً بطريق الايجاب مخصصين لله تعالى كمالات قد توجد في الخلايق وتوجد ايضاً في الله علي نوع اخر مختلف جداً . كما يفعل من يقول عن الله انه صالح وحكيم ومقتدر وقوي . ثانياً بطريق السلب نازعين عنه تعالى كل ما يوجد في الخلايق ناقصاً محدوداً غير كامل . وبالنتيجة غير قابل لان يقترن بعظمته . كما يفعل من يقول عن الله انه غير متناهٍ غير ممسوح غير مدرك غير موصوف وما شاكل ذلك * فها نحن الان نتمسك بهذا النوع لانه انسب لاكتساب معرفة العظمة الالهية بنوع اكمل . ومع ذلك فانه يسهل لنا استعمال النوع الاخر كما سيتبين ذلك في التاملات التالية *

الجزء الاول

تامل اولاً ان الله ليس هو شيئاً مما يقع تحت الحس . ومن ثم ليس له لون ولا نور ولا بهاء نظير ما يوجد في الاجساد . وليس هو شبيهاً بالسما ولا بالشمس والنجوم وغيرها من الموجودات العلوية . وصورته ليست هي كصورة الاسد او النسر . وعلي الاطلاق نقول ليس هو شبيهاً بخليقة ما من الخلايق الهيولية . لان كل شي

يقع تحت الحس لكثيف وبعيد بعداً غير متناهٍ عن ان يستحق ان يكون مماثلاً جوهره او شبيهاً به. وقد اهان الله واحتقره من جعل بينه تعالى وبين هذه الاشيا الحقيرة شبهاً ما حسبما قال اشعيا النبي: بمن شبهتم الله او اية صورة تجعلون له: فيا الهنا القدوس بالذات لتستحيل عظامي الى السنة ناطقة ولتصرخ قايلة: من مثلك: ليس لك شبيه في الالهة يارب ولا مثل اعمالك: ان بهاك لايشبهه بهاء خليقة من الخلايق. بل انه يفوق كل بهاء فوقاً لا يقدر. والنور الذي يحيط بك ليس هو شبيهاً بنور الشمس بل انه هو نور لايقدر احد على الدنو منه: وانك لعظيم وعظمتك نظير اقتدارك الغير المتناهي والغير المدرك * فيا الهي ومولاي العظيم حقاً انه ليفرح قلبي جداً عند تاملي بانك كامل هذا المقدار. حتى انه في العالم كله لايوجد شيء مشابهاً كمالاتك. فياليتنا نحبك محبة هذا عظم مقدارها حتى تفوق على اشد تعطف القلب البشري وحبه نحو الاشيا المحسوسة الزايلة *

اشعيا ٤٠ع٢٨
مزمور ٨٥ع٨
تيموثاوس ١ ٦ع١٦

الجزء الثاني

تامل ثانياً ان الله ليس هو شياً يمكن ان يتصوره او يدركه عقل بشر او عقل ملاك. على ان هذا متناهٍ محدود ولذلك من المحال ان يسع عظمة لاحد لها ولا تقدير. فقد ضل اذاً وزاغ عن الحق من يتصور الله في عقله صالحاً حكيماً بصلاح وحكمة يمكن لبشر او لملاك ان يدركها. على ان العقل البشري والمليكي لضعيف جداً. لايمكن ان تدرك افكاره كمالات الذي لمن الممتنع ان يخصص له اسم يدل على جوده او حكمته او صفة اخرى من صفاته الالهية دلالة كاملة * فقد صح اذاً ان الله هو غير مدرك وغير موصوف. وانه ليهينه تعالى من يشبهه بانسان او بملاك ويجعل ما بينه وبين اشرف خلايقه تساوياً ما. لان من في السحاب يساوي الرب او من يتشبه بالرب في ابناء الله: حقاً انه لاملاك سماوي ولا بشر ارضي يقدر ان يساوي الرب او يشبه ذاته به اذ قد ارتفع بكمالاته فوق اعظم مايوجد في العالم ارتفاعاً لايحد ولا يقدر * تنبيه اعلم انه لكي نعرف الله جيداً بطريق السلب. فينبغي لنا حسب تعليم القديس ديونيسيوس ان نغض النظر عن كل شي محسوس. بل يلزمنا ان ننزع من

مزمور ٨٨ع٧

مخيلتنا وعقولنا كل تصور يظهر لنا شيئًا محدودًا متحققين انهُ تعالى ليس هو روحًا او شيئًا اخر كما نتصوره بل انه هو اكمل واعظم من كل روح ومن كل شي. ولا يمكن لعقل مخلوق ان يصفهُ ولا ان يفهمهُ. وانهُ نظرًا الينا هو سر محجوب عن نظرنا وفهمنا * ولهذا قال الكتاب المقدس: ان موسي دنا من الضباب الذى كان الله فيهِ: وقال النبي والملك داود: السحاب والضباب حوله: ومثلهُ قال الحكيم الرب يحل في الضباب: اما الرسول فقد احسن ايراد هذا المعني حيث قال عنهُ تعالى انهُ الساكن في النور الذى لا يقدر احد على الدنو منهُ * على انهُ لمن المستحيل ان يدرك الانسان مهما جد فيهِ تبارك وتقدس اسمهُ. ففي هذا الظلام المضي وفي هذا الجهل الجزيل الحكمة يجب علينا ان نلتمس راحتنا. معتبرين العزة الالهية اعتبارًا غير محدود مبتهجين من انهُ يتعالى على كلما يمكن ان يتصور من العظايم. متعجبين ومندهشين من عظمتهِ الغير المتناهية. مرتاحين غاية الارتياح الى ان نحبهُ ونخدمه ونحظى بهِ * فيا ايها الاله الخفي المحجوب عن نظرنا متي اراك لا بالمرآة واللغز بل مواجهةً. فياليتنا نستطيع ان نعرفك كما تعرف انت ذاتك لكي نحبك كما تحبنا انت. لا انهُ اذ كانت معرفتنا ضعيفة ناقصة فقلما يكون اجعل محبتنا بنعمتك ان تكون لديك كاملة *

الجزء الثالث

تامل ثالثًا ان الكمالات المنسوبة لله في الاسفار المقدسة هي ايضًا غير متناهية. قالت الانبيا: عظيم هو الرب ومسبح جدًا: وهكذا يجري الامر في دوام الله الذى ليس لهُ انتها. وفي اتساع جوهره الذى لا حد لهُ. وفي صلاحهِ وحكمتهِ وقدرتهِ وبقية كمالاتهِ التي لا قياس لها ولا تقدير * فتصور في عقلك اشرف واكمل ما يمكن ان تتصورهُ من عظايم العالم. فان الله يتعالى على هذه كلها بمقدار لا يدرك * تصور مثلاً انهُ عزّ وجلّ يدوم عشر ربوات من السنين وزد على ذلك عشر ربوات من الدهور. فترى انهُ بعد هذا كله تبقى لدوامهِ الابدية بكمالها. وهذا كان يدهش احد اصدقا ايوب لهذا المقدار حتي انهُ صرخ متحيرًا: ها هوذا ان الله عظيم فاق على علمنا وعدد سنيه لا يحصي: ويصح ايضًا القول عن الله انهُ يسع كل العالم وانهُ كان يقدر ان يسع الوف الوف من العوالم اوسع من هذه العالم جدًا.

خروج ٢١:٢٠

مزمور ٢:٩٦

ملوك ٣ ١٢:٨

مزمور ٣:١٤٤

ايوب ٢٦:٣٦

وانه لو يوجد عالمون بعدد غير محدود لكان الله يسعها كلها. وقس على هذا القياس حكمته وقدرته وصلاحه * على ان الذى عرفناه من كمالها ليس هو بشي نظرًا الى ما نجهله منها. فلنقتنع في جهلنا هذا ولنبتهج من انه سبحانه قد تعالت عظم كمالاته فوق ادراك كل مخيلة وكل عقل مخلوق * فمن ذا الان لا يقر معترفًا ومصدقًا ان الله هو غير موصوف وغير مدرك. فيقول مع ارميا النبي ان الله عظيم الراي وغير مضبوط بالفكر: على ان كل خليقة هي محدودة. والحال ان كل شي محدود لا يقدر ان يسع ما ليس له حدٌّ. كما انه لا يمكن للانسان ان يضع العالم كله في كفه او ان يجعل كل البحار في صدفة صغيرة. قال الحكيم: اننا بالجهد نميز الاشيا التي في الارض والحاضرات نجدها بتعب فالتي في السموات من يستفحص عنها: فسبيلنا اذًا ان نعترف بضعفنا ونستبشر من ان لنا الهًا عظيمًا لهذا المقدار. حتي انه احدق الارواح والعقول المخلوقة لا يمكنها ان تدركه. لانه لو يوجد روح غير الله يستطيع ان يدركه لكان تعالى الهًا ذا عظمة محدودة. والافضل ان نقول انه لم يكن الهًا حقًا * فلنماثل اذًا تلك الارواح السماوية التي خبرنا عنها اشعيا. فهذه الارواح لها ستة اجنحة ترتفع بها الى معرفة الله والي معرفة ما خلقه تعالى في الستة الايام الاولى. فبجناحين يسترون وجهه تعالى مشيرين بذلك الى انه قد حجبت وخفيت عنهم كمالاته. وبجناحين يسترون رجليه كانهم يعنون بذلك انهم لا يقدرون ان يدركوا كمال اعماله. وبجناحين يطيرون لينذروا مخبرين بما يعرفونه من كمالاته الالهية. وقد يمجدون الله بالاجنحة الاربعة التي بها يسترون وجهه ورجليه اكثر مما يمجدونه بهذه الجناحين اللذين بهما يطيرون. اذ ليس يمكنهم ان يمجدوا الله اكثر مما اذا اعترفوا انه تعالى فوق ادراك كل فهم مخلوق. وان الذى عرفوه من كمالاته هو شي يسير نظرًا الي ما يجهلونه منها * انني لامتلي فرحًا يا الهي الرب الهي لان الشاروبيم يعترفون انهم تجاه عزتك الالهية هم كفيفوا النظر. وانك اله عظيم قد فقت على علمنا * فامنحني يارب اجنحتهم النارية وليلتهب قلبي بذاك اللهيب الذى هم ملتهبون به. واذ قد عجز عقلي عن ادراكك فقلما يكون ليحبك قلبي بكل قوته امين *

ارميا ١٩ع٣٢

حكمة ٩ع١٦

اشعيا ٦ع٢

الجزء الرابع

تامل رابعًا ان الايمان قد انسس علي النعمة التي عرفناها كمالات الله المحجوبة المخفية عنا اكثر اخفاء. علي انه جلّ تودده لما راى انه لا احد من المليكة و البشر يستطيع ان يدركه ولا ان يحس. فهمه من قبل النظر الى ما خلقه. فرام لمجده ولخيرهم ان يظهر لهم البعض من كمالاته * وقد يوجد من هذه ايضًا بعض كمالات تفوق ادراكنا. ولنا في ذلك سبب تعزية كبرى وفرح عظيم * علي ان الهنا عظيم بهذا المقدار حتي ان البشر والمليكة يعترفون انه لا قدرة لهم لادراك كمالاته و فهم اعماله * ولنا ايضًا في ذلك حجج قوية تحثنا علي العواطف الثلث الاتى ذكرها * العاطفة الاولى هي المعروف الحقيقي والجزيل جدًا نحو سيدنا يسوع المسيح. الذى اظهر لنا علي السن. انبيايه اسرار لاهوته الغير المدركة التي قد دعاها داود النبي اسرار حكمته. وهذا المعروف يلزمنا نحن اصحاب العهد الجديد خاصةً. لان الله ارسل لنا ابنه الوحيد الذى حسب قول تلميذ الحبيب اظهر لنا جليًا كل شي كما ينظر ذلك هو في حضن الاب * فلنشكره خاصةً على انه عرّفنا بسر الثالوث الاقدس وسر تجسد الالهي و سر القربان المقدس وغفران الخطايا وقيامة الموتى والحيوة الابدية واسرار اخر غير هذه لم نكن نستطيع ان نعرفها خلوًا من وحي وكشف سماوي * العاطفة الثانية هي الايمان الذي يسبي العقل الي الطاعة ويلزمه بتصديق ما يفوق ادراكه. و ذلك لمجرد وحي الله وشهادته التي بدونها لا نقدر ان نعتقد * وقد يحسن بنا ان نمارس افعال هذه الفضيلة لاسيما نحو الاسرار الاعظم سموًا و يجب ان نومن بها بفرح ايمانًا اعمى * و ينبغي لكل منا ان يعترف مستبشرًا بضعف فهمه ويبارك الله مع الشاروبيم في الثلثة الاقانيم الالهية قايلًا قدوس قدوس قدوس هو الله رب الجيوش * ولنحذر من التجاسر على التعمق بالاسرار التي اظهرها لنا لان من يبحث عن البهاء يغلب عليه شعاع البها * العاطفة الثالثة هي الفرح الروحي المقدس الناتج من رجاينا اليقيني الثابت باننا سنرى ظاهرًا هذه الاسرار التي نعتقدها الان و تنكشف لنا كشفًا جليًا. وانه يتم فينا قول الرسول: فنحن الان ننظر بالمراة

اشعيا ٦ع٣

قرنثية ١ ١٣ع١٢

باللغز اما حينئذ فمواجهةً : علي ان الله لا يختفي عنا الان الا لكي يصيرنا بواسطة
خضوع الايمان أهلاً لان نشاهده فيما بعد وننظر اليه نظراً واضحاً في مجده . ولنا
ان نرجو من كرمه انه في هذه الحيوة ينير ايماننا ويمنحنا معرفة اسراره ان كنا
نستحق ذلك بحسن نقاء القلب اذ قال تعالى : طوبى للنقيّة قلوبهم لانهم يعاينون
الله : فيا الها الرب الهُ الرجا املأنا من كل سرور وصلاح بالايمان لنزداد رجاءً امين

متى ٨:٥

التأمل الرابع

٭ في توحيد الله وتثليث اقانيمه ٭

٭ الجزء الاول ٭

ان الحقيقة الاولى التي يلزمنا ان نومن بها هي ان الله تعالى هو في جوهر واحد .
وانه لمن المستحيل ان يكون اكثر من اله واحد . ومن هذا ينتج ضرورةً انه لا يوجد
سوى خالق واحد ومولى واحد ورب واحد . الذي هو وحده علة الكل الاولى
وغاية كل شي القصوى . وعلى هذه الحقيقة الاصليّة قد تاسست اخصّ وصايا
الناموس الالهي ٭ لانه اولاً لا شك ولا ريب في ان الله تعالى يجب ان يكون الخير
الاعظم الغير المتناهي الحاوي في ذاته كل خير . وان يمتلك كل الكمالات الممكن
وجودها . علي انه لو نقصه كمال ما من جميع الكمالات لكان بالحقيقة الهاً ناقصاً .
وبالنتيجة مفتقراً الى ان يلتمس ويستمد من غيره ما ينقصه ٭ فيلزم اذاً ضرورةً
ان يكون الله واحداً . علي انه لو وجدت الهة كثيرة لما كان واحد منهم كاملاً من
حيث ان احدهم لم يكن يمتلك كمالات الاخر . ولكانت الالوهيّة منقسمة بينهم .
وهذا قد تاسست عليه وصيّة الله الاولى التي تامرنا بها ان نحبه من كل قلوبنا وبكل
قوتنا . لانه اذ كان تعالى الخير الاعظم والخير الوحيد والحاوي كل خير . فيستحق
ان نحبه وحده باعظم انواع المحبّة ونخصّ به كل محبّة قلوبنا حتي تكون محبتنا
له قياس كل محبّة اخرى وعلتها ٭ فيا الها الخير الغير المتناهي هل يكون امراً عجيباً
ان احببناك فوق كل شي انت الذي قد تعاليت علي كل شي . فما هو الامر المستغرب
العجيب اذا منحك الانسان كل حب قلبه . هل يكون بذلك قدم لك شيئاً جزيل

الثمن اهلاً لان يُقدَّم لعزتك . حقاً انهُ ليس يلزمنا ان نحب شيئاً رديًا فقط . بل يلزمنا ايضاً لأن نحب ما لايسديك مجداً . اذ كل شي يوجد فى العالم من الصلاح والخير هو من صلاحك وخيريتك ❊

اعتبر ثانياً ان الله مولى كل الخلايق وربها الاعظم ولا يمكن لاحد منها ان يقاوم ارادته المطلقة . ولولا هذا لكان الله الهاً شقياً لا يفوز بفرح ولا بسلام فى ملكه . حاصلاً في كل دقيقة علي خطر ان يُطرد من مملكته . ومن ذلك ينتج ايضاً انهُ ليس الهٌ سواهُ تعالى . لانهُ لوكان الهة كثيرون لكانت افكارهم ومرغوباتهم واوامرهم مختلفة وبالتالي لقد كان الواحد يامر بما نهى عنهُ الاخر . ولقد كان حصل السجس والاضطراب ما بينهم وكثرة المخاصمات والحروب . وعلى هذا النحو لكان امراً مستحيلاً ان يفوز العالم بسلامة اصلاً . فصح اذاً ان هذا الاتفاق العجيب الموجود بين السموات والعناصر والحيوانات يحقق لنا توحيد الله الذي يدبرها . ومن ثمَّ ولاجل هذا نفسهِ يوصينا بان نحبهُ من كل قلوبنا ومن كل قوتنا . علي انهُ كما قال السيد المخلص : لا يستطيع احد ان يعبد ربين : وذلك لان ارادتهما تكون مختلفة واحياناً كثيرة تكون مضادة . فان اردت ان تطيع احدهما فتخالف الاخر ضرورةً . ولا يمكنك ان ترضي الاثنين معاً ❊ فلنجعل اذاً كل اهتمامنا في ان نعبد ونخدم جيداً المولى الاعظم رب العالم وباريه ولا نطيع ولا نخضع لاحد سوى الذين اقامهم تعالى نواباً لهُ لتدبيرنا ❊

متى ٢٤:٦

اعتبر ثالثاً ان الله هو الواضع الناموس الاعظم . وان لهُ وحده السلطان بذلك بما ان رايهُ وارادتهُ هى القياس الذي يلزمنا ان نقيس اعمالنا علي موجبه . وانهُ هو الحاكم الاعظم المطلق العتيد ان يدين الاخيار والاشرار . وهو غايتنا العظمى والقصوى والشي الوحيد الذي نجد فيهِ سعادتنا . وبالنتيجة لا يمكن أن يكون سوى اله واحد وواضع ناموس واحد ودیان واحد وغاية قصوى واحدة ❊ علي انهُ لوكان الهة كثيرون لكان قريباً ان يغيظ بعضهم بعضاً بتضاد نواميسهم . وباختلاف حكمهم في تعذيب الاشرار ومجازاة الاخيار . ولم يكن احدهم يقدر ان يشبع اشواقنا لان السرور الواصل لنا من حظوتنا باحدهم ما كان يكفينا عن

لارتياح الى ان نحظى بالاخر * وعلى هذا يتاسس التزامنا في اننا نوجه الى الله كل افعالنا بنيّة مستقيمة قاصدين مجده تعالى وخدمته لا غير. وكل ما اعتبرناهُ هذا الصدد ينبغي ان يميل بنا اولاً الى الشفقة والتاسف نحو الوثنيين الذين يعبدون الهة كثيرة كذبة. محتقرين بذلك الاله الحقيقي احتقاراً جسيماً. ولنسال الله ان يبيد من العالم العبادة الوثنيّة قايلين ايها الاله الوحيد الحقيقي الذي دخلت الى مصر اي الى هذا العالم الفاسق على سحاب خفيف اضي عليهم بنور وجهك. لين قلوبهم الصخرية الصلبة. ردهم عن ادلهمام الضلالة الوثنيّة الى نور معرفتك وافتقد برحمتك اوليك الجالسين في ظلمة النفاق وظلال الموت * ثانياً ينبغي ان نفرغ جهدنا كله في اننا نوجه كل مقاصدنا وعواطفنا الى مجد ذلك الاله الوحيد الاعظم. فلا نشتهي خيراً اخر غير هذا الخير الاعظم الذي هو ينبوع جميع الخيرات وحاويها كلها. وليقل المتامل لنفسه ما قالهُ سيد الكل لمرتا: انكِ مجتهدة مهتمة في امور كثيرة والحال ان الذي يحتاج اليه شي واحد: وهو ان تحبي وتكرمي وتعبدي الاله الواحد خالق الكل واب الكل الذي اليه ينبغي ان يتجه كل شي وفيه تجدين السرور والراحة الابدية *

لوقا ١٠: ٤١

الجزء الثاني

تامل ثانياً الحقيقة الثانية من حقايق ايماننا وهي ان الله الوحيد هو مثلث الاقانيم وهم الاب والابن والروح القدس. وهذه الحقيقة تقتضي منا خضوع عقل بليغ. فاحذر جداً من ان تبحث كثيراً عن كيف يمكن ان التوحيد والتثليث يتفقان في شيء واحد. لكنهُ يحسن بك ان تعتبر في ذلك شيئاً واحداً. وهو انهُ يجب ان يمتلك الله كلما يوجد في الخلايق من الخير والكمال خلواً من مخالطة شيء ردي او ناقص. ومن ثمَّ ليس بعجب ان يحظى بالخير الموجود في توحيده ويكون مع هذا منزهاً عن الضجر الذي يعتري من يكون وحيداً. فالله اذاً هوَ واحد نظراً الى جوهرهِ وصلاحهِ وحكمتهِ وبقيّة كمالاتهِ التي لا يمكن ان تكون منفردة بعضها من بعض. ومن هذا ينتج ان الثلثة الاقانيم الالهيّة من حيث انها الهٌ واحدٌ. فلهم رايٌ واحدٌ وارادةٌ واحدةٌ وقدرةٌ واحدةٌ وفعلٌ واحدٌ. فلا يوجد اختلافٌ ما اصلاً في ارائهم

ومقاصدهم واعمالهم . على ان لهم في كل شيء رايًا واحدًا وميلًا واحدًا وكل افعالهم الخارجة هي مشتركة . لأنهُ مع هذا فالثلثة الاقانيم متميزون ولا يمكن ان نجعلهم قنومًا واحدًا . علي انهُ لو كانوا قنومًا واحدًا لقد كان الله عادمًا الفرح والسرور الموجود في الاشتراك ما بين اشخاص يساوي بعضهم بعضًا . وما على ذلك فانهُ بحسب هذا الوجه لم يكن ممكنًا ان الله المايل طبعًا الى مشاركة صلاحهِ وحكمتهِ وقدرتهِ على نوع غير متناهٍ . ان يقنع ميلهُ هذا الالهي ويرضيه . فالاب اذًا لكي يرضي هذا الميل الالهي بالكمال يشرك ابنهُ في جوهرهِ الالهي مع حكمتهِ وقدرتهِ كلها . وهكذا الاب والابن يشركان الروح القدس في هذا الجوهر وفي تلك الكمالات الالهيّة كافةً . وتوجد بينهم محبّة كاملة كالمحبّة التي توجد بين اشخاص متساوين . وذلك لا بطريق المشابهة فقط . بل بتوحيد الطبيعة والجوهر ايضًا . والحال انهم في هذا الاشتراك يحوزون سرورًا لا يوصف ولا يدرك . ويبتهج كلٌّ منهم من خير الاخر ابتهاجًا لا يحد ولا يوصف * فاذا انعمت النظر وبحثت من هذا كلهِ بحثًا جيدًا . دع عقلك يتعجب منذهلًا من عمق هذا الاله الواحد الموجود في ثلثة اقانيم . واركع لها ساجدًا بغاية التهيب والاحترام مصدقًا غاية التصديق ما يفوق ادراك فهمك . ثم اصرخ مع الرسول قايلًا : يا لغور غنى الله وحكمته وعلمه : فان كانت احكامك يا رب غير مستفحصة وطرقك غير مدركة . فما اعظم ما يكون عدم ادراك جوهرك الالهي وكمالاتك الغير المتناهية وما اشد عدم استفحاصها . فزدني يا رب ايمانًا بهذا السر العظيم لكي اكرمهُ واسجد لهُ بكل تهيب ووقار الى ان ياتي اليوم الذي فيه اشاهد ذلك ظاهرًا في ملكوتك *

رومية ١١ : ٣٣

❁ الجزء الثالث ❁

تامل ثالثًا كيف يكمل هذا السر في الثالوث الاقدس . فالايمان يعلمنا ان الله الاب بنظرهِ الى ذاتهِ وبمعرفتهِ اياها معرفة بليغة غير متناهية . يصدر صورة قنومه الجوهرية وهي الله الابن الذي قد دعاهُ الرسول : ضيا مجد الله الاب وصورة جوهره : وقد سماهُ التلميذ الحبيب الكلمة اي كلمة الله . علي ان الله الذي لم يزل ينطق ابديًا في ذاتهِ بهذه الكلمة الالهيّة . يحوي ويصف بها كلما يعرفه . ولهذا

عبرانيه ١ : ٣

يقال لها الحكمة. ثم انه اعني الله الاب اذيصدر كلمته الذي هو الله الابن . فلسبب
انه يراه كاملاً بكمال غير متناه فلمن المستحيل لا يحبه حباً غير متناه . وكذلك
الكلمة يحب الاب لما يشاهده فيه من الكمال الغير المتناهي ويقبله منه . وبواسطة
هذه المحبة المشتركة المترددة يصدران معاً ويبثقان الروح القدس ويشركانه
في لاهوتهما . ومن ثم يكون هو ومعهما الهاً واحداً . وهذا كان منذ الازل على هذا
الاسلوب . لان الثلثة الاقانيم متساوون في الازلية والابدية . فلم يكن الاب دون
الابن قط . ولا الابن دون الروح القدس . وذلك لسبب ان ولود الكلمة مختلف
بالكلية عن اتلاد البشر الذين يتخذون من ابايهم حيوة قابلة الموت * ومع على ذلك
فاننا نعتقد انه كما ان الله الاب هو في كل مكان وفي كل شي . هكذا الابن والروح
القدس هما في كل مكان وفي كل شي . وان الاب والابن والروح القدس متساوون
في كل شي بما ان لاهوت الابن ليس هو مختلفاً عن لاهوت الاب والروح القدس.
وقد يفوزون اعني الثلثة الاقانيم بسعادة مشتركة متساوية بواسطة معرفتهم
بعضهم بعضاً . وسعادتهم هذه هي غير محدودة غير قابلة التغيير والانتها . لا
يحتاجون الى خير ما مخلوق اصلاً . ولهذا وان كان الله في ازليته وقبل تكوين العالم
قد كان وحيداً . فلم يكن مع هذا ابطا او اقل سعادة مما هو الان . على ان اخص افعاله
هي الافعال الباطنة التي يجد بها سروره الاخص الغير الموصوف . ومن هنا تبرز
الافعال الخارجة التي تشترك فيها الثلثة الاقانيم . اذ ليس يوجد سوى خالق
واحد الذي يوزع مواهب الطبيعة والنعمة والمجد السماوي . ومن ثم ينبغي ان
نعتقد يقيناً ان الثلثة الاقانيم يقبلون صلواتنا ويستجيبون لها . ويفيضون علينا
سجال انعامهم الالهية * فمن هذه الاعتبارات يجب ان نجتني عواطف المحبة
والابتهاج والتعجب نحو كل واحد من الاقانيم الالهية مسبحينهم وممجديهم على
النسق الاتي ذكره *

ابتهال الى الاب الازلي

ايها الاب المتصف بالعزة الغير المتناهية الذي لا تستمد الصدور من قنوم اخر.
بل منك يستمد الاقنومان الالهيان صدورهما . فبالحق وبالصواب قد قلت على

لسان نبيك: العلي انا الذى اولد الغير لا الد هل انا المعطى التوليد للغير اكون عاقرًا: | اشعيا ٩ع٦٦
فالجد لك يارب الذي ولدت لك ابنًا نظيرك مساويًا لك بالكلية في كمالاتك
الالهية. وليس بنقص لك انك لم تلد ابناء كثيرين. اذ ان ابنك هذا الوحيد يكفيك.
وهو امر مجيد جدًّا ان تكون قد افرغت في اتلاده كل قدرتك الغير المتناهية.
وقد تتهلل نفسي وتفرح من ان سرورك باتلاده هو سرور ابدي. اذ كنت لم
تزل تلك على الدوام. ولهذا تخاطبه قايلًا: انت ابني وانا اليوم ولدتك: فياله من | مزمور ٢ع٧
من يوم ابدى قد كان دايمًا وهو الان كاين وسيكون ابدًا. يالها من ولادة غير
مدركة التي بها اصدر الله منذ الازل ويصدر الان وسيصدر الي الابد ابنه هذا
الوحيد الذى يحبه نظير نفسه. فيا ايها الاله الاب المحبوب فوق كل شي ما اعظم
ماكان سرورك اذ كنت تنطق في ازليتك ما قد نطقت به علي جبل تابور قايلًا:
هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت: فمن ذا سواك وسوى الذي هو شي واحد | متى ١٧ع٥
معك يقدر ان يفهم افراط المحبة التي بها تشركه في الوهيتك. فان كان: الابن
الحكيم يسر اباه: فما هو السرور الواصل لك من قبل هذا الابن الذى هو الحكمة | امثال ١٠ع١
بالذات وصورتك الجوهرية فيا ايها الاب السماوي: الذى منه تسمى كل ابوة في | افسس ٣ع١٥
السما والارض: اسالك بحق محبتك الغير المتناهية لابنك الازلي الحبيب. ان تمنح
كنيستك اولادًا كثيرين تكون لهم ابًا بالنعمة كما انك اب لوحيدك هذا بالطبيعة
فلتمتلي السما والارض من ابنايك بالذخيرة. اينمهم يارب لتتسع ابوتك في السما وعلى
الارض. ياأب الانوار الذى منه يصدر شمس العدل وضياء مجدك. اضي علي
نفسي بنور الايمان واجعلني ان اعرفك واعرف يسوع المسيح ابنك الوحيد فاسير
سير ابن النور واحبك من كل قلبي واعبدك. لكي استحق ان اشاهدك وجهًا بازا
وجه بواسطة نور المجد السماوي ❊

ابتهال الى الابن الوحيد

ايها الابن الوحيد ابن الله العلي المولود منه ولودًا ازليًا. حقًا انك لابن
وحيد للاب الازلي. اذ انه لا يمكن ان يكون له ابن اخر نظيرك فانت ابنه
لانك تتخذ منه كمالاته الالهية ازليًا. وانت ابنه الوحيد لانه من جميع بني

ابيك السماوي انما توجد انت فقط صورته الصورة الشبيهة به بهذه المقادير حتي ان جوهر كما جوهره واحد * فيا له من تساوٍ عجيب غير مدرك . فانت حقًّا ابن الله لانك وارث جميع خيراته اعني جميع كنوز لاهوته . ولك السلطان والقدرة لان تقيم لك ابناء بالذخيرة تشركهم في ميراثك . فاجعلني ايها الابن الوحيد ابنًا لله معك لاشترك معك بميراثك في ملكوتك * واخيرًا انت ابن وحيد لله الآب لانك تستقر على الدوام في حضنه . وهناك تدرك كل اسرار حكمته وتحتضن بمحبة عظيمة من يضمك دايمًا الى قلبه . وهناك تستقي من وادي تنعمه الالهي * ليتني استطيع ان ادخل معك الى هذا المحل الالهي لكي اشترك بانوارك ومحبتك وسرورك . فلا يكفيني ان اكون في حضن ابرهيم ولو انه كان ابًا لجميع المومنين . بل ترتاح نفسي الى ان تكون في حضن ابيك الازلي اب جميع الاحيا لكيلا اكون مفترقًا منك ابدًا لانك قد وعدتنا بفمك الاقدس قايلًا: انه حيث تكون انت هناك يكون خادمك : فاعتبري يا نفسي ما اعظم تفاقم سرور الآب الازلي من استقرار هذا الابن المحبوب في حضنه . وما الذ تنعم هذا الابن الوحيد المستقر في حضن ابيه الحبيب * فلجي يا نفسي بالايمان وبالتامل في هذا الحضن الالهي لتذوقي قليلًا من سرور الآب والابن . وهني اثنيهما على سرورهما وسعادتهما . واجعلي سعادتك في سعادتهما لتكوني معهما روحًا واحدًا . واسالي الابن بجسارة مقدسة قايلة " ما الذي كنت تفعله يا سيدي منذ الازل في حضن ابيك * فيا القدرة غير متناهية التي لم يزل بها منذ الازل مع الآب يصدر وينبثق الروح القدس المساوي لهما في الصلاح والقدرة * اني لابتهج جدًّا يا الهي ومخلصي بالسرور الغير الموصوف الذي تصدر به هذا الروح الالهي وتمنحه الوهيتك عينها التي تستمدها من الآب . فاجعلني يا رب بنعمتك ان اعطي بلا حسد للجميع ما قد اقتبلته من الخيرات عن كرمك الفايق سخاوة لكي يحبك الجميع نظير ما اريد انا ان احبك الى الابد *

يوحنا ١٢ : ٢٦

ابتهال الى الروح القدس

ايها الروح الالهي المنبثق من الآب والابن بطريق المحبة . انه لمن الصواب قد

دعيت روحاً لانك تقبل حقاً كل روح القنومين الالهيين اللذين تنبثق منهما وكل حياتهما . فانت روح الاب الذي يمنحك لاهوته مع قدرته بالكمال وانت روح الابن الذي يمنحك حكمته كليًا . وانت روح الاب والابن . اللذين يشركانك بمحبتهما بعضهما بعضًا * ومن ثمّ انت تحبهما بالمحبة التي بها يحب احدهما الاخر . وسروره من حبهما لك يساوي السرور الواصل اليك من حبك لهما . لان ثلاثتكم اله وصلاح واحد ومحبة واحدة * فحقًا انك روح لانك صادر على مثال الريح من قلب الاب والابن . وتستقر فيهما دائماً بتوحيد جوهر واحد ومحبة واحدة وانت هو الرباط الذي به يتحد احدهما بالاخر * فاضرم يا الهي في نفسي نارًا تلهب قلبي وتزيل منه وتلاشي فيه كل شيء ارضي فيتحد بقلبك الاقدس بواسطة المحبة امين *

التامل الخامس

* في كمال الله الغير المتناهي *

انه قد يدعى الشيء كاملاً اذا وجد فيه كلما يمكن ان يمتلكه وتقتضيه طبيعته بغير ان ينقصه شيء من ذلك . لانه اذا نقصه شيء يسير لا يمكن ان يكون كاملاً ويقال ايضاً عن الشيء انه بهي جميل اذا كان حاصلاً على كل ما يبهج نظر الجسد او نظر النفس . واخيرًا يقال عن الشيء انه جيد اذا كان له ما يعطف الذين ينظرونه الى الحبة . وهذه الثلثة الافضال يخصها الكتاب المقدس لله ولاعماله بما انه لا ينقصها شي مما يقتضيه كمالها . وها نحن ناخذ ببيان ذلك في التاملات التالية *

۞ الجزء الاول ۞

تامل اولاً ان الله هو كامل لانه يمتلك كل الكمالات التي يمكن ان يمتلكها وانه يمتلكها ليس بغير نقص فقط . بل باعظم ما يمكن من الكمال ايضاً وخلواً من حد وقياس وهكذا قد تعلمناه من الاسفار المقدسة التي تشهد بانه تعالى: ليس لعظمته انتها * وانه يحيط كل البرايا: والاشيا كلها منه وبه وفيه * وبالنتيجة ان مهما يوجد من الخير في الخلايق فقد يوجد في الله واكثر من ذلك بلا قياس * فلنقل اذًا

مزمور ١٤٤ع٣

روميه ١١ع٣٦

مع القديس اغوستينوس. الهي انت وحدك وبمجرد ذاتك كل خير وليس لخلايقك شي من الخير والكمال غير الذي قد استمدوه من كمالاتك. ولقد ازيد على ذلك واقول انك كل خير نظرًا الى اني فيك وحدك اجد كل كنزي وفرحي ومجدي. وخارجًا عنك لا اجد الا فقرًا وشقاءً وعارًا. فان كنتِ يا نفسي تبتغي ان تكوني كاملة فاطلبي الكمال في خالقك. حيث يوجد خلوًا من نقص. وان كنتِ مرتاحة الى البها والحسن الجميل. فانظري الى الله ربكِ فتجدي فيه حقيقة الجمال الكامل. وان احببتِ الصلاح فاحببيه تعالى بما انه هو ذات الصلاح الفايق. فيا الهي ونصيبي الى الابد. متى اشاهدك في مجدك حيث تكون كل شيءٍ للكل. ان هذه الكلمة تحتوي على مادة وافرة للتامل. الا انه لكي تجتني منها اوفر نفعًا وفايدة. ينبغي ان نزيد عليها كلمةً اخرى قد قالها ابٌ ما لابنه وهي: كل شيءٍ لي فهو لك ❊

لوقا ١٥ع٣١

الجزء الثاني

تامل ثانيًا كيف ان الله يمتلك كل الكمالات المختصة بالخلايق التي هي من الرتبة الدنيا. اعني بها السماوات والنجوم والنباتات والعناصر الاربع وما تركب منها كالذهب والفضة والحجارة الكريمة. فبما انه تعالى قد خلق هذه جميعها وخولها كل بهاها وقوتها. ولذلك هي كلها موجودة فيه تعالى على نوعٍ اكمل بغير قياس مما هي في ذاتها. على ان هذه الاشيا العادمة الحيوة في ذاتها لها حيوةٌ جزيلة الكمال في مبدعها. وسبب ذلك هو ان الله الذي هو الحيوة بالذات وينبوع الحيوة كان حاويًا في ذاته على نوعٍ سامٍ جدًا جميع الكمالات التي كان عتيدًا ان يمنحها لخلايقه ❊

وقد ينتج من ذلك ضرورةً ان الله يقدر ان يعمل بمفرده كل ما تستطيع ان تعمله خلايقه. فيقدر ان يضي بغير شمس ويسخن بلا نار. ويبرد خلوًا من هواء. ويرطب بغير ماء. وينبت كل نوعٍ من انواع الحشايش والاثمار بلا ارض. لانه تعالى حاوٍ في ذاته قوة جميع العلل الثانية. فان رام ان يستعمل هذه الخلايق لاصلاح بعض افعال فليس هذا لسبب انه يفتقر اليها. بل انما يريد بهذا ان يظهر صلاحه اعظم ظهورًا كما سنوضح ذلك فيما بعد. فلذلك نرى الكتاب المقدس يستعمل جميع هذه الاشيا ليشير بها الى كمالات الله. فيسميه تعالى شمس العدل

ونجمة الصبح ونارًا اكلة وينبوع ماء حي. وريح يهب حيث يشا. ويرينا كنوز النعمة و المجد السماوي برمز الذهب والفضة والحجارة الكريمة. وهكذا يذكر لنا بهاء بعض اشيا شريفة مخلوقة وخواصها العجيبة ليقدم لنا بذلك معرفة عظم بهاء كماله تعالى. الا انه يلزمنا ان نعترف ان كل بهاء الاشيا المخلوقة وكمالها ليس هو شيًا اخر سوى ظل بل لاشي بالنسبة الى الله. الذي بازايه السما هي دنس والشمس ظلام وكل بهاء ارضي بشاعة مستكرهة. فان كنتِ يا نفسي تتعجبين من جمال الخليقة. فلماذا لا توجهين نظركِ الى بهاء خالقها الذي هو الجمال بالذات. فانعم عليَّ يا رب ان احبك حبًا دسمًا وبغير قياس علي حبي لجميع الخلايق. ولا احب احدًا منها الا نظرًا اليك وحبًا بك. بما انك افضل منها بهاءً وكمالًا بغير حدٍّ وقياس وليس لها من الحسن و الكمال سوى ما قبلته من كرمك ❊

ثم امعن النظر متاملًا عظم غباوة الانسان الذى يباين الله لاجل لذة او خير ما ارضي زايل. علي ان الذهب كله كما قال الحكيم فهو نظرًا الى الله كرمل يسير. والفضة كلها بازايه تحسب كالطين: وكل لذة يمكن ان نجدها في الخلايق ليست هي شيًا سوي نقطة ماء في بير مشققة. ولذلك لا يجب ان نفضلها علي ينبوع الماء الحي و على الكنز الحاوي جميع الخيرات النادتة ❊

❁ الجزء الثالث ❁

تامل ثالثًا ان الله يتضمن في ذاته كمالات بعض خلايق افضل من تلك المتقدم ذكرها. وهي التي يمنحها حيوة تدعى حيوة نامية وذلك لانها بها تنبت وتنمو وتاتي بغيرها نظيرها. كالاشجار والحشايش والزهور التي تعرف خواصها من اثمارها وارواقها وشلوشها وبزورها. ولكون هذه الاشيا جميعها تستمد كل خواصها منه تعالى. فلا جرم في ان هذه الخواص جميعها موجودة فيه على نوعٍ شريف وعجيب ومن ثم يفتخر سبحانه بذلك قايلًا: بهاء الحقول معي هو: فكانه تعالى يقول انه ليوجد في بهاء جميع الاشجار والنباتات والازهار. ولهذا قد كني ذاته احيانًا باسمائها. فدعا نفسه تارةً زنبقًا. وتارةً كرمًا. وتارةً شجرة الحيوة. ومن هذا الاعتبار اجتنِ العواطف المذكورة انفًا ثم اعتبر خلايق اخر ذات حيوة

اشرف ندعى الحيوة الحساسة. واشير بهذه الي حيوانات الارض وطيور السما وسمك البحر. التي يندهل عقلنا من كثرة عددها وخاصاتها العجيبة. فالبعض منها اندهلنا بعظمتها. والبعض بقوتها. وبعضها بخفتها وسرعتها. وبعضها بجمالها. والبعض بدربتها وحسن فطنتها. والحال ان هذا كله موجود في الله على نوع عجيب. ولهذا شبه تعالى في الاسفار المقدسة بالبعض من هذه الحيوانات. فيسمى احيانًا اسدًا لاجل قدرته. وتارة حملًا لاجل دعته. وتارة نسرًا لاجل ارتفاعه * اعتبر ايضًا ان الله يحتوي على كل كمالات الخلايق الناطقة. اعني بها جنس البشر والملايكة الذين قد خلقهم على صورته فخولهم حيوة روحية. ومنحهم القوة الذاكرة والفهم والارادة الاختيارية. فنراهم متصفين بصنايع رفيعة وبالعلوم والفضايل ومواهب النعمة ومناقب اخر غير هذه. التي تقتضي النتيجة ان تكون جميعها موجودة في الله الذي اشرك فيها هذه الخليقة. ولهذا قال على لسان الملك والنبي داود: العل الذي خلق العينين لا يبصر. و الذي يعلم الانسان العلم يكون في ظلمة الجهل: والذي يقدس الاخرين. لا يكون قدوسًا. والذي يمنح العظمة والاقتدار لا يكون عظيمًا مقتدرًا * فعلى موجب هذا القياس متى ما راينا سمو الكمال الذي يبلغ اليه عقل الانسان في الصنايع والعلوم وفيما هو اشرف من ذلك. فيجب علينا ان نسبح حالًا حكمة الذي هو اله الصنايع والعلوم. وهكذا اذا راينا ملكًا حكيمًا في التدبير او انسانًا متصفًا بالفضايل. فينبغي ان نرفع حالًا عقولنا الى السما ونعتبر في الله سمو هذه الفضايل لكي نباركه ونمجده لاجلها * فمما تقدم القول عنه انتج اولًا ان صورة الكمال الاولى والاعظم شرفًا هي الخالق سبحانه. الذي يجب علينا ان نجعله دايمًا بازا اعيننا لكي نمدح فيه متعجبين ما لا يمكننا ان نبلغ اليه بالاقتدا. ونقتدي بما لا يفوق على قدرتنا بالكلية. وقد يحثنا على ذلك مخلصنا بقوله: كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي هو كامل: فكانه تعالى يقول اجتهدوا في ان تكتسبوا كل الفضايل التي يمكنكم ان تكتسبوها. فيا ايها الاله الضابط الكل والقادر على كل شي الذي يمنح كل شي ما يخصه ويناسبه من الكمال امنحني الكمال الذي اوصيتني ان اكون متصفًا به لكي اكون امامك على حال

مزمور ٩٤ع٩

متى ٥ع٤٨

يرضيك وتسرّ به * اعتبر ثانيًا انه كما ان الشجرة تعرف من ثمرتها ولا يمكن ان تاتي الشجرة الجيدة الاّ باثمار جيدة. هكذا يظهر الله كماله في اعماله التي هي كلها حسنة وكاملة جدًّا. وليس اعماله الاعظم والاشرف فقط بل اصغرها وادناها ايضًا. فلنجتهد اذًا بان نماثله بذلك مجدّين في ان نكون كاملين في افعالنا كافةً الباهظة والدنيّة. فلا نصنع شيئًا الاّ كاملاً حسب قول الحكيم: كن حسن الكمال في كل اعمالك: * اعتبر ثالثًا ان الخلايق الناقصة تنحو طبعًا وتميل ميلاً غريزيًا الى الخلايق الكاملة في نوعها. فالشي البارد مثلاً يطلب النار وقس علي ذلك بقيّة الاشيا. فعلى هذا المنوال متي راينا نقايصنا فيلزمنا ان نلتجي الى مَن هو الكمال بالذات ليمنحنا ما ينقصنا: الهي قد نظرت عيناك ما كان فيَّ غير كامل: فكما اني قد اتخذت منك مهما لي من الخير. هكذا ارجو منك وحدك مهما ينقصني. كمل يارب ما قد صنعت فيَّ وامنحني الكمال المطلوب مني امين *

سيراخ ٣٣ع٢٣

مزمور ١٣٨ع١٦

التامل السادس

* في جودة الله وقداسته *

اعلم ان الخلايق تكون جيدة علي نوعين. النوع الاول هو جودة طبيعيّة. وهذه تتوقف على ان الشي يكون متصفًا بكلما يقتضيه كمال طبيعته كما نرى في الكتاب المقدس: ان الله راى كل ما فعل فاذا هو حسن جدًّا: اما النوع الثاني فهو جودة ادبيّة وتخصّ الخليقة الناطقة وتتوقف علي ان تكون متصفة بكل الفضايل المناسبة لدرجتها وحالها. ولعمري ان هذا النوع الثاني من الجودة التي تدعى قداسة يمكن ان يكون مفترقًا من الجودة الاولى في الملايكة والبشر بما انها متعلقة باختيارهم. اما في الخالق فلمن المستحيل ان تفترق الجودة الاولى من الثانية لسبب ان هاتين الجودتين هما ضروريتان له تعالى جوهريًا. الاّ ان هذا لا يمنع الله عن انه يكون حرًا في كلما يفعله لخير خلايقه. وقد نعتبر هاتين الجودتين في هذا التامل نظرًا الى ما قررناه فيما تقدم *

تكوين ١ع٣١

الجزء الاول

تامل اولاً ان الجودة الالهيّة هي غير متناهية وتتضمن ثلثة اشيا. فاولاً تتضمن كل انواع الجودة الموجودة في الخلايق وكل درجاتها. ولهذا لما طلب موسي من الله ان يريه وجهه اجابه قايلاً: انا اريك كل خير: فكانه تعالى يقول عن ذاته انني انا هو الخير الاعظم الحاوي بقية الخيرات كلها. ولقد يجب ان تعتبر هذا الامر وهو ان الجوهر الالهي يقتضي ذاك ضرورةً. فكلما لله من الخير لا يستمدّه من غيره على ان كمالاته تعالى ليست هي مناقب يمكن ان يكتسبها ويفقدها كما نكتسب نحن ملكاتنا الصالحة. وقد يخص الله وحده ان يكون صالحًا وان يكون الهًا. ولذلك لما اتى ذلك الرجل الشريف الى سيدنا يسوع المسيح ودعاه صالحًا مع انه لم يكن يحسبه سوى انسان بسيط. قال له السيد: لماذا تدعوني صالحًا ان واحدًا هو صالح. الله: وذلك لانه هو الصلاح بالذات وان الصلاح هو شي طبيعي له. ثم ان صلاح الله وقداسته يفوقان صلاح الخلايق وقداستهم فوقًا هذا حدهُ. حتى ان اكملها بالنسبة اليه تعالى لا تظهر سوى مفعمة نقايص. وبحسب هذا المعنى يلزمنا ان نفهم قول السيد المتقدم ذكره اعني قوله ليس صالح سوى الله. وكلام صموئيل النبي: ليس قدوس مثل الرب ولا احد غيرك قدوس: اي انه ليس احدٌ يشبه الله في القداسة ولا يحق لغيره تعالى ان يدعى قدوسًا. لانه ما من احد غير الله يبلغ بالكليّة ويملك كلما يتضمنه ويعنيه هذا الاسم. وهذا هو الشيّ الذي من اجله يلتحف بشعار الاتضاع والخجل اعظم القديسين امامه تعالى. وقد يتاسس اتضاعهم هذا على مبدأين. اولهما ان كلما في الانسان من الصلاح لم يكن يمتلكه عند ولوده وهو امرٌ ممكنٌ وسهلٌ جدًا ان يفقده. ثانيهما ان صلاحه ليس هو بشي بازآ القداسة الغير المخلوقة. ولهذا لما تكلم احد اصدقا ايوب عن قداسة الملايكة بالنسبة الى الله قال: انه ليس بقديسيه احدٌ غير قابل التغيير والسما ليست بطاهرة قدامه ❊

اعتبر اخيرًا ان كل فضايل الانسان ليست هي شيًا اخر سوى جداول صغيرة نازلة من الفضايل الالهيّة كانها من نبع غير متناهٍ. ولهذا سبيلنا ان نلتجي الى

خروج ٣٣ع١٩

متى ١٩ع١٨

ملوك ١ ٢ع٢

ايوب ١٥ع١٥

مَن هو ابو الانوار والانعام لكي يرسم فينا صورتهُ معترفين امامهُ تعالى انهُ وحدهُ يستطيع ان يصدر فينا الفضايل ويحفظها وينميها . اذ كان هو وحدهُ ملك الفضايل واله الايمان والمخافة والرجا والعفة والاتضاع والطاعة . وعلي الخصوص المحبة والمواهب المقترنة بها . واذ كان سبحانهُ يفتخر بهذا الاسم فيجب علينا ان نذكرهُ لهُ تعالى في محل صلواتنا . لكي ننال منهُ باوفر سهولةٍ كلما ينقصنا من الفضايل قايلين لهُ مع النبي والملك داود : ياالٰه الفضايل اردُدنا واضئ بوجهك علينا فنخلص : امنحنا يارب الفضايل التي لها تملك علي الصديقين لتكون متملكةً علينا تملكاً مطلقاً ابداً *

مزمور ٨٤ ع ٩

❁ الجزء الثاني ❁

تامل ثانياً قداسة الله في اعمالهِ وحسن نقاوتها ففي ذلك يظهر العدل الحقيقي . وهذا قد جعلهُ النبي متوقفاً علي شيئين اي علي ان يحاد عن الشر ويصنع الخير . فاعتبر اولاً ان فضايل الله لنقية بهذا المقدار حتي انهُ لايشوبها ادنى نقص . علي انهُ في الله تعالي لاتوجد رذيلة ما او خطية وهو من المستحيل ان يدركهُ اثم او زلة . لامن قبل الجهل حيث انهُ يعلم كل شي . ولامن نقص القوة الذاكرة او من قبل التغاضي . اذ انهُ لاينسى شيئاً . ولا بعدم القوة اذ كل شي سهل لهُ . ولا بطريق الخوف لانهُ لايخاف من احدٍ . ولا من قبل الخبث اذ هو القداسة بالذات وقياس كل بر وعدل . ومن ثم لايوجد فيهِ غشٌ ولا كذبٌ ولا حقدٌ ومقتٌ ولا ظلم ولا نقص ولو مهما كان يسيرًا لانهُ : عيناهُ نقية لاتقدر ان تنظر الاثم لا بعين الغضب والاستكراه : وليس انهُ تعالى لايمكنهُ ان يخطي بذاتهِ فقط . بل هو من الممتنع ان يكون سبباً لاحد علي نوع من الانواع لان يخطي ادنى خطاء . ولهذا وان كان قادرًا علي ان يرتدي بناسوتنا ويكابد كل بلايا حياتنا . فمع هذا لا يمكن ان يكون مع هذا الجسد الفاسد القابل الموت قابلاً لان يخطي * وقد ينتج من ذلك ان قداستهُ تبارك اسمهُ ترافق كل اعمالهِ وان فضايلهُ ليست هي بطالة بل تشترك في كلما يصنع . وهذا فحوى ما قال النبي : الرب صادق في كل اقوالهِ الرب عادل في جميع طرقهِ : اللهم انك لقد انتخبتنا لنكون قداماك

حبقوق ١ ع ١٣

مزمور ١٤٤ ع ١٣

اطهاراً: واوصيتنا بالأ نجس انفسنا ليلا نكون ارجاساً. وقلت كونوا مقدسين لاني قدوس؛ فقدس نفوسنا يارب ونقها من كل ادران الخطية وزينها بجميع الفضايل. وعلي المتامل ان يحث نفسه لهذا الاعتبار على الفرار من الخطية حتى من التي هي عرضية. بل من ادنى النقايص ايضاً علي قدر ما يمكننا لنتمم ما امرنا الله به بقوله: كن كاملا وبغير عيب قدام الرب الهك: ثم اعزم واقصد قصداً ثابتاً متيناً انك منذ الآن فصاعداً لا تجعل مجدك وسعادتك في الكرامات العالمية والمناقب الفانية والمواهب الطبيعية. بل في الفضيلة والقداسة لا غير ٭

احبار ١١: ٤٣

تثنية ١٨: ١٣

التامل السابع

٭ في ميل الله الطبيعي الذي يميل به الى اشراك خلايقه بذاته لاسيما البشر. وفي كثرة الانواع التي يشركنا بها مع ذاته بواسطة حسناته الينا الغير المتناهي عددها ٭

انا قد وضعنا هذا التامل اساً لبقية التاملات التي نمارسها نظراً الى احسانات الله الصادرة من جوده وصلاحه الغير المتناهي كصدور الماء من ينبوعه. على ان الله الاب من قبل الدهور كلها يشرك ابنه ضرورةً في لاهوته بطريق الفهم والتعقل وهكذا يصنع بالروح القدس بطريق المحبة. ثم بعد ذلك يفيض الله ذاته الى الخارج فيضاً اختيارياً ويهبها لخلايقه بكل نوع من الانواع الممكنة كما سنوضح ذلك في اخر هذا التامل ٭

❖ الجزء الاول ❖

اعلم اولاً ان الخير كما قال القديس ديونيسيوس يجب ذاتياً ان يمتد ويفيض ذاته خارجاً. فاذاً بمقدار ما يكون الخير عظيماً بمقدار ذلك يزداد ميله هذا الى فيض ذاته الى الخارج. وبالنتيجة انه اذ كان الله هو الخير الاعظم فمن الضرورة والالتزام الطبيعي ان يميل ميلاً لا حد له الى ان يفيض ذاته خارجاً. وقد يفعل الله ذلك علي نوع عجيب يظهر لنا به جيداً افراط حبه لنا ٭ فاعتبر اولاً ان الله اذ يفيض علينا انعامه لا يلتزم بذلك ولا يضطره شيء الى ذلك اصلاً. بل انما

يفعل معنا هكذا . لانهُ هكذا يريد ويشا اي لانهُ يحبنا ويريد ان يتبع ميله بذلك * واخيراً يفعل معنا هكذا لكي يلزمنا بان نحبهُ كما يحبنا فنقول مع النبي: اذبح لك اختيارياً واعترف لاسمك لانهُ صالح *

مزمور ٨٥٣

اعتبر ثانياً ان الله اذ يشركنا في ذاته لا يفعل ذلك لفايدته بل لنفعنا فقط . اذ انهُ تعالى لا يربح بهذا شياً وقبل انشا العالم لم يكن اقل غني وسعادة مما هو الان . وقد اشار الي ذلك داود الملك والنبي بقوله : انت الهي لست تحتاج الى حسناتي : ثم لكي يشير الى الفايدة الجزيلة الواصلة اليهِ من هذا الاعتبار استتلي قايلاً : عظم كل مرضاتي في قديسيهِ الذين في ارضهِ : فكانهُ يقول الهي اني وان كنت لا استطيع ان اسديك خيراً مفيداً لذاتك بواسطة اعمالي . الا اني اتعزي بهذا وهو ان اشواقي جميعها تنجذب الي ان اصنع خيراً مع عبيدك فانفعهم وافيدهم . وبخدمتي هذه لهم ارد مكافاة الجميل لعزتك واظهر حسن المعروف لجودك عما انعمت عليّ باحساناتك الكثيرة يا ايها الخير الوحيد والاعظم المايل الي فيض ذاتك ميلاً كلياً . لسبب انهُ دون فيضك هذا لا يوجد خارجاً عنك خير البته . فعلمني يارب وصيرني بنعمتك ان افعل لاجل القريب ما تفعله انت لاجلي اجعلني يارب ان احبك واخدمك واطيعك لا اضطراراً ولا بطريق الخوف . بل برغبة قلب وبطريق المحبة لا من اجل منفعتي بل من اجل مجدك . واخصّ لك ذاتي اختصاصاً كلياً كما وهبتني انت ذاتك بالكلية *

مزمور ٢٤١٥

❁ الجزء الثاني ❁

تامل ثانياً الانواع المختلفة التي بها يشرك الله الخلايق في ذاته . وتذكّر انهُ تعالى لما هيا الكون فانهُ يقسم بينها الدرجات الاربع من الكمال والجودة الطبيعيّة التي ذكرناها في التامل الخامس . فالبعض من الخلايق يمنحها كوناً مادياً بسيطاً الا انه جلت قدرته يزينها بخاصات متنوعة كما نري في السما والعناصر . فيهب بعضاً من الخلايق حيوة نامية كما نرى في الاشجار . وبعضاً يمنحها حيوة حساسة كما نرى في الحيوانات . واخيراً يمنح البعض من الخلايق حيوة ناطقة كما نرى في الملايكة . الا انه تبارك اسمهُ يجمع هذا كله في الانسان المركب من جسد

ونفس روحية. لانهُ يهبهُ كوناً بسيطاً كالذى للسما والعناصر. وحيوة نامية كالتي للاشجار. وحيوة حساسة كالتي للحيوانات. وحيوة ناطقة كالتي للمليكة. فمن هذا الاعتبار اجتني عواطف التعجب والفرح والمعروف والمحبة. فتعجب من حكمة الله وافرح من سمو قدرتهِ. واشكر جزيل سخايهِ في احساناتهِ. واحبب جوده فوق كل شي وقل نحوهُ هكذا ايها الجود الالهي الغير الموصوف كيف اشكرك كما يجب عليّ لما زينت بهِ طبيعتنا من الكمالات المختلفة حقاً انهُ بكل وجهٍ من الصواب والعدل اوصيتنا بان نحبك من كل قلبنا ومن كل نفسنا ومن كل قوتنا ومن كل روحنا. علي انهُ لمن الواجب ان نستعمل في عبادتك وحبك كلما اتخذناه من جودك. فها انني منذ الان احبك من كل قلبي لانك تفضلت عليّ بالوجود. ومن كل نفسي لانك وهبتني الحيوة. ومن كل قوتي لانك انعمت عليّ بحواس وقوى جسمية. ومن كل روحي لانك شرفتني بنفس ناطقة روحيّة *

❁ الجزء الثالث ❁

تامل ثالثاً ان الجود الالهي اخترع اربعة انواع اخر اشرف مما تقدم وبها اشركنا تعالي في ذاتهِ * فاولاً اشركنا الله بذاتهِ بواسطة النعمة التى تصير الانسان والملاك ابنا الله وشركا الطبع الالهي: ثانياً بواسطة نور المجد السماوي الذي يجعل الصديقين شبيهين بالله الذي يشركهم في سعادتهِ فيملكون معهُ تعالى فى السما الى ابد الدهور * ثالثاً بواسطة الاتحاد الاقنومي الذي قد صار بهِ ناسوت سيدنا يسوع المسيح مع الاقنوم الثاني الالهي اقنوماً واحداً. وقد يجوز لنا ان نقول انهُ لو لزم الامر لكانا الاقنومان الاخران. اعني بهما الاب والروح القدس اتحدا ايضاً مع طبيعة ما مخلوقة اتحاداً اقنومياً بل ان الابن ايضاً كان اتحد مع طبايع كثيرة لو كان ذلك ضرورياً واجباً. وهذا لفرط ما يرغب الثالوث الاقدس ان يشرك خلايقهُ في ذاتهِ * رابعاً بواسطة سر القربان المقدس. ولعمري ان هذه الواسطة لعجيبة جداً واغرب ما يكون. علي انهُ لسبب انهُ لم يكن لايقاً ان يتحد ابن الله مع طبايع كثيرة اتحاداً اقنومياً. اخترعت محبتهُ لنا واسطة يشرك بها كلاً منا في لاهوتهِ وناسوتهِ. وهي سر القربان المقدس الذي بهِ يهب لنا ذاتهِ

بطرس ٢ ١:٤

بالكلية علي نوع عجيب تحت اعراض الخبز والخمر. فاعتبر هنا ان الجود الالهى
بهاتين الواسطتين الاخيرتين وهب ذاته للانسان فقط لا للملكة ليرينا: ان
تنعمه هو بالتردد مع بني البشر: وانه بعد ما خلقهم كلهم على صورته اراد ايضاً
ان يكون واحد منهم الهاً نظيره * فياله من جود غير مدرك كيف يمكنني ان
اكافيك يا الهى عن كلما اعطيتنيه. فان كنت انا ملتزماً بان احبك فوق كل شي
لاجل مجرد المواهب الطبيعية التي انعمت بها عليَّ. فباية محبة يجب عليَّ ان
احبك لاجل ما زدت به على ذلك من الانعام الفايقة الطبيعة *

التامل الثامن

* في كم مقدار ما ان الجودة الالهية محبوبة وكم يجب علينا ان نحبها وذلك لاجل مجرد ذاتها ولاجل
الخيرات الكثيرة العظيمة التي نستمدها من قبلها ولاجل العذوبة الموجودة فيها *

اعلم انه يخص الجودة طبعاً ان تكون محبوبة. ومن ثمَّ قالت ايمة الفلاسفة فى
تعريفهم الجودة انه شيء يحبه الجميع ويتوقونه. على انه طبعاً يغري الارادة
والشهوة على حبه وطلبه. والحال ان الجودة الالهية هى محبوبة لاجل ثلثة
اسباب. اولاً لاجل مجرد ذاتها. ثانياً لاجل الخيرات التي تاتينا من قبلها. ثالثاً
لاجل ما يوجد فيها من العذوبة التي يشعر بها من يحبها *

الجزء الاول

فاعتبر اولاً ان الجودة الالهية هى محبوبة بمقدار لا حد له ولا قياس. علي انه بمقدار
ما يكون الشي بهياً كاملاً بمقدار ذلك يكون محبوباً. وبالنتيجة ان الجودة الغير
المتناهية المقترنة ببهاء نظيرها. فانها تكون محبوبة بذاتها علي نوع لا يدرك ولا
يقدر. فينتج من ذلك اولاً ان الله وحده الذي يستطيع ان يحب جودته بمقدار
ما تستحق من المحبة. لانه وحده يقدر ان يحبها حباً غير محدود. ولقد يجب علينا
ان نفرح من ان الاب والابن والروح القدس يحبون جودتهم بمحبة مساوية لها.
ومن ان البشر والملكة لا يقدرون ان يحبوها بمقدار ما تستحق * فلنندهش من
هذه الجودة الالهية ولنظهر لها حبنا واكرامنا. معترفين اننا ولو مهما اجتهدنا

في حبها فلا يمكننا ان نحبها كما يجب. الهي مَن يعطيني ان احبك بكلما يحق لك من المحبّة مَن يعطيني قلباً يحبك بمحبّة غير متناهية. مَن يجعلني قلما يكون ان احبك مثل العروس المقدسة فاكون ضعيفاً من زيادة محبتي لك وغاشياً من افراط شوقي لحبك ومن شدة حزني علي عدم امكاني لان احبك كما يشتهي قلبي * ينتج ثانياً انهُ يلزمنا ان نحب الله افضل من نفوسنا ومن كافة الاشيا المحبوبة اكثر حباً في العالم. وان نحبهُ بكل المحبّة التي يمكننا ان نحبهُ بها. لانهُ وان كان من المحال ان نحبهُ بمقدار ما يستحق. لأانهُ يجب علينا قلما يكون ان نحبهُ بمقدار ما يمكننا وهذا هو الذي يامرنا بهِ تعالى بقولهِ: حبّ الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك *

تثنيه ٦ع٥

الجزء الثاني

تامل ثانياً ان الجودة الالهيّة هي محبوبة جداً لا نظراً الى مجرد ذاتها فقط. بل لاجل حسناتها الينا ايضاً. فردد في عقلك الخيرات الطبيعيّة والزمنيّة التي نلتها من كرمهِ تعالى. فان كانت جزيلة غير متعددة فالحجج التي تلزمك بمحبتهِ لا عدد لها. فاذ تنال من جودهِ خيراً ما يجب عليك كما قال احد معلمي السيرة الروحيّة ان تصور في عقلك ان الله حينئذٍ يقول لك خُذ وردّ. او ما يقولهُ الحكيم في السفر الالهي: اعطي وخذ وبرر نفسك: فكانهُ يقول اقتبل من الله الخير المقدم لك منهُ وهبهُ قلبك. اقتبل انعامهُ وردّ لهُ الشكر عن ذلك. واذ يمليك من حسناتهِ فقلما يكون اظهر لهُ محبتك وكافي افضالهُ بمعروفك. وبهذا تتمم ما انت ملتزم بهِ وهكذا تقدس نفسك وتخلصها * فانصتي يا نفسي مصغيّة لصوت جميع الخلايق كما يشير اليك الحكيم بقولهِ: لا تكن يدك منبسطة للتناول ومنقبضة عن العطا: علي انهُ ان كانت يد الرب مفتوحة دايماً لتملاكِ خيراً. اليس هو من الواجب ان تفتحي قلبك لتحبيه وفمك لتباركيه وايديك لتظهري لهُ معروفك بافعالك الصالحة * اعتبر ثانياً ما اكثر ما تكون جودة الله محبوبة لاجل خيرات النعمة والمجد السماوي التي ينعم بها علينا في هذه الحيوة والحيوة العتيدة. وعلي الخصوص اعتبر تجسد الالهي الذي افرغ بهِ بنوع من الانواع كل كنوز جودهِ وصلاحهِ ليرينا بذلك افراط حبهِ لنا * الهي ونصيبي الى الابد ماذا اتكلم بهِ عن جودك هذا

سيراخ ١٤ع١٦

سيرخ ٤ع٣٦

العجيب . وما الذى اصنعهُ عوضاً وجزاءً عما صنعتَ انتَ لاجلي من الخيرات .
فان كنتُ انا ملتزماً باني اخدمك لسبب الخيرات الزمنيّة التي اكثرتها عليَّ .
فما اكثر ما التزم الان بذلك بعد ان اذخرتَ لي خيرات جسيمة ابدية . وان كنتُ
انا عاجزاً عن اني احبك كما يجب لاجل انك وهبتني ما هو خارج عنك . فباية محبّة
يجب عليّ ان احبك الان بعد ما وهبتني ذاتك بالكليّة . فامنحني يارب قلباً
جديداً ونفساً جديدةً لكي احبك بمحبة جديدةٍ اشد من الاولى *

الجزء الثالث

تامل ثالثاً ان الجودة الالهيّة محبوبة جداً لاجل العذوبة الواصلة من قبلها للذين
يحبونها . على ان كل السرور والفرح الذى نحوزهُ في هذه الحيوة فانهُ انما ياتينا من
قبل الجودة الالهيّة . حتى انهُ لا يوجد شيء يستطيع ان يبهج حواسنا وقوانا الباطنة
الا بواسطة ما وضع الله فيهِ من البها والبهجة . ومن ثمّ لا تستطيع النفس ان تحصل
على سرورٍ غير الذي ياتيها من قبل الله . لانهُ تعالى ولو انهُ يهبنا سروراً ما
بواسطة الخلائق . فانهُ مع هذا يقدر ان يفعل بذاتهِ ما يعملهُ بواسطتها وافضل
منها كثيراً جداً . وعلى هذا قد تاسس وعد العظيم الذي وعد بهِ انهُ سيعطي مائة
ضعف لكل الذين يتركون لاجلهِ وحباً بهِ خيراً ما يسرون بهِ . لانهُ لمن المحقق
ان السرور الذي يجدونهُ في ترك غناهم وخيراتهم الزمنيّة هو اعظم من
ذلك السرور الذي كانوا يجدونهُ في امتلاك هذه الخيرات *

اعتبر ايضاً ان جودة الله لمحبوبة جداً لاجل انهُ يحب مخاطبتنا والتردد معنا . وقد
شهد تعالى لذلك بقوله العزيز : اني اسرّ في العالم وتنعمي هو التردد مع بني البشر : (امثال ٣١٨)
ومن ثمّ يريد الله منا ان نجعل سرورنا وتنعمنا في خدمتهِ ومفاوضتهِ . ولهذا قال
النبي والملك : هللوا لله كل الارض اعبدوا الرب بالفرح وادخلوا قدامهُ بالتهليل : (مزمور ٩٩ ٢)
فبهذه الاعتبارات نبّهِ نفسك وحثها على ان تحب جودة الله وتبتهج فيهِ وحدهُ .
اذ انهُ لا يمكنها ان تجد خارجاً عنهُ سعادة ما حقيقيّة . فلماذا تبتغين يا نفسي
سروراً كاذباً في الخلائق وقد يمكنك ان تجدي في خالقها سروراً حقيقياً راهناً .
فابتهجي بالرب وبخدمتهِ وكلما تفعلينهُ لاجلهِ فافعليهِ بابتهاج كلي . لان كل شي

يصنعهُ الله لاجلك فانهُ يعملهُ بابتهاج وسرور غير متناهٍ . فدمي لهُ خيراتك لابحزن واضطرار بل بسرور: لانهُ يحب من يعطي بفرح ويجازيه دائماً بماية ضعف: احبي وارعي المفاوضة معهُ: لان التصرف معهُ ليست فيهِ مرارة ولا ضجر في العيش معهُ بل سرور وفرح: ثم نوحي اخيراً علي غباوة الذين يجعلون سرورهم وسعادتهم في اللذات الدنسة القبيحة ويفضلون تنعم الارض علي الافراح السماوية ❊

قرنتيه ٢ ٧:٩
حكمه ٨:١٦

التامل التاسع

❊ في محبة الله الغير المتناهية ❊

اعلم ان المحبة هي سرورٌ ما بالخير الذي يناسب المحب وهي منقسمة الي ثلثة انواع . فالنوع الاول هو حب خير الغير وبهِ نفرح مما حصل من الخير للغير امّا نشتهي ان يحصل لهُ ❊ النوع الثاني يسمي حب الشهوة او حب مقترن بطلب الفايدة . وبهِ نحب شيئاً ما لاجل انهُ مفيد لنا او لغيرنا كحب الانسان الفضة والكرامة وما يضاهي ذلك ❊ النوع الثالث هو الحب الحقيقي الكامل الذي يتحد بهِ اثنان بمحبة مترددة معروفة منهما لايقصد احدهما بها سوى خير الاخر المحبوب منهُ . فان كان الخير المقصود خيراً فايقاً علي الطبيعة فيدعي هذا الحب محبة فايقة . ومن هذه الثلثة الانواع من الحب يتلد حب اخر وبهِ يجتهد المحب في ان يصنع خيراً مع الشخص المحبوب منهُ . فلنعتبر هذا جميعهُ في محبة الله الغير المتناهية نحو ذاتهِ وخلايقهِ لاسيما نحو البشر وباوفر اختصاص نحو الصديقين . ولعمري اننا قد ذكرنا اشيا كثيرة تخص المحبة الالهيّة مما انها تلايم جودته تعالي ❊

❊ الجزء الاول ❊

تامل اولاً ان الله يحب ذاتهُ بمحبة غير متناهية . لانهُ هو في ذاتهِ محبوبٌ علي نوع غير متناهٍ . وذلك لانه من حيث ان جودته تعالي ومحبته ذاته هما شيان ضروريان لهُ طبعاً . فمن ثمَّ يلتزم بالسرور في كمالاتهِ اي حكمتهِ وقدرتهِ وغير ذلك من صفاتهِ الالهيّة . ولعمري ان حب الله ذاته لمن الصواب وجزيل القداسة .

و يحق لجودته وقداسته و بهاية الغير المحدود ۞ ثم اعتبر انه ليوجد في الله حب حقيقي وتام في الغاية. لانه فيما بين الاقانيم الالهية الثلثة قد يوجد علي الوجه التام كلما يجعل المحبة كاملة. اعني به التساوي بين الاقانيم واتحاد الارادة والاشتراك المتردد. واستعداد ما باطن الذى من شانه ان يصير المحب ان يشتهي كل خير لصاحبه و يشركه في كل ماله. و يبتهج و يسر بالمفاوضة معه و يكشف له جميع اسراره. و يحبه بمحبة ثابتة راهنة. ولا يجب هذه المحبة الا القليلين. وهذا جميعه نراه في الثالوث الاقدس كما قلنا انفا. على ان الاب والابن والروح القدس هم متساوون على اتم الوجوه ولهم جوهر واحد وارادة واحدة. وكل شي مشترك فيما بينهم ولا يوجد بينهم سر ما محجوب. و محبتهم بعضهم بعضاً ليس لها ابتدا ولا يكون لها انتها وهي محتوية محدودة بين ثلثة اقانيم لايمكن ان تتصل الى اكثر من ذلك. ومن شان هذا الاعتبار ان يعطفنا الى الابتهاج بالله والاتكال عليه. لانه اولاً يجب علينا ان نفرح في ان الله يحب ذاته بمقدار ما يستحق ان يحب. وفي ان الجودة والحب هما في الله متساويان حتي ان هذا الحب لايمكن ان يكون لموضوعه جودة اعظم من هذه الجودة. ولا لهذه الجودة ان تحب بحب اعظم من هذه المحبة. وبالنتيجة ان من يحب الله يضطر بان يبتهج بهذه غاية الابتهاج. وليس هذا فقط بل ينبغي ان يقوى بهذا الاعتبار اتكاله علي الله فيرجوه جلت رحمته انه يستجيب لنا دايماً. لسبب انه يحب ذاته علي الدوام وهذا الحب يحثه على ان يريد لنا ويصنع بنا خيراً. لانه ان كانت المحبة للمسيح كنخز يسوقنا الى مساعدة القريب. فكم بالحري محبة الله الغير المتناهية لجودته تحثه على مساعدتنا. وهذا سنتامله في الاجزاء الاتية ۞

الجزء الثاني

تامل ثانياً افراط محبة الله نحو خلايقه واعقل جيداً كل خواص هذه المحبة. فاعلم ان الله كما قال مارى توما اللاهوتي لايحب نظيرنا حيث ان حبنا يقتضي ان يوجد في موضوعه مايصيره محبوباً. اما حب الله فبخلاف ذلك لانه هو يصدر في موضوعه ما يجعله محبوباً. وبالنتيجة ان الارادة في فعل الخير وفعله هما شي

واحد نظراً الى الله * فحينما ابتدأ الباري ان يحب خلايقه اراد حالاً ان يصنع لها خيراً . وهذه الارادة الصالحة كملت بالفعل في حينها ولهذا قال داود : نجاني لانهُ ارادني واحبني : وقد يجوز لكل منا ان يقول نظيرهُ هكذا . ان الله خلقني على صورته ومنحني هذا الجسد وهذه النفس لانهُ احبني . وهكذا الان فانه يحفظني ويرشدني ويحسن اليَّ لانه يحبني واذ يريد لي خيراً يفعله بي حالاً . اما الخير الذي يصنعهُ بي فانهُ هو نعمة محضة لا يسوقه الى منحها سوى محبته . وهذا فحوى ما قالهُ النبي : احبهم لاني اريد ان احبهم : فاشكرك يارب على محبتك هذه العجيبة نحو خلايقك لا سيما نحوي . واعترف انهُ لا يمكنني ان احبك كما تحبني انت . على انني وان كنتُ قادراً على ان اريد لك خيراً الا اني لستُ استطيع ان افعلهُ بك اذ ليس لي شي لا يوجد عندك . الا اني مع هذا اقدم لك ما اقتبلته منك واشكرك دايماً على حسناتك . والذي لا اقدر ان اقدمهُ لك فاني اعطيه لعبيدك حباً بك * ثم اعتبر ان محبة الله نحو الانسان تفوق محبته نحو بقية الخلايق المنظورة . على ان التشابه يلد المحبة ولقد تزداد المحبة بمقدار ازدياد التشابه . لان الذين يوجد بينهم هذا التشابه فيكونوا على نوع من الانواع شيئاً واحداً وهذا يصيرهم ان يريدوا الخير بعضهم لبعض . ولهذا السبب يحب الله الانسان بمحبة خصوصية لانه لا يرى في بقية خلايقه ما يشبهه الا شبهاً خفيفاً جداً . اما في الانسان فانهُ يرى صورته صورة حية قابلة لمحبته ولذلك خلق لاجله بقية الخلايق ولو كان تعالى وحده هو غايتها القصوى . فان كان كل حيوان يحب نظيره وان كانت الاشيا المتشابهة تطلب بعضها بعضاً . فما الرغبة التي لها يجب علينا ان نطلب الله ونلتصق بمن احب ان يرسم فينا صورته * اعتبر ايضاً ان الله لا يحب الخلايق المنظورة على نحو ما يحب الانسان . لانه تعالى لا يحبها بمحبة حقيقية بل بمحبة الشهوة . لا كانه تعالى يشتهي لذاته ما لها من الخير اذ ليس هو محتاجاً الى شيء بل لانهُ يريد ان تكون في خدمة الانسان ومساعدته . على انه من حيث ان تلك الخلايق ليست تقدر ان تمدح الله وتشكرهُ على ما صنع فيها من الخير . فمن ثمَّ اخضعها لخليقة ناطقة اعني لها الانسان ليفعل هو ما لا يمكن

مزمور ١٧ع٢٠

هوشع ١٤ع٥

ان تفعلها . واذا راى ما يحصل له من الخير من قبلها يمدح خالقها على ذلك ويشكره * فمن ذا لا يتعجب من تدبير الله فلنعجبن اذًا قايلين مع النبي والملك داود : من هو الانسان انك تذكره او ابن الانسان انك تفتقده بالمجد والكرامة كللته وعلى اعمال يديك اقمته وكلاًّ اخضعت تحت قدميه فيا الها الرب ربنا ما اعجب اسمك في الارض كلها : لا ان اسمك ليس هو عجيبًا فقط لكنه محبوبٌ ايضًا . لان هذه المعجزات التي صنعتها لمنفعة الانسان ليست هي شيًا اخر سوى افعال جودتك لتريناما اكثر ما انت محبوبٌ وما اكثر ما نحن ملتزمون بمحبتك . فان كنت انت لا تحب بقية الخلايق المنظورة الا نظرًا الى الانسان وحبًا به . اما انى يلزمنا نحن الا نحبها الا نظرًا اليك والا نستخدمها الا لخدمتك ولتمجيد اسمك * اعترف لك يارب ان الحجج التى تلزمني بمحبتك غير متعددة . فياليتني استطيع ان احبك بقلوب غير متعددة . ليتني اوجد في كل مكان لكي اسبحك واشكرك على ما صنعت من المعجزات لاجلنا وعلى ما انعمت به من الحسنات في كل مكان *

مزمور ٨ عدد ٥ و ٦ و ٩

الجزء الثالث

تامل ثالثًا ان الله يحب جميع خلايقه وقد شهد بذلك الكتاب المقدس بقوله : انك تحب كل الموجودات ولا تبغض شيًا مما خلقته وكيف كان يمكن لشيءٍ ان يثبت على الوجود لو لم تشا انت : نعم ان الله يبغض الخطية حتى الخاطي ايضًا بحسبما هو خاطي . الا انه جلت رحمته لا يبغض شخصه ولا المناقب الجيدة التي احسن بها اليه بل انه تعالى يحب الخاطي مع انه كافر بالجميل وعديم المعروف . ويعتبره كعمل يديه ويحسن اليه بالوزنات والمواهب الطبيعية بمقدار تلك التي منحها للذين يظهرون له افضل معروفًا . ومن هنا اتخذ لك نصيحتين جزيلتي الاعتبار * النصيحة الاولى اتخذ لك حجةً من تلك المواهب الطبيعية لتميل الله بها الى ان يعاملك برحمةٍ فيصلح على الذي اتلفته بخطاياك وقل مع ايوب الصديق : يداك صنعتاني وجبلتاني ومن بعد ذلك كيف تزدلني وتغرقني : الهي وخالقي لا تسمح بان اسقط بخطية استحق لاجلها ان تلقيني في جهنم .

حكمه ١١ عدد ٢٥

ايوب ١٠ عدد ٨

انقض في عمل الخطيئة الذي يغيظك واحسن في عمل يديك * النصيحة الثانية احذر من انك تبغض شيًا من الاشيا التي يحبها الله. فان اضطهدك احد فيجوز لك ان تبغض خبثه لا شخصه وينبغي ان تحبه كما يحبه الله. وان تشتهي له خيرًا نظير ما يشتهي الله له ذلك وتذكر كلام المسيح القايل: احبوا اعداكم واحسنوا الى من يبغضكم لكيما تكونوا بني ابيكم السماوي الذي يشرق شمسه على الاخيار والاشرار: اقتدين بمثاله تعالى الذي لا يصنع شيًا الا بصحبة المحبة لانه تعالى لا يقصد ولا يفعل شيًا بغيظ. وذلك لانه كما قال القديس ديونيسيوس ان المحبة هي علة كل افعال المحب. فمارس انت كل اعمالك بالمحبة التي بدونها لست انت بشيء ولا تستحق شيًا *

متي ٥ و٤٤

الجزء الرابع

تامل رابعًا كم مقدار ما يحب الله الانسان. وكيف انه تعالى على قدر الامكان يحسن فيما بينه وبينه المصاحبة والمحبة الحقيقية. فلنفحص عن الشروط اللازمة لقيام المحبة الكاملة * الشرط الاول هو ان يكون المحبون متساوين على نوع ما. ولهذا قال القديس ايرونيموس ان المحبة اذا لم تجد المحبين متساوين فهي نفسها تصيرهم متساوين. ومن ثمّ اذا كان المحب متساميًا جدًّا فوق المحبوب منه يبذل جهده في ان يرفعه ويقربه اليه. فهذا عينه تفعله محبة الله نحو البشر. على انه تعالى لمعرفته البعد الشاسع الذي بين طبيعته الالاهية والطبيعة الانسانية. يرقينا الى حال متسامية جدًّا على الاشيا الطبيعية ليصيرنا اهلًا لمحبته على نوع ما. ولاجل هذا الغرض: وهب لنا المواعيد العظيمة حتي نكون بها شركا الطبع الالاهي: وصيرنا مشابهين له على اسمى وجه واكمل ما يمكن ان تصل اليه الخليقة في هذه الحيوة * على انه تعالى لم يكتف بان يجعلنا اصحابه واصدقاه الاعزا. بل اراد ان نكون له بنين بالذخيرة وارثين ملكه مشتركين في سعادته. بل انه قد دعانا ملوكًا والهة واحب ان يدعى هو ختن نفوسنا. وعلى هذا النحو يدخل خلايق دنية في شركة المحبة التي بها تتحد الاقانيم الالاهية الثلثة في جوهر واحد. ولانه لا يمكن ان يتنازل الله الى انه يجعل بينه وبيننا تساويًا حقيقيًا.

بطرس ٢ ١ و٤

رامران يغني عن ذلك يعذوبة تصرفه معنا على انهُ يعاملنا بدالة مذهلة. حتى كانهُ بذلك يكون قد نسي عظمتهُ الغير المتناهية كما يتضح ذلك في سفر الانشاد حيث يسمي النفس العابدة اختهُ وعروسه. ويشرفها بكل مديح قد سبحتهُ بهِ قبلاً * اللهمَّ من يقدر ان يصف عظم شرف الاحسان الذي تفضلتَ بهِ علينا. فليفتخر النبي داود بما انعمتَ عليهِ اذ منحتهُ وجوداً طبيعياً وتسلطاً مطلقاً على الخلايق السفلية. امّا نحن فلا نفتخر الاَّ بالوجود الفايق على الطبيعة الذي رفعتنا اليهِ وصيرتنا بهِ نظير الملايكة. فبالوجود الاول اي بالخلقة جعلتنا تحت الملايكة. اما بالوجود الثاني اعني بالتقديس جعلتنا مساوين اشرف الارواح السموية وشبيهين بعزتك الالهية. لكي نقدس اسمك ونمجدهُ على الارض كما تقدسهُ وتمجدهُ الملايكة في السما *

الشرط الثاني المختص للمحبة الكاملة هو ان المحب يشتهي للمحبوب منهُ الحيوة والعافية وبقية الخيرات الممكن ان يحصل عليها. ويجتهد بان يوصلهُ الى ذلك. وهذا هو الشي الذي يظهر لنا الله بهِ انهُ محبنا على انهُ حقاً يريد لنا الخير بل يصنعهُ بنا. لانهُ ما عدا الوجود الطبيعي الذي نلناهُ من جودهِ تعالى. فانهُ يمنحنا ايضاً وجوداً الهياً ويمنحنا حيوة الابد وخيرات اخر لا يحصى عددها. حتى انهُ يسوغ لهُ تعالى ان يقول نحونا: كل شيءٍ لي فهو لك: لانهُ تبارك اسمهُ وجلّ سخاوهُ يعطينا كماله ويشركنا في جميع خيراتهِ. فيا ايها الاله المحب والمحبوب ما احسن ما تكمل شروط المحبة. اما انا فكيف يمكنني ان اتممها اذ ليس لي شي استطيع ان اقدمهُ لكرمك: هوذا الكل منك والذي وهبناهُ لك قد اقتبلناهُ من يدك: فها انا منذ الان فصاعداً اتعرى من ارادتي الذاتية وحبي الذاتي. واريد ان يكونا شيين مشتركين بيني وبينك. فلا اريد شيئاً سوى ما تريد انت ايضاً ولا احب سوى ما تحبه سيادتك *

لوقا ١٥ع ٣١

ايام ا ٢٩ع ١٤

الشرط الثالث المختص بالمحبة الحقيقية هو اتحاد القلوب الذي بهِ يتبين ان قلبين في جسدين قد استحالا الى قلب واحد. على ان نفس المحب كما قال الفيلسوف تستقر في الموضوع المحبوب منها اكثر مما تستقر في الجسم الذي تحييه. وهذا

الذي يصير المحب ان يشتهي دوام الاستقرار مع المحبوب منهُ كما يبان في محبة الله لنا. علي انهُ جلت قدرته يحيلنا الى ذاته علي نوع عجيب بهذا المقدار. حتي ان روحه وروحنا يصيران روحًا واحدًا. ونصير لديهِ تعالى كحدقة العين. ولقد قال بفمهِ العزيز: تنعمي هو التردد مع بني البشر: وقال السيد المسيح لتلاميذه: لستُ اسميكم الان عبيدًا لان العبد لا يعلم ما يصنعه سيده. ولكنني سميتكم اصدقاء لاني اعلمتكم بكلما سمعتهُ من ابي: واخيرًا فانهُ يعدّ لاصدقائهِ منزلًا في السما وهناك يشركهم في خيراتهِ على اكمل وجه * فيا ايها الرب الالهي مَن ذا الذي كان يؤمن بافراط محبتك هذه لو لم تكن انت قد اخبرتنا عنها: مَن هو الانسان حتي تعظمه وتضع عليهِ قلبك: فتشرفه بمحبتك انعم عليَّ يا يسوع الحبيب بان يلج قلبي في قلبك ويصير اثناهما اذا امكن الامر قلبًا واحدًا. عرفني بجزيل محبتك لي لكي احبك مثلما تحبني * ولنختم هذا التامل بقصدٍ ثابت في اننا نظهر لله محبتنا له بتصرفنا مع الناس المخلوقين على صورتهِ والمحبوبين منهُ. ولنساوهم بما يفعلهُ معنا من الاحسان علي قدر ما يمكن بتنازل مسيحي. ولنشركهم في خيراتنا الجسدانية والروحانية ونتحد معهم برباط المحبة وتعطفها. ولنلتمس مصاحبتهم ومخاطبتهم لنحثهم علي محبة الله لكي يكثر بذلك اصدقا الله فيتمجد فيهم *

امثال ٨: ٣١

يوحنا ١٥: ١٤

ايوب ٧: ١٧

التامل العاشر

* في اربع خاصات اخر تنسب لمحبة الله نحو البشر وفي كيف يجب ان نقتدي بها *

اعلم ان الرسول الالهي اوضح لنا هذه الخاصات الاربع المتنسبة لمحبة الله وهي عرضها وطولها وعلوها وعمقها. فطول هذه المحبة هو دوامها الذي ما كان له ابتدا ولا يكون له انتها. وعرضها هو اتساعها المشتمل علي جميع الانام القاصدين عبادة الله. وعلوها هو افراط سمو شرف الخيرات السماوية. وعمقها هو عظم غور الاسرار المحتوية فيها *

الجزء الاول

تامل اولًا ان محبة الله نحو البشر هي ازلية. ولكي تفهم هذا جيدًا فاعلم ان الله احبَّ البشر من الازل. وليس على الوجه العام فقط بل علي الوجه الخاص ايضًا.

واراد ارادة حقيقية ان يعطي كل واحد منهم نعمته ومجده. فيسوغ اذاً لكل انسان ان يخص لذاته قوله تعالى لارميا نبيه: احببتك بمحبة ازلية: فكانهُ تبارك اسمهُ يقول ان حبي لك لقديم مساوٍ بالقدمية حبي لذاتي وقد احببتك منذ الازل. فكيف اذاً لا احب الى الابد من قد احبني منذ الازل. ليتني كنت احببته منذ ابتداء وجودي. لاني ساحبه من الان فصاعداً واحب كل زمان حياتي من قد احبني قبل كل زمانٍ. فليس صديق اميناً وصدوقاً مثل الصديق القديم. فهل يمكنني ان اجد صديقاً اقدم من الذي هو صديقي منذ الازل: لا ترفضي يانفسي صديقكِ القديم لان الجديد لا يشابهه: احذري من انك تفضلي محبة الناس على محبة الله. اعتبري ان المحبة الالهية لافضل بما لا يقدَّر من كل محبة بشرية وان الفرق بين هاتين المحبتين هو نظير الفرق الموجود بين الزمان وبين الابدية. فعلى المتامل ان يبرز مثل هذه العواطف ويمارسها فيشكر الله علي انه لم يزل يحبنا منذ الازل. ويشتهي ان يكون قد احب ربهُ من حينما امكنهُ ان يعرفهُ. وليوطد اتكاله على هذا الصديق القديم وليندم على تركه محبة الالهي ليلتصق بالخليقة. واخيراً فليقصد قصداً ثابتاً انهُ لا يفارقهُ ابداً *

اعتبر الان ان محبة الله لنا تسبق بالضرورة حبنا له تعالى. وانهُ غير ممكن ان نحبهُ الآن يكون قد تقدم فاحبنا قبلاً ولهذا قال الرسول الحبيب: فبهذا هي المحبة ليس كاننا نحن احببنا الله بل انهُ هو احبنا اولاً: فكانهُ يقول ان الله قد اظهر لنا عظم محبته لنا بما انهُ احبنا قبلما نحبهُ. على انهُ ينتج من ذلك انه تعالى اذ نظر الينا بعين المحبة. لم يعطفهُ الى ذلك لا فايدته الذاتية ولا استحقاقاتنا بل جوده الغير المتناهي لا غير. ولانهُ اراد بهذا الوجه ان يلزمنا بان نحبهُ ومن ثم استتلى الانجيلي قايلاً: فلنحب الله لان الله احبنا اولاً: اعتبر ايضاً ان محبة الله لنا هي ابدية لانها تدوم الى ابد الدهور. فكما انهُ لم يكن لها ابتداء هكذا لا يكون لها انتهاء ايضاً. الا ان تصيرنا الخطية غير اهل لها فحقاً اذاً: أن رحمة الرب هي من الدهر والى الدهر *

اعتبر اخيراً ان محبة الله لنا لا تقف عند هذه الحدود. على انهُ تعالى ولو احتقرنا محبته وحاربنا محبنا فلا يعاملنا معاملة العدو. بل يقدم لنا نعمته ومحبته جديداً

ارميا ٣:٣١

سيراخ ١٤:٩

يوحنا ١ ١٠:٤

يوحنا ١ ١٩:٤

مزمور ١٧:١٠٢

وهو مستعد على الدوام للصلح والمسالمة اذا ما رمنا نحن ان نعود اليه بالتوبة.
فصخ سمعك لما يخاطب به نفسًا خاينة: انك انت قد زنيت مع اصحابك الكثيرين
ولكن ارجعي انت اليَّ. فيا الهنا الاله الازلي اجعلني بنعمتك الالهية ان احبك كما
تحبني انت بمحبة ثابتة. فلا يفرقني شي عن محبتك لانه اي شيء يستطيع ان
يفرقني منها: اضرًّ ام ضيقٌ ام جوعٌ ام عريٌ ام خطرٌ ام طردٌ ام سيفٌ: لا يا الهي
لا يكن هذا لاني لواثقٌ ان اظفر مع محبتك بكل شيء. وان الماء الكثير لا يستطيع
ان يطفي هذه المحبة في قلبي اذا ما ثبتت انا متحدًا بقلبك. لان المحبة المضطرمة
التي في قلبك الالهي هي نارٌ تنشف وتلاشي مياه كل الاودية والانهر. فلا تسمح يا رب
ان تنزع عني الخطية محبتك هذه الابدية. وان سقطتُ انا عنها فارحمني ونجني
بنعمتك ولا تغادرني بعيدًا منك زمانًا مديدًا. بل انعم عليَّ يا رب بان المحبة التي
لا تسقط ابدًا ذاتيًا تستقر فيَّ دايمًا استقرارًا ابديًا *

الجزء الثاني

تامل ثانيًا خاصة المحبة الالهية الثانية نحو البشر وهي اتساعها واتصالها الى
جميع الناس فردًا فردًا بوجه الخصوص. على ان الله يريد حقًا ان يقبلهم كلهم
في محبته. ولا يستثني منهم احدًا الا ان يابوا هم عن ذلك معرضين ولهذا قال
الحكيم: انك ترحم الكل لانك قادر علي كل شي وتعرض عن خطايا الناس متوخيًا
التوبة: فلا يمكنك اذًا يا رب ان تبغض الانسان الا لاجل الخطايا التي لم يرجع عنها
بالتوبة. نعم ان الله يحب المختارين بمحبة خصوصيّة. وعلي حسب هذا المعني
لا نستطيع ان نقول انه تعالى يبغض المرذولين لسبب ان حبه لهم لاقلّ من
حبه للمختارين. الا انه ينبغي ان نقول عنه جلت رحمته انه يحبهم كلهم حقًا:
وانه يحب ان يخلص جميع الناس ويفعل كلما يلزم لاجتذابهم اليه لكي يصيرهم
اصدقاه. بل انه يلاطفهم احيانًا ملاطفة جزيلة كما صنع بيهوذا مسلمه ليردهم
اليه راجعًا. ويجمع جمرًا علي هاماتهم لكي يضرم قلوبهم بمحبته. ولهذا امر الله
الاب ابنه الوحيد الذي هو شمس العدل بان يشرق على الاخيار والاشرار.
وقد امطر بتعليمه المنقذ علي الصديقين والخطاه. وانزل مواهبه كندى سماوي علي

ارميا ٣ع١
رومية ٨ع٣٥
حكمة ١١ع٢٤
تيموثاوس ١. ٢ع٤

كل الذين ارادوا ان يقبلوهُ * فيالها من محبةٍ قد وسعت كل العالم والعالم كله
لا يسعها. ابتهجي يانفسي بان الهك قد اتصف بهذه المحبة وارتجي انهُ سيضاعف
عليك غزير حسناته. فيا ايها الاله المتصف بمحبة غير محدودة اقتبل في حضنك
جميع الناس. اسدد ابواب الجحيم حيث يكون اسمك مبغوضاً وافتح ابواب السما
حيث يكون اسمك مباركاً. ليصعد الى هناك جميع الناس لكي يسبحوك
ويحبوك الى الابد *
اعتبر ايضاً امراً اخر معتبراً جداً في المحبة الالهية. وهو انهُ مع انها ممتدة متصلة
الى الكل فهي مع ذلك عظيمة بمقدار ما تكون عظيمة لو كانت الى اشخاص قليلين.
فالمحبة الكائنة بين الناس هي محدودة جداً من حيث ان وجود الاصدقاء الامينين
نادر جداً. اما الله فلهُ اصدقاء كثيرون لانهُ وحده يقدر ان يقيم لذاته اصدقاء
بمقدار ما يريد. ومهما كان عددهم عظيماً فان الله يحب كلاً منهم كان كلاً منهم
يكون لهُ تعالى صديقاً وحيداً. كما يتضح ذلك في السما حيث ان كثرة اصدقائهِ
لا تنقص شيئاً من غزارة محبتهِ نحو كل منهم. ولهذا نرى في سفر الانشاد ان الختن
الالهي بعدما ذكر ثلثة انواع من النفوس المترددة معهُ يختتم قولهُ هكذا: حمامتي
واحدة: فكانهُ يقول اني احب كلاً من النفوس النقية كانها وحيدتي. وفي محبتي لهنَّ
لستُ اقصد سوى غاية واحدة وهي سعادتهنَّ وتمجيد اسمي * فياليت نفسي واحدة
من تلك النفوس التي يخاطبهنَّ الختن الالهي هكذا: حمامتي هي واحدة كاملة
ومنتخبة لامها: امنحني يارب نقاوة الحمامة وانعم عليَّ بمحبتك التي هي وثاق الكمال.
لكي احبك وامجدك على الارض كما يحبك اصدقاؤك في السما *
فمن هذه الاعتبارات تعلم كيف يجب ان ترتب محبتك لتكون شبيهة بمحبة الله.
على انهُ يجب عليك اولاً ان لا تبغض احداً ابداً لكن بخلاف ذلك يلزمك ان تحب
الجميع. وان يتسع قلبك اتساعاً هكذا حتى انهُ يسع الاخيار والاشرار
الكاملين والغير الكاملين وان تعاملهم كلهم معاملة المحب والصديق * ثانياً
يجب عليك ان توجه هذه المحبة العامة الى موضوع واحد اعني بهِ الله. حتى انك
اذا احببت اشخاصاً كثيرين فلا تحبهم كانهم كثيرون ولا لاجل علل مختلفة

انشاد ٦ ٨

بل تحبهم كلهم لاجل حبٍ واحدٍ بسيطةٍ ونيةٍ متجهة الى الله الذي هو علة كل شي محبوب ومثاله *

الجزء الثالث

تامل ثالثاً الخاصة الثالثة لمحبة الله نحونا. وهي علوها الذي يتضح في الخيرات الحاصلة لنا من قبل هذه المحبة. وانظر كيف ان هذه الخيرات تفوق كلما يستطيع العقل البشري ان يتصوره من الشرف والعظمة * فاعتبر اولاً ان محبة الله هذه قد رفعتنا الى رتبة بني الله حقاً ووارثي ملكه السماوي حسب قول الانجيلي الحبيب: انظروا ما أعظم المحبة التي اعطانا الله حتى ندعى ابنا الله ونكون كذلك: فكانه يقول انظروا الى اي حد قد اتصلت محبة الاب السماوي نحونا. وما اعظم ما فعلته لاجلنا على انها صيرتنا ابناء الله حقاً. وهذا الاحسان لمن المستحيل ان يدركه عقل ومن ثم يستتلي الرسول المذكور قايلاً: نحن الان ابناء الله ولم يكن تبين. ماذا سوف نصير ونحن نعلم انه اذا تبين فاننا نكون شبهه لاننا سنراه على ماهو عليه: فلا يمكننا اذاً ان نفهم افراط هذه المحبة نحونا ومفعولاتها العجيبة الا في ملكوت السماء *

اعتبر ثانياً ان الله قد اظهر محبته لنا بارساله ابنه الينا ليخلصنا وصيرورته انساناً نظيرنا. فهل كان ممكناً له تعالى ان يشرف طبيعتنا اكثر من هذا الشرف المذهل الذي رفعها اليه. حينما صير بالتجسد الالهي انساناً من افرادها ان يكون ابناً له لا بالذخيرة بل بالطبع. اي ابناً مساوياً له والهاً نظيره. فحسناً اذاً قال الرب يسوع: هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكيلا يهلك كل مَن يومن به: وقال الانجيلي الحبيب: بهذا تظهر محبة الله فينا ان الله ارسل ابنه الوحيد الى العالم لنحيي به: اما من جهة ناسوت السيد المسيح فقد اتحد باللاهوت اتحاداً لا يمكن ان يكون اكمل منه سوى اتحاد الاقانيم الالهية الثلثة. على ان اتحاد الاقانيم الالهية قايم بوحدة الجوهر. اما اتحاد ناسوت المسيح باللاهوت هو قايم بوحدة الاقنوم. وعلى هذا نفسه يتاسس حب الله الازلي للبشر لانه تبارك اسمه انما يحبهم نظراً الى ابنه وحباً له: وقد منح لنا كل شيء معه * فيا لك من محبة عظمى ما اعجب افعالك الغير المستقصية وطرقك الفايقة ادراكنا.

يوحنا ١ ٣ع ١

يوحنا ٣ع ١٦

يوحنا ١ ٤ع ٩

روميه ٨ع ٣٢

ايها الحب الغير المخلوق الذي صير انسانًا الهًا لكي يتحد بطبيعتنا اشد اتحادًا .
ايها الحب الالهي كيف يمكنني ان اشكرك واسبحك كما يجب على هذا الاحسان .
فلتسبحك على ذلك محبتك ولتمجدك العجايب المفعولة منها مجدًا ظاهرًا امام كل
الخلايق . بل فليمجدك ويباركك ابنك هذا الوحيد الذي من اجله احببتني هذه
المحبة . انظر الى وجه هذا الصديق القديم والحديث معًا . فقدمه لي بلاهوته
وجددنا بناسوته ونظرًا اليه وحبًا به اقبلني فيما بين اصدقايك . جدد فيّ صورة
الانسان الجديد التي محوتها بخطاياي لكي احيي به ومعه فانال باستحقاقاته الحيوة
الابدية ✽ اعتبر ثالثًا ان الله اظهر لنا محبته على نوع اخر عجيب في سر القربان
المقدس . حيث انه به يتحد بنا سيدنا يسوع المسيح اتحادًا حقيقيًا ويدخل فينا
بناسوته ولاهوته لكي يقيتنا ويضرم فينا محبته الالهية ويحيلنا الى ذاته ✽

الجزء الرابع

تامل رابعًا الخاصة الرابعة لمحبة الله لنا وهي عمقها . وقد يعرف ذلك من الاهانات
التي احتملها حبًا بنا . على ان الابن الازلي المساوي الاب في كل شي : لاشى ذاته
واخذ صورة العبد وصار في شبه الناس فوجد في الشكل مثل الانسان واخضع
نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب : على انه تقدس اسمه قد كان يعلم
ان المحبة الحقيقية تقتضي التساوي ما بين المحبين وتبتغيه فتنازل الى ذلك .
ومن كونه عظيمًا صار صغيرًا وتشبه باخوته في كل شي وعاش معهم بطبيعة نظير
طبيعتهم . وعلى الاطلاق صار نظيرهم في كل شي ما عدا الخطية ولانه كان
يعلم ايضًا ان المحبة تظهر في محل التعب واحتمال الالام : وانه ليس لاحد حب
اعظم من هذا ان يبذل الانسان نفسه عن احبايه : فلهذا رام ان يظهر لنا محبته
في ذلك . ولانه كان من قبل ذاته غير قابل الالام والموت فالزمته المحبة بان يرتدي
بطبيعتنا ليستطيع ان يحتمل اتعابًا جزيلة في جسد قابل الموت . ويكابد اوجاعًا
فادحة حتى الموت نفسه ✽ فيا لها من محبة سامية وعميقة قد رفعت الانسان الى
اعلى ما يوجد في الله . وانزلت الله الى ادنى ما هو في الانسان . امنحني يارب هذه
المحبة لكي اتضع امامك واحتمل كل شي حبًا لك حتى الموت ✽

فيلبسيوس ٢ع٧

يوحنا ١٥ع١٣

* تنبيه *

اعلم ان الذي حررناهُ عن محبة الله نعقلهُ ونشعر بهِ بواسطة الافعال اكثر مما نعقلهُ بواسطة البحث والتامل. فلا يكفينا اذًا ان نفحص عن ذلك اذا لم نفعل ايضًا ما يامرنا بهِ الرسول بقولهِ: كونوا متاصلين متاسسين بالمحبة: وذلك لكي نفهم بالتجربة والاختبار خاصات محبة الله. ونكتسب نحوهُ محبةً جزيلة الطول بدوامها واستمرارها الى لانهايا. وعريضة في اتساعها نحو كل احد. وسامية في نيتها غير متنازلة الى الاشيا الارضية ابدًا بل مرتفعة نحو الاشيا السماوية. وعميقة في اتضاعها فتقبل بفرح جميع الاهانات. فلنعطَ ذلك امين *

افسس ٣ ١٧

التامل الحادي عشر

* في كم يرغب الله ان نحبه وفي الوصية التي وضعها في ذلك وفي الوسايط التي قدمها لنا لنحفظ بها هذه الوصية وفي جزا الذين يحبونه *

انهُ وان لم تكن غاية المحبة ان تحبَّ بل ان تُحبّ كما قال ماري توما اللاهوتي. الّا ان الله الذي لاحدّ لمحبتهِ لايقتنع في انهُ يحبنا بل يريد ان نحبهُ نحن ايضًا. وذلك يريدهُ لالفايدتهِ بل لنفعنا ومن ثمَّ يسبق ويظهر لنا حبهُ باحساناتهِ ليضطرنا علي محبتهِ *

❖ الجزء الاول ❖

تثنية ٦ ٥

تامل اولًا ان الله لكثرة ما يرغب ان نحبهُ وضع علينا وصيّةً في ذلك بقولهِ: حب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك: فكانهُ تعالى يقول لاتجعل لحبك لله حدودًا. على ان قياس هذه المحبة هو عدم القياس. وبمقدار ما تكون هذه المحبّة اكثر حرارةً تكون ايضًا اوفر كمالًا. وقد ينتج من ذلك ان الله يحبنا بمحبة لاحدّ لها. علي انهُ اذ ارادمنا ان لانجعل لحبنا لهُ حدًّا. دلّ بذلك علي انهُ جلّ تودده لايجعل حدًّا لمحبتهِ لنا. وحقًا انهُ تعالى يحبّ جدًّا كل الذين يحبونهُ. وبمقدار ما يزداد حبهم لهُ بمقدار ذلك يحبهم ويحسن اليهم اكثر احسانًا. على ان محبتهُ لهم هي ينبوع كل الانعام التي ينعم بها عليهم. وحبهم لهُ تعالى

هو الواسطة التي بها ينالون مهما يبتغونهُ * فيا ايها الحب الالهي الذي اوصيتني ان احبك حبًا لا قياس لهُ . هبني ما امرتني بهِ لكي اتمم ما تريد. اجعلني يارب ان احبك كما تحبني انت وكما تريدني ان احبك *

❁ تنبيه ❁

انهُ ينبغي لنا ان نعتبر جدًا هذه الوصية في محبة الله التي هي الوصية الاولى والعظمى . والسبب الاول في ذلك هو لان هذه الوصية تسند الحيوة الروحية كلها وتوطدها وقد جعلها الرسول اصل الكمال بقولهِ : كونوا متاصلين بالمحبة * السبب الثاني هو ان هذه الوصية هي الاولى في الشرف . حيث انها تامرنا بالفعل الاشرف من كل الافعال التي يمكن ان يمارسها المومن وهو فعل المحبة لله . وحقًا ان هذه المحبة هي روح بقية الفضايل وقد فضلها الرسول على الايمان والرجا . بل زاد علي ذلك بقولهِ انهُ ولو بلغ كل العلوم والفضايل لكان هذا كلهُ لا شي دون المحبة * السبب الثالث هو لان هذه الوصية هي الاولى نظرًا الى الاستحقاق . لانهُ لا يوجد عمل يستحق ثوابًا في السما خلوًا من المحبة حسب تعليم الرسول حيث يقول : ولو اني اقسم كل شي لي طعامًا للمساكين وابذل جسدي لحريق النار ولم يكن في محبة فلست اربح شيًا : السبب الرابع هو ان هذه الوصية هي ايضًا الاولى والفضلى نظرًا الى العذوبة . على انهُ ليس شي يحلي نير الناموس ويخففهُ مثل المحبة وهي التي بسببها ليست وصايا الله ثقلًا . وبها نذوق الفرح الروحي الذي يبهج القلب ويمنح الانسان قوة ليسلك راكضًا في طريق الوصايا * السبب الخامس هو ان هذه الوصية هي الاولى نظرًا الى النية . لان غاية الوصايا هي المحبة واليها ينبغي ان تتجه كل مقاصدنا وافعالنا . ونقول علي الاطلاق انهُ خلوًا من المحبة ليس شي كاملًا . فاعتبرادًا اعتبارًا كليًا وبليغًا وصية الله هذه وقل نحوهُ تعالى . اجعلني يارب ان احبك من كل قلبي فاحارب حبي الذاتي ليملك حبك على قلبي امتلاكًا كليًا . اجعلني يارب ان احبك من كل ارادتي بمطابقة اشواقي ومقاصدي مع ارادتك الالهية . واحبك من كل نفسي فتكون كل حركاتها متجهة اليك وحدك . واحبك من كل روحي جاحدًا رايي الذاتي ومسبيًا عقلي للايمان .

افسس ٣ع١٧

قرنتيه ١ ١٣ع٣

واحبك من كل قوتي باماتة حواسي مبذ لاً كل جهدي في حفظ اوامرك . لانني قد عرفتُ انك لا تامرني بما يفوق طاقتي الا انى افتقر الى عون خصوصي من قبلك لاحبك كما تريد . فالذي صيرهُ لي ضعفي غير ممكن اجعلهُ يارب بنعمتك سهلاً لديَّ ومملوءًا عذوبة ❊

❀ الجزء الثاني ❀

تامل ثانياً ان الله الذي اراد منا بل اوصانا ايضاً ان نحبهُ يمنحنا كلما نفتقر اليه لكي نتمم وصيته بالكمال . على انهُ لفرط ما يرغب ان يجعل بينهُ وبيننا محبة راهنة كاملة . فيعطينا مصدر المحبة اعني بهِ الروح القدس الذي هو المحبة الغير المخلوقة المحبة الحيَّة الجوهرية . لكي يلهب في قلوبنا المحبَّة ويحفظها ويدبرها ويصيرها فعالة . ولذلك مَن امتلك المحبة فقد اقتبل اله المحبَّة وهكذا يكون الله فيهِ وهو في الله ورباط اتحادهما هو المحبة . وليس انهُ يقبل الروح القدس فقط بل يقبل ايضاً الاب والابن كقول الرب يسوع : من يحبني يحبهُ ابي واليهِ ناتي وعندهُ نصنع منزلاً : وبالنتيجة تكون الثلثة الاقانيم الالهيَّة حالةً في نفس الصديق ولكونهم الينبوع الحيّ والابدي الذي منهُ تنبع المحبَّة فيفيضونها في تلك النفس . فيا لعظم سمو المحبة الالهيَّة التي ترقى قلباً ارضياً الى السما الثالثة وتتحدهُ بالثالوث الاقدس : ونحن قد عرفنا وآمنا بالمودة التي لله فينا ان الله هو محبَّة ومن حلَّ في المحبة فقد حلَّ في الله وقد حلَّ الله فيهِ . بهذا نعلم اننا نحلّ فيهِ وهو ايضاً فينا لانهُ اعطانا من روحهِ ❊ فافرحي يانفسي بالرب الهكِ لانهُ هو بكليتهِ محبَّة . فان كان الذي يحلّ في المحبة يكون قد حل في الله فايما شي اعظم من ذلك . وان كان الله يحل في من يحبهُ فايما شي اسعد من ذلك . فان كنت يانفسي لا تحبين المحبة فما الذي اذاً تحبينهُ فاهتفي اذاً مع ذاك المحب القديم قايلةً : احبك يارب قوتي وملجاي

يوحنا ١٤ ع ٢٣

يوحنا ١ ع ٤ ١٦

مزمور ١٧ ع ١

❀ الجزء الثالث ❀

تامل ثالثاً انه لكي نلتزم بمحبة الله فانهُ وان كان كافياً لذلك انهُ تعالى وضع في ذلك وصيةً . بل انهُ ولو كان ينبغي لنا خلواً من تلك الوصيَّة ان نحسب سعادة عظمى انهُ تعالى اجاز لنا ان نحبهُ . فمع هذا جميعهُ اراد تقدس اسمهُ عند وضعهِ

هذه الوصية ان توعدنا بمجازاة جليلة لكي نحبه قلما يكون رجاء بالخيرات الجسدانية والروحانية التي يمنّ بها على محبيه في هذه الحيوة والحيوة العتيدة . وقد مرّ انه تعالى لما امر شعبه بان يحبه قال له هكذا: لكي يكون لك حسنًا: فكانه تعالى يقول لست اريد منكم ان تحبوني لاجل خير ما يحصل لي من حبكم. بل لاجل الخير الذي يحصل لكم من ذلك . ولكي تفهم عظم تفاقم هذا الخير فاعتبر اولاً ان ثواب هذه المحبة هو الحيوة الابدية . وان الله يجازينا في الملكوت على حسب هذه المحبة. حتى ان الذي يمارس لان اعمالاً مستعظمة كردّ نفوس كثيرة الى التوبة والخلاص ببذل قوته كلها وحياته باسرها في ذلك . فان كان مع ذلك يحب الله اقل مما يحبه شخص آخر لم يمارس هذه الافعال المذكورة لعدم الوسايط والفرص الداعية اليها. فيكون في المجد السماوي اقل ارتفاعًا منه لا محالة *

تثنية ١٠ع١٣

اعتبر ثانيًا ان النعم الجليلة التي ينعم الله بها على الابرار في هذا العالم جزاء عن استحقاقهم تكون على حسب محبتهم له . ولهذا قالت الحكمة عن ذاتها: انا في طريق العدل اسلك في وسط مناهج الحكم لكيما اغني الذين يحبونني : ايتها الحكمة الازلية التي تظهر عدل احكامها في مجازاة احبابها. اهديني في طرق عدلك وبلغيني الى قمة الكمال لكي احبك من كل قوتي فاستحق ان تحسني اليّ بخيراتك التي لا ثمن لها * اعتبر ثالثًا ان الله الجزيل سخاوة لا يزال يفيض علينا بركاته ويلاطفنا في كل وقت بحسنات محبته لكي يجتذبنا الى حبه . ولئلا تنقص في قلوبنا نار هذه المحبة يغذيها بانعام متواترة ويزيد لهيبها بازدياد حسناته . على انه جلّ ذكره لم يات الى العالم الا لكي يلقي هذه النار ولا يريد شيئًا سوى اضطرامها*

امثال ٨ع٢٠

اعتبر اخيرًا ان الله الذى اراد ان يستعمل جميع الوسايط ليلزمنا بالاتحاد معه . قد توعد بعقابات مريعة الذين يتعدون هذه الوصية . لان من كان خاليًا من المحبة يكن خاليًا من نعمة الله وعادمًا المجد الابدي وانما حظه الموت لا غير. ولهذا قال التلميذ الحبيب: من لا يحب فهو في الموت: اي الموت الروحي ومنه ينتقل الى موت اخر ابدي. وقال رسول الامم: من لا يحب ربنا يسوع المسيح فليكن محرومًا ملعونًا: وفي دور الدين سيفرز ويميز من احبا الله ويطرح في بحيرة النار

يوحنا١ ٣ع١٤
قرنتيه١ ١٦ع٢٢

والكبريت حيث تبغض الاشرار المنتقم من شرورهم *
فمن هذه الاعتبارات قد اتضح كم يجب علينا ان نحب الله . لاسيما نظراً الى كمالاته الغير المتناهية اعني بها جوده وحبه لنا . على ان هذين المحركين يخصان المحبة خاصة . ثم اعتبر هنا مع القديس برنردوس ان المحبة الاكثر نقاء ولو انها لا تطلب فايدتها . فانها مع ذلك تزداد فايدة واجراً بتغاضيها عن رغبة كل نفع ذاتي وباجتهادها في طلب رضي الله فقط . ولا ينتج من ذلك انه لكي نحفظ هذه الفضيلة ونميها لا يجوز لنا ان نستعمل الثلثة الاعتبارات المتقدم ذكرها . اعني بها رجا الخيرات العتيدة واظهار المعروف عن الخيرات الماضية والخوف من العذابات المويدة . كلاً على ان هذه الثلثة الاشيا هي الوثاق المثلث الذي به نرتبط ونلتصق بالله حذراً من ان تفرقنا منه تعالى اعداونا الثلثة اعني العالم والجسد والشيطان . فطوبى للذي يحبك يا يسوع الصالح وليكن مباركاً . والويل لمن لا يحبك وليكن محروماً . لانه من ذا لا يحبك يارب اذا افتكر باي سخاء تفيض كثرة حسناتك علي الذين يحبونك . ومن ذا يتباعد عنك ويجحد محبتك اذا تامل اللعنات المريعة العتيدة ان تسقط علي روس اعدايك * فهلمي اذاً يا نفسي وارتقي فوق كل الاشيا المنظورة . ولا تنظري بعد الي الثواب ولا الى العذاب . غضي الحاظك عن فايدتك الذاتية ولا توجهي نظرك الا الى مجد خالقك . حبي الله لانه مستحق المحبة ولاجل انه هو المحبة بالذات . حبيه لانه يحبك ويرغب ان تبذلي له حبك . دعي ربك يفرح ويسر بك . اجعلي كل سرورك في تمجيده ولا تنسي ابداً انه قد اوصاك ان تحبيه وخولك قدرة بنعمته على حفظ وصيته *
الهي ما الذي يعنيك ان احبك والا احبك . وما هو الخير الواصل اليك من قبل محبتي . فانا انا وحدي الذي يعنيني هذا الامر ويفيدني . ومع هذا فان جودك يطلبه مني كانه لخيرك لا لخيري . ليتني اقتدي بك في ذلك فاتغافل عن ذاتي وافتكر فيك وحدك لانك انت خيري الوحيد وسعادتي العظمى *

التامل الثاني عشر

* في رحمة الله الغير المتناهية *

الجزء الاول

تامل اولاً رحمة الله وقابلها مع عدله . فاعتبر قبل كل شي ان عدل الله ورحمته يشتركان في جميع الحسنات الواصلة الينا من قبله تعالى . على انه يخص العدل ان يوزعها على حسب ترتيب العناية الالهية وعلى حسب ماهية الامور واستحقاق الاشخاص . اما الرحمة فانها تستعمل هذه الاحسانات كوسايط لتصلح بها نقايصنا وتنقذنا من الشقا الذى يعترينا من قبل ضعف طبيعتنا وتمرد ارادتنا . وتفعل ذلك على نوعين لانها اما انها تدفع عنا الشقا قبلما يوافينا . واما انها تعالجنا بعد وروده . فاذا لم ننتفع نحن من اهتمامها بنا . فيختص حينئذ بالعدل الالهي ان ينتقم لها منا بتعذيب توانينا * ثم اعتبر ايضاً انه وان كانت الكمالات الالهية متساوية في ذاتها الا انها نظراً الى مفعولاتها مختلفة جداً . على ان الرحمة تعلو على العدل : وقد نرى في الاسفار المقدسة ان الله يفتخر في كونه صالحاً ورحوماً اكثر مما يفتخر في كونه عادلاً . ولكي تفهم هذه الحقيقة جيداً فتامل كيف ان الرحمة الالهية تسبق العدل الالهي في كل طرقها وكيف انها ترافقه دايماً وتتبعه *

يعقوب ٢ع١٣

فاعتبر اولاً ان الرحمة تسبق العدل لان كل افعال العدل تقتضي فعلاً ما قد سبق من قبل الرحمة . على ان الله اذا عذب الخطاة فانه يكون قد سبق وتفضل عليهم قبلاً بانعامه . مثلاً كترك خطاياهم ونصحهم بان يتوبوا فينجوا من تعذيب عدله . فالله اذاً ميل طبعاً الى الرحمة ولم يكن العدل يفعل شيئاً لولم نغظه بالخطية . لانه تعالى لبعيد جداً عن ان يحب العقاب . وانما يحب العفو والمسامحة للخطاة وحسن الثواب ولهذا قال على لسان حزقيال النبي : العل مرضاتي هو موت المنافق ولا ان يتوب ويحيي : وقال الحكيم : ان الله لم يصنع الموت بل ان الاشرار سببوه بواسطة خطاياهم *

حزقيال ١٨ع٢٣

حكمه ١ع١٣

اعتبر ثانيًا ان الرحمة ترافق العدل دايمًا لتخفف صرامة حكمه. وقد اشار الى ذلك النبي داود بقوله: هل ينسي الله ان يتراف او يقطع رحمته الى الانقضا: حاشا لكنهُ في حين غضبهِ يتذكر انهُ رحوم. وقد تلين صرامة رجزه وتهدي غضبهُ من قبل رافتهِ. وهذا المعنى اوضحهُ نبي اخر بقولهِ: اذا غضبت فتذكر الرحمة: وقد يذكرها حقًا لانه تبارك اسمه ينبه حينيذٍ الاشرار ويريهم العقاب المعدّ لهم. ويدعوهم الى التوبة ويخفف العذاب علي قدر الامكان. حتي انهُ في جهنم ايضًا لا يخلو عذاب الهالكين من الرحمة. من حيث انه تعالى كما قال القديس توما اللاهوتي لا يعذبهم بكل الصرامة التي تقتضيها عظمة شرورهم. وفي هذه الحيوة لا يعاقب الخطاة الّا لكي يتوبوا فيستحقوا انعامه. وعلي هذا النحو يكون العدل متقصلًا الرحمة في افعاله. فان ابت الخطاة عن التوبة ولم يصلحهم ذلك العقاب. فيكون تعالى حينيذٍ مريدًا ان ينتفع الاخرون من هلاكهم فيلتجوا الى الرحمة لكي ينجوا من مثل هذا العقاب *

اعتبر اخيرًا ان الله فعل لاجل البشر ولكي يخلصهم برحمتهِ افعالًا اعظم جدًا مما فعل ليعذبهم بعدلهِ. وهذا سنقررهُ بعد قليل ويشهد لهُ داود النبي بقوله: رافة الرب على جميع اعماله * فمن هذه الاعتبارات اجتنِ عواطف الابتهاج والاتكال والمحبة. علي انهُ وان كان لنا سبب لان نخاف من عدل الله الذى اغظناه بخطايانا فان لنا سببًا افضل لان نتكل علي رحمته. ومع انهُ لا يسوغ لنا ان نخاف من العدل الالهي خوفًا هذا حدهُ الي ان نقطع رجانا. ولا يجوز لنا ان نتكل على رحمة الله اتكالًا يلقينا في الجسارة والطمع بالله. فمع هذين الامرين هو من المحقق انهُ يجب ان يفوق الرجا فينا علي المخافة. فاذا حتم الله علينا بعدلهِ لاجل خطايانا. فيجوز لنا حينيذٍ كما قال القديس توما اللاهوتي ان نلتجي من منبر عدله الي منبر رحمتهِ. كمن يلتجي من الحكمة الدنيا الى الحكمة العليا: وان نقترب مطمانين الي كرسي النعمة لندرك الرحمة ونجد النعمة عونًا لنا في زمان ضرورتنا * فابتهجي يا نفسي بالرب لانهُ عادل ورحوم معًا. فهو عادل لانهُ يحب العدل ويبصر الاستقامة. ورحوم لانهُ يتحنن علي شقا البادسين ويغفر للخطاة. لأن رحمتك يارب لاعظم

مزمور ٩٤٧٦

حبقوق ٢٤٣

مزمور ٩٤١٤٤

عبرانيه ١٦٤٤

في افعالها من عدلك. لانك ان كنت تفتقد ذنوب الابا في الابنا الى ثلثة و اربعة اجيال لاعدايك. فانك تفعل الرحمة الى الف جيل لاحبايك وحافظي وصاياك * اللهم انى لااخاف جدًا من عدلك و اقبل العذاب الذى استحققته. الا انى ارجو كل شي من رافتك فاجعلني آنية الرحمة لاسبح مراحمك مع قديسيك الى الابد *

الجزء الثاني

تامل ثانيًا ما اعظم الرحمة الالهية التي لاتزدل احدًا. فلا بدّ من انها تكون غير متناهية اذ هي متاسسة على قدرة الضابط الكل حسب قول الحكيم: الرب يرحم الكل لانهُ قادر على كل شي * فاستبشري يا نفسي من ان رحمة الهك تساوي اقتداره الغير المحدود. و من ثمّ يحنو على ما ادركك من الشقا و يستطيع ان يشفيك مما يحنو عليك لاجله من بلاياك * فياايتها الرحمة القادرة على كل شيء و ياايتها القدرة الغير المتناهية الكلية الرحمة. ما احسن اتحادكما و ما احسن ما تسعيان لاسعادنا احداكما بالارادة و الاخرى بالقوة. لان القدرة لو لم تسعف الرحمة فكيف كانت تستطيع ان تعيننا. و لو ان الرحمة لا تحث القدرة وتحركها كيف كانت تستطيع ان تميل الي مساعدتنا. فاذكري اذًا يا نفسي: ان الرب تكلم مرة واحدة وهاتين الاثنتين سمعت ان القدرة و الرحمة للرب: عرفني يا رب بهذين الشيين و حررهما في وسط قلبي. علمني هذا الاتفاق العجيب الموجود فيما بين رحمتك وقدرتك الضابطة الكل لكي اعتمد على الاثنتين فاعبدك بابتهاج و حرارة * اعتبر الان عظم اتساع رحمة الله قال النبي والملك داود: الارض كلها مملوة من رحمة الرب: و ذلك لان جميع الخلايق هي قابلة شقا ما من قبل ضعف طبيعتها او من قبل فساد ارادتها. والله وحده الذي يقتدر علي ان ينقذها منهُ ويشفيها حقًا. فتصور اذًا الارض كاناء عظيم جدًا مملوًا من رحمة الله. و اعتقد ان كل شي تبصرهُ يحثك على تمجيد هذه الرحمة الغير المتناهية التي تمتد الي ادنى الحيوانات باجسامها. قال النبي: الناس والبهايم تخلص يا رب مثل ما اكثرت رحمتك يا الله * فكانهُ يقول حقًا ان رحمتك يا رب لجزيلة الاتساع. اذ انها تهتم لا في حفظ البشر ومساعدتهم فقط. بل في حفظ الحيوانات ايضًا. انى لا ارجو من الذى يعطى غذاءً لفراخ

حكمه ١١ع٢٤

مزمور ٦١ع١٢

مزمور ٣٢ع٥

مزمور ٣٥ع٧

الغربان التي تدعوه انهُ يهتم بافضل رحمة في البشريين الذين قد خلق جميع الحيوانات من اجلهم * تامل ايضاً هنا ما قالهُ الله ليونان النبي : انت حزين على العاشقة التي لم تتعب لاجلها ولم تصنع ان تنبت وهي نبتت في ليلة وفي ليلة جفت افلا اغفر انا لنينوى التي فيها اكثر من ماية وعشرين الفاً من الناس الذين لا يعلمون اي شي هو بين يمينهم ويسارهم : فكانهُ تعالى يقول انك لمغتم ومغتاظ لاني لاشيت خليقة ليست هي بعمل يديك . فكيف تطلب مني ان اهلك الوفا وربوات من الخليقة التي اتخذت مني الحيوة . ها هو ذا انت حزين على تلف عاشقة تنبت وتجف في ليلة واحدة . فكيف اطيق انا بغير توجع هلاك شعب جزيل هلك المقدام يحيي برحمتي منذ سنين عديدة . فلتسبحك يارب كل الالسنة لان رحمتك افضل من الحيوة . اذ انهُ بها يحيي كل شي حي وبدونها لا يقدر شي ان يتخذ الحيوة ويحفظها . فض علينا يارب رحمتك هذه لكي نمجد اسمك ومراحمك الى الابد

يونان ١٠٤٤

❂ الجزء الثالث ❂

تامل ثالثاً رحمة الله نحو الخطاة وقد احسن الحكيم مديحها بقوله عنهُ تعالى : انك ترحم الكل لانك قادر على كل شي وتعرض عن خطايا الناس متوخياً التوبة لانك تحب الموجودات كلها ولست تبغض شيأً مما خلقت : فانتج من هذا اولاً ان الرحمة الالهية تتسع الى جميع الناس وذلك لسببين عينهما الحكيم . الاول لان الخطاة هم خلايق الله واعمال قدرته الضابطة الكل التي لا تفارقها الرحمة اصلاً كما قلنا انفاً . والثاني لان الله يحب النفوس ومحبتهُ لها تصيرهُ ان يتحنن عليها . وقد يفيدك ان تردد في فكرك اوقاتاً كثيرة هذين السببين . اما لكي تمكن في نفسك الاتكال على الله واما لكي تميلهُ تعالى في محل صلاتك الى ان يعاملك بالرحمة * انتج ثانياً ان الرحمة الالهية تتسع ايضاً الى كل انواع الخطايا مهما كانت جسيمة وجزيل عددها . على ان اعظم الخطايا لا تساوي رحمة غير محدودة ومهما كان عددها فانهُ كلا شي بالنسبة الى مراحم الجود الالهي . ومن ثم كان النبي يذكر ذلك عند طلبه غفران خطاياه قايلاً : ارحمني يا الله كعظيم رحمتك وككثرة رافتك امح مآثمي . لتدركني رافتك سريعاً لاني قد افتقرت جداً *

حكمه ١١ع٢٤

مزمور ٥٠ع٣

مزمور ٧٨ع٨

انتج ثالثًا ان الرحمة الالهية تصبر منتظرة توبة الخطاة . وتحثهم علي طلب الغفران منهُ تعالى وتغفر لهم بسهولة وتنسى خطاياهم كانها لم تكن . وقد اشار الى هذا الحكيم بقولهِ : ان الله يعرض عن خطايا الناس لكي يتوبوا : ولهذا قال ميخا النبي : انهُ تعالى يطرح اثامنا في البحر : وحسب قول داود النبي كبعد المشرق عن المغرب ابعد عنا سياتنا : ثم اعتبر ان الله لم يحدد الى كم مرة هو عتيد ان يغفر للخطاة . على انهُ جلت رحمتهُ لا يغفر سبع مرات ولا سبعين مرة سبع مرات فقط بل كل مرة يدعوهُ الخاطي طالبًا رحمتهُ تعالى : فلتشكرك يارب رحمتك وعجايبك لابناء البشر *

حكمة ٢٤ع١١ ميخا ١٩ع٧ مزمور ١٢ع١٠٣ مزمور ١٥ع١٠٦

الجزء الرابع

تامل رابعًا عظمة رحمة الله نحو الصديقين محبيهِ والمحبوبين منهُ الذين اختارهم ليصيرهم آنية الرحمة * فاعتبر اولاً ان رحمة الله نحو المختارين هي ابدية . على انهُ تعالى احبهم من الازل وسيحبهم الي الابد محبة خصوصية وقد اشار اليها النبي بقولهِ : ان رحمة الرب تمتد من الدهر والى الدهر علي خايفيهِ : وحقًا انهُ تعالى قد احبهم منذ الازل وقصد قبل كل الدهور ان ينقذهم من بلايا هذه الحيوة . ويحفظهم من اعظم الشرور اعني من الهلاك الابدي ويملكهم المجد السماوي . ومن المحقق الذي لا يشوبهُ الريب انهُ رام ايضًا ان يصنع هكذا بالجميع . وان السبب الذي اعاقهُ عن ذلك ليس هو من قبلهِ . فيمكنني اذًا ان اقول ان الله قبل كوني ووجودي نظر اليّ بعين الرحمة وقصد ان يخلصني ويورثني ملكوتهُ * فرتلي اذًا يا نفسي مع النبي داود وسبحي الهك الرحوم قايلةً : اعترفوا للرب لانهُ صالح وان الى الابد رحمتهُ . اعترفوا لاله الالهة فان الي الابد رحمتهُ الصانع العجايب العظام وحده فان الى الابد رحمتهُ . لانهُ ذكرنا في مذلتنا فان الى الابد رحمتهُ : سبحي يا نفسي الرب ومجديهِ لان جودهُ لا يحد ورحمتهُ ليس لها ابتداء ولا انتها واحفظي وصاياه الى الابد *

مزمور ١٧ع١٠٢ مزمور ١ع١٣٥ و٤ و٢٣

اعتبر ثانيًا ان الرحمة الالهية تسبق من يختارهُ تعالى وترافقهُ دايمًا منذ بدء حياتهِ الي وقت موتهِ . فكما ان الله سبق فاختارهُ من الابد هكذا يدعوهُ في الزمن

كي يبرره وبعدما يبرره يمجده . ولهذا اذ قال الله على فم نبيه: احببتك بمحبة سرمدية . استتلى ذلك قايلاً لهذا اجتذبتك محتننًا : فاذا ادركني الموت موت الخطية فحالاً تدعوني الرحمة الالهية وتحييني . وان اعتري نفسي الفتور والنعاس الروحي فحينيذٍ تنبهني هذه الرحمة . وان عزمت ان امارس عملاً ما صالحًا فرحمته تسبقني وتقويني . وان قصدت المواظبة على الخير فالرحمة التي سبقتني تتبعني جميع ايام حياتي وتظفرني بجميع التجاريب وتحفظني من كل المخاطر . واخيرًا تمنحني حيوة الابد : فباركي يانفسي الرب وجميع ما في باطني اسمه القدوس باركي يانفسي الرب ولاتنسي جميع مكافاته الذي يغفر جميع ذنوبكِ الذي يشفي ساير امراضكِ : حقًا ان رحمته هي اكليلكِ لانها الان تحولكِ الظفر باعداءكِ وبعد الموت تكللكِ بالمجد الابدي ٭

ارميا ٣١ع٣

مزمور ١٠٢ع١

اعتبر ثالثًا ان رحمة الله نحو المختارين تحولهم الخير الاعظم اعني به المجد الابدي ولهذا قال النبي والملك داود: يارب في السما تظهر رحمتك وتتعالى حتى السحاب : حقًا ان رحمة الله نحو الصديقين تتلالا بوجه الخصوص في ملكوت السما . لانها تظهر ايضًا عظمتها على الارض حيث تغني الابرار باعظم مواهب النعمة وهذا فحوى ماقاله النبي : مثل ارتفاع السما من الارض قوى الرب رحمته على خايفيه : فمن ذا الذي لايتكل عليك ايها الاب الرحوم وقد عرف انك تتراف على خايفيك كما يتراف الاب على بنيه . لقد عرفت جبلتنا واننا آنية سريعة العطب فاحفظ ضعفنا برحمتك ٭ الهي ورجاي رحمتي فانت الرحمة بالذات ومن ثم فان الرحمة لك لانها تخصك جوهريًا . لا انها هي لي ايضًا اذ ليست هي من اجلك انت المنزه من كل شقا . بل هي من اجلي انا الذي هو اشقى العالم وليس لي ملجا غير هذا . فلتدركني رحمتك يارب ولتنجني من شقاي ٭

مزمور ٥٥ع١٠٧

مزمور ١١ع١٠٢

الجزء الخامس

تامل خامسًا كيف ان الله سبحانه يظهر لنا رحمته . فاعتبر اولاً ان الرحمة او الشفقة تفعل فينا شيين . لانها تصيرنا ان نتوجع متحننين على شر القريب وتحركنا الى مساعدته . فمن حيث ان الله هو غير قابل التوجع اخترع واسطة صيرته

قابلاً له. فتجسد وبعدما تردى بجسد قابل الموت ونظير اجسادنا ابتلى ان يتجع
متحنناً علي شقاينا كانه شقاوه. قال الرسول: انه تعالى تشبه باخوته في كل شي:
ليتعلم بهذا ان يكون رحوماً علي نوع جديد متوجعاً باكياً علينا * ما هذا يا الهي
الجزيل حنوه ما هذا الامر الغريب المذهل عقول الملبكة. كيف ارتضيت ان
تتصف بهذه الرحمة الحزنة المولمة اذ كان يمكنك ان تنجينا بنوع اخر من
الرحمة. فلتسبحك وتمجدك جميع الخلايق على انك اظهرت لنا غزارة محبتك
بمثل هذه الرحمة العجيبة *

عبرانيه ٢ع١٧

اعتبر ثانياً ان الله لم يكتف بانه يظهر لنا افراط رحمته بهذا الحزن الباطن والشفقة
البسيطة. بل حمل علي ذاته كل شرورنا ما عدا الخطية. و رام ان يكون قابل الموت
حتي اذا ما شعر باوجاعنا يستطيع ان يتحنن عليها ويشفيها. قال الرسول: ليس
لنا ريس احبار لا يستطيع ان يتالم مع ضعفنا بل هو مجرب في كل شي: وقد يشير
بذلك الرسول المغبوط الى ان الذي باشر لاجلنا وظيفة الحبر الاعظم ليس هو
بديان صارم قاس. بل هو اب شفوق رحوم كونه اختبر في ذاته شقانا. ولذلك
يشفق ويحنو علي من احدقت به هذه البلايا * فيا ايها الحبر الرحوم وان كنت
لم تختبر اعظم شرورنا اعني الخطية لانك احتملت عذابها لكي تنقذنا من
اثنيهما. فاضرع الى رافتك الغير المتناهية ان تسبق وتنجينا من الخطية. فلا يلزم
عدلك بان يحكم علينا بالعذاب الابدي الواجب لها *

عبرانيه ٤ع١٥

اعتبر ثالثاً ان الرحمة الالهية فعلت لاجلنا شيا اعجب من ذلك. وهو انها
صيرت مخلصنا ان يمنح ذاته طعاماً للجياع ومشرباً للعطاش. ودواء للمرضى
وفدية للاسرى وذبيحة لاستغفار عن الخطاة. وهكذا جعلت جسده ودمه
الاقدسين علاجاً عاماً لكل امراضنا وشرورنا. ولهذا لما تكلم النبي عن هذه
الاعجوبة نسبها للرحمة الالهية بقوله: الرب رحوم وراوف صنع ذكراً لعجايبه
اعطا غذاء لاتقيايه: انه ليسوغ لي الان ياسيدي والهي ان ادعوك رحمتي. علي
انه ما كفاك ان تداوي امراضي بل اردت ان تكون انت بذاتك علاجاً ودواء
لها: فلتعترف للرب مراحمه وعجايبه لابناء البشر لانه اشبع نفوساً خاوية

مزمور ١١٠ع٤

مزمور ١٠٦ع٨

والنفوس الجايعة ملاها من الخيرات ❋ تنبيه

انهُ يتضح من هذا جميعهِ ان المراحم الالهية ليس لها عدد ولا تقدير. وانهُ لا يمكن ان يدركها عقل مخلوق . فلنقتدِ اذاً بالذي قدمهُ لنا ابن الله لنماثلهُ ونتشبه بهِ حيث قال لنا: كونوا رحما نحو اخوتكم كما ان اباكم رحيم هو: فلنحسن مثلهُ الى العديمي المعروف والذين اسوا الينا اكثر اساءة . ولننقل في نفوسنا ما قالهُ النبي والملك عن عدوه. أبقي هاهنا احدٌ من بيت شاول فاصنع بهِ رحمة الله. الذي يحسن الى اصدقايهِ ومبغضيه . فيا الهي اب الرحمات اظهر لنا يارب رحمتك لنقتدي بها . ونتشبه بك علي الارض كالابنا الحقيقيين فنرث ملكك السماوي امين ❋

التامل الثالث عشر

❋ في سخا الله الغير المتناهي نحونا ❋

❁ الجزء الاول ❁

تامل اولاً ان سخاء الله يتوقف على انهُ تعالى يمن على خلايقهِ بعطايا عظيمة متعددة بغير ان يكون ملتزماً لهم بشيء او راجياً منهم شيئاً حسبما قال الرسول: الله يعطي كل احد من سعة بغير امتنان ❋ فاعتبر اذاً ان الله اولاً يفيض على الجميع جواهب طبيعية ام فايقة علي الطبيعة ❋ ثانياً انهُ يعطي اثمن ما في كنوزه. بل يمنح ذاتهُ نفسها كما تبين في تجسد ولاماته وسر القربان المقدس وحلول الروح القدس ❋ ثالثاً يمنح الجميع سواء كانوا صالحين ام طالحين ❋ رابعاً يعطي بغير ان يلزمهُ في ذلك حقٌ ما. لكنهُ انما يعطي لانهُ يحب ان يعطي ويسر بذلك ولهذا يقول علي لسان ايوب الصديق: من سبق فاعطاني فارد عليهِ: وثبت هذا الرسول بقولهِ: مَن تقدم فاعطاهُ شيئاً فيجازيه ❋ خامساً يعطي بلا طلب فايدة لانهُ لا يحتاج الى شيء. فان كان الله يلزمنا ان نظهر المعروف بالطاعة لارادته. فالسبب لذلك هو ان سخاه لا ينافي عدله. ولكونهِ الواضع الشريعة الاعظم فلمن المستحيل ان يعفينا عن اكرامهِ والطاعة لهُ. وفي هذا عينه يظهر سخاه. على انهُ لا يامرنا بشيء الا لكي يجد سبباً لان يحسن الينا اكثر احساناً ويجازي

يعقوب ١ع٥

ايوب ٤١ع٢

روميه ١١ع٣٥

خدمتنا بخيرات اخر جديدة. فلنعترفن اذًا كلنا بصوت واحد ان الله وحده سخيٌّ كما انهُ وحده صالح. ولنقرّ مصدقين ان سخانا بالنسبة الى سخا الله ليس هو سوى فقر محض. على انهُ ليس لنا شي نستطيع ان نقدمهُ لهُ تعالى غير الذى قبلناهُ منهُ. والذي نقدمهُ لهُ فاننا ملتزمون بتقدمتهِ التزامًا كليًّا بحج عديدة *

* تنبيه * فعليك ايها المتامل ان تكون سخيًّا لدى الله علي قدر ما تستطيع وبحسب كل الانواع الممكنة لك. فاعطِ الله مهما يبتغيهِ منك نظرًا الى وصاياه ومشوراتهِ وقوانين مذهبك ودعوتك. قدم ايضًا لربك الجزيل سخاوةً كلما يطلبهُ منك بالهامهِ ام بفم المساكين وجميع الذين يمكنك ان تسعفهم في ضرورة الجسد او النفس. وعليك ان تقدم ذلك بقلب طيب وسرورٍ. ثم احذر من ان تقدم لهُ تعالى شيئًا بروح خادمٍ اي بروح أجيرٍ لا يقصد بخدمتهِ الّا الاجر الموعود بهِ. بل قدم لله قرابينك بمحبةٍ محضةٍ منزهةٍ من كل طلب اجرٍ وفايدة ذاتية. وليكن قربانك الاول والاخص ذلك الذي يطلبهُ علي الخصوص وفوق كل شي بقولهِ لك: يابنيَّ اعطني قلبك: فقل في مناجاتك للاب السماوي هكذا. اقبل قلبي يا ابتاه فاني اقدم لك ما قد قبلتهُ منك فلا ترذل قرباني هذا. اقبل قلبي يا الهي واله قلبي لاني قد اخصصتهُ لك ولخدمتك الي الابد. واقدم لك جميع اشواقي وعواطفي وافعالي وجميع مالي علي الاطلاق. فاقبل ذلك يا ايها الرب الهي واجنِ اثمار هذه الشجرة التي انت غرستها *

امثال ٢٣ع٢٦

الجزء الثاني

تامل ثانيًا باي سخاءٍ يكثر الله حسناتهِ على الذين يعاملونهُ بسخاءٍ على النوع المتقدم ذكره. علي انهُ ان كان الله يجود هكذا على الذين يعطونهُ قليلاً. فبما سخا يجود على الذين يقدمون لهُ كل شيء. قال سيدنا المخلص: بالكيل الذى تكيلون يكال لكم: وقد يظهر الله لنا سخاهُ علي انواعٍ متعددة * فاعتبر اولاً انهُ تعالى لمستعد علي الدوام وفي كل وقتٍ لان يستجيب صلواتنا. وقد يستجيب لها في الوقت والنوع اللذين يفيدانِنا اكثر فايدةً. واذا اسرعنا في تتميم ما يريدهُ منا يسرع هو ايضًا في تتميم ما نطلبهُ منهُ *

لوقا ٦ع٣٨

افتكر ثانيًا انه اذا اتفق اننا لا نطلب ما نحتاجهُ فانه تبارك اسمه يلهمنا ويسوقنا الى طلبهِ . بل انهُ يرسل لنا روحهُ الذي يصلي عنا بالزفرات التي لا توصف ❊

افتكر ثالثًا انهُ اوقاتًا كثيرة يمنحنا كما قال القديس غريغوريوس ما قد عرف انهُ مفيد لنا ويمنحناهُ قبلما نطلبهُ . وعلى هذا الحوفان شفا الانسان السخي لدى الله يتكلم عنهُ ويتشفع فيهِ حين يصمت هو ولا يسال شيًا : لانهُ تعالى يستجيب لهُ قبل ان يصرخ ❊ فاستبشري اذًا يا نفسي من ان لكِ الهًا سخيًا بمقدار ماهو غني . فلو انهُ يكون غنيًا ولا يكون سخيًا معًا لكان هو وحدهُ ينتفع من غناهُ . ولو كان سخيًا لا غنيًا لما كان سخاوهُ يفيد احدًا شيًا . الّا انهُ اذ كان غنى الله وسخاوهُ لا حدّ لهما ولا تقدير . فليتقوَّ رجاوكِ واطلبي منهُ بطمانينة مهما ترغبينهُ ❊

❁ الجزء الثالث ❁

تامل ثالثًا ان الذي ذكرناهُ وتاملناهُ عن سخا الله هو توبيخ شديد لنا على بخلنا نحوهُ تعالى . فلكي تلتحف بخزي مفيد مقدس تذكراني كما ان السيد المسيح لما طلب من المراة السامرية ماء فلم تعطهِ وحينما صرخ قايلًا انا عطشان اعطوهُ مشروبًا مرًّا . هكذا انت اما انك تماثل المراة السامرية فلا تقدم لربك ما يطلبهُ منك . اما انك تقتدى باليهود فتسقيهِ خلًّا ممتزجًا بالزوفا . اي تقدم لهُ افعالًا ناقصة تكرهها نفسهُ وتتقزز منها . ولكي تتحقق ذلك فاذكر الخمسة الاشيا التي تاملتها في الجزء الاول . فترى ان يدك منقبضة جدًّا نحو الله اعني نحو وصاياه الالهية . وان كنت تجتهد قليلًا في حفظ ماهو اكثر ضرورةً والتزامًا فتتهاون فيما تحسبهُ اقل اعتبارًا . فاستحين خجلًا عند تاملك انك تحتقر مشورات ربك وتتكاسل في حفظ رسومات دعوتك وقوانينها . واحيانًا كثيرة تقاوم ارادة روسايك والهام ربك . وانك تردهُ عما يطلبه منك خايبًا . فلا تصغى لصراخ الذين يلتجون اليك في وقت ضرورتهم الروحية او الجسدية

التامُّل الرابعُ عشرَ

❁ في حضور الله في كل مكان ❁

الجزء الاول

تامل اولًا ان الله هو غير ممسوح وانه كما قال ارميا النبي : يملا السما والارض

وروحه يمتد الى الارض كلها: حتي انه لا يوجد مكان ولو مهما كان بعيدًا او خفيًا لا ويكون تعالى موجودًا فيه. بل انه ينفذ كل شي لكونه روحًا بسيطًا وهو في كل شي كنفسه. ولذلك فهو في وسط البحر وفي قلب الارض وفي المسكونة قاطبةً. ولا يوجد مكان ما صغير يخلو منه تعالى. ففي اي مكان وجدت تصور انك في حضن الله كالطاير في الجو والسمك في وسط المياه وقل مع النبي والملك هكذا: ان صعدت الى السما فانت هناك وان نزلت الى الجحيم فانت حاضر. وان اخذت جناحين وسكنت في اقاصي البحر فان هناك يدك تهديني * فتحقق اذًا متيقنًا انه لمن الممتنع بالكلية ان تخفى عن نظر الله. على انه اذا ما هربت منه فتجده في طريقك وان رمت ان تختفي منه يكن حينئذٍ في وسط قلبك *

مزمور ١٣٨ع٨

اعتبر ايضًا ان الله ولو انه يملا السما والارض كلها فليس هو بمحصور ومحدود فيها. لانه جلت عزته يستطيع ان يملا الوف الوف وربوات ربوات من العوالم اوسع من هذا العالم. ولهذا قال سليمن الحكيم ها السما وسما السماوات لا تسعك *

ملوك ٣ ٨ع٢٧

فهذا الاعتبار يجب ان يصدر فينا عواطف كثيرة جيدة. فاحسن اولًا ايمانك بحضوره تعالى في كل مكان. واقتدين بموسى الذى صبر على غير المنظور كانه يعاينه. انظر اليه سبحانه بعين الايمان وخاطبه بدالةٍ مقدسة في صلاتك. وانتظر المعونة منه بطمانينةٍ واستشره في تصرفك. سر امامه كانك تبصره بعينيك. لانه وان كان الله غير ملحوظ فانه مع ذلك هو حقًا موجود حيثما نكون نحن. وقد ينبغي ان تغني عين الايمان وعين العقل النطقي عن النظر الجسمي. ويفعلان ما لا تقدر ان تفعله عين الجسد. ومن هنا ينتج ان كل مكان هو مكان الصلوة. على انه لا يوجد مكان ما لا يكون الله فيه حاضرًا ومستعدًا لان ينصت الينا ويستجيب لنا ولهذا قال الرسول: اني اريد ان الرجال يصلون في كل مكان*

تيموتاس ١ ٢ع٨

ثم بعد فعل الايمان ابرز فعل التعجب والابتهاج فاصرخ مع النبي قايلًا: يا اسرايل ما اعظم بيت الله وما اوسع موضع مقتناه عظيم هو وليس له انتها علي وغير ممسوح. السما كرسي الرب والارض موطى قدميه. وهو اعلى من السما واعمق من الجحيم * انر يارب اعين نفسي لكي تبصرك كما تشاهد عينا جسدي الشمس في

باروخ ٣ع٢٤

اشعيا ٦٦ع١

ايوب ١١ع٨

نصف النهار ❊

❁ الجزء الثاني ❁

تامل ثانيًا كيف ان الله موجود في كل مكان بجوهره وحضوره وقدرته. فاعتبر اولاً ان الله هو في كل مكان بجوهره البسيط الغير القابل الانفصال من كمالاته كلها. وبالنتيجة ينبغي ان تومن بانه في المكان الذي انت فيه يوجد الله الاب مع الابن والروح القدس. وانه هناك الاب يلد ابنه الازلي. والاب والابن يبثقان الروح القدس. وانه هناك يوجد اللاهوت كله مع جوده ورحمته وعدله وحكمته وقدرته. وان الاله الموجود علي الارض ليس هو يختلف عن الاله الساكن في السما وانه هو الذي خلق العالم ويدبره الان. وانه لو يكشف لك ذاته ويريك مجده لكنت حظيت حالاً بالغبطة السماوية بغير انتقال عن المكان الذي انت موجود فيه ❊ فياليتك قد كنت يا نفسي حسنة الايمان لما كنتِ في خلوتك تظنين انك حاصلة وحدك. اذ ان الاقانيم الالهية الثلثة يكونون موجودين معك. فلكي تمارسي رياضاتك جيداً في خلوتك احدقي الحاظك في هذا الجود الاعظم الذي قد التزمتِ بحبه. وفي هذه العزة الغير المتناهية التي ينبغي ان ترهبيها. وفي هذه الحكمة الغير المحدودة التي يجب عليك ان تصغي سمعًا لها. وفي هذه القدرة الفائقة التي يلزمك ان تتكلي عليها. وفي هذا الخير الغير الموصوف الذي يجب عليك ان تجعلي فيه كل سرورك وسعادتك. فابتهجي من ان الله لا يزال ناظرًا اليكِ ومنتصبًا امامك وموجودًا فيك. وبهذه الواسطة تستمرين مع الله دايمًا والعالم كله يعود لكِ نعيمًا وتجدين في كل مكان ملك السما والارض ❊

اعتبر ثانيًا ان الله موجود في كل مكانٍ وفي كل شي بحضوره لانه يرى جليًا واضحًا اخفى ما في الخلايق. فوجود الله اذًا في مكانٍ ما ليس هو كوجود انسان في مكانٍ استحوذ عليه فيه النوم او الغشو او تشتت عقله خارجًا فلا يدري اين هو. وليس وجود الله في العالم كوجود النفس في الجسد التي لا تعرف ما يصير فيه. بل ان الله يرى ويعلم المكان الذي هو موجود فيه ولا يختفي شي عن نظره الالهي. فتذكري اذًا يا نفسي ان الله هو حاضر وناظر اليك علي الدوام. فان

دخلت مخدعك لتصلي فهناك وفي سر خلوتك يسمع الله صلواتك . واذا ادركتك تجربة ما شديدة فاذكري ان الله ناظر اليك بعيون نقية تبغض الخطية وفاعلها ايضاً : وان كنت حزينة فيكون تعالى مطلعاً على ذلك وعارفاً الوقت الذي فيه سيفرج عنك . واذا قصدت ان تمارسي عملاً ما صالحاً فلا ترغبي ان تشاهدك الناس . بل يكفيك ان الله ناظر اليك لانه هو وحده الذي ينبغي ان تطلبي رضاه . حيث انه هو العتيد ان يدينك على الخير والشر الذي قد فعلتيه امام عينيه . حقاً حقاً : ان الله ينظر في كل مكان الصالحين والطالحين : فانر يارب عيني لكي اعتبر حسناً واتحقق يقيناً اني منتصب تجاه عزتك الالهية علي الدوام . فاحذر حذراً كلياً من ان افعل شيئاً لا يليق فعله امامك وعلي هذا النحو استحق ان اعاينك مواجهة في مجدك *

امثال ١٥ع٣

اعتبر ثالثاً ان الله موجود في كل مكان وفي كل شي بقدرته . على انه تعالى ليس انه يرى كل شي فقط بل يحيي ايضاً كل شي وبدونه لايصير شي ما . قال الرسول : ان الله ليس بعيداً عن كل واحد منا بل اننا به احيا ومتحركون وموجودون : فلسنا نحن احيا الا لانه هو فينا . ولسنا بمتحركين الا لانه يحركنا . ولسنا موجودين الا لانه خلقنا ويحفظنا . حتي انه ان تباعد عنا دقيقة واحدة من الزمن لارتددنا حالاً الى العدم * فاذا تفرست في هذا العالم ونظرت الى الاشيا التي حصلت علي الوجود والحركة والحيوة . وجه ايضاً نظرك الى من هو موجود في كل العالم بجوهره وحضوره وقدرته . فكما انه اذا راينا انساناً حياً نعتقد حالاً انه لتوجد فيه نفس غير منظورة تحيي ذلك الجسد وتحركه . هكذا اذا ما تفرست في الخلايق ناظراً فاعتقد ان الخالق سبحانه هو موجود فيها . لا على نحو وجود النفس في الجسد . بل علي نوع اخر اشرف واكمل جداً . ولعمري ان هذا الاعتبار يملانا سروراً وتعزية فنحب الله ونمدحه في خلايقه ونبتهج من اتحاده العجيب بها . وحينيذ ابهى الخلايق واجملها لاتجتذبنا بظرافة حسنها ولا ارهب ما يوجد فيها تخوفنا او يرهبنا . بل اذا احدقت بنا اعداونا واحاطت بنا الوحوش الشرسة الضارية . نتذكر ان الموجود في كل مكان ليس هو بعيداً منا . وهذا الفكر

ابركسيس ١٧ع٢٧

يخولنا قوةً وشجاعةً فنقول مع ايوب البار والنبي والملك داود بغاية الطمانينة المقدسة: اجعلني يارب عندك وليحاربني يد من يشا: الرب نوري ومخلصي ممن اخاف ان اصطف عسكر عليّ لا يخاف قلبي: علي اني لواثق انك انت معي وبدونك لا يقدر احد ان يتحرك ضدي: ها هوذا انظر الرب امامي في كل حين لانهُ من عن يميني لكيلا ازول *

ايوب ١٧ع٣
مزمور ٢٦ع١ و٣
مزمور ١٥ع٨

الجزء الثالث

تامل ثالثاً باخص اعتبار كيف ان الله هو موجود في داخلنا. وكيف لنا فيه تعالى الوجود والحيوة والحركة * فاعتبر اولاً ان الله يحيط بنا من كل ناحية كما تحيط المياه بالسمك الذي في وسط البحر. واننا موجودون في الله كوجود الحدقة في العين. وقد قال تبارك اسمه انهُ يحملنا في احشائهِ كما تحمل المراة في مستودعها الجنين الذي حبلت بهِ. فليبتهج قلبك من كونك في الله علي هذا النوع العجيب. فها ان الله صار لك كبيت لا تستطيع ان تخرج منهُ الى الابد. وهو لديك بمنزلة سرير تجد فيهِ راحتك وخارجاً عنهُ لا يمكنك ان تجد راحة حقيقية. وهو السور الحصين الذي يصونك تجاه اعدايك. وهو حياتك وقوتك لانك منهُ تستمد الحيوة والقوة على نوع افضل مما يستمد الجنين ذلك من امهِ * الهي وراحتي الى الابد حقاً انك لتحملني في حضنك. فاجعلني ان احملك انا ايضاً في حضني الى اينما مضيت. كن دايماً في عقلي بذكر حسناتك. وفي قلبي بعواطف محبتك. قوني يارب بقوتك المحيطة بي وانعم عليّ بهذا لا احيي فيّ. بل تكون انت حياتي ومحيي في وعدك الى ابد الابدين * وقد يفيدك ايها المتامل ان تعتبر هذا الموضوع باوفر تفصيل. فتصور احياناً الهك الاله المحبة كنار آكلة تحيي انت في وسطها. وتصور العالم كله كاتون ملتهب فياخذك التعجب من انك لا تضطرم بنار المحبة بل يستمر قلبك بارداً. واحياناً تصور الله كنور عظيم يضي كل الارض ويحيط بك وينفذك ثم اطلب منهُ ان يشركك في كمالاتهِ *

اعتبر ثانياً ان الله هو فينا ونحن متحدون بهِ اتحاداً اشد من اتحاد النفس بالجسد. علي ان الآب والابن والروح القدس يوجدون فينا حقاً لا بالرمز فقط. ولذلك

دوجد فينا الجود بالذات الذي منهُ نتخذ الوجود والحيوة. وتوجد فينا حكمة الله التي تدبرنا وقدرته الضابطة الكل التي بدونها لا يمكننا ان نفعل شيئاً. وبدونها لا تستطيع اعيننا ان تبصر واذاننا ان تسمع. وارجلنا ان تسير وعقلنا ان يفهم شيئاً اصلاً. حتى ان ارادتنا بدونها تكون عديمة الحركة. فاجعل اذاً في قلبك مخدعاً روحياً سرياً تختلي فيه مع الله وتتردد معهُ. لانهُ هو بالحقيقة موجود في هذا المخدع وهناك يصغى لصلواتك. وعلى هذا المعنى قد فسر القديس اغوستينوس هذا الكلام الالهي. وانت اذا صليت فادخل الى مخدعك اي الى قلبك واغلق بابك اي حواسك وصلِّ لابيك سرًّا. ويجب عليك ان تروض نفسك بهذه الرياضة وتمرنها عليها. وهي انك تدخل اوقاتاً كثيرة الى باطنك فتطلب الله هناك. على انه اذ كان تعالى موجوداً حقاً في قلبك فما الحاجة الى ان تمضي بعيداً لتطلبه. الا انهُ ينبغي مع هذا ان تبذل جهدك في ان تنزع عن نفسك كلما يدنسها ويمنعك عن انك تشاهده وتعرفهُ وتحبه. فكيف لا تبتهجي يا نفسي من ان انك تمتلكين اعظم الخيرات كلها وتفوزين بحضور حبيبكِ وابيكِ الحقيقي. فقدمي لهُ قلبك وخافي من انكِ تكوني مفترقة منهُ دقيقة واحدة. فان كنتِ فقيرة فهو الغني وحده ويقدر ان يعطيك كلما تحتاجينهُ. وان كنتِ ضعيفة فهو القوة عينها وبنعمته يقدر على كلّ شي. فلماذا تخرجين الى ما هو خارج عنكِ ملتمسة عوناً من الخلايق وها هوذا معكِ وفي وسطك كل قدرة الخالق ٭

✤ الجزء الرابع ✤

تامل رابعاً ان الله موجود في بعض اماكن وفي بعض اشيا على نوع اخص مما هو في غيرها. فاعتبر اولاً ان الله موجود وجوداً خصوصياً في ملكوت السما. على انهُ تعالى في كل مكان غير الملكوت السماوي يوجد على نوع خفي لا ينظره الانسان الا في ظلمة الايمان. اما هناك اعني في الملكوت فانهُ يظهر ذاته للقديسين ظهوراً واضحاً ويفعل فيهم العظايم. ولهذا سميت اورشليم السماوية: قبة الله مع الناس حيث يسكن معهم: اي مع المختارين ولا يمكن ان يفارقهم ٭ اعتبر ثانياً ان الله موجود على الارض في بعض امكنة وجوداً خصوصياً ايضاً

وهي الامكنة التي يصنع فيها عجايب قدرته . ولذلك لما راى يعقوب ذلك السلم العظيم المتصل من الارض الى السما وشاهد الله بكلمة من علو السلم . صرخ عند انتباهه قايلاً : حقاً ان الرب في هذا المكان وانا لم اكن اعلم ما اخوف هذا الموضع ما هذا الا بيت الله وباب السما : فعلى هذا النحو يوجد الله في هياكلنا المقدسة وفي كل الاماكن المختصة لرياضة الصلوة . ويوجد ايضاً وجوداً خصوصياً في الخلوة حيث يتردد بدالة مقدسة مع النفوس التي تجردت من العالم حسب قوله تعالى : انا اوديها الى البرية واتكلم في قلبها : فاياك اذاً ان تدخل في هذه الاماكن المقدسة خلواً من هيبة بليغة تجاه عزة الله الموجود هناك ❊

خليقه ٢٨ع١٦

هوشع ١٤ع٢

اعتبر ثالثاً ان الله هو موجود وجوداً خصوصياً في الصديقين بواسطة الايمان والنعمة . وقد يفعل فيهم ومعهم اعمالاً تستحق الحيوة الابدية . ولهذا قال مار يوحنا الانجيلي : ان الله هو محبة ومن حل في المحبة فقد حل في الله وقد حل الله فيه : على ان الحب لا يقدر ان يحيي الا في موضوع حبه . واذا كان اثنان يحبان بعضهما بعضاً فانهما يحييان بعضهما في بعض . فاذاً الذي يحب الله هو حال في الله ولان الله يحبه فهو تعالى ايضاً يكون حالاً فيه . ثم ان الصديق يحيى في الله لانه هو في حضن الله حيث يصونه بسور حمايته . ويحيى الله فيه لكونه تعالى يسكن في نفسه ويحييها ويصيرها ان تبرز اعمالها بحركة نعمته ومحبته ❊

يوحنا ١ ١٦ع٤

التامل الخامس عشر

❊ في معرفة الله وحكمته الغير المتناهية ❊

الجزء الاول

تامل اولاً ان الله بقوة حكمته الغير المحدودة يعرف ذاته . ويدرك بكمال الادراك كلما يخص جوهره الالهي وكمالاته الفايقة وجميع افعاله ومقاصده واحكامه . وعلى الاطلاق نقول انه يعرف كلما يمكن ان يفعله . ومن ذلك ينتج انه لا يخفى شي عن معرفته تعالى وانه ليعرف كل شي يمكن ان يعرف . وعلى هذا بالخصوص تتوقف سعادته تعالى كما قال المعلم المليكي . على ان الله ليس هو سعيداً للسبب انه

لا يجهل شيئاً مما هو خارج عنهُ . بل لسبب انهُ يعرف ذاتهُ وفي ذاتهِ يعرف جميع
الاشيا المخلوقة * فسبيلنا اذاً ان نفرح معهُ تعالى لاجل هذا الامر نفسه . ونهنيه
على هذا السرور الواصل لهُ من قبل هذه المعرفة . ثم يجب علينا ايضاً ان
نسالهُ ان ينعم علينا بنور حكمتهِ السماوية . ولنحذر جداً من ان نجعل سعادتنا
في ان نبلغ معرفة الخلايق . على انهُ لا يمكن ان نجد سروراً كاملاً الا
في معرفة الخالق . قال القديس غريغوريوس اي شي لا يعرفهُ من يبصر الباصر
كل شي . انهُ في هذا الموضوع يجد الانسان ما يشبع بالكلية شهوته الطبيعية
المنعطفة بافراط لتحصيل العلم . فان كنتِ اذاً يا نفسي ترغبين التشبه بالله العالم بالخير
والشر . فابذلي جهدكِ بان تعرفي الله وتعرفي ذاتك . وعلى هذا النحو ستحبين
الخير وتبغضين الشر . فماذا تفيدكِ جميع العلوم الطبيعية ان كنت فاقدة علم
القديسين علم الخلاص * فيا ايها الجزيل الحكمة وينبوعها عرفني من انت وماذا
تريد مني . فلقد تكفيني هذه المعرفة ولست اطلب شيئاً اخر سوى ان توازرني
بنعمتك لاحب كمالاتك الالهية واحفظ وصاياك *

❁ الجزء الثاني ❁

تامل ثانياً ان الله لا يستمد حكمته من احد بل قد اتخذها من ذاتهِ . وانهُ يرى
كل شي في جوهرهِ كانهُ في مرآة وانهُ لم يكن لهُ قط معلم ولا وزير . وبالنتيجة
لا حكيم الا الله . علي ان الملايكة والبشر ليس لهم من الحكمة والمعرفة سوى ما اتخذوهُ
من الله . وكل معرفتهم هي شي يسير وكلا شي بالنسبة الى معرفته تعالى . ولعمري
ان احكم الناس واوفرهم علماً هو بالنسبة الى الله اله العلوم جاهلٌ وغبي بالكلية
على راي ارميا النبي ومن ثم قال الحكيم عن نفسهِ : اني اوفر غباوةً من جميع الناس
وليست فيَّ فطنة : فاحتقرنَّ اذاً كل علم بشري وازدرينَّ بجميع المعارف الطبيعية
واحتسبها كلا شي . وقل مع احد الفلاسفة اني اعرف شيئاً واحداً فقط وهو اني
لست اعرف شيئاً * ثم يجب ان تعلم معتبراً ان اجتهاد الانسان في ان
يدرك حكمة الله الغير المتناهية الفايقة ادراك كل عقل بشري وملكي فوقاً
لا يحدّ هو جسارة محضة وغباوة عظيمة . علي انهُ : لا يعلم احد ما في الله الا روح

امثال ٣٠ع٢

١قرنتيه ٢ع١١

سيراخ ١:٦ — اية: اصول الحكمة لمن اشتهرت واسرارها من تراه ادركها تدبير الحكمة لمن
ايوب ٢١:٢٨ — تراآى: وقال ايوب ان حكمة الله خفيت عن عين كل احد حتى وعن طاير السما
اي عن معرفة الملايكة * فيا ايها الاله المرتفع فوق الشاروبيم الحاوي كل العلوم
والاسرار المحجوبة عن ادراك كل عقل مخلوق . انى احترم بكمال التهيب اسرار
حكمتك الغير المستفحصة . واسالك شيًا واحدًا لا غير وهو ان تمنحني العلم
الذى احتاجه لكى احبك واعبدك الى الابد *

الجزء الثالث

تامل ثالثًا ان الله اخترع كلما يوجد من العلوم والصنايع الرفيعة واخترع ذلك
جميعه بذاته وبغير ان يسعفه احد . وان كلما يوجد من المعارف في الخليقة في
السما والارض فقد اتخذته من فضل خالقها . فتامل الان بالتفصيل مع النبي صنايع
الله المذهلة العقول . واعتبر اولاً كيف ان الحكمة الالهية جبلت الانسان
واقرنت ووحدت جسمًا هيوليًا قابل الموت بروح لا يموت . ثم تفرس في
الاختلاف العجيب الموجود في الوجوه والطبايع والتفننات البشرية * اعتبر ثانيًا
صنايع الله الفايقة الطبيعة لاسيما تلك التي بها اقرن ووحد في اقنوم واحد
الطبيعة البشرية والطبيعة الالهية . واوجد ذاته بالكلية في سر القربان المقدس
تحت ادنى اجزا الاعراض السرية * اعتبر ثالثًا صنايع اخر عجيبة غير متعددة
يستعملها الله كل يوم لينجي بها الابرار من اعظم المخاطر ويرقيهم الى الكمال
ويوصلهم الى السما حيث يظهر لهم اعجب ما صنع لخيرهم ولتمجيد اسمه الاقدس *
فانتج من ذلك ان الحكمة الازلية تدبر كل الاعمال التي يمارسها جود الله ومحبته
ورحمته وعدله . على ان الجود لا يستطيع ان يشرك ذاته ولا المحبة ان تحب
ولا الرحمة ان ترحم . ولا العدل ان يعذب ويثيب كما يجب بدون الحكمة الالهية
سيراخ ١٠:١ — ولهذا قال الكتاب المقدس : ان الله سكب حكمته على كل اعماله : وافعاله جميعها
مزمور ٢٤:١٠٣ — قد صنعها بحكمة : فليتعجب عقلك وليفرح قلبك من انه لك اله لا نظير له في
الحكمة يجد على الدوام وسايط لتكميل مقاصده . ولذلك يجب ان تبني عليه
اتكالك لا سيما في الحوادث الصعبة حينما يتبين انه لم يبق رجا . لانه اذا عجزت

الحكمة البشرية عن مساعدتنا في وقت الضرورة . ففي هذا المحل خاصةً تحب الحكمة الالهية ان تمدنا بمعونتها وبنجدتها . ثم بارِكنَّ الله علي ما اخترع من الوسايط لاجل خلاصك ❊

✣ الجزء الرابع ✣

تامل رابعًا ان الله بحكمته رتب كل شيءٍ بمقدارٍ وعددٍ ووزنٍ : على انه تعالى قد عرف عدد جميع الخلايق الماضية والكاينة والعتيدة ان تكون . ويعرف اجزاء كل شيءٍ منها وخاصاتها ووظايفها . ولقد عرف ايضًا ثقلها والى اية جهةٍ تميل من قبل الطبيعة والنعمة . ويعرف كل اعراضها اعني بها عرضها وطولها وعلوها وعمقها ونقول اخيرًا انه قد عرف جميع كمالاتها . قال داود النبي ان الله احصى كثرة الكواكب وعرف انها وان كانت متعلقة بالفلك فتفيض علي الارض طبعًا بتاثيراتها . ويعرف كل كمالات الجوهر وعددها ولهذا قال ايوب البار انه تعالى يسميها باسمها : وقد عرف ايضًا كل انقلابات الافلاك السايرة منذ انشاء العالم الى انتهايه . وبالنتيجة يعرف كم يدوم العالم ومتي ياتى هذا اليوم المخيف الذي فيه تقف الافلاك وتبطل حركاتها الي الابد . ويعرف الوقت الذى تنتهي فيه كل الدهور وقد شهد السيد المسيح : انه لا يعرفه احدٌ غير الله :

فاذا اعتبرت هذا فانحدرنَّ من السما الى الارض . واعتبر ان الله سبق وعرف منذ الازل كل البروق والرعود ونقط الامطار وكمية البرد ومقدار الثلج وعدد الرياح العتيدة ان تظهر في العالم . وعرف ايضًا خواصها حيث انه تعالى هو الذى خولها اياها . وكما انه تبارك اسمه يرسل البروق . هكذا يرسل ايضًا الثلج والبرد والرياح فتمضى وتفعل كما امرها . فمن ذا لا يتكل علي من تطيعه الريح وتخضع له الرعود والبروق ❊ اعتبر ايضًا ان الله يعرف عرض البحر والبر وعلوهما وعمقهما . لانه وضعهما في الميزان وفحصهما . وهكذا يعرف كلما يوجد في العناصر . حتي انه يدرك جميع اجزاء الرمل واصغر العصافير التي لا يسقط احدها دون ارادته تعالى ❊ اما من جهة البشر فلقد عرف الله عددهم سواءٌ كانوا الذين مضوا ام الكاينين الان ام الذين سيكونون الى انتها العالم . ويعرف عدد السنين وحيوة

كل احد وايامه وساعاته ودقايقه وبالنتيجة يعلم دقيقة موته . ويحيط علماً بعدد اعضاينا وشعورنا ولا يسقط شي منها دون علمه وسماحه ، ويعرف كل افعالنا جيدة وردية ماضية وعتيدة . حتى انه يعرف ايضاً كل حركاتنا وخطواتنا . فاذا تاملت هذه كلها فسبحن الحكمة الالهية وقل بايمان حسن وقلب مبتهج : يقيناً كان الخبر الذى ابلغني عن حكمتك وتحقق عندي ما سمعت ولم اخبر عن نصف ما عاينت : طوبى لعبيدك الذين يقومون بين يديك ابداً ويسمعون حكمتك ❁

ملوك ٣ ١٠ و٧ و٨

❁ الجزء الخامس ❁

تامل خامساً ان الحكمة الالهية تعلم كل شيء بنظر بسيط . لانها لا تعلم شياً بعد شي . بل تدرك الاشيا كافة بنظر واحد متصل من الازل الى الابد . فانتج اذاً من ذلك ان الله يعرف مهما يمكن ان يعرف . ولا يعرف شياً بمعرفة متجددة لانه ليس لدى الله شي جديد . وينظر نظراً واضحاً جلياً جميع الاشيا الماضية والحاضرة والمستقبلة . بل يعرف ايضاً كل الاشيا التي يمكن ان تكون ولو لم تكن عتيدة ان تكون . ومعرفته هذه المحيطة بكل شيء لا يشوبها ريبة ما اصلاً . على انه لمن المستحيل ان يلحقه جهل او ضلال .

ولذلك قال الحكيم : عينا الرب اضوى من الشمس وتبصر جميع طرق الناس وقلوب البشر في مخادعها : والاشيا كلها ظاهرة بين يديه قبل كونها : ينظر من دهر الى دهر ومن الازل الى السرمد . وقد يجب ان تتامل هذه الحقيقة تاملاً مفصلاً . فاعتبر ان الله يعرف بحكمته كل الاشيا التي ظهرت منذ انشا العالم الى الان . ويتبينها كانها حاضرة الان ومنتصبة بازاء عينيه . ولذلك من المستحيل ان ينسى شياً مما قد عرفه قبلاً . فهو ذاكر الان وسيذكر دايماً الى الابد كل الذين ظهروا في الدهور الماضية صالحين كانوا او طالحين مع جميع افعالهم الجيدة والردية . نعم انه جل ذكره يذكر كلاً من القسمين على نوع مختلف . لانه لم يزل يذكر الاشرار بنية ان يعذبهم ويذكر الابرار بنية ان يثيبهم ويأجرهم . وان قيل عنه تعالى انه ينسى الاشرار ويتغافل عنهم . فيقال هكذا لان الله يزدري بهم محتقراً وينزع عنهم انعامه . اما انت ايها المتامل فاجتن لك من ذلك ما يجديك

سيراخ ٢٣ و٢٢ و٢٩

نفعاً. فاومن يقيناً ان الله يذكرك ويذكر كلما يخصك ويلايمك كانك وحيد في العالم. وتحقق جيداً انه تعالى لا يزال في كل دقيقة مفتكراً فيك. وانك منتصب امامه على الدوام وانه لمن المستحيل ان ينساك. فتصور اذاً انه تعالى يخاطبك كما خاطب اورشليم المدينة المحبوبة منه: هل تقدر المرأة ان تنسي طفلها حتي لا ترحم ابن بطنها وان كانت هي تنساه لكني انا لا انساك هنذا في يدي سطرتك: فاحذري اذاً يا نفسي من انك تنسي من لا ينساك ابداً. احملي في قلبك من لا يزال حاملاً اياك على يديه. ولا تبرحي مفتكرة ومجتهدة في خدمة مولاك الذى لا يبرح مفتكراً ومجتهداً علي الدوام في خلاصك * اعتبر ثانياً ان الله يعرف بحكمته الغير المتناهية كلما يصير في يومك هذا وفي هذا الوقت الذي انت فيه. فيعرف اخفى ما في النفوس الاكثر خبثاً ومكراً. ويتبين باجلى وجه تخيلاتها وافكارها واشواقها ومقاصدها الخفية تلك التي لا يقدر ان يعرفها لا انسان ولا ملاك. بل يعرفها روح الله وحده. وقد يعرف الله ايضاً اشيا اخر كثيرة تخطر في بال الانسان ولا يدري بها. ولذلك هو شي مختص به تعالى ان يكشف اسرار القلوب ولهذا قال الرسول: ان كلمة الله حية وفاعلة وهي احد من كل سيف ذي حدين يلج الى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخارج ومميزة لافكار ونيات القلب وليس من الخلق خلق ينكتم عنه * اعتبر ثالثاً ان الله يعرف كلما هو عتيد ان يصير منذ الان والى الابد. حتي ان الاشيا المتعلقة باختيار الخلايق الناطقة فيسبق هو ويعرفها. وهي حالاً لدى الله كالذى قد تقدم كونه او كاين الان امامه. واحياناً يتقدم فيخبر بها احباه. ثم يجب ان تعلم ايضاً ان الذي سبق الله وعرف انه سيكون فانه يكون حقاً لا محالة. وهذه المعرفة السابقة تختص بالحكمة الالهية اختصاصاً هذا حده. حتي انه تعالى لا يستطيع ان يشرك بها لا انسان ولا ملاك. ولذلك قال اشعيا النبي: انبئوا عن الاتيات المستقبلة ونعرف انكم الهة: فكانه يقول انها لصفة تختص بالله وحده ان يسبق ويعرف الاشيا العتيدة المتعلقة باختيار الانسان. حقاً يا الها الرب الهي ان معرفتك لعجيبة جداً لا اقدر ان ادركها. فارشدني بحسب حكمتك لكيلا احيد اصلاً عن طريق وصاياك. حقاً ان علمك وحكمتك لعجيبة جداً لست استطيع لها *

اشعيا ٤٩ ع ١٥

عبرانيه ٤ ع ١٢ و١٣

اشعيا ٤١ ع ٢٣

❁ الجزء السادس ❁

تامل سادسًا ان الله لايعرف كل الاشيا الماضية و الحاضرة والمستقبلة فقط . بل يعرف ايضًا تلك التي يمكن ان تكون ولو لم تكن عتيدة ان تكون . بل تستمر في العدم الى الابد . والحال ان هذه الاشيا تفوق عددًا وكمًّا كلما رايناهُ الى الان فوقًا لايقدَّر وهي بالنسبة الى هذه الاشيا الموجودة كبحر عظيم بازاء نقطة واحدة من الماء . لانهُ تعالى يرى بحكمته مليكة وسموات وعوالم لاعدد لها . ومختلفة في النوع والصفات عن هذه الموجودات الان . حتي انهُ اذا فرضنا ان العالم عتيد ان يدوم عشر كرات من السنين . فان الله يعرف انهُ يقدر ان يخلق كل يوم عالمًا اخر اكبر و اجمل واكمل من عالمنا هذا . وانهُ بعد ان يكون خلق الف كرة ربوات من العالمين يبقى ايضًا بقوته وحكمته ان يخلق ايضًا عوالم لا حد لها ولا تقدير ❁ فيا بحر حكمة الله الغير المحدود . افرحي يا نفسي بالرب الهك الذى لا يخفى عنهُ شيء . لكنهُ بلحظة واحدة يرى كل شيءٍ في قدرته الحاوية الكل . حقًا ان علوم البشر كلها كلا شي بالنسبة الى علمك يا ايها الرب الهي . فان كنا لانستطيع ان نسمع احدى اقوالك تلك التي تجري كنقطة ندى . فكم بالحري لايمكننا ان نفهم عظمتك التي ترعد على روسنا . حقًا انك عظيم وعظمتك فايقة على علمنا . فيا ايها الرب اله العلوم كن لي معلمًا و علمني ما يفيدني للخلاص . اسالك ياسيدي الفايق حنوه وجوده ان ترسل حكمتك من السموات المقدسة التي لك ومن كرسي عظمتك لتكون معي وتتعب معي لاعلم ما هو مقبول عندك . انعم عليَّ يارب بان تتقدمني حكمتك في كل افعالي كما انها تتقدمك في جميع افعالك . و بان ترافقني ايضًا كما ترافقك ولتكن هي غاية كل مقاصدي ولتبلغ بي الى ملكوتك ❁

التامل السادس عشر

❁ في قدرة الله الغير المتناهية ❁

✤ الجزء الاول ✤

تامل اولًا ان الله يستطيع ان يعمل مهما يريد . وانهُ بكل وجهٍ من الحق يدعى في

الاسفار المقدسة الضابط الكل والقادر على كل شي . فالقدرة الالهية ليس لها حد لا نظرًا الى عدد الاشيا التي تستطيع ان تخلقها ولا نظرًا الى عظمتها . على انه تعالى يستطيع ان يفعل كلما يتبين له انه ممكن . اعني كل شي لا يوجد في تعريفه ما ينافي امكان وجوده . وبحسب هذا المعنى قال الملاك للعذرا القديسة : ليس عند الله امر غير ممكن : وقال الله على فم ارميا النبي : هل تكون علي عسرة كل كلمة : فاعتبر اولاً ان الله يقدر ان يخلق اشيا جديدة اكثر عددًا من الاشيا الموجودة بما لا يحد . على ان عدد الاشيا التي اوجدها لا يضاهي تلك التي تركها في حيز العدم ويستطيع ان يوجدها . ولهذا قال الحكيم : ان اعظم عجايب الله خفيت عنا وان التي رايناها هي قليلة العدد ❁

لوقا ١ع٣٧
ارميا ٣٢ع٢٧
سيراخ ٤٣ع٣٦

اعتبر ثانيًا ان الله يقدر ان يفعل في الاشيا المخلوقة مهما يشا . فيقدر ان يغيرها ويقلبها لانه هو : قدير على جميع اعماله قدرة غير متناهية : فيستطيع تعالى مثلاً ان يوقف الشمس كما فعل على زمان يشوع بن نون او ان يقهقرها كما فعل بعهد حزقيا الملك . او ان يمنعها عن ان تنشر ضياها على الارض كما صار في وقت الام السيد المسيح . وهكذا يستطيع ان يصنع في المياه والهوا والارض والحيوانات كلما اراده من التغيير والانقلاب . كما يتضح مما صنع على يد موسى في العهد العتيق . ومما صنع مخلصنا في العهد الجديد . ويصنع ايضًا في زماننا معجزات مذهلة ويقدر ان يفعل اعظم منها متى ما شاء . فلنقل اذًا مع الحكيم : مرهوب هو الرب وعظيم جدًا وعجيبة هي قدرته : ولذلك يلزمنا ان نسبي عقولنا للايمان بكلامه . ونعتقد اعتقادًا متينًا منزهًا عن كل شك وريب كلما تعلمناه من الايمان في شان قدرة الله وعجايبها ❁

سيراخ ٤٣ع٣٠
سيراخ ٤٣ع٣١

اعتبر ثالثًا ان الله يستطيع ان يعمل كل الاشيا التي يمكن ان يريدها . لانه ان اراد شيًا بارادة مطلقة ولم يقدر ان يفعله . لكان حينيذ الهًا ضعيفًا شقيًا غير اهل لان يسمى الهًا . فلنستنتج مما قد صدر عن قدرة الله ما يمكن ان يصدر فيما بعد ويصير . قال داود النبي والملك ان الله صنع كلما شاء . وهكذا سيصنع فيما بعد كلما يريد ومن المستحيل ان يريد شيًا ولا يستطيع ان يفعله . ولهذا قال

حكمة ٩ ١٨ع١٢

الحكيم: متى شاء الله شيئاً فلا قتدار عنده حاضر: فاذا ما تحققت ارادة الله في شيء احذرنّ من ان تشك في قدرته علي فعله. واذا لم تعرف ارادته فاقتدينّ بذلك الرجل الابرص وقل: يارب ان شيت فانت قادر[١] ان تطهرني: ايها الاله القادر علي كل شي اني اتيتك لاريك نفسي مع جميع عواطفها ومرغوباتها. ولقد عرفت انت شقاي وماذا يعوزني وينفعني اكثر نفعاً. فان شيت فانت قادر[١] اي ان اردت ان تشفي امراضي فانك قادر علي ذلك. وان اردت ان تمنحني ما اطلبهُ فلا مانع لك عن ذلك. واني لمبتهج ومسرور جداً من ان قدرتك الالهيّة هي في تدبير ارادتك الصالحة دواماً. علي اني لواثق[١] بان كل شي ياتيني من هذه الجهة يكون لغاية نفسي ولتمجيد اسمك ❊

متى ٢ع٨

الجزء الثاني

تامل ثانياً انهُ ولو ان الله يشرك خلايقه في قدرته. لأ انهُ تعالى وحده هو القادر علي كل شي ❊ فاعتبر اولاً ان الله يتخذ من ذاته قدرة غير محدودة. اما الخلايق فليس لها قدرة لأ بطريق الاشتراك والنعمة. ولهذا يقال عنهُ تعالى انه القوي وحده. اما نحن فاننا ناتي الى هذا العالم ضعفا غير قادرين على شي. والقدرة اليسيرة التي لنا انما اتخذناها منهُ سبحانهُ ❊

اعتبر ثانياً ان الله وحدهُ يستطيع ان يعمل بذاته كل شيء. وبدونه لا تستطيع خليقة من الخلايق ان تفعل شيأً البتة. وبالنتيجة انه لم تكن الشمس تضي ولا النار تسخن ولا الانسان يتحرك اولم تكن يد الله لها معينة وعاملة معاً. ولهذا قال اشعيا النبي: ان الله عمل فينا كل اعمالنا: وقال السيد المسيح: بدوني لاتقدرون على ان تفعلوا شيأً: فلنتضع اذاً تحت عظمة القدرة الالهيّة التي بدونها لا نقدر ان نفعل شيأً ولا ان نستمر على الوجود. ولنشكر الله القادر على كل شي الذي يعيننا في كل اعمالنا ❊

اشعيا ١٢ع٢٦ يوحنا ٥ع١٥

اعتبر ثالثاً ان الله يشرك خلايقه في قدرته لكي تمارس بمعونته الافعال المختصة لها طبعاً. لأ انهُ تعالى يمنح الملايكة والبشر قدرة اعظم واشرف من ذلك التي يمنحها لبقيّة الخلايق. لانهُ يستعملهم لابراز افعال فايقة الطبيعة لا يمكن ان

فيلبسيوس ١٣:٤

يبرزها غير القدرة الالهية. ومن ثمَّ قال الرسول: اني اقوى على كل شي بذلك الذي يقويني: على ان الانسان الشديد ضعفه اذا عانته قدرة الله يعود قادرًا علي كل شي. ولا يوجد شي لا يمكن ان تصنعه يد الله فيه وبه. ولقد يريد تعالى ان نعتقد متيقنين انهُ لا يمسك عنا عونه. وليس انهُ لا يمسكهُ عنا فقط. بل انه يقدمهُ لنا وهبةً لحسني الايمان به والاتكال عليه. قال القديس برنردوس في تفسيره سفر الانشاد. ليس شي يظهر لنا جلال القدرة الالهية وعظمتها اكثر اظهارًا من انه تعالى يصير المتكلين عليه قادرين علي كل شي. فيا لحسن سعادة النفس التي محبها والمحبوب منها هو قادر على كل شي ❊

الجزء الثالث

تامل ثالثًا ان قدرة الله المقترنة بحكمته وجوده لا تزال محسنة الينا وعاملة لاجلنا. وان منها كانهُ من ينبوع تاتينا كل الانعام السماوية. وهذه الثلث الصفات الالهية هي: الثلث اصابع التي بها يحمل جرم الارض: فبحكمته يعرف ويدبر ما هو عتيد ان يعمله. وبجوده يختار ويرسم ما يبرزه وبقدرته يتمم مقصوده. وهذه الصفات الثلث لا يبرح الله من ان يملانا من حسناته ❊ فيا ايها الاله الوحيد بالجوهر والمثلث في الاقانيم. انر عقلي بنور حكمتك. اجتذب قلبي بجودك. قوِّ نفسي بقدرتك. لكي اعرف الحسن الذي واحبه واعمله من كل قوى نفسي امين ❊

اشعيا ١٢:٤٠

التامل السابع عشر

❊ في خلقة العالم ❊

الجزء الاول

تامل اولًا ان الله لما اراد ان يظهر قدرته ويبرزها في الخارج خلق السما والارض وكلما في العالم مما يرى ومما لا يرى. حتي انهُ لا يوجد بين جميع الاشيا الموجودة خليقة لم يكن الله اخرجها من العدم. وقد شهد بهذه الحقيقة الانجيلي حيث قال: كلٌّ به كان وبغيره لم يكن شي مما كوِّن: فنحن اذًا خلايقه وليس لنا شي الّا من لدنه ❊ فاعتبر اولًا ان كل شي خارج عن الله ليس هو ازليًا. لانهُ اقتبل الوجود في زمن ما

يوحنا ٣:١

ولم يكن شيئاً قبل هذه الزمان . فقبل تكوين العالم كان كل شيء مدفوناً في العدم ماعدا الله الكاين وحده كمبدا جميع الاشيا واصلها . فاذا تفرست في ذاتي نظراً الى الابتدا لوجدت انني لست بشي اخر سوى العدم . ليس نظراً الى نفسي فقط . بل نظراً الى جسدي ايضاً . على ان المادة التي تتركب منها جسدي لم تكن قبل تكوين العالم . فبعد ان تكون اتضعت من قبل عدمك . قدم الشكر لله الذي اخرجك منه وقل بالغوير حكمة الله وقدرته . من تقدم فاعطاه شيئاً فيجازيه . ان الجميع قد اقتبلوا منه كلما لهم لان الاشيا كلها منه وبه وفيه *

اعتبر ثانياً ان الله عزم من ذاته على تكوين العالم ولم يلزمه بهذا شي لا استحقاقات الملايكة ولا البشر . لانه لم يكن حينيذ احد منهم في الوجود . ولا ساقه تعالى الى ذلك طلب خير ما ذاتي . لان سعادته ليست هي بمتعلقة بما هو خارج عنه . ولا التفت الى كمالات الخلايق لانها كمالات محدودة يمكن ان تعرف ولا تحب . فاذاً من حيث ان الله كان عالماً بنقايصها فلم يمل الى اخراجها من العدم لاجل حركة رحمته ولاجل مجد اسمه *

اعتبر ثالثاً ان الله من جملة الخلايق الغير المحصي عددها التي كان يقدر ان يخلقها . قد اختار البعض فقط كما كان رسم قبل كل الدهور . ومن ثم من جملة النفوس الغير المحدود عددها اختار بعضها فخلقها . ومن جملتها احب ان يخلق نفسي * فيا ايها الاله الجزيل الحكمة والقدرة . ما الذي رايته في نفسي فاغراك بايجادها . وما الذي رايته في بقية النفوس التي اهملتها في العدم . ولماذا خلقتني انا الشقي الذي لست باهل لهذه الحيوة . وقد كنت تستطيع ان تخلق اناساً كثيرين اكثر قبولاً مني لان يمجدوك ويعبدوك . حقاً ان سبب ذلك ليس هو غير جودك الفايق ومحبتك الغير المحدودة *

الجزء الثاني

تامل ثانياً كيف ان الله اظهر قدرته في تكوين العالم . فاعتبر اولاً انه تعالى في هذا البنا العظيم لم يفتقر الى مادة كما تفتقر الى ذلك الملايكة والبشر في كل اعمالهم . لكنه من لا شي صنع الله اخص اجزاء العالم اعني بها السما والارض والملايكة

قرنثيه ١٩ ٧٢٤

والنفوس الناطقة . أفهمت هذا يا نفسي : فما هو الذى لكِ ولم تاخذيه وان كنت اخذتيه فلماذا تفتخرين : فاحذري اذًا من ان تفتخري بشيء . بل افتكري في انك بكليتك خرجت من العدم . وفي ان الباري تعالى اوجدكِ لتكوني له بكليتك وتصرفي في خدمته كل اقوالك التي قد اقتبلتيها من جوده ❊

اعتبر ثانيًا ان الله من خليقة واحدة يصنع خليقة اخرى حسبما يريد . لانه وان كان قادرًا ان يكوّن كل شيء من العدم . لانه رام ان يظهر قدرته علي نوع اخر . فاحال المياه الى سمك وطيور . وحوّل الارض الى نباتات وحيوانات متنوعة . وذلك لكى نعلم ان له الحكم المطلق علي خلايقه وانه يقدر ان يلاشيها ويغيرها كما يشا . فتحسب سعادة كلية ان تكون في خدمة مولى تخضع له الموجودات كافة ❊

اعتبر ثالثًا ان الله بمفرده خلق السما والارض ولم يسعفه احد في ذلك ولهذا قال : انا الرب الصانع هذه جميعها . انا صنعت الارض ويداي بسطتا السموات : فحقًا انه تعالى كان يمكنه ان يستخدم المليكة في تكوين اشيا كثيرة هيولية بواسطة اختلاط العناصر الاربعة لانه اراد ان يفعل هو وحده كل شيء . وذلك حتي اذا ما عرف ذلك الانسان الذي من اجله صنع تعالى هذه كلها . يشكره وحده على ذلك قايلًا مع اوليك الشيوخ الطوباويين : انت هو الرب الهنا وتستحق ان يكون لك المجد والكرامة والقوة لانك خلقت كل شيء وبمشيئتك كانت وخلقت ❊

رويا ٤ع ١١

اعتبر رابعًا ان الله صنع هذه المعجزات كلها خلوًا من تعب بل بمجرد ارادته التي لا يقاومها شي . على انه كفا ان يقول : ليكن النور فكان النور : هو قال فكانوا : فمن ذا لا يتعجب من عظمة هذه القدرة التي تدعو الاشيا الغير الموجودة كانها موجودة . فاياك اذًا من ان تقاوم ارادة الخالق . لانه من قاومها وكان سالمًا . بل كن مستعدًا علي الدوام لتطيع اوامره خلوًا من تقسم وضجر . لكن بحرارة وفرح قلب . لانه كيف يمكن لا اخضع لمثل هذا المولى العظيم الذي نرى العدم يطيعه ويحترم امره ❊ فيا الهي لقد منحتني ارادة معتوقة لكى اصنع كل شيء باختياري . فلذلك انا اجد الان كل ارادة توجد في مخالفة ناموسك الالهي . ولست اريد ارادة سوى ما تشا ان تتمم او امرك ❊

الجزء الثالث

تامل ثالثاً كيف خلق الله العالم. فاعتبر اولاً ان القدرة الالهية اصرفت في هذا العمل ستة ايام. لا لانها كانت محتاجة الى مدى هذا الزمان. لكن لانها ارادت ان تعلمنا كيف يجب علينا ان نتامل مقاصد حكمة الله في تكوين هذا العالم. علي انهُ لا يسوغ لنا ان نعتبر الامور بالاجمال لكن بالتفصيل شيئاً فشيئاً. فنشكر المحسن الينا لا بالاجمال لكن بالتفصيل علي كلما يحسن بهِ الينا جديداً * اعتبر ثانياً ان الله رام ان يعلمنا بكيفية تكوينهِ العالم كيف تتقدس نفوسنا التي لا ترتقى الى الكمال الا درجة فدرجة. فالستة الايام التي خلق الله فيها العالم واكملهُ تعني سني حياتنا التي يعقبها سبتٌ ينتهي فيهِ كل عملٍ وتعب ونفوز بالراحة الابدية حيث يكون كل شيء كاملاً

التامل التاسع عشر

* في الاشيا التي خلقها الله اولاً *

الجزء الاول

تكوين ١:١

قال الكتاب المقدس: في البدء خلق الله السما والارض وكانت الارض خاوية خالية وكانت الظلمة على وجه الغمر وروح الله كان يرف على المياه *

اشعيا ٤٠ع ١٢

تامل اولاً ان الاب الازلي مع ابنهِ الوحيد وروحه الكلي قدسه خلق السما في ابتدا الازمنة وهذا هو عملهُ الاول. قال اشعيا النبي: كال بقبضتهِ المياه وعلق بثلاث اصابع جرم الارض: فلم يحتج تعالى الى شيء ليمهد الارض ولم يستعمل شيئاً لسندها سوى يدهِ الضابطة الكل. اما السما التي زينها اعظم زينةٍ فهي السماء الاطلس التي تلمع كالنار. وهي اعظم السموات واسماها وداخل هذه السما توجد بقية السموات مع العناصر وهذا العالم المنظور. ففي هذه السما العليا يسكن ملك الملوك ورب الارباب حيث انه تعالى جعل هناك بلاطهُ ومنبر مجدهِ. وهناك يسكن معهُ المليكة والقديسون * فيا ايها الرب رب المجد والقوات انك قد اعطيت الارض لبني البشر لكي يمارسوا فيها اعمالاً صالحة فيستحقوا بها ان يسكنوا معك في مكانك السعيد الاقدس. فلذلك اضرع اليك ان تجعلني بنعمتك ان

احسن حياتي في هذا الوادي وادي الدموع . فاستحق ان احيي معك الى الابد في ملكوتك . يا ايها الارواح الطوبانيون الساكنون الان في سما السموات . سبحوا الرب الذي صنع هذا المكان السامي البها : فالطوبى للسكان في بيتك يارب انهم الى ابد الابدين يسبحونك *

مزمور ٨٣ع٥

اعتبر ثانيًا ان الله بعدما خلق السما خلق فيها مليكة لا يحصي عددهم وقسمهم الى ثلث مراتب وكل مرتبةٍ قسمها الى ثلث طغمات . واعطى لكل كمالات طبيعية وفايقة الطبيعة بحسب ترتيب حكمته الازلية . فيا لهُ من فرحٍ عظيمٍ قد حصل عليه الثالوث الاقدس لما راى هذا العسكر البهي الجزيل العدد والحسن النظام المنقسم الى ثلث مراتب رمزًا للثلثة الاقانيم الالهية . بل يا لجزيل السرور الذي حازهُ المليكة في ذلك الوقت السعيد * فبعد تاملك هذه جيدًا سل المليكة الذين ثبتوا في النعمة ان يسبحوا الله بتلك التسبحة التي اشار اليها تعالى بقوله لايوب : اين كنت حين كانت تسبح لي نجوم الصبح جميعًا ويفرح جميع بني الله : وقل في مناجاتك المليكة هكذا . ايها الارواح السعيدة اشرف خلايق الله واولها . انكم من الصبح اي من ابتدا الازمنة ابتدأتم ان تتلالوا في السما ككواكب لهية باركوا الله خالقكم واباكم . فهو خالقكم لانهُ اوجدكم وهو ابوكم لانهُ خولكم النعمة التي بها صرتم حالًا ابناه . فاذ قد كلل بعد ذلك بزمن يسير استحقاقكم وادخلكم في مجده فافرحوا بذلك ومجدوهُ لاجله الى الابد . واسالوهُ ان يشركني في سعادتكم هذه لكي اباركهُ معكم الى جميع الادهار *

ايوب ٣٨ع٧

الجزء الثاني

تامل ثانيًا ان الله لما خلق السما خلق ايضًا الارض ووضعها في وسط العالم لتكون لهُ كمركز . وهذه الارض وان كانت كحبة رمل صغيرة بالنسبة الى العالم كله . فمع ذلك هي جزيلة الاتساع جدًا . الّا ان الذي يظهر الله فيه قدرة ذراعه اكثر ظهورًا هو انهُ يحمل هذه الارض كلها ويثبتها في وسط الهوا والجو خلوًا من مسند بالكلية : لانهُ اسسها على استيثاقها : فيد القادرة على كل شيءٍ تحمل هذه الكرة العظيمة وتحفظها غير متقلقلة بسهولة هذا عظم مقدارها حتى انها كما قال النبي تحملها

مزمور ١٠٣ع٥

ثلثة اصابع . اعني بحكمته تعالى وجوده وقدرته . وقد ثبت ايوب هذه الحقيقة بقوله : علّق الارض على لا شيء : اللهمّ يا من جعل العدم مسنكًا للارض وعليه تثبت غير متزعزعة . عرفني بالعدم الذي يخصني . لكي أتحقق انهُ لا يوجد فيَّ شيء استطيع ان اعتمد عليه فاجعلك وحدك مسنكًا لنفسي واني عليك كل اتكالي *

ايوب ٢٦ع٨

❂ الجزء الثالث ❂

تامل ثالثًا ان الارض لما خلقت كانت خاوية والظلمة كانت على وجه الغمر . حتى ان ما بين السما والارض لم يكن سوى ظلمة مدلهمة . وذلك اما من قبل المياه واما من قبل الهوا او الغيوم المظلمة . فاعتبر اولًا كم مقدار ما كانت الارض والماء حينئذٍ في حال النقص عما لهما الان من الكمال . ففي ذلك الوقت لم يكن على وجه الارض لا اشجار ولا سكان ولا نور يشتت الظلام . ومن ثمَّ لم تكن الارض حينئذٍ تستطيع ان تبلغ الغاية التي خلقها الله لاجلها وهكذا الماء ايضًا . حتى لو انهُ كان لهذين العنصرين عقل ناطق . لكانا طلبا من الخالق ان يمنحهما ما كانا يفتقران اليه . فهذا هو رمز ورسم للانسان الارضي ابن ادم المتدنس بخطيّة جده الاول . لانهُ في حين وجوده وخروجه من العدم . يجد ذاته خالية من النعمة متعرية من كل فضيلة مستغرقًا في ظلام الجهل والخطيّة وغير قابل لان يبلغ الغاية المرتبة له من الله . واذا خرج من هذه الحال فيرجع اليها كلما يرتكب خطيّة مميتة . ولعمري ان الذي هذه الحال حالهُ ينبغي لهُ ان يصرخ الى الله ربه وخالقه طالبًا ان يرحمهُ ويكمل فيه ما قد ابتدأته يدهُ . ثم اعلم اننا ولو مهما ارتقينا في الفضيلة . فيجب علينا ان نتذكر جيدًا انهُ ليس لنا شيء من قبل ذواتنا واننا نشبه ارضًا خاوية وهوّة مدلهمة . ولذلك يلزمنا ان نلتجي في كل وقت الى الله الذي به وحدهُ يتعلق كل كمالنا . طالبين منهُ تعالى ان ينمينا في الفضيلة كل يوم فنبلغ غايتنا القصوى *

الهي وخالقي ها انا بين يديك كارض خاوية مهملة غير مثمرة . لا ينبت فيها شيء جيد ولا يوجد فيها شيء يشبه ارض الاحيا التي لا تزال مخصبة باثمار القداسة . والذي يزيد شقاي هذا هو اني عادم النور . فلا ارى سوء حظي ولا اركن علاج شقاي . فهلمَّ اذًا يا رب وانقذني من هذه الهوّة المدلهمة . واذ قد وهبتني الوجود

فكمل ما تجن في ناقصًا ليكون عمل يديك كاملًا كما ينبغي *

الجزء الرابع

تامل رابعًا كيف ان روح الله كان يرف على المياه. فاعتبرنّ اولًا انهُ لما كانت حال العالم تشبه ليلةً معتمة. كان الروح القدس يطفو على المياه ليكمل العمل الذي كان ابتداهُ. وهكذا كان يمنح هذا العنصر الذى كان بعد ناقصًا قوة لينتج اشيا كثيرة لزينة الارض ولغذا الحيوانات. ولعمري ان هذا الدليل على ان الروح الكلى قدسهُ لا يهمل الخطاة ولو كانوا مغمين نقايص وملتحفين بالظلام وجالسين تحت ظل الموت. لكن يمنحهم بالهامه قوة ما سرية تجتذبهم اليه تعالى اجتذابًا قويًا وتصيرهم قابلين لان يقتبلوا نعمته الالهية *

اعتبر ثانيًا السر المحتوي في هذه الالفاظ اي في قوله كان يرفّ على المياه. قال القديس باسيليوس انهُ كما ان الدجاجة باحتضانها البيض تحت اجنحتها تسخنهُ وتحييه وتفقسهُ عن افرخة حيّة. هكذا الروح الخالق فانهُ باحتضانه المياه كان يمنحها قوة عجيبة. ويعد هذه المادة ليكوّن منها كل اصناف الحيوانات. وعلى هذا النحو يحل ايضًا هذا الروح القدسي على النفوس لكي يحييها بنعمته ولا يفارقها اصلًا الا حينما هي تلزمهُ بذلك. واذا فارقها وغاب عنها فيتم فيها ما يصير في البيض الذى تتركهُ الدجاجة فيتلف ويفسد. فيا ايها الروح المعزي اني منك وحدك ارجوا الخير المرغوب مني. فلا تفارقني يا ايها الجودة الغير المتناهية ولا تسمح ان افارقك اصلًا *

اعتبر ثالثًا معنى الالقاب المختصة بالباري تعالى في الاسفار المقدسة فيسمى اولًا مبدًا اوعلة. لان منهُ تتخذ الوجود جميع الخلايق. ثانيًا يسمى الهًا لانهُ يدبرها بسلطان مطلق. ثالثًا يسمى روح لانهُ يمنح الروح والحيوة للخلايق القابلة ذلك. رابعًا يسمّى ربًا لانهُ ابرز هذه الكاينات جميعها ومن ثمّ هو ربها وسيدها. وحينئذٍ اي حينما اقام الله لذاته خلايق وعبيدًا يخضعون لاوامره. ابتدا هو تعالى ان يدخل على نوع ما في ملكه ويتمتع بسلطانه المطلق حسب تفسير القديس توما اللاهوتي. ولقد يجب ان نفرح لهُ قايلين. الهي وربي وملكي الازلي اشكرك لانك اقمت لك خلايق تستطيع ان تمجد سلطانك بالخضوع لك والطاعة

لناموسك. فها هوذا نفسي مبتهجة جدًّا من كونك ربي ورب الارباب كافةً فاطلع يا الهي علي عبيدك وتسلط علينا وامتلكنا لاننا ملكك. عرفنا كم نحن ملتزمون بالخضوع لعزتك الفايقة لكي نخدمك بسرور وحرارة طول ايام حياتنا ✲

التامل التاسع عشر

✲ فيما خلقه الله في اليوم الاول ✲

✲ الجزء الاول ✲

تكوين ١ع٣

قال الكتاب المقدس: قال الله ليكن النور فكان النور وراى الله النور انهُ حسن وفرق بين النور والظلمة وسمى النور نهارًا والظلمة ليلاً: تامل اولاً ان الله لما راى العالم كلهُ محجوبًا بالظلام. خلق فيهِ نورًا كمن يشعل سراجًا في مسكن مظلم ليضي للذين يسكنون فيهِ. فاعتبر ما كان اشقى حال العالم خلوًا من هذا النور المنظور. وما اكثر ما نفتقر اليهِ. علي ان هذا النور هو الذي يرينا اعمال الله البهية المبتهجة العجيبة التي قد امتلا منها العالم. وخلوًا منهُ ما كنا نستطيع ان نبصر ولا ان نسير ولا ان نمارس عملاً ما حسنًا. ومن ثمَّ لما راى الله هذا النور وجدهُ حسنًا ومفيدًا جدًّا للخلايق. ولذلك يجب علينا نحن ان نشكرهُ على ذلك لا سيما عند اشراق الشمس في حين انتباهنا من الرقاد. كما انهُ ينبغي لنا ان نبارك الخالق الذى خولنا عيونًا لنبصر هذا النور وابهجنا باشعة هذا الكوكب البهي. ولنتذكرنَّ تنهد طوبيا الشيخ علي فقد النظر وما تفوَّه بهِ بحزن جسيم قايلاً:

طوبيا ١ع٥

من اين يكون لي الفرح وانا قاعد في الظلام لا ابصر ضو السما: ولنقصدنَّ ان نستعمل هذا النور للغاية المقصودة منهُ تعالى. أي لكي نتفرس في اعمالهِ فنباركهُ عليها ونرثي للخطاة الذين يهربون من النور ويطلبون الظلام ليصنعوا السيات. ثم يجب ان نشكر الله على انهُ اعطانا ايضًا النور الروحي. فقل اذًا لتكن يارب مباركًا لانك احسنت اليَّ بهذين النورين لتضي بهما على جسدي ونفسي. فاشكرك يا اب الانوار لانك منحتني النور الجسداني الذي بهِ اشاهد الاشيا المنظورة. واشكرك الف مرة علي انك خولتني النور الروحي الذي ارى بهِ الاشيا

الغير المنظورة. فانظرنَّ يا ربي والهي ما اكثر واكثف الظلام الذى التحفت به نفسي. فاذ كنت انت بالذات النور الحقيقي فانزها بنعمتك. ارها وجهك ايها الكلمة الالهية ضيا مجد الاب والنور الغير المخلوق والخالق كل الانوار. انقذني من الظلام واجعلني بنعمتك ان اسير في طرقك وان اتقدم كنور الصبح الذي يزداد حتي الي نهار كامل ❊

الجزء الثاني

تامل ثانيًا كيف ان الله خلق النور واعتبرنَّ اولاً ان الله خلق النور في اليوم الاول. لسبب انهُ بدون هذا النور لم يكن ممكنًا ان يكون النهار. وعلى هذا النحو فالنور الروحي هو اول كمال الانسان الصديق وهو ابتدا الكمال المسيحي. وبدون هذا النور الروحي لايمكننا ان نسير خطوة واحدة في طريق الله. ولهذا قال داود النبي والملك: انكم باطلاً تقومون باكرًا: ولهذا السبب ايضًا يسبق الله باكرًا ويضي لنا بنور الهامه. وهو السراج والنور الذي يضي لكلٍ عند صبح ادراك السن والمعرفة ❊ فيا ايها الحكمة الغير المخلوقة: الذى خرج من فم العالي قبل جميع المخلوقات وجعل ان يشرق في السما ضوًا باقي: اسالك يا الهُ النور والرحمة ان تقول كلمة فتبري نفسي. قل في وسط قلبي ليكن النور فيكون حالاً. امنحني نورًا يقدسني. اشركني في هذا النور الازلي وفضهُ في نفسي بهذا المقدار حتي انهُ ينفذها ويستقر فيها الي ان اقتبلهُ بالكلية في ملكوتك ❊

مزمور ١٢٦ع٢

سيراخ ٢٤ع٥

الجزء الثالث

تامل ثالثًا ان الله بعدما فرق النور من الظلمة سمى النور نهارًا والظلمة ليلاً. فاراد الباري تعالى ان الليل يتلو النهار والليل باتصال دايم وذلك لكي يباشر الانسان عمله في النهار ويستريح في الليل. فانظر ما الطف واعذب تدبير الله. فاشكرهُ علي حسن اهتمامه في ضرورياتنا الجسدانية وباركهُ علي تكوينه النهار والليل قايلاً: باركا ايها الليل والنهار الرب امدحاهُ وارفعاهُ الي الدهر ❊

دانيال ٣ع٧٢

اعتبر ثانيًا على نوع روحي هذا الموضوع الذي نحن في صدده. وانظر الفرق الموجود بين الله وبين الانسان. بين السما والارض. فقد قال التلميذ الحبيب: ان

يوحنا ١
٥:١

الله هو نورٌ وليس فيه ظلمة : وهكذا الطوباويون ايضًا الذين يشركهم الله في مجده يحظون بنهار متصل . والشمس لاتغيب عنهم وهناك لا يكون ليل . وبخلاف ذلك لايوجد على الارض الّا تغيير متصل واختلاط الليل مع النهار . على اننا من احدى الجهات نرى الصديقين ابنا النور ومن جهة اخرى نرى الشريرين ابنا الظلام . فهولاء يمشون في الظلمة واوليك يسيرون في النور . الّا انهُ يتفق اوقاتًا كثيرة ان انسانًا واحدًا يكون تارةً ابن النور وتارةً ابن الظلام . فتذكري يانفسي انهُ لاخلطة بين النور والظلمة . وتاملي سيرتكِ ماهي واجتهدي في ان تكوني دائمًا بين ابناء النور . حتى اذا ما جاء الديان المرهوب ليميزهم من بني الظلمة يقتبلكِ مع الابرار في المجد الابدي ✱

اعتبر ثالثًا انهُ فيما بين الصديقين ولو همَا كانوا كاملين وفي شخص واحد منهم يوجد ايضًا اختلاف نهار وليل . اختلاف عظيم عجيب على حسب اختلاف الازمنة . على ان الانسان يكون تارةً في حال النجاح وتارةً في حال الشقا . تارةً في حال العبادة العذبة وتارةً في حال اليبس الروحي . تارةً يجد نفسهُ في حال نور مضي وتارةً كانهُ قد وُضع حجابٌ على عينيه . والحال ان الله هو علة هذه الاحوال والتغييرات المختلفة التي يجرب بها مختاريه . لعلمه بان انتقالهم المتصل من النور الى الظلام ومن اليبوسة الى التسلية يفيدهم جدًّا للنمو الروحي . فمن حيث انهُ تعالى لايقصد في هذا شيًا الّا خيرنا . فيجب علينا ان نشكرهُ على ذلك متحققين انهُ يريد ان يوصلنا بهذه الطريق الصعب الى منزل الراحة المتصلة المنزه من كل تغيير وانقلاب . حيث تضي شمس العدل دائمًا ويفوز سكانهُ بنهار دايم ✱

التامل العشرون

✱ فيما خلقه الله في اليوم الثاني ✱

الجزء الاول

تكوين
٦:١

قال الله ليكن جلد متوسطًا بين المياه ويفصل بين الماء والماء وكان هكذا وسمى الله الجلد سماء : تامل اولاً ان الله في اليوم الثاني خلق او قلما يكون كل الفلك

وكلما يوجد في الفضا الذي بين الارض والسما. ويفهم بذلك قلما يكون كل اتساع الهوا. فلكي تفهم جيداً عظم هذا الاحسان فاعتبر النفع الجزيل الواصل اليك من قبل الهوا. حيث اننا به اي بهذا الهوا الذي نستنشقهُ نحيي. وحيثما نكون يحيط بنا. وبهِ تبصر اعيننا كل ما يبهج النظر. وتسمع اذاننا ما يلذ السماع. ويشتم انفنا الروايح العطرة الزكية. وبواسطتهِ تتصل الينا اشراق النور والتاثيرات السماوية وفيهِ تتكون المطر والندا والثلج والريح والغيوم. فمن ذا لا يشكر الخالق على هذه كلها. فاذا امكنك فاثن عليهِ الشكر كل مرة تستنشق الهوا ممجداً الذي يمن عليك بهذا الاحسان. واحياناً حث علي ذلك الحاظك واذنيك وبقية حواسك لتشكر الله المحسن الذي يحييها ويبهجها بواسطة هذا العنصر العجيب اعني بهِ الهوا. واوقاتاً اغرِ الهوا عينهُ وكل الاشيا الموجودة فيهِ على تمجيد خالقها *

الجزء الثاني

تامل ثانياً كيف ان الله فرق المياه التي تحت الجلد من تلك التي فوق الجلد وهي اعني المياه التي فوق الجلد. اما هي المياه التي ربما وضعها الله فوق السموات لاسباب معروفة منهُ وحدهُ. اما هي الابخرة التي تتصاعد الى الجو الذي يمكن ان يدعى الفلك الادنى. وفيهِ تتكون السحب التي تنقلب اخيراً وتستحيل الى مطر. وهذه المياه التي نراها مرتفعة في الجو لنا حجج كثيرة للتعجب من جود الله وتدبير عنايته * فاعتبر اولاً انهُ تعالى لما راى انهُ ينبغي ان ينقل المياه من على وجه الارض ليجد الانسان والحيوانات مسكناً للحيوة فيهِ. شرع بقسمة المياه ثانيةً على نوع اخر. فترك علي الارض ما كان من المياه اكثر ثقلاً وكثافةً. ورفع الى الجو منها ما كان خفيفاً لطيفاً ليكون منهُ هذه الغيوم والسحب التي تروي الارض وتخصبها *

اعتبر ثانياً ان الله هو الذي يسوق السحب ويرسلها الى كل مكان لخير البشر. فالارض القشفة الغير الخصبة تبتغي رحمته. والحنطة كما قال ايوب البار: تشتهي السحب وتطلبها ممن يرسلها فتطوف الارض كلها مستديرة الى حيثما ساقتها ارادة مدبرها: ولانهُ تعالى بهذا يظهر سخاهُ. فلذلك دعاهُ الكتاب المقدس ابا المطر

ايوب ٣٧: ١١

و النداء فلتكن مباركًا يا الهنا الرب الهي اب الرحمات ومجدًا من كل القبايل. لانك توزع الامطار بمحبة ابوية هذا مقدار سخاها. حتي انك تمطر علي الاشرار كما تمطر علي الاخيار. فامطر اذًا يارب على نفسي بانعامك السامية فلا ازال متذكرًا حسناتك *

اعتبر ثالثًا ان الله يظهر قدرته و حكمته بهذا الامر. وهو انهُ يضبط السحب في الجو ولا يدعها ان تسكب كل مياهها جملةً. لكن رويدًا رويدًا ليلا تغرق الارض و تتلفها. قال ايوب الصديق: ان الله ضم المياه في سحاباته ليلا تتغرق كلها جملةً: و اذا هطلت بكثرة وبشدة عظيمة. فهو تعالى الذى يسبب هذا الطوفان. و هكذا اذا انهلت نقطةً نقطةً. فانهُ تعالى يعرف عدد النقط. و يعين الموضع الذي يريد انها تسقط عليهِ. فيالها من قدرة جزيلة الحكمة و يالها من حكمة جزيلة القدرة. فلتسبحك يارب كل الامطار وكل نقط الندا. و اذ قد يشترك الابرار و الاشرار في نيل هذا الاحسان العام. فليجتهدوا جميعهم في انهم يعبدون من يهتم بمحبة عظيمة في كل ضروراتهم *

ايوب ٢٦ع ٨

الجزء الثالث

تامل ثالثًا انهُ في هذا اليوم اعني اليوم الثانى علي ما زعم بعض المعلمين اخطات الارواح الشريرة وتمردوا على الله خالقهم. فافرزهم تعالى من بقية الارواح الصالحة الذين تركهم فوق الفلك. و اهبط باوليك الى اللجة: حيث ينوحون كالجبابرة تحت المياه: ومن ثم قال بعض المعلمين لم يمدح الله ما صنع فى هذا اليوم المنكود الذي فيهِ دخلت الخطية فى العالم بمخالفة الابالس. و هذا المثال يلزمنا بان نياس من ذواتنا عند نظرنا سقوط الملايكة الاشرار. وان نعتمد على قدرة الله الذي ثبت بقية الملايكة الاخيار في الخير. فلنشكرهُ تعالى على انهُ ثبت الصالحين فى الحق. ولنفرح لهم لانهم نالوا اكليل المجد. ولنسالهم ان يحرسونا ضد مكامن الشياطين. و يشفعوا بنا عند الله ليكون لنا قوةً ومسندًا و اكليلًا *

ايوب ٢٦ع ٥

التامل الحادي والعشرون

* فيما خلقه الله في اليوم الثالث *

الجزء الاول

قال الله: لتجتمع المياه التي تحت السما الى موضع واحد وليظهر اليبس وكان كذلك وسمى الله اليبس ارضًا ومجامع المياه دعاها بحورًا وراى الله ذلك حسنًا. وقال لتنبتن الارض عشبًا زرعهُ منهُ وشجرًا مثمرًا يعمل ثمرًا كجنسه وكان كذلك:

تكوين ١: ٩و١٠

تامل اولاً ان الله في اليوم الثالث لما راى الارض مدفونة في المياه التي تحت الفلك جمع المياه كلها الى موضع واحد. وبذلك اظهر عظمة قدرته بمعجزات كثيرة *

فاعتبر اولاً ان الله لما رام ان يجمع هذه المياه كلها. قال كلمة فقط فاجتمعت حالاً جميعها في مكان متسع عميق قد اعدهُ لها. ولم تخالف وصية خالقها ولهذا قال الملك والنبي داود: تردات الارض باللجة وعلي الجبال وقفت المياه لأ انها من انتهارك هربت ومن صوتك الارهب من الرعد جزعت: فيا ايها الرب رب القوات الذي لايقدر ان يقاومهُ شيء. اجمع عواطفي وافكاري المبددة كالمياه في الارض كلها. وثبتها حيثما تريد انت. ولا تسمح بان تخرج من هناك *

مزمور ١٠٣: ٦

اعتبر ثانيًا ان امواه الابحار ولو مهما هاجت وتعالت امواجها. فلم تتجاوز الحدود الموسومة لها باصبع الله. وقد يفتخر الله بذلك قايلاً: من غلق البحر بمصاريع حين كان ينبثق من حضني انا وحدي احطته بحدودي وجعلت لهُ قفلاً ومصارع قلت حتي الى هنا تجري لا اكثر وهنا تكسر امواجك: فهذا الاعتبار من شانه ان يصيرنا ان نتعجب من قدرة الله الغير المتناهية. وان نخاف ايضًا من عدله لانهُ تعالى قال على لسان ارميا النبي: افلا تخافونني ولاترتعون نادمين امامي انا الذي جعلت الرمل حدًّا للبحر وامرتهُ امرًا ابديًا بالأ يتعداه. فبالباطل يضطرب مزبدًا ولا يقدر على التجاوز *

ايوب ٣٨: ٨

ارميا ٥: ٢١

الجزء الثاني

تامل ثانيًا ماصنع الله من العجايب لكي يجعل الارض قابلة للسكنا. فاعتبر اولاً انهُ

تعالى حفر الارض بقوة كلمته وعمقها جداً جداً وجمع في هذه اللجة المياه كلها. ثم صنع جبالاً عالية وتلالاً وسواحل واودية ومينات. ولم توجد الارض مقاومة لامره البتة. بل اخذت الصورة التي شاء ان تكون لها: تصعد الجبال وتنزل البقاع الى الموضع الذي رسمته لها. فمن لا يخاف من قدرة الله الذي ينقل الجبال برجوه قبل ان يشعر بذلك من يريد ان يلقيها عليهم ويزعزع الارض من اواسيها واعمدتها ترتعد *

مزمور ١٠٣ عدد ٨

اعتبر ثانياً ان الله ولو انه كان العلة الاولى لكل شيء فلم يرد ان يخلق العشب والاشجار من العدم ولا زينة الارض. بل رام ان تسعى الارض معه في ايجادها. ولهذا قال لتنبت الارض عشباً ولهذا علمنا تعالى انه وان كان يرغب تزيين نفوسنا ويحب جداً كمالنا. فمع هذا لا يريد ان يفعل ذلك وحده. بل يريد ان نسعى به معه ونقدم له كلما في طاقتنا اعني قلبنا واختيارنا وذواتنا ليصنع فينا وبنا كلما يشاء. واذا دعت الضرورة يلزمنا ان نجد ما هو اعز والذ ما لدينا فنميت ارادتنا اكراماً وطاعة له. فلنبذل اذاً جهدنا في ان نخلع الانسان العتيق مع سيرته الردية. فيا الها القدوس والقدوسة نفسها وينبوع كل كمال. انك قد اوصيتني ان اكون قديساً كاملاً ولست تشا ان تصيرني هكذا الا بان اسعى معك مجتهداً باختياري. فها انا اتقدم اليك كارض دون يابسة لكي تنصب في الفضايل. وهذا العمل فانه يليق بك وانت وحدك تستطيع ان تعمله. اما انا فقد رضيت به وان نفسي لمستعدة لان تسعى معك بذلك وتفرغ به كل جهدها. فامنحني يارب ما اطلبه فاعبدك كما يجب علي *

اعتبر ثالثاً ان الله جعل في النباتات والاشجار بعض خواص لقيام حيوة الانسان وبهجة حواسه. لان العين تسر بالنظر الى البساتين والرياض البهيجة. والشم يتعطر بروايح الزهور الزكية. والذوق يلتذ بعذوبة الفواكه الشهية. مع انه كان يكفي لقيام حيوة الانسان الخبز والماء لا غير. الا ان العناية الالهية الحكيمة السخية قدمت للانسان مع الحنطة والماء اشيا اخر كثيرة لذيذة مختلفة الانواع. لئلا تكل نفسه الاكل كما يصير لمن يتناول على الدوام شيئاً واحداً. وما على ذلك فقد اوجد الله حشايش ذات خواص لمعالجة الامراض. فلنبارك اذاً

الرب الهنا على ما خلقه لقيام حياتنا وحياة الحيوانات التي تخدمنا. لانهُ وان كان الانسان لا يعيش من العشب لأن الخراف والبقر التي نغتذي بلحمها تحيى منهُ. وهكذا وان كان الشعير لا يناسبنا الا انهُ يناسب الخيل التي تحملنا. ولهذا قال النبي نحو الرب: انك تنبت العشب للبهايم والخضر لخدمة بني البشر: فيا حياتنا وحياة كل شي حي: ان اعين كل خلايقك ترجوك وانت توتيهم طعامًا في حينهِ تبسط انت يدك وتملاهم من خيراتك: فلا شكرنك يارب لانك في ذلك اليوم بسطت يدك فمنحت الارض زينتها والحيوانات ماكلها والانسان كلما يمكن ان يشتهيه اما لضرورتهِ واما لسرورهِ وبهجتهِ. واذ كنت تريد اني اعيش من حسناتك جميع ايام حياتي. فلمن الصواب ان اصرفها كلها في خدمتك *

مزمور ١٠٣ ع ١٤

مزمور ١٤٤ ع ١٥

الجزء الثالث

تامل ثالثًا ان الله في اليوم المتقدم ذكره عدَّ للانسان منزلًا بهيًا قبل ان يخلقهُ. فخلق لهُ بستانًا هذا عظم بهاوهُ حتى ان الكتاب المقدس دعاهُ فردوسًا وجنة النعيم. وبهاء هذا البستان كان قايمًا بخمسة اشيا. لانهُ اولًا كان موضوعًا في احسن الاماكن نظرًا الى جودة الارض واعتدال الهوا. فلم يكن هناك البرد او الحر شديدًا. ولم تشن الدبابات هذا المكان السعيد. ولم يوجد فيهِ شي مما اصابنا من المضرات بعد الخطية * ثانيًا كان يوجد في هذا الفردوس كل نوع من الاشجار وكان الله عينه نصبها ونظمها بيدهِ. وتلك الفواكه التي كانت هناك ما عدا انها كانت بهية في الغاية. فمع ذلك كانت نظرًا الى الذوق افضل كثيرًا من اللحم والسمك اللذين اذن الله للانسان بعد الطوفان ان ياكل منهما * ثالثًا اقام الله في وسط هذا البستان العظيم شجرة ما عجيبة جدًا في الجودة والبها. وكان اسمها شجرة الحيوة لان ثمرها كان يحفظ الانسان عن كل مرض حتى من الشيخوخة ايضًا * رابعًا كان هناك نبع ماء جزيل النقاوة واللطافة يتكون عنهُ نهر عظيم يسقي ذلك البستان باسرهِ. وهذا النهر كان عند خروجهِ منهُ اي من ذلك البستان ينقسم الى اربعة انهر تسقي جميع الاراضي القريبة منهُ وتخصبها * خامسًا كان ذلك المكان واسعًا جدًا. ومع انه كان بستانًا واحدًا لا غير فقد كان يساوي اعظم

اقاليم الدنيا في الاتساع . ولذلك جميع بساتين الملوك هي كلا شي بالنسبة اليه * فانظر كم انت ملتزم للجود الالهي لاجل هذه الاحسان . حيث انه لم يكن قصد تعالى ان يكون هذه الفردوس الارضي منزلاً لادم وحده بل لجميع ذريته ايضاً لولم يخطُ هو . وبالنتيجة ان يكون منزلاً لنا نحن ايضاً . وقد كان اخصه تعالى بنا حقاً . فياما اعجب جودك يا الهي حيث انك وهبت الانسان فردوسين احدهما ارضي والاخر سماوي . وقصدت ان تنقله من هذه الارضي الى ذاك السماوي ان استمر ثابتاً في خدمتك . فها انا قد خسرت الواحد بخطية ادم . فلا تسمح يارب ان اخسر الاخر بخطيتي . واذ قد غفرت لي الخطية الاصلية بواسطة سر المعمودية . فانعم علي بنعمة اخرى واغفر لي خطاياي المفعولة مني بواسطة سر التوبة . احفظني في كنيستك التي هي للمومنين فردوس النعيم حيث تقيت عبيدك بثمر شجرة الحيوة . حتى اذا ما اخرجت نفسي من هذا الجسد البايد تقتبلك في الفردوس السماوي جنة النعيم الابدي امين *

التامل الثاني والعشرون

* فيما خلقه الله في اليوم الرابع *

✤ الجزء الاول ✤

تكوين ١٤:١

قال الله : لتكن انوار في جلد السما ولتفصل بين النهار والليل ولتكن للايات والازمنة وللايام والسنين لتنير في جلد السما ولتضي علي الارض وكان كذلك . وصنع الله نيرين عظيمين النير الاكبر لسلطان النهار والنير الاصغر لسلطان الليل : تامل اولاً جلال الاحسان الذي مَنَّ الله به علينا حينما خلق الشمس وانظر صفات هذه الكوكب العظيم والفوايد التي نجتنيها منه * فاعتبر اولاً جزيل النور البارز من الشمس وقوته لانه بظهوره يبيد نور بقية الكواكب والنجوم وينير العالم كله . وبدقيقة واحدة يصل نوره الى جميع الاماكن . فالشمس تصير النهار وتدبر الساعات بسيرها العجيبة سرعته . لان هذا الكوكب كما قال النبي : يسرع مثل الجبار في سبله من اطراف السما ويحمي ويحيي كلما خلق *

مزمور ٦:١٨

اعتبر ثانيًا عظمة جرم الشمس المدهشة العقول حيث انها حقًا هي اعظم من القمر ستة الاف مرة . وهي اعظم من كرة الارض ينيف عن مايتي مرة . ولهذا دعاها الكتاب المقدس النير الاكبر . ولعمري ان الله عظيم قدرته حينما خلق بدقيقة واحدة بمجرد اشارة ارادته هذا الكوكب العجيب في البها والعظمة . ومن ثم تعجب منه الحكيم وسماه : الوعا العجيب الذي صنعة العلي : فيا ايها الاله القادر على كل شي . اني ابتهج من المجد الواصل اليك من تكوينك هذه الخليقة الجليلة الكمال . واشكرك الف مرة علي كثرة الخيرات الواصلة الي من قبل اشعتها . وقد يجب علي ايضًا ان اقتدي بها . فانهض كل يوم حال بزوغها لاسير راكضًا نهاري كله ساعيًا كجبار في طريق وصاياك . ايها النور الغير المخلوق انت هو شمس العدل وشمسنا الروحية التي تضي لجميع الناس وعلي الخصوص للمختارين . فانت الذي تمنحهم باشعة نورك حرارة محيية وتفيض عليهم بسخاء عجيب تاثيراتك السماوية . فلتباركك الشمس والنهار ولتخبر الارض بمجدك ۞

سيراخ ٤٣ ٢

۞ الجزء الثاني ۞

تامل ثانيًا كم نحن ملتزمون لله لاجل تكوينه الكوكب الثاني الاصغر اعني به القمر . فاعتبر اولًا ان القمر يستمد بهاء نوره من الشمس لا لكي يحفظه لذاته بل لكي يفيضه . علي ان القمر بواسطة هذا النور يزيح الظلام الليلي في غياب الكوكب الاول ۞

اعتبر ثانيًا ان القمر يقتدي بالشمس على قدر امكانه متوجهًا اليها . ومن ثم يكون مضيًا من الجهة المتجهة نحو الشمس وعديم الضيا من الجهة الاخرى . ويعظم كما قال الحكيم الى ان يكون كاملًا وينقص كذلك الى ان لا يظهر البتة ۞

اعتبر ثالثًا سلطان هذا الكوكب علي البحر والهوا لانه بحركاته يسبب فيهما اشيا كثيرة معجبة . فبعد التامل بهذه وتقدمة الشكر لله من اجلها . ارفع نظرك الى ما هو اعلى واشرف من ذلك . واعتبر ان القمر هو رمز النفس التقية لان الله يشبهها ببهاء هذا الكوكب . وقد يتوقف كمالها علي انها تستمر متجهة الى الله الذي هو شمسها الروحية والازلية ومصدر كل انوارها وحرارة عبادتها . فالنفس التقية

تصغر كالقمر وذلك نظرًا الى اعتبار ذاتها والازدرا بكلما يخصها . وتصغر في ذاتها
كل يوم الى ان تكون تلاشت واحتسبت ذاتها كلا شي . لانها تمتلي من جهة
اخرى وتكبر كالقمر وذلك بنموها المتصل في الفضيلة * فيا ايها شمس العدل
وخالق القمر اجعلني بنعمتك ان اتبعك دايمًا والتصق بك فانمو في الفضيلة وفي
معرفة ذاتي واحتقارها . ولا تسمح باني اكون جاهلاً فاتغير مثل القمر . وبتغير ردي
مهلك انتقل من نور النعمة الى ظلام الخطية . بل اجعلني ثابتًا كالشمس
فلا اتغير ابدًا بالاستحالة الى حال جديدة افضل كمالاً وقداسة . واحظى اخيرًا
بالخير الثابت الابدي في ملكوتك *

الجزء الثالث

تامل ثالثًا النجوم التي خلقها الله لاجلنا . واعتبر اولاً عددها العظيم المساوي لعدد
الرمل الذى على شاطى البحر . حتي انه لا يعرف كثرتها سوى الله تعالى وحده .
لان هذه الكواكب والنجوم كلها الجزيل عددها والجسيم كبرها والبليغ
بهاوها . لم يصرف الله في تكوينها سوى دقيقة واحدة لا غير . وبدقيقة نظمها
ورتبها كعسكر في السما . ومن ثمَّ شبهها الحكيم بجنود مصطفة ثابتة في نظامها *
اعتبر ثانيًا ان الله خلق القمر والنجوم لسلطان الليل . وجعلها كسرج تضي لنا
في السفر وترشدنا في البحر ومع ذلك هي زينة السما *
اعتبر ثالثًا ان الكواكب والنجوم تفيض علي الارض وفي كل الاجسام الحيّة
تاثيراتها الجزيلة النفع . ومن ثمَّ يلزمنا ان نشكر الله لاجلها ونقتدى بها . فنضي
للناس بنور تعليمنا ونرشدهم في طريق الخلاص بنموذجات سيرتنا الصالحة .
متذكرين قول دانيال النبي : ان الذين يعلمون كثيرين العدل يلمعون
كالكواكب الى ابد الابدين *

دانيال ١٢ع ٣

الجزء الرابع

تامل رابعًا ان الله لما نظر ما خلقه في اليوم الرابع وجده حسنًا وسُرّ به جدًا .
واعتبر ان بعض قبايل لافراط ما اندهشوا من حسن بهاء جمال الشمس والقمر
والنجوم احتسبوها الهة تسوس العالم . فلننتصح ولننتفع نحن من ضلالهم

وغباوتهم محسنين الظن بالعنق الالهية . على انه ان كان الله استطاع ان يخلق مثل هذه الاشيا العجيبة في الكمال . فلا شك ولا جرم في انه تبارك اسمه يكون او فر كما لا منها بما لا يحد ولا يقدر . وان كان جمال هذه الخلايق يبهج النظر بهذا المقدار . فماذا يكون سرور من ينظر خالقها ❁

التامل الثالث والعشرون

❁ فيما خلقه الله في اليوم الخامس ❁

❁ الجزء الاول ❁

قال الله لتخرجن المياه دبيبا ذا نفس حية متحركة وطيرا على الارض تحت جلد السما : تامل اولا كيف ان الله في ذلك اليوم اظهر قدرته وسخاه نحو البشر حينما املا الانهار والبحار من الاسماك . فاعتبر اولا ان الله اراد ان يسمى معه الماء في ايجاد السمك لاجل السبب المذكور في الجزء الثاني من التامل الحادى والعشرين . ومن ثم بقوة هذه الكلمة : لتخرجن المياه : ابتدات كل مياه البحار والانهر ان تقدم للخالق المادة التي منها كون الاسماك ❁

تكوين ١ : ٢٠

اعتبر ثانيا ان الله خلق حينئذ سمكا لا يحصى عدده مختلف الانواع والاشكال والخواص . ومع كثرته هذه الغير المحصاه فان الذي خلقه يهتم في غذايه فيحيي ويحفظ في الانهر والبحار كانه في بطن امه . فاشكر اذا العناية الالهية التي املات المياه من انواع السمك لاجلك وقل مع النبي : اقبلوا اليه واستنيروا ووجوهكم لا تخزى

مزمور ٣٣ : ٦

✤ الجزء الثاني ✤

تامل ثانيا كيف ان الله في هذا اليوم املا ايضا الجو من الطيور . واعتبر اولا ان الله خلق الطيور جميعها من الماء وحضر لها ما تقتات به على الارض وفي الجو وفي الماء . ولكي تجد ذلك وتتناوله بسهولة اعطاهن اجنحة ومناقير ومخالب على حسب احتياج كل منها ❁

اعتبر ثانيا اننا نجتني من الطيور فوايد كثيرة . وبالنتيجة انه يلزمنا ان نودى الشكر لله الذي خلقها لاجلنا . فالبعض من الطيور نغتذي من لحومها . والبعض

منها تسرنا وتبهجنا بترنمها وشدوها. وبعضها تزيننا بريشها: وبعضها تفيدنا علماً وحكمة بحسن مناقبها وتدبيرها. ولهذا نرى في الاسفار المقدسة ان الله يتخذ استعارات كثيرة من الطيور. لانهُ تعالى يشبه ذاته تارةً بالنسر الذي يهيج فراخه للطيران. وتارةً بالدجاجة التي تجمع فراخها تحت جناحيها. و اوقاتاً اخرى يبكتنا على قلة فطنتنا و جهلنا بذكر فطنة البرلوجة والسنونة *

اعتبر ثالثاً ان الانسان يجتني نفعاً مما غرزهُ الله من المناقب المتفننة في الطيور. علي اننا نستخدم البعض منها لنقتنص بها البعض. حتي ان النحلة ولو مهما كانت صغيرة فتصنع العسل والشمع وهما يفيدننا بانواع مختلفة. وقد كفر بالجميل من لايشكر الخالق لاجلها. ولا يجحد عناية الادوية التي اوجدت لنا هذا المقدار من الطيور البرية والانيسة وقدمت لنا لحمها وبيضها وريشها وغير ذلك لضرورياتنا واستلذاذنا. فحقاً يا الهي انك اب جواد رحوم محبوب. فاجعلني مهتماً في خدمتك كاهتمامك في تحصيل احتياجاتي: وانعم عليّ ان اقتدي بالطيور فارتل تسابيحك باكراً واطير الي حيثما تدعوني مسرعاً *

* الجزء الثالث *

تامل ثالثاً على نوع اخر الموضوع المتقدم ذكره اعني الاشيا المخلوقة من الماء. واعتبر ما تعنيه لنا تكوين الله السمك في لجة البحر وايجاده الطيور في الجو. فاعلم ان هذا يشير الى نوعين من المومنين الذين ولدوا ثانيةً بواسطة ماء المعمودية وهما الرهبان والعامة. فهولاء المعبر عنهم بالسمك يتمسكون بالسيرة العملية. علي انهم في بحر هذا العالم يقرنون رياضات التقوى بالاهتمام في الامور الدنيوية. اما اوليك اعني الرهبان المعبر عنهم بالطيور فيتمسكون بالسيرة النظرية. ولهم اجنحة يطيرون بها من الارض الى السما حيث يترددون مع الملايكة. فالاولون سيرتهم سيرة مرتا التي قيل عنها في الانجيل المقدس انها كانت مهتمة في اشيا متزايدة: ولعمري ان العالم هو لديهم كبحر لايجدون فيه راحةً والهموم العالمية لا تزال تجتذبهم وتصير عيشتهم مرةً. اما الاخرون فانهم اختاروا الحظ الحسن حظ مريم اخت مرتا. لانهم يتمتعون براحة وعذوبة لا يمنحها الله سوى للذين يرتقون

لوقا ١٠: ٤٠

فوق الاشيا الارضية وفوق ذواتهم لكي يحصلوا علي الخير الوحيد الذي تنجذب اليه بقية الخيرات. فهولاء واوليك لممدوحون. لان الذين اقامهم الله علي هاتين الدعوتين قد قدسهم بماء المعمودية. ويزيدهم نقاوة بواسطة دموع التوبة. وقد يمكن ان ننسب لهم قول الكتاب المقدس راى الله ما قد صنع فوجده حسنًا * اعتبر ايضًا انه وان كان الله خلق السمك والطيور في دور واحد. الا ان السفر الالهي يذكر تكوين السمك قبل تكوين الطيور. وذلك لان الله من عادته ان يبتدي بما هو اقل كمالًا وينتهي بما هو اكمل. وهذا دليل علي ان السيرة العملية تتقدم على السيرة النظرية. وان قبلما نذوق عذوبة التامل النظري ينبغي لنا ان نذوق مرارة الدموع والندامة علي خطايانا. ان ليا قد كانت بكرًا مولودة قبل راحيل. ولم يستطع يعقوب ان يتخذ راحيل الا بعد ما اقترن بليا. وعلى هذا الاسلوب لا يرتقي احد الى السيرة النظرية قبل ان يمارس السيرة العملية *

اعتبر اخيرًا ان الله بارك السمك والطيور واعطاها قوة لتنمو وتنتج غيرها. وبهذا يوضح لنا تعالى انه يفيض بركته على اصحاب السيرتين المتقدم ذكرهما. فيخصبهم بالاعمال الصالحة ويجعلهم قابلين لان يقيموا له تعالى بنين روحيين بردهم الخطاة عن شرورهم واجتذابهم الناس الى خدمته. فكما ان الانسان يلد انسانًا اخر نظيره. هكذا يجتهد هولاء في ان يجتذبوا غيرهم الى رياضات التقوى التي يمارسونها. ثم ان السمك وان كان اقل كمالًا من الطير الا ان خصبه ونتاجه اكثر منه جدًا. وهو بذلك رمز السيرة العملية التي تقيم لسيدنا يسوع المسيح ابناً اكثر من السيرة النظرية. على ان السيرة العملية تشبه ليا التى كانت اقل بهاء من راحيل الا انها اوفر منها توليدًا. وانما اشير هنا الى السيرة العملية الافضل كمالًا التي تقترن جدًا بالسيرة النظرية. ومنها تستمد الادوات الضرورية لتعليم القريب. ولست اعني بذلك ان السيرة النظرية عاقر. حاشا بل انها تشبه الطيور في التوليد. على انها وان كانت تلد اولادًا قليلين الا انهم افضل جمالًا كاولاد راحيل * فبعد ان تتامل هذه كلها متانيًا اقصد ان تمارس رياضات هاتين السيرتين. وبسبب انك محتاج الى المعونة الالهية لكي تمارسها جيدًا. فقل

بتواضع واتكال في مناجاتك الله هكذا. ايها الرب الهي الخالق الازلي الذي خلقت في اليوم الخامس الاسماك والطيور. وبذلك اعنيت لنا السيرتين المذكورتين. اعطنا القوت الحقيقي الذي هو العمل والتامل النظري لكي ننتقل من هذه الحيوة الى الحيوة الاخرى فنمجدك ونسبحك الى الابد *

التامل الرابع والعشرون

* فيما خلقه الله في اليوم السادس *

* الجزء الاول *

تكوين ١:٢٤

قال الله لتخرجن الارض نفساً حية كجنسها وبهايم ودبابات ووحوش الارض كاجناسها: تامل اولاً تفاقم كثرة الحيوانات المذكورة هنا واختلافها العجيب وكيف ان الله يقيتها كلها لاجلنا. وكيف انه بهذا يعلمنا انه ليهتم فينا افضل اهتماماً. ثم اعتبر جزيل احسانه الينا بتكوين هذه الحيوانات وكثرة المنافع الواصلة لنا من قبلها. على ان البعض منها نغتذي بلحومها والبعض منها نكتسي بصوفها وجلودها. وبعضها لتحملنا في الطريق. وبعضها لحراستنا وصوننا. وبعضها لتنزهنا وبهجتنا. فهذه كلها تضطرنا بان نسبح الله ونشكره على شيين. اولهما على ما يصنع من الخير في هذه الخلايق التي لاتستطيع ان تعرف الجميل. ثانيهما على ما يفعل من الخير بنا بواسطة هذه الحيوانات التي لم يمنحها خيراً ما لاجلها اكثر مما هو لاجلنا. فيا الهي الجزيل سخاوة الذي اكثرت علينا الخيرات الزمنية وافضتها بسعة علمني كيف يجب على ان اتصرف بها ليلا اخسر الخيرات الابدية *

الجزء الثاني

تامل ثانياً ان الله لما راى ما خلقه في هذا اليوم وجد كل شي حسناً ولم يمدح الحيوانات الانيسة فقط. بل الوحوش الضارية حتى الحيات ايضاً. فما على ما ستقوله فيما بعد اعلم ان الله في تكوينه هذه الحيوانات المسمة والمفترسة اظهر رحمته وعدله معاً. فاظهر رحمته اذ انه تعالى اخضعها للانسان في حال البر الذي سقط منه بالخطية. واظهر عدله باستخدامه اياها لتاديب الانسان الخاطي

حكمه ١٦ع٢٤

او لتعذيبه اذا ثبت في خطيته ولهذا قال الحكيم : الخليقة الخادمة لك ايها الباري فتتقد لعقاب الظالمين وتلين لخير الذين يتكلون عليك :

اعتبر الان انه لكي ننتفع من تاملنا الحيوانات . فيجب علينا ان ننظر اليها من جهتين . فمن الجهة الواحدة نرى شيئا ما جيداً يجب علينا ان نقتدي به . ومن الجهة الاخرى نرى شيئاً رديّاً يلزمنا ان نحيد عنه . فتفرس مثلاً في الدابة كيف تطيع الانسان وتقبل كلما يضع عليها من الاحمال . فاقتدي بها في ذلك حسب قول النبي : صرت كالبهيمة عندك : اما غلاظ طبعها فينبغي ان تحترس منه ليلا يصدق فيك ما قاله النبي المتقدم ذكره : الانسان اذ كان في كرامة ولم يفهم اقيس بالبهائم التي لا عقل لها

مزمور ٧٢ع٢٣

مزمور ٤٨ع١٣

الجزء الثالث

تامل ثالثاً السبب الذي من اجله لم يبارك الله حيوانات الارض كما بارك السمك والطيور قايلاً : انمي واكثري : على ان ذلك لا يخلو من سر حتي وان كان يمكننا ان نقول ان الله حينيذ كان قاصداً ان يبارك الانسان بعد قليل . وان هذه البركة العتيدة كانت تخص الحيوانات ايضاً لسبب المناسبة الموجودة بينها وبين الانسان نظراً الى الجسد والحواس ومكان السكني . لانه يجب ان نتامل ذلك علي نوع افضل نوع روحي ادبي . فنقول اذاً ان الباري تعالى رام ان ياخر تبريك الحيوانات . ليعلمنا بذلك ان بركتهم ولعنتهم هي متعلقة بجودة حال الانسان الذي خلقت لاجله او رداوته . ومن ثم نرى في الكتب المقدسة ان الله اذ كان يعد الصديقين بالبركة فكان يعدهم ايضاً بانه سيبارك قطيعهم ويكثره . هكذا قال للشعب الاسرايلي : ان سمعت صوت الرب الهك فتكون مباركة ثمرة بطنك وثمرة ارضك وثمرة دوابك : وبخلاف ذلك اذ يقصد ان ينتقم من الخطاة فيقول : انه يجمع عليهم الاسواء ويفني نبلهم فيهم فتاكل الارض مع نباتها : ويملا ارضهم من الحيات والوحوش الضارية . واحياناً يملا ارضهم من حيات ردية ووحوش شرسة لا يمكنهم ان يتحفظوا منها . وقد ارسل اوقاتاً كثيرة ضدهم جراداً وضفادع واسداً . فمن ذا لا يخدم مثل هذا المولى الجواد .

تثنيه ٢٨ع٢و٤

تثنيه ٣٢ع٢٤

ومن ذا لا يخاف هذا الديان المرهوب * الهي اب الرحمات الذي منك تنحدر جميع البركات الوافية الينا من السما والارض امنح عبيدك لا امنا البركات الزمنية كما صنعت بيعقوب البار. بل كثر عليهم البركات الروحية ايضاً *

التامل الخامس والعشرون

* في تكوين الله الانسان في اليوم السادس *

الجزء الاول

تكوين ١: ٢٦

قال الله: لنعمل انساناً علي صورتنا ومثالنا وليتسلط على سمك البحر وطير السما وعلي البهايم وجميع الارض وكل ما يتحرك على الارض: تامل اولاً ان الانسان هو اخر كل الاعمال التي ابرزها الله في هذه الستة الايام. وذلك لكي نعلم ان كلما خُلق كان قد خُلق لاجله. علي ان جميع هذا العالم المنظور كان عتيداً ان يكون منزلاً للانسان. ولهذا لم ترد العناية الالهية ان يوجد فيه قبل ان يكون معدّاً له. وذلك لكي يستطيع الانسان عند دخوله في العالم ومن اول دقيقة وجوده فيه يبهج الحاظه بالنظر الى اشيا كثيرة بهية. ويطرب سماعه بشدو الطيور ويلذ ذوقه باكل الاثمار اللذيذة وهلم جراً * فيا الهنا الاب الجزيل توددة ان كنت قبل تكوينك اياي عددت لي هذه الخيرات كلها علي الارض حيث اكون كانسان عابر طريق. فماذا تكون كثرة الخيرات التي تعدها لي في السما حيث انا عتيد ان احيي الى الابد. فاشكرك يارب على هذه الخيرات وعلي تلك. واذ قد اعطيتني هذه الخيرات الاولى لاكتسب بها الخيرات الاخرى العتيدة. فاجعلني بنعمتك ان ارضيك طول مدة سكناي في هذا العالم المنظور الذي خلقته لاجلي. لكي انتقل فيما بعد الى العالم الغير المنظور فاحظى بك الى ابد الدهور *

الجزء الثاني

تامل ثانياً قصد الثالوث الاقدس في تكوين الانسان. فاعتبر اولاً ان الله لم يقل ليكن الانسان او لتنبت الارض الانسان. بل قال لنعملنّ انساناً الخ. واراد بذلك ان يوضح لنا الفرق الموجود ما بين الانسان وبين بقية الخلايق المنظورة

وانهُ من جهة النفس التي بها يتميز من الحيوانات لا يمكنهُ ان يكونها من الارض ولا من الماء لكونها روحية غير مركبة من مادة ٍ . ولذلك بالضرورة يجب ان يكونها من العدم . ولهذا يجب عليَّ ان احب مَن اخرجني من العدم ومنحني كمالي وان اعبدهُ بكلية قلبي واقول مع النبي : الهي انظر الى هذه الكرمة المغروسة منك واحفظها ۞ اعتبر ثانيًا ان الله قال بالجمع : لنعمل انسانًا علي صورتنا : وقد تكلم الله هكذا ليشير نحونا بان الثلثة الاقانيم الالهية سعوا على وجه ٍ خصوصي في تكوين الانسان . وايضًا ليعني لنا بهذا ان الاقانيم الثلثة لم تبتدِ هذا العمل الا بعد مشورة ما . وانهم لم يبرزوهُ الا بصعوبة . وكانهُ ينبغي ان يحث بعضهم بعضًا علي ذلك لعلمهم السابق بما كان عتيدًا ان يعملهُ الانسان من الردى . وكم يلزم تبريرهِ وخلاصهِ من التكلف والاتعاب . فمع هذه كلها يقول الاب لابنهِ والاب والابن يقولان للروح القدس وثلاثتهم يقولون فيما بينهم لنصنعنَّ الانسان على صورتنا ۞ الهي وخالقي الجزيل حنوه . ما الذي ساقك الى ان تبرز خليقة قد سبقتَ وعرفتَ ما هو عتيد ان ترتكبهُ من الخيانة . فكيف اشكرك علي هذا العزم الكلي التودد الذي بهِ اردت ان تخلقني . فها انا اعزم ايضًا عزمًا اخر اريد بهِ ان اظفر بكلما يصدني عن عبادتك كما انت ظفرت بكلما كان يصدك عن تكوينك اياي

۞ الجزء الثالث ۞

تامل ثالثًا ان الله خلق الانسان علي صورتهِ اذ خولهُ نفسًا روحية ناطقة حاوية ً في ذات جوهرها صورة كمالات الخالق . صورةً اكمل ما يوجد في هذا العالم المنظور كلهِ ۞ فاعتبر اولًا انهُ كما ان الله ليس هو جسديًا وليس هو محسوسًا او قابل الانفصال . بما انهُ حينما يكون موجودًا فيكون هناك لا بكليتهِ فقط وعلي نوع يخصهُ وحدهُ . لكنهُ يحفظ ايضًا كل شيءٍ بوجودهِ وحضورهِ ويمنح كل شيءٍ الوجود والحيوة والحركة . فهكذا النفس هي روح محض وبسيط وبالنتيجة غير منظور . لا يعرف الا بما يفعلهُ في الجسد . وهي روح غير قابل الانفصال وغير متجزي . لكونها توجد بكليتها في الاعين والاذان والايدي وتمنح لكل جزءٍ الوجود والحيوة والحركة . ولهذا حينما تنفصل من الجسد يعود الى جثة ٍ ويرتجع سريعًا

الى الارض التي خرج منها. فينبغي اذًا ان روحنا مع كل الاجزاء الحيية لها تبارك الله مبدعها. وان اعضانا كلها تستحيل الى السنة وتمجد خالقها. فلنقل اذًا الها الروح الضابط الكل الذي ابدعت ارواحًا مختلفة في السما والارض لكي يُسجد لك في كل مكانٍ بروح وحق. فها انا اباركك بالروح الذي فيَّ وقد قبلتهُ منك واقدم لك عبادةً روحيةً باماتة لحمي بالروح واريد ان يحيي روحي بروحك وان تحيي انت فيَّ روحي *

اعتبر ثانيًا انهُ كما ان الله ليس هو قابل الموت وانهُ مع كونه موجودًا في العالم فانهُ هو غير متعلق به. هكذا النفس ليست هي قابلة الموت ولا متعلقة بالجسد مع كونها موجودة فيه. ولهذا حينما يموت الجسد ويفنى لا تموت النفس ولا تفني. بل تبقى ناجية من الفساد وترتد الى الله خالقها الذي يخص لها مكانًا يحق لها * فيا الهي ملك الدهور الغير القابل الموت والغير المنظور الممتلك وحدهُ جوهريًا وضرورةً عدم الموت. اشكرك يارب على انك اشركت نفسي في هذه الصفة العجيبة. فاسالك ياسيدي ان تكون نفسي عند خروجها من هذا الجسد الفاني عديمة الموت نظرًا الى النعمة كما هي كذلك نظرًا الى الطبيعة. فتظفر بالموت الثاني الذي لا يموت الكاين في الجحيم السفلي وتفوز بحيوة الابد في الملكوت السماوي *

اعتبر ثالثًا ان النفس مع كونها وحيدة فتمتلك ثلث قوى. وهي الفهم والذكر والارادة. وهذه القوى تستخدمها النفس لابراز افعال شريفة. على ان الفهم يريها كل الاشيا التي على الارض وفي السما جسمية كانت او روحية. والذكر يضع امامها مهما عرفته قبلًا ويصور لها الاشيا الماضية كانها حاضرة. اما الارادة فتستمد النفس منها اختيارًا لتحب او تبغض مهما تقدمهُ لها الفهم. وهذه الثلث القوى تصير النفس صورة الله الذي هو وحيد في الجوهر ومثلث في الاقانيم. على انهُ كما ان الاب الازلي بنظره الى جوهره يصدر الكلمة الذي هو ابنه. ثم ان الاب والابن بسرورهما المتردد بينهما اي بسرور بعضهما ببعض يصدران ويبثان المحبة اعني بها الروح القدس. هكذا النفس متى تحدق نظرها الى الله بواسطة الفهم تبرز حينيذٍ في ذاتها كلمة ما التي هي صورة الله. وحينما تجتهد ان تتحد به

تعالى بواسطة الارادة تبرز وتنفذ المحبة النقية الروحية التي قال عنها القديس
توما اللاهوتي انهُ عليها يتوقف أخص كمال النفس. لكون هذا يصيرها اوفر
شبهاً بالله. وما على هذه المزايا الاربع فتمتلك النفس مزية اخرى وذلك لانها
تمتلك مثل الله اختياراً كاملاً. وبهذه المزية التي قبلتها منهُ تعالى تقبل او ترذل
مهما تشا قبوله او رذله بغير ان يستطيع ان يضطرها ضد ذلك بشر او ملاك.
بل الله وحدهُ يقدر ان يميلها الى حيثما يريد. الّا انهُ تعالى لا يضطرها البتة حسبما
قال الحكيم: صنع الله الانسان منذ البدء وتركهُ في يد مشورتهِ: فانا اذاً اقدم
لك يارب اختياري. فلست اريد ان اتصرف بهِ الا حسبما تريد انت. ولست
اقبل ارادة سوى تلك التي تكون مطابقة لارادتك الالهية *

سيراخ ١٥: ١٤

اعتبر رابعاً ان النفس قد اتصفت بمزية اخرى صادرة عن المزايا المتقدم ذكرها.
وهي قائمة بانها اعني النفس موضوع قابل لاقتبال مواهب الحكمة والعلم
والفضايل والانعام والمجد الابدي مع بقية المواهب الطبيعية والفايقة الطبيعة.
حتى انها مع كلما تكون اقتبلتهُ من تلك المواهب والانعام. تكون ايضاً
قابلة لانها تقتبل اكثر من ذلك ولا يقدر ان يملاها سوى الله وحدهُ. ولا تجد
راحة الى ان تجدهُ تعالى وتنظرهُ مواجهةً. فكما انهُ تباركت اسماوهُ لا يكتفي الا
في ذاتهِ. هكذا لمن الممتنع ان النفس تكتفي بالكلية في خير ما غير الخير الغير المتناهي *
اعتبر خامساً انهُ كما ان الله لهُ سلطان مطلق على كلّ الاشيا. وانهُ هو حاويها
في ذاتهِ على اكمل الوجوه ويتصرف بها كما يشا وهو غايتها القصوى. هكذا الانسان
بما انهُ متصف بنفس روحية فانهُ هو متسلط على كل الخلايق الجسمية حتى
على السموات والنجوم التي خُلقت لاجل خدمتهِ. وهو حاوٍ في ذاتهِ الكمالات
المتفرقة في الاشيا الحية والعادمة الحيوة كالنباتات والحيوانات حتى الملايكة
ايضاً. ومن ثمّ يكون الانسان مختصر العالم وهو نايب الرب على الارض ولهُ
ان يتصرف بسلطان مطلق تحت سلطانهِ تعالى *
فمن هذه الاعتبارات ينتج ان كون الانسان على صورة الله هو مزية خصوصية
لا تشاركهُ فيها خليقة من جميع الخلايق المنظورة. التي لا يظهر فيها سوى اثر

خفيف من العزة الالهية والثالوث الاقدس. فلنحث اذًا انفسنا علي ان تعقل جيدًا شرف ذاتها. فلا تفعل شيًا يسقطها عن هذا الشرف الوسيم. ولنصيرها ان تكون بكليتها مختصة لله والّا تنسى ابدًا ما اجاب به السيد القايلين له: هل يجوز ان تعطى الجزية لقيصر. حيث انه اخذ دينارًا وقال لهم. لمن هذه الصورة. فقالوا هي لقيصر. حينيذٍ قال لهم يسوع اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله: فكانهُ يقول اذ قد تشهد صورة هذا الدينار انكم عبيد قيصر وخاضعون له. فاوفوا له ما يطلبهُ منكم بالحق. واحذروا من انكم لا تعطوا لله ما انتم ملتزمون بهِ. فاخبريني اذًا يا نفسي ما هذه الصورة المرتسمة فيكِ. هل هي صورة العالم او صورة خليقة اشرف منكِ. فاعلمي يقينًا ان الله قد رسم عليكِ نور وجههِ. وكونك على صورتهِ فاعطي اذًا ما لله لله. ايمكنكِ الّا تقدمي كل شي مع ذاتكِ لمن اعطاكِ كل شي وبذل نفسهُ عنكِ. فيا ايها الكلمة الالهية صورة الآب الازلي الغير المنظورة. لقد اتيت الى العالم لكي تخلص الانسان المارد وتصلح فيه صورتك الممحوة بالخطية. فانظر اليَّ انا الخاطي الشقي الملتجي الى رحمتك ولاحظ في صورتك التي قد اتلفتها وردها يا رب بنعمتك الى حالها الاولى البهية. يا ايها الآب الازلي الرحوم الذي قد سبقت بعلمك فاخترت القديسين ليكونوا مشبهين صورة ابنك. انعم عليَّ بهذا اعني بان اتشبه به في الفضيلة والقداسة لكي احصل علي شبههِ ايضًا في المجد الابدي ❊

❁ الجزء الرابع

تامل رابعًا ان الله خلق الانسان ليتسلط على سمك البحر وطيور السما وعلى جميع ما يتحرك علي الارض. وانتج من ذلك عظم شرف شان الانسان. على انهُ كما ان الله لهُ سلطان مطلق علي كل الخلايق. هكذا الانسان لهُ سلطان علي الخلايق التي تحت السما. ويجوز لهُ ان يتصرف بها فيما يريد وكيفما يريد. ولهُ ان يلاشيها اذا احتاج الى ذلك سواءً كان لقوتهِ ام لتنزههِ. فتعجب اذًا من سخاء الله وجودهِ وقل مع النبي: مَن هو الانسان انك تذكرهُ او ابن الانسان انك تفتقدهُ. انقصته قليلًا عن الملايكة بالمجد والكرامة كللتهُ وعلي اعمال يديك اقمتهُ. وكلًّا اخضعت تحت قدميهِ الغنم والبقر جميعًا وبهايم السهل وطيور السما وحيتان

متى ٢٢ع ٢٠

مزمور ٨ع ٦-١٠

البحر ايها الرب ربنا ما اعجب اسمك في الارض كلها: حقاً ان اسمك هو عجيب من حيث انك تتغاضي عن عزتك وترتضي بان تفتكر في خليقة حقيرة. ومع انك عالم بدناءة الانسان وحقارته تكلله بالمجد والكرامة وتكونه علي صورتك وشبهك وتمنحه سلطاناً عاماً على كافة اعمال يديك. انه ليلزمني ان انادي في الارض كلها ان اسمك عجيب محثاً جميع الخليقة علي تمجيك ومغريهم باكرامه ❁

التامل السادس والعشرون

❁ في كيف ان الله كون جسد الانسان واحياه وفي كيف انه تعالى خلق حوى ❁

❁ الجزء الاول ❁

تامل اولاً ان الله رام ان نعرف بالتفصيل كيف كوّن جسد ادم وكيف خلق نفسه. فابتدأ اولاً بتكوين الجسد الذي هو جزء الانسان الادنى شرفاً. لكي يعلمنا بذلك ان الانسان ليس هو نظير الحيوانات نظراً الى الجسد والنفس. على ان في الحيوانات الجسد والنفس يتخذان وجودهما من الارض علي حد سوى. اما في الانسان فالامر بخلاف ذلك. حيث ان جسده يتخذ وجوده من الارض. اما نفسه فتخرج من يد الله خالقها فقط. فلنتامل اذاً الجسد كما يستحق ولنلزمه بالطاعة للنفس. وانك لكي تحتقره فيكفيك ان تتصوره كجثة عادمة الحيوة لا قوة له ولا حركة. ولكي تحسن هذه العاطفة فاعتبر ان الله جبل جسد الانسان من تراب رفيع يسير خلطه في قليل من الماء كما يصنع الفاخوري. وذلك لكي يتواضع الانسان بالنظر الى دناءة وجوده وضعف طبيعته السريعة العطب والفنا. فمن هذا الاعتبار اتخذ لك سبباً اولاً للاتضاع وخاطب ذاتك هكذا: لماذا يتكبر التراب والرماد: ولماذا تنتفخ متعجرفاً ايها الروح الخبيث. وما الذي يصيرك متكبراً. هل لانك اخذت وجودك من الغبار الذي تذريه الريح. فاتضع اذاً وانحدرن الى عمق الارض التي ولدت منها ❁ ثانياً اتخذ لك من هذا الاعتبار سبباً وحجة لتقنع بها قلبك حينما يتمرمر علي تدبير الله: فقل من انت ايها الانسان حتى تجاوب الله هل الجبلة تقول لجابلها لماذا جبلتني هكذا او ليس الفاخوري هو قادر ان يصنع

سيراخ ١٠ ع ٩

رومية ٩ ع ٢٠

من طين واحد اناء للكرامة واناء للهوان: الويل لمن يخالف جابله هل يقول الطين لجابله ماذا تصنع: فاخضعي يا نفسي للرب الذي له سلطان على ان يتصرف بك كما يريد. وبما انه عادل ورحوم فاعتقدي ان كلما يفعله بك يكون لخيرك ان كنت لا تبانين خدمته • ثالثًا اتخذ لك ايضًا من الاعتبار المذكور سببًا لتمكين اتكالك على الله الذي اخرجك من الارض وقل مع اشعيا النبي: والان يارب انت ابونا ونحن طين وانت جابلنا ونحن جميعنا اعمال يديك: فاحفظ يارب هذه الانية التي جبلتها لتستخدمها لمجدك لا لكي تكسرها بغضبك. ثم انه يجب عليك ان تشكر الله على كل الخير الموجود فيك. وان تلقي بسرور قلب كل همك فيما بين يديه. ودعه ان يدبر امورك كما يشا متذكرًا قوله تعالى: كما ان الطين بيد الفاخوري كذلك انتم بيدي: اني لافرح يارب من كوني بين يديك. وقد تحققت ان كل شيء ياتيني من قبلك يكون لي خيرًا. فاشكرك يارب على انك وضعت هذا الكنز في انية خزفية لتكون العظمة من قوة الله لا منا •

اشعيا ٤٥ : ٩

اشعيا ٦٤ : ٨

ارميا ١٨ : ٦

✤ الجزء الثاني ✤

تامل ثانيًا ان الله خلق نفس ادم من العدم وهذا يورده الكتاب المقدس بقوله: نفخ الله في وجه الانسان نسمة الحيوة: ليشير بذلك الى ان النفس التي اقتبلها ادم لم تات من الارض كما اتى منها جسده. بل اتت من حضن الله. لانه كما ان النفس ليس هو شيئًا اخر غير هو آخارج من باطن الانسان بفمه. هكذا يجوز لنا ان نقول عن النفس انها تخرج من حضن الله من حيث ان محبته ابرزتها. وانها تخرج بفيه تعالى اذ قد اوجدتها كلمته الضابطة الكل. وبهذا تشبه النفس الكلمة الازلية التي خرجت من فم العالي. فاذكري يا نفسي انك خليقة الله فباركي اسمه القدوس. واذ قد خرجت من الله فيجب عليك ان ترجعي اليه وتلجي قلبه وتحبي بحرارة من احبك بمثل هذه المحبة. ثم اعتبر ان الكتاب المقدس يدعو النفس نسمة الحيوة اي نسمة تمنح الحيوة. ليعني بذلك ان الشيء الذي يحيي الجسد هو النفس التي هي مصدر التنفس والحركة. وهذا يشير ايضًا الى انه كما ان حيوة الجسد هي متعلقة بالتنفس. هكذا حيوة النفس وخلاصها يتعلقان بالهام

تكوين ٢ : ٧

الله وقدرته . فكما ان الجسد اذا فارقته النفس فقد الحيوة الطبيعية هكذا النفس اذا فقدت النعمة فقد فقدت ايضًا الحيوة الفايقة الطبيعة . ثم اعتبر ان انه كما ان الله لما نفخ في جسد ادم ادخل فيه نفسًا منها تصدر الحيوة الطبيعية . هكذا يفيض تعالى بالهامه في النفس روح المحبة الفايقة التي منها تصدر الحيوة الروحية الفايقة الطبيعة . فالله اذًا منح لادم لا نفسًا فقط التي بها كان حيًا حيوة نامية كالاشجار وحيوة حاسة كالحيوانات وحيوة ناطقة كالملايكة . بل منحه ايضًا روحه الكلي قدسه الذي هو ينبوع النعمة والحيوة الروحية . وهذه الموهبة قد انعم بها سيدنا يسوع المسيح على الرسل حينما نفخ فيهم قايلاً خذوا الروح القدس . فيا ايها الاب الازلي الذي بنفخ ابنك تصدر الروح القدسي وبه تحيي النفوس التي قد ماتت بالخطية . انعم علي بهذه النفخة التي ترد الموتى الى الحيوة . افتقد نفسي وجددها بالهامك الالهي لتحيي حيوة جديدة مرضية لك وتثبت في نعمتك فتنال الحيوة الابدية *

الجزء الثالث

تامل ثالثًا كيف ان الله ادخل ادم في الفردوس الارضي . فاعتبر اولاً انه لما فتح ادم عينيه وابصر السما البهية والنجوم والكواكب السنية والطيور الطاير في الجو والاشجار المتفننة والحيوانات المتنوعة . اندهش عقله من هذا المنظر البهي العجيب . وامتلا قلبه سرورًا وتهليلاً كانسان منذ اتلاده كان محبوسًا في سجن مدلهم . فاخرج منه اخيرًا بعد ثلاثين سنة وابصر كلما يوجد من البهاء في هذا العالم . فلا شك في انه يشتمله التحير والذهول ويقدم لله الشكر ويسبحه على هذه العجايب . ثم ان ادم ازداد سرورًا وتعجبًا حينما ادخله الله في جنة النعيم . واخبره بان هذا المنزل العجيب هو منزله . وخوله اثمار اشجار ذلك المكان السعيد باسرها ما عدا ثمر شجرة واحدة . وقد عرف ادم وتحقق ان هذا الاحسان لنعمة محضة لم يقدر ان يستحقها . ومن ثم طفق يمجد جود الله الغير المتناهي ويشكره على هذا الجود العظيم *

اعتبر ثانيًا ان الله في هذا الوقت احضر امام ادم جميع الطيور والحيوانات ليبهجه بهذا المنظر العجيب فكم ترى قد اعتري ادم من الفرح والتعجب

والمعروف في ذلك الوقت السعيد. فلنطابقنَّ هذا لنا. فهلمَّ لنرتقي بالروح من الارض الى السما. ولنبارك الله الذي خلق لاجلنا هذه الاشيا كلها. ولنتفرس فيها كاننا لم نبصرها قبلاً. ولنرتل تسابيح جديدة شكراً للمحسن الينا بهذه الخيرات جميعها. ولا نقف عند ذلك بل لنرتفع الى ما هو اعلى ولنحدق بالحاظنا في السما حيث الله ينتظرنا وحيث اعدَّ لنا منزلاً ابدياً. ولنسبق فنذوق اللذة التي نحن عتيدون ان نتمتع بها حين نرى باعيننا كل بهاء صهيون المدينة السعيدة السماوية. فيا ايها الاله الهُ قلبي اني لعارفٌ لان لاي سبب قلتَ بفم نبيك: اني اجتذبهم بحبال ادم برباط المحبة: ان حبال ادم هو المزايا الشريفة والمواهب الجزيلة التي تفضلت بها عليه لكي يلتصق بك. وقد تنعم بها ايضاً على اولاده لتثبتهم معهُ في خدمتك. حبال ادم هي السما مع نجومها والجو مع طيوره والارض مع حيواناتها ونباتاتها. حبال ادم هي الجسد مع اعضايه وحواسه كلها والنفس الناطقة المخلوقة منك على صورتك مع جميع قواها. اما رباط المحبة فهو الانعام والاسرار والالهامات المقدسة والسعادة الابدية المعدة منك للابرار. ياليتني اكون ملتصقاً متحداً متبجناً بمحبة مودة بمن اخترع هذه الحبال والرباطات. فلا يوجد شي قادر ان يفرقني عن حبه ✻

هوشع ١١ع٤

✻ الجزء الرابع ✻

تامل رابعاً ان الله لما خلق الطيور وحيوانات الارض خلق في كل نوع ذكراً وانثى. لا انهُ تعالى لم يفعل هكذا لما خلق الانسان بل خلق الانسان اولاً ثم جبل المراة من ضلعه. وذلك لكي نفهم انهُ يلزم الانسان لا يكون نظير الحيوانات التي ليس لها ميل اشد وحركة اقوى من ميلها وحركتها الى تكثير جنسها. على انهُ وان كانت الزيجة امراً جميلاً وضرورياً لتكثير الجنس البشري وحفظه. لا ان مباشرتها هي شي من ذاته لحمي كثيف. فلهذا اذاً لم يرد الله ان يخلق حوى الا بعد تكوينه ادم. اي لكي يعقل الانسان ان اخص اعماله هو التردد مع الله وتامل عجايبه ومباشرة رياضات حبه ✻ اعتبر ايضاً انهُ لما جبل الله حوى من احدى اضلع ادم. كان ادم نايماً نوماً ثقيلاً جداً وكان هذا النوم نوماً سرياً.

علي ان سبب ذلك النعاس الذي استحوذ علي حواسه كان فرط تبحره بتامل عميق . وقد اراد الله ان يشير بذلك الى ان الزيجة لا يجب ان تمنع الانسان عن الصلوة حسب قول الرسول : الذين لهم الزوجات ليكونوا كانهم لا نساء لهم : والان اذ قد كثر الجنس البشري بكفاية فالافضل للانسان ان يعيش خلواً من امراة من ان يعيش معها اذا دعته الى ذلك النعمة من العلا * ثم اعتبرن بعد ذلك ان الله علمنا بذلك كم نحن ملتزمون بحفظ الاتحاد فيما بيننا . علي انه كما يتفلسف الرسول اذ قد صنع من واحد كل جنس البشر و ليس لنا سوى اب واحد في السما . فيجب اذاً علينا ان يحب بعضنا بعضاً بمحبة اخوية متذكرين كلام ملاخيا النبي القايل : اليس ان اباً واحداً لجميعنا اليس ان الهاً واحداً خلقنا فلماذا كل واحد منا يحتقر اخاه : و لقد يجب ان تعتبر هذا الموضوع علي نوع افضل . فتامل اولاً انه كما ان انساناً واحداً صار راس الجنس البشري بواسطة التوليد الطبيعي . هكذا انسان اخر الذي هو سيدنا يسوع المسيح ادم الجديد استحق ان يكون راس جميع البشريين بواسطة نعمة الذخيرة التي استحقها لهم * تامل ثانياً انه كما ان حوى جبلت من احدى اضلع ادم حين كان نايماً . هكذا لما كان يسوع نايماً نوم الموت على الصليب . فحينيذ البيعة عروس المسيح اخذت الوجود وخرجت من جرح جنبه الذي منه جرى دم وماء عبارةً عن الاسرار التى تقدس المومنين به . و لعمري ان هذا الاعتبار لجزيل التاثير في ان يحثنا على حفظ الاتحاد والمحبة بيننا . على انه ليس لنا سوى اب واحد نظراً الى الطبيعة ونظراً الى النعمة . و ليس لنا سوى مخلص واحد الذي افتدانا باستحقاقاته من كل البوس و الشقا الذى لحق بنا من قبل خطية الانسان الاول *

قرنتيه ١ ٢٩:٧

ملاخيا ١٠:٢

التامل السابع والعشرون

في ان الله بعد الفحص عما عمله في الايام الستة قال انه وجده حسناً وفي انه قدس بعد ذلك اليوم السابع

✿ الجزء الاول ✿

تامل اولاً ان الله في اخر اليوم السادس لما راى انه قد اكمل كل شي راى كل ما

فعل فاذا هو حسن جدًّا . فاعتبر ان الله استحسن اعماله ومدحها ثلث مرات ٠ اولاً بعد تكميله كلما عمله في نهار واحد . ثانيًا بعد تتميمه كل عمل مما عمله في نهار واحد . ثالثًا في انتها الستة الايام حينما فرغ من كل عمل ونظر الى كل ما صنعه فاستحسنه جميعه ووجده جيدًا جدًّا كاملاً بالكلية لا يعوزه شي مما يلايم كماله الخاص وكمال العالم العام . ففي ذلك الوقت وجد العالم انه قد كمل وتم ولا يحتاج الى شي اخر اصلاً نظرًا الى العدد والبها والنظام . وقد يجب ان تعتبر هنا انه يخص الله وحده هذا القول ان كلما صنعه هو حسنٌ جيدٌ لا يشوبه نقصٌ . بل انه يسوغ ايضًا لسيدنا يسوع المسيح الذي هو اله وانسان ان يقول ذلك . وبالصواب والحق قيل عنه انه صنع كل شيء حسنًا . وهكذا نقول عن سيدتنا الطوبانية مريم العذراء والدته الجزيلة القداسة . ان الله نجاها بنعمة خصوصية من ادنى النقايص . اما بقية الانام فانهم ولو مهما كانوا متسامين في القداسة ما امكنهم بالعون الاعتيادي العام ان ينجوا منها بالكلية كما قال يعقوب الرسول : اننا كلنا نذنب ذنوبًا كثيرة : لانه يلزمنا ان نبذل المجهود لنقترب باقرب ما يمكننا من الكمال الالهي . متقنين سيرتنا بنقاوة هذا حدها حتى يقدر الله في يوم الدين والفحص عن اعمالنا ان يقول انه وجدها حسنة . ولكن لكي تكون اعمالنا قابلة لان يستحسنها الله يلزمنا ان نفحصها نحن في ثلث محلات ايضًا ٭

يعقوب ٣: ٢

فالفحص الاول يجب ان يكون المسا فنردد حينيذ في عقلنا كلما فعلناه في ذلك النهار . ونفحص عن ذلك فحصًا بليغًا معتبرين هل ان افعالنا كانت حسب اوامر الله فيمكن ان يسربها . فاذا لم يكن الامر هكذا . فيجب علينا ان نستغفره تعالى وان نتوجع على خطايانا نادمين ٭

الفحص الثاني الاكثر ضرورة لنمونا الروحي ينبغي ان يصير عقيب كل عمل باهظ يستحق الاعتبار . كما ان الله في اليوم الثالث والسادس تفرس في اعماله وفحصها حالاً بعد تتميمها . فاذا وجدنا عملنا انه حسن فلنود لله الشكر لاجله . وان وجدناه ناقصًا غير كامل فيلزمنا حينيذ ان نفرز الثمين مما هو دني ذليل . ونزيل عنه النقص بفعل الندامة حتى لا يبقى فيه سوى ما هو ممدوح . ونقصد

بانّنا منذ الآن فصاعداً نحيد عما سقطنا فيهِ بفتورنا. وان وجدنا العمل بكليتهِ رديًا. فيجب ان نلتحف بالخزي والخجل متندمين على اننا ارتكبنا الخطية حينما كان الله ينتظر من قبلنا عملاً صالحًا. وهذا الفحص كما قلنا يمارس في انتها كل عمل يحق لهُ اعتبارٌ ما. على اننا كما قال القديس دوروتاوس نسقط في زلات كثيرة ولا نشعر بها. ومن ثمَّ يلزمنا ان نلج مخدع ضميرنا ونفحص عما فيهِ باجتهادٍ بليغ في كل ساعة. واذا امكننا في كل دقيقة. لعلمنا بان المقسط يسقط سبع مراتٍ اعني مراتٍ كثيرة في كل يوم. الا انهُ لا يأخر قيامهُ الى المسا. فسبيلنا اذًا ان نقتدي بالذين يحبون النقاوة. على انهُ كما ان هولاء يغتسلون كل مرة يتسخون ولا يدعون فيهم ادنى عيب ولا درن. هكذا الذين يريدون ان يحفظوا اقلوبهم في نقاوة كاملة يلزمهم اذا التحق بهم ادنى دنس ان يشرعوا حالاً في التنظيف والتنقية. حتى اذا نظر الله الى نفسنا يمكنهُ ان يقول لها ما قالهُ لعروسهِ:

كلكِ جميلة يا قرينتي وليس فيكِ معاب * (انشاد ٤ : ٧)

الفحص الثالث هو الذي يصير في اخر الجمعة. وهذا يشبه الفحص الذي فعلهُ الباري تعالى بعد الستة الايام. وقد يتوقف هذا الفحص خاصةً على ان نقابل يومًا مع يوم لننظر هل اكتسبنا فضيلةً ما وارتقينا في الكمال. هل تممنا لوازم دعوتنا. فبعد الفحص البليغ عن ذلك ينبغي لنا ان نضع الخير من جهةٍ والشر من جهة اخرى. فالخير يجب علينا ان نقدمهُ لله ونشكرهُ لاجلهِ قايلين مع النبي والملك داود: اباركك لاجل الخيرات التي بها تحسن كل يوم الي: اما الشر فيلزمنا ان نخصهُ كلهُ لذواتنا لانهُ حقًا يخصنا وبعد الندامة عليهِ فلنشرع بالاعتراف عنهُ. وبهذا نستعد لتقديس اليوم السابع مقتدين بعادة اهل العبادة الراغبين الكمال الذين يعترفون ويتناولون القربان المقدس كل سبت. وقد تفيدك جدًّا ممارسة هذا الفحص في اخر كل سنة وان تعترف اعترافًا عامًا عن كلما فرط منك من الزلات في مدار تلك السنة *

الجزء الثاني

تامل ثانيًا ان الله استراح في اليوم السابع من كل عملهِ وبارك اليوم السابع. فاعتبر

اولاً انهُ تعالى فرغ من العمل واستراح لا لان قدرته عجزت عن ابراز اعمال اخر مفيدة للانسان وللغاية المقصودة منهُ تعالى بل لانهُ راى اعمالهُ كافية لكمال العالم. ولهذا لم يقل الكتاب المقدس انهُ اكمل كل العمل الذي كان يستطيع ان يعملهُ. بل قال انهُ استراح من كل عملهِ الذي عملهُ لانهُ استحسن عملهُ ووجدهُ كاملاً غير محتاج الى شيءٍ. فاذاً لما اصبح اليوم السابع شرع الله يستريح لا في خلايقهِ لان راحتهُ ليست هي قايمة بالخلايق. بل استراح في ذاتهِ بعد ان راى كل ما قصدهُ قد تمَّ حسناً. وبهذا علمنا انهُ يلزمنا ان نجعل راحتنا لا في الخلايق بل في الخالق نفسهِ. على انهُ كما انهُ تعالى لا يجد راحتهُ خارجاً عنهُ. هكذا لمن المستحيل ان تجد الخليقة راحتها في شيءٍ دونهُ سبحانهُ *

اعتبر ثانياً كيف ان الله بارك اليوم السابع وقدسهُ. نعم انهُ تعالى انفكَّ عن ان يبرز خلايق جديدة. الا انهُ جلت قدرتهُ ابتدا ان يحفظ ويدبر ما كان خلقهُ. ورام ايضاً ان يهتم الانسان في تقديس ذاتهِ واكتساب الراحة الحقيقية. وقد بارك الله اليوم السابع لاجل الانسان خاصةً * فيا الهي انك قد اوجدتني لكي اربح حيوة الابد بواسطة الاعمال الصالحة. فباركني يارب بوفور بركاتك الالهية لامارس الان العمل وانمو في الفضيلة مرذلاً كل راحةٍ غير تلك التي توجد في تكميل ارادتك *

الجزء الثالث

تامل ثالثاً معنى راحة الله هذه السرية المتقدم ذكرها. والسبب الذي من اجلهِ بارك اليوم السابع الذي هو يوم السبت وقدسهُ. فاعتبر ان الله في العهد القديم امر اليهود بان يحفظوا اليوم السابع بتقوى وعبادة بليغة. وسمى هذا اليوم يوم السبت. وذلك اولاً شكراً لله الذي خلق العالم. ثانياً لكي نفهم بذلك الراحة التي يفوز بها الان الصديقون في هذا الدهر بواسطة النعمة وسيفوزون بها في الدهر الاتي بواسطة المجد الابدي. حيث يوجد ذلك السبت الذي قد سماهُ اشعيا النبي: سبتاً نعيماً ويوم الرب المجيد: اما في العهد الجديد فقد صار لنا يوم الاحد عوضاً عن سبت اليهود. وذلك ذكراً لا للخليقة فقط بل لافتداء العالم ايضاً ولقيام الخلاص من الموت. وللسلام المعطى لنا بالنعمة وللراحة التي وعدنا بها الله

اشعيا ٥٨ : ١٣

وتناولها انفسنا واجسادنا في المجد العتيد . و بالنتيجة ان الحجج التي تلزمنا بتقديس يوم الاحد لاقوى واكثر من تلك التي كانت تلزم اليهود بتقديس يوم السبت . فان اردنا اذًا ان نعمل ما نحن ملتزمون به من قبل المعروف فينبغي لنا ان نفعل في هذا اليوم ثلثة اشيا * اولاً يلزمنا ان نمتنع عن كل الاعمال الخدامية . وندع عنا كل شغل خارج ليمكننا ان نمارس الصلوة . وقد يلزمنا ايضًا باقوى حجة ان نبتعد عن كلّ خطيّة . لانهُ ليس شي يصدنا عن التردد مع الله ومفاوضته كمثل الخطيّة . وعدم المعروف الاقبح هو الاسا الى المحسن الينا حينما يطلب منا ان نظهر المعروف لهُ . ثم اننا بالخطيّة نهين ذلك اليوم الشريف الذى قدسهُ الله وخصصهُ لتمجيد اسمهِ وندنسهُ بافعالنا الفظيعة * ثانيًا يجب علينا ان نمارس رياضات الصلوة متاملين الاحسانات الالهيّة * ثالثًا ينبغي لنا ان نقدم لله ذبايح لنكرمهُ بها كانهُ الخالق والمقدس ولنشكرهُ على احساناتهِ الماضية . ونطلب منهُ احسانات جديدة . وقد رسم القدّس الالهي لاجل هذه الثلثة الاسباب . وان اردت ان تكون تقدمتك كاملة فزد عليها ذبيحة العدل وتقدمة قلب منسحق ومارس افعالاً غير هذه من افعال العبادة والمحبّة . على ان المسيحي لا يمتنع عن الاعمال الخدامية لكي يكون بطالاً . بل انما يمتنع عن تلك الاعمال لكي يمارس اعمالاً اخر افضل قبولاً عند الله وانفع لاكتساب راحة الروح وسلامة القلب *

التامّل الثامن والعشرون

* في احسان الله الذي بهِ يحفظنا في الوجود وفي ان كل الاشيا هي متعلقة بالله *
* نظرًا الى وجودها وعملها تعلقًا غير متناهٍ *

الجزء الاول

تامل اولاً ان كل الاشيا التي خلقها الله في البدء وجميع التي برزت منها الى زماننا هذا . يتعلق حفظها ووجودها بهِ تعالى خالقها تعلقًا كليًا . والحال ان حفظ الله شيًا في الوجود هو مداومة منحهِ الوجود لهُ . وقد ينتج من ذلك انهُ كما انهُ تعالى خلق العالم بثلثة اصابع اعني بها جوده وحكمته وقدرته . هكذا بهذه الثلثة

الاصابع يحفظ العالم فى الوجود. قال الرسول الالهى: انهُ تعالى يحمل كل شيءٍ بقوة كلمتهِ: وقد يتعلق العالم كلهُ بارادة الله تعلقاً هذا حدهُ. حتي انهُ كما ان الشعاع يضمحل حينما يحجب وجه الشمس. هكذا العالم لقد كان يرتد الى العدم لو تبرح يد الله عن حفظهِ. فهذه الحقيقة اذا اعتبرتها جيداً تنشي فيك عواطف جية وتسعفك جداً باصلاح سيرتك وبالنمو فى الفضيلة. على انك بواسطتها تبني تارةً اتكالك علي الله الذي يخضع لهُ كل شيءٍ فتنجو من الخوف الباطل الوارد اليك من قبل الخلايق. فتقول مع ذلك المكابى الجزيلة بسالته وشجاعته: اننا نتكل علي الرب الضابط الكل الذي يقدر بلحظة واحدة ان يمحو الاتين علينا: وتارةً يشملك خوف جسيم من عدل الله الذى لايقاومهُ شي. وهذا الخوف يصيرك ان تطلب منهُ تعالى ان يقاوم عدله وقدرته بجوده فتقول مع ارميا النبي: ادبني يارب ولكن بالقضا لا برجزك ليلا اعود الى العدم: واما الشي الذي ينبغي ان نخافهُ اكثر خوفاً هو ان نغيظ هذا الاله العظيمة قدرته الذي لهُ علينا مثل هذا السلطان. على انهُ يجب ان نخاف هذا الامر لخوفنا من ان نغيظ انساناً حاملنا بثلثة اصابع في الفضا من علو جبل شامخ. ويستطيع ان يفلتنا فنهوي ساقطين في اللجة. ثم ان هذا الاعتبار يصدر فيك عاطفة الاتضاع. وذلك اذا تاملت عظم مقدار تعلقك بالخالق في كل شي. لأ انهُ يجب ان تقترن المحبة بالاتضاع. فان كنت تتضع لانك بدون الله وحفظه وجودك لاتكون في الوجود. فينبغي ان يلتهب قلبك بالمحبة اذ تتامل باية محبة يحفظك ويصونك. وعلي هذا النحو تستخدم الاتضاع لاضرام نار المحبة ❁

عبرانية ٣:١

مكابيين ٢ ١٨:٨

ارميا ٢٤:١٠

الجزء الثاني

تامل ثانياً جسامة الاحسان المتقدم ذكره واتساعه بما انهُ متضمن في ذاتهِ حسنات كثيرة. فينبغي اولاً ان تعترف محققاً ان الاحسان الذي يحفظ الله بهِ وجودك يتضمن كل الاشيا التي خلقت في انشا العالم وتلك التي ابتدات بعد ذلك ان تكون وهذه الكاينة الان. علي انهُ تعالى استعمل بعضها ليمنحك الوجود وبعضها يستخدمها لكى يحفظ وجودك. وبالنتيجة انهُ في جملة الاشيا التي لها

اظهر الله محبته لك. ينبغي ان تعد السموات مع حركاتها وتاثيراتها. والعناصر مع كثرة الحيوانات والطيور والحملان والاسماك التي منها اتاك هذا الطير والخروف والسمك الذي تغتذي به. ولم تكن تحصل عليه لو لم يخلق الله تلك. وقل هكذا عن الاشجار التي منها حصلت على الفاكهة والعنب والخمر التي تستحيل الى جوهرك لحفظه. وعن الخبز الذي تاكله والثوب الذي تلبسه وهلم جرا. فمنك يا ايها الاله الجزيل صلاحه اتتني هذه الخيرات كلها. فما الذي يجب علي ان اصنعه من باب المعروف وكيف اشكرك لاجلها. واذ كنت تستخدم هذه الخلايق جميعها في حفظي. انما يجب علي ان استخدمها في تمجيدك * ثم اعتبر احسانات اخر غير متعددة يتضمنها حفظ الله ايانا. على انه لمن المحقق انه تعالى يسبق فينجينا من مخاطر لا يحصي عددها. ولقد كنا هلك فيها بلا شك من قبل النار او الماء او فساد الهوا او انياب الوحوش او ايادي اللصوص القتلة وما شبه ذلك. لو لم تسهر العناية الالهية في حفظنا. فاذا اردت ان تعلم من كم خطر قد انقذك الله صاينا. فردد في عقلك كلما اصاب الناس من البؤس والشرور في زمانك هذا. لان الذي ادرك غيرك كان يمكن ان يدركك انت. فمع ان هذه الحسنات عظيمة لهذا المقدار وجزيلة العدد جدا. قد اخفاها الله عنك ولم يرد ان تظهر. لتعلم بذلك انه تعالى يحبنا افضل من محبة. فيا ايها المحسن الجزيل صلاحه ليباركنك الجميع لاجل هذا الجود الادوي الذي يصيرك ان تمن عليهم بجميع هذه الحسنات المنظورة الواضحة وبتلك التي تخفيها عن معرفتهم ايضا. وذلك لكي تحثهم على تقدمة الشكر لاجل حسناتك المنظورة المعروفة منهم. وليتعلموا من قبل تلك المخفية عنهم الفرار عن طلب المجد الذاتي فيما يصنعونه من الخير. حقا انك اب ليس له نظير في المحبة. فاجعلني يارب ان اخدمك بروح البنين. بروح المحبة المنزهة عن طلب كل خير ذاتي *

✿ الجزء الثالث ✿

تامل ثالثا كيف ان جميع الخلايق هي متعلقة بالله لا نظرا الى وجودها فقط. بل نظرا الى حركاتها واعمالها ايضا حتى انه جلت قدرته يصنع معها كلما تصنعه.

فلو انه تعالى يمسك عنها توفيقه ولا يسعى معها في عملها لكانت في الحال تقف كلها غير متحركة ولم تستطع ان تكمل عملها . فتعجب اولاً من هذه القدرة الضابطة الكل التي تتسع الى كل الافعال الصادرة من كل العلل المنظورة والغير المنظورة في السما وعلي الارض وفي كل العناصر . وذلك باهتمام هذا حده حتي انه لا يهمل واحدةً منها . وبسرور عظيم لهذا المقدار حتى انه لا يجد في ذلك ادنى تعب . ومع انه عاملٌ في كل مكانٍ ومع الكل فجلاله تعالى حال من يباشر عملاً واحداً . فلنبتهج من قدرته هذه الغير المتناهية ولنحث كل الخلايق علي تمجيده تعالى لاجلها ❁

لان انه لكي تتامل هذه تاملاً مفصلاً يخصك . فاعتبر كم من الحسنات يتضمن هذا التوفيق الالهي . علي انه تبارك اسمه يسعى معنا لنبصر ومع الاشيا التي نبصرها لكي تبصر وتتصور في عيوننا . ويسعى مع اذاننا لكي تسمع . ومع الاجسام التي عنها تصدر الاصوات المسموعة . ومع فمنا لكي ناكل . ومع المواكيل التي نستلذ في اكلها . ولقد يعيننا في حال النوم لاجتذاب الهوا الذي نستنشقه . وفي هضم ماكلنا واحالته الى جوهرنا . وبدونه تعالى لم يكن ذهننا يفهم شيًا ولا ارادتنا تحب شيًا . وخلواً منه سبحانه لم تكن خليقةٌ من جميع الخلايق تسعفنا في شيٍ ما . وهذا قد اشار اليه اشعيا النبي قايلاً : كل اعمالنا انت عملتها فينا : ولهذا المعني قال سيد الكل : ان ابي يعمل حتي الان . وانا اعمل معه دايمًا : فيا الها الثالوث الاقدس الكاين في كل شيٍ والعامل مع الكل كل شي . اشكرك علي ماصنعت فيّ من الخيرات بواسطة خلايقك . فاعمل فيّ يارب ما يرضيك اكثر ارضاء لكي يكون توفيقك لخيري ولمجدك ❁

اشعيا ٢٦ع١٢ يوحنا ٥ع١٧

اعتبر اخيرًا ان الله وضع علي ذاته ناموسًا والزم نفسه على نوع ما بالتوفيق مع كل العلل الثانية . فمع انه تعالى ذو ارادة معتوقة في كل اعماله ويصنع كل شيء باختيار كلي . فانه مع ذلك يسعى مع خلايقه كانه مضطر بذلك . ما عدا انه يمسك عنها توفيقه احيانًا من اجل خلاص ابراره ومن اجل اظهار مجده . كما صنع حينما منع النار عن ان تحرق الثلثة الفتية في اتون بابل . لان الامر العجيب المذهل العقول هو انه اذا رام الانسان ان ياسو اليه جل جلاله . فلا يمسك عنه

عونه العمومي . بل يسعفهُ فيما هو يهيئه تعالى ويغبطه . وذلك لكي يدع الانسان
في اختياره ويحفظ هو تعالى الوعد الذى الزم ذاته بهِ * فيالهُ من جودٍ غير
محدود يحسن الى الذين يستعملون حسناته فيما يضادهُ . فلا تسمح يارب ان أُصيّر
شيئاً من انعامك اسلحةً احاربك بها . واذ قد منحتني الوجود والحيوة والحركة .
فاجعلني ان امارس كل افعالي حبًّا لك . ابتدي في الاعمال الصالحة وكملها
بنعمتك كيلا اخزى في يوم الحشر والمداينة *

التامل التاسع والعشرون

الجزء الاول

* في عناية الله نحو الخلايق وفي ماهيتها والفوايد الواصلة لنا من قبلها *

انهُ ينبغي ان تعقل جيدًا ماهية العناية الالهية . على انه في هذا قايمٌ ما قد التزمنا
بهِ من الاكرام والمحبة والتهيب والاحترام لها . فاعلم ان العناية الالهية حسبما
قال القديس توما اللاهوتي . هي ترتيب وسايط قد اختارها الله لتتميم مقاصده
ولارشاد خلايقهِ الى غايتها . فمن هذا التعريف يجب ان تنتج ثلثة اشيا * فاعتبر
اولاً ان الله قد سبق منذ الازل فعرف بحكمتهِ كل المقاصد التي يمكن ان تتجه
خلايقه اليها وكل الطرق والوسايط التي بها يستطيعون ان يبلغوا مرغوباتها . وعرف
ايضًا كل الموانع التي يمكن ان يجدوها وكلما لهُ تعالى من الوسايط لدفعها وللظفر
بها . وبالنتيجة انهُ لمن المستحيل ان لايبلغ الله دايمًا مقاصده ويرشد خلايقه
الى غايتهم على حسب عزمهِ . ولهذا السبب لمن الممتنع ان العناية الالهية
التي لاتجهل شيئًا يشوبها غلط او زلة . كما يتفق للفطنة البشرية في تدبيرها بما
انها ناقصة قليلة البصيرة حسب قول الحكيم : افكار البشر جزوعة وتدابيرنا تحت
الشك : على اننا قليلوا المعرفة والنور بهذا المقدار حتى اننا لانعلم هل ان الذي
نظنهُ يكون حقًّا او كذبًا . او هل الذي نقصدهُ يكون خيرًا او شرًّا *

حكمه ٩ ١٤

اعتبر ثانيًا ان الله الذي يعلم الغايات كافةً وكل الوسايط الموصلة اليها يختار
بجودهِ الغير المتناهي ما يجدهُ فيها اكثر كمالاً ومناسبةً للميل الطبيعي ولطافة
خلايقه . لانهُ اولاً جعل الغاية القصوى لكلٍ منها مجده الالهي . ورسم ان تكون

امثال ١٦ء ٤

وظيفتها اشهار عظايمه والتخبير بها في كل مكان. والحال انه ما كان ممكنًا ان يجعل لها تعالى غاية اخرى اشرف واسمى من هذه الغاية. قال السفر الالهي: صنع الله كل شي لذاته * ثانيًا جعل الله لكل من خلايقه غاية خصوصية و وسايط مناسبة لبلوغها. لأن الغاية التي خلق لاجلها الملايكة والبشر تفوق غاية كل خليقة اخرى. بل تفوق مهما يقتضيه شان كل خليقة بسيطة. على انه جلت خيريته اراد ان تكون سعادته سعادتهم ومجده مجدهم. ولِيلا يصدهم شي عن بلوغ هذه الغاية السامية. فانه يقدم لهم وسايط عديدة سهلة فاعلة لاكتسابها * اعتبر ثالثًا ان الله منذ انشاء العالم ابتدأ فاستعمل الوسايط المرسومة منه. ولم يزل من ذلك الوقت يستعملها حسب ترتيب عنايته الازلية وليس شي يقدر ان يقاوم مقاصده. على ان قدرته ليست هي ناقصة محدودة نظير قدرتنا. وقد يتضح من ذلك ان العناية الالهية هي متاسسة علي حكمته تعالى وجوده وقدرته التي منها كانه من ثلثة ينابيع تنبع كل الحسنات الالهية كما قلنا في التامل السادس عشر * فهات الان نطابق هذه المبادي العامة مع العناية الالهية نحو كل انسان. فاعتبر اولاً ان الله بحكمته يعلم شقانا بالكمال وكلما يعوزنا من الخيرات سوآء كان في الجسد امر في النفس. ويعرف كل الوسايط التي يستطيع بها ان ينجينا من شرورنا وبلايانا * اعتبر ثانيًا انه لاجل قدرته الضابطة الكل يفعل كلما يشا * اعتبر ثالثًا انه تعالى لاجل جوده الغير المتناهي يريد ان يرشدنا الى غايتنا القصوى بالوسايط الاكثر طمانينة واستقامة. وهذا من شانه ان يصيرنا مطمانين راجين انه لايعوزنا شي من قبل اهتمامه تعالى فينا. اذ انه من المستحيل ان يهملنا بطريق الجهل او من قبل الضعف او الخبث. فابتهجي اذًا يا نفسي من سعادتك تحت تدبير هذه العناية المحبوبة. التي همك بين يديه تعالى لانه يهتم فيك. ان تدابيرك تخطو اما تدابير الله فليست كذلك. انه تعالى سيصلح جهلك بحكمته وضعفك بقدرته وخبثك بصلاحه. فابذلي كل جهدك في انك ترضيه وهو يهتم في انه لايعوزك شي * ربي والهي انعم عليّ بان نتعاهد هذا العهد السعيد وهو انك تهتم فيما لي وانا اهتم فيما هو لك. فها انا قد تعبدت لك تعبدًا موبدًا لانك تهتم في بعناية

خصوصية . ولقد اقول بجسارة مقدسة : حبيبي لي وانا لهُ : هو يفتكر في وانا فيه . هو يهتم في خيري وانا أهتم في مجده وخدمته ❁

❁ الجزء الثاني ❁

تأمل ثانياً كثرة الخيرات الواصلة الينا من قبل العناية الالهية وعظمتها . وليحثنا هذا الاعتبار علي حبه تعالى والاتكال عليه . فاعتبر ان العناية الالهية هي نحوك اولاً كأمٍّ علي انها اوجدتك وتحملك في حضنها . ثانياً كمربية لانها تضمك الى ثديها لترضعك من حليبها . ثالثاً كمرشدة حيث انها ترافقك وتكون معك دائماً . رابعاً كملكة تدبرك وكمشيرة تعلمك وكنور يضي لك في كل طرقك . خامساً كحارسة تحفظك وتنجيك من مخاطر كثيرة وتحولك الظفر باعدايك وتعزيك في احزانك . واقول علي الاطلاق ان العناية الالهية تمارس نحوك جميع افعال المحبة والرحمة . وانها تكون لديك اباً وصديقاً وطبيباً وحاكماً وراعياً وما يشبه ذلك . وانتج من هذه كلها انك ملتزم التزاماً كلياً بان تحبها وتبارك لها وتلقي ذاتك بين يديها وتلتجي اليها لكي ترشدك وتحفظك وتشفيك وتعزيك ❁ اعتبر ايضاً ان العناية الالهية هي ينبوع كل خيرات الجسد والروح الزمنية والابدية تلك التي نمتلكها والتي نرجوها . ومن ثم قال القديس دوروثاوس انهُ لايحدث شي دون العناية الالهية . وانه حيث تكون موجودة فهناك يكون كل شيءٍ حسناً . علي انها تصير كل شيءٍ خيراً للنفس . لانه منها تاتينا جميع الفضايل ونعمة التبرير ومنها نقبل الخيرات الزمنية المرغوبة جداً في العالم . وهي التي تنجينا من كل الشرور والاسواء وذلك لانها تسبق فتدفعها عنا بجزيل اهتمامها فينا . او لانها تنقذنا منها بعد ورودها . فعلى هذين النوعين تحسن الينا عناية الله . وبهما تظهر لنا غزارة محبتها ولهذا قال الكتاب المقدس : ان الحكمة تطوف طالبة من يستحقها وفي الطرق تتراءى لهم ببشاشة وتلقاهم بكل عناية : اي انها تهتم في خلاص الجميع غاية الاهتمام . وانها تستعمل كل وسايط عنايتها لارشادهم الى كمالٍ سامٍ كما سنقرر ذلك فيما بعد ❁ فيا ايتها العناية الكلية الاقتدار والرافة انك لتفتحي يد الله الضابط الكل ليفيض علينا بركاته الوافرة . فها انا

حكمه ١٧:٦

اباركك واسجد لكِ واسالكِ ان تكوني لي امًّا وسيدةً وناصرةً. فاجد عندكِ ملجاءً وعونًا في يوم ضرورتي. على انهُ طالما تكونين معي فاكون مملوءًا من الخير. ومتى تغافلتِ عني مهملةً اياي فيدركني كل شرٍّ ✽

✽ الجزء الثالث ✽

تامل ثالثًا ان العناية الالهيّة تهتم بكليتها في خير خلايقها. واعتبر هنا الفرق الموجود بين الله وبين الانسان. على ان الانسان المترأس على البعض من الناس يلتزم اولاً بالاهتمام في ذاتهِ وفيما يخصهُ. وهذا يشغلهُ احيانًا بهذا المقدار حتى انهُ لا يجد وقتًا لان يهتم بالذين تحت تدبيره. اما الباري تعالى فكما لحظ القديس توما اللاهوتي لا حاجة لهُ الى اهتمام عنايتهِ. حيث انهُ يمتلك في ذاتهِ كل خيرٍ ولا يعوزهُ شي. ومن ثمَّ لا يرغب ولا يرجو شيئًا من الخارج. ولهذا لا يفتكر الَّا في انهُ يصنع خيرًا بالغير اعني بخلايقهِ التي اخرجها من العدم لكي يمارس نحوها افعال عنايته. ومن حيث ان هذه العناية الالهيّة كاملة فلا يمكن ان تهمل شيئًا مما في وسع تدبيرها. وبالنتيجة انها تهتم في كل الاشيا المخلوقة لاسيما في البشر ولو انهم كانوا دنيين حقيرين. لان الله كما قال الحكيم: خلق الصغير والكبير وكذلك يعتني بالكل: فلا تصيرك اذًا دناتك وحقارتك ان تفشل آيسًا من قبل صغر النفس. لان الله انما صنعك كما انت. فاذكر ان عنايته ليست باقل اتساعًا من قدرتهِ. واذ قد احبَّ ان يخلقك فلا ريب في انهُ يريد ايضًا ان يدبرك. ثم انتج من ذلك اولاً ان الله بذاتهِ يكمل ما قد قصدتهُ عنايته الالهيّة. حتى ولو انهُ حقًا يستعمل البعض من خلايقهِ في مساعدة البعض منها. الَّا انهُ مع ذلك هو من الحقق انهُ ايضًا يسعفها ويسعى معها كلها في كل زمان وفي كل مكان. لانهُ تبارك اسمه هو موجود في العالم كلهِ بجوهره وحضورهِ وقدرته. حتى انهُ ليس يعرف ما يصير فيهِ فقط. بل انهُ يسعى ايضًا في كل شيءٍ ويدبرهُ بحكمتهِ وانهُ نظرًا الى البشر فانهُ وان كان لا يتلم ولا يمنع اختيارهم البتة. بل يتركهم في يد مشورتهم كما قال الحكيم فمع ذلك لا يصرف نظره عنهم. وقد تسعى عنايته في كل اعمالهم الاختيارية وتوجهها كلها الى مقصودهِ ✽ انتج ثانيًا انهُ لا يحدث في العالم شي بطريق الصدفة

حكمة ٨:٦

والاتفاق نظرًا الى الله . ولو ان الناس يحسبون صدفةً واتفاقًا ما يحدث ضد رجاهم . والسبب لذلك هو ان الله يسبق ويعلم كلما هو عتيد ان يكون . ولا يصير غير ما يريده تعالى او يسمح به ان يصير لاجل ما قصدهُ في كل اعماله . اعني به تمجيد اسمه واظهار رحمته وعدله وبقية كمالاته . ولكي يري حبه للصديقين لا سيما للمختارين الذين يرشدهم بعناية خصوصية فيجعل حسب قول الرسول ان يصيبهم كل شي للخير ❊ انتج ثالثًا واخيرًا انه لكي تجتني من العناية الالهية نفعًا جزيلًا . فيلزمك ان تعتبرها اعتبارًا ساميًا معترفًا ان كل شي لك من الخير قد اتخذتهُ من قبلها . وينبغي ان تعتقد يقينًا كلما قلناهُ عنها وسنقولهُ فيما بعد . وهذا الاعتبار يجعلنا ان نحسن اتكالنا على الله ونطابق ارادته . ونحترم هذا الاب الحنون ونحبهُ ونبذل مجهودنا فى اظهار المعروف نحوهُ جزاءً عما يصنع بنا من الجود

التأمّل الثلثون

❊ في العناية الالهية نظرًا الى تدبير العالم لاسيما نظرًا الى البشر ❊

الجزء الاول

ان هذا التامل كله يتاسس على ما قلناهُ عن العناية الالهية في تكوين العالم . فتامل اولًا ان الله قبل ان يخلق الانسان بني لهُ بيتًا وبلاطًا شريفًا وبساتين مبهجة ممتلية اثمارًا لذيذة . وخزن لهُ في قلب الارض ذهبًا وفضةً . ولانهُ لا شي اكثر ضرورةً للانسان من النور . اوقد لهُ سراجين عظيمين اعني بهما الشمس والقمر ليضيا لهُ بالنهار والليل . ثم بعد ذلك املا لهُ البحر والجو والارض من حيوانات متعددة متنوعة . واخيرًا خلق الانسان واقامهُ ربًا في هذا البيت وسلطهُ على هذه الخيرات كلها بشرط ان يعطي حسابًا عنها في حينه كعبدٍ امين . فيا خالقي الذي اعددت لي منذ البدء جميع هذه الخيرات التي اتمتع بها الان . اضرع اليك ان تجعلني بنعمتك ان انصرف بها جيلًا لئلا اخزى لاجلها في يوم الديونة ❊

الجزء الثاني

تامل ثانيًا ان الله بعد تكوينه العالم ابتدأ حالًا ان يدبرهُ بعنايته . ولهذا قال

ايوب ١٣ع٣٤

ايوب البار: مَن الذي اقامهُ حاكمًا علي الارض ومن الذي جعلهُ على الدنيا التي صنعها مدبرًا: فاعتبر اولاً انهُ خيرٌ لنا وخير جزيل جدًّا ان الله الذي خلقنا هو يدبرنا. لانه تبارك اسمه يعدنا كأعمال يديهِ ولسبب انهُ لايصنع شيئًا الّا ان يكون كاملاً ويظهر رحمته في كلما يصنع فلا شك في انهُ يظهرها لنا في تدبيرهِ ايانا* الهي ان لي حجتين جزيلتي التاثير استطيع بهما ان احثك على ارشادي في طريق السما. وهو انك خلقتني وتدبرني. فالفرق الواحد الموجود بين هذين الشيئين هو انك خلقتني ولم تطلب رضاي قبلاً. اما في تدبيرك اياي فتطلب هذا مني وهو ان اسلم ذاتي لتدبيرك. فدبرني اذًا يا سيدي كيفما اردت يا ايها الرب رب العالمين واله قلبي دبرهُ بسلطانك المطلق. واملهُ الى ما تشاه. واجعل بنعمتك ان تكون ارادتي متحدة بك وفي كل امر مطابقة ارادتك لكي استحق السعادة التي خلقتني من اجلها* اعتبر ثانيًا ما اعظم صلاح الله وجوده وسخاوه. على انهُ تعالى وان كان هو يدبر الجميع بذاتهِ ولايحتاج الى احد يسعفهُ في ذلك. فمع ذلك احب ان يشرك البعض من خلايقهِ في سلطانهِ. فصرفهم في تدبير العالم ومنحهم المناقب الضرورية لمباشرة هذه الوظيفة السامية والمستصعبة. ولهذا اقام على الناس روسا وقضاة وملوك يلتزم الاخرون بطاعتهم. حتي ان الذي يقاومهم يقاوم ارادته تعالى. الّا انه لكي يكون تدبيرهم حسنًا فانه جلت حكمته ينورهم ويرشدهم ويصلح نقايصهم. ومنها يتخذ لمختاريهِ فوايد جزيلة. فيا ايها الرب الهي انر الذين يدبروننا ليلا يضلونا. انرنا نحن ايضًا لكي نخضع لهم حبًا بك متيقنين انهُ اينما شيءٌ صار فقد ينتهي بتدبيرك لمجدك وخيرنا*

الجزء الثالث

تامل ثالثًا خواص تدبير الله العجيب. فاعتبر اولاً ان الله يدبر تدبيرًا ابويًا ولهذا

حكمه ٣ع١٤

قال الحكيم: عنايتك يا ابتاه تدبر العالم: وبالحقيقة لايوجد في تدبيرهِ شيء عسر. لكنهُ يدبر كل شيءٍ بسهولة ولطافة ويمنح كل شيءٍ ميلاً غريزيًا الى ما هو خير لهُ. ولذلك لما راى الله الانسان انهُ يميل بالروح الى الفضيلة لكنهُ من جهة اللحم يميل الى الرذيلة. فاهتم اولاً ان يخضع اللحم للروح بواسطة البر الاصلي. ولما راى

الخطيئة الاصليّة قد سببت فينا حربًا لا ينتهي الّا بانتهاء عمرنا . منحنا الفضايل الفايقة الطبيعة التي تصيرنا ان نحمل نير الناموس بسهولةٍ وفرح *

اعتبر ثانيًا ان الله في تدبيره يقرن القوة بالسهولة حسبما قيل عن الحكمة الازليّة: انها تمتد من الاقصى الى الاقصي قويًا وتدبر الكل بلطافةٍ : فبطبيعة كل شي ولا يستطيع احدٌ ان يقاوم ارادته . ولعمري ان السلطان الذي به يدبر الله العالم لعظيم هذه المقدار . حتى انه يصيرنا ان نريد ما يريده وان نجد في ذلك سرورًا . ولا ريب ان هذه امر يختص بالحكمة الازليّة والقدرة الالهيّة لا غير *

حكمه ٨ : ١

اعتبر ثالثًا ان تدبير الله هو عادل لكونه تعالى ذا سلطان مطلق ذاتي على كافة الخلايق . ولانهُ يدبر العالم بكمال العدل بما انهُ يعطي كل شي ما يناسب طبيعته . ويضبط الانسان في الخير تارةً بطريق الخوف من العذاب . وتارةً بطريق رجا الاجر والثواب . وعلى هذه النحو يدبر الجميع بعدلٍ كلي وبرحمةٍ كليّة . لانهُ تعالى حينما يرعد على الخطاة بمخاوف انتقامه يظهر بغضبه وتوعده رغبتهُ الادوية لخلاصهم *

اعتبر رابعًا ان خواص تدبير الله هذه من شانها ان تملا قلب المومن من الفرح . على انهُ يرى في تدبيره تعالى رحمته وحكمته وقدرته وانهُ خيرٌ لهُ ان يكون خاضعًا لتدبيره وناموسه . فاخضعي اذًا يا نفسي للرب ودعيه ان يدبرك . واهتفي بفرح القلب وتهليله : الرب يرعاني فلا يعوزني شي : ارشدني انت يا الهي ولا يرشدني عقلي ولا العالم ولا اللحم ولا مرشد اخر اعمى . ليلا يسقطني في حفرة الاثم والهلاك *

مزمور ٢٢ : ١

❁ الجزء الرابع ❁

تامل رابعًا ان اهتمام الله المدبر العالم يتصل من الاقصي الى الاقصى من اسمى ملاك الى ادنى دودة . وانهُ يهتم في حفظ حبّة رمل كانّ ليس لهُ شي اخر يهتم فيه . الّا ان العناية الالهيّة تميز البشر من بقيّة الخلايق المنظورة حتى انهُ وان كانوا كثيري العدد . فانهُ تعالى يهتم في كل واحدٍ منهم كانهم ليس هم سوى واحد . واهتمامه في جميع الشعوب الكثيرة المتفرقة في العالم كلهِ هو نظير اهتمامه الذي كان يهتم به في آل نوح على زمان الطوفان . او الذي كان يهتم به في ادم وحده حين كان في الفردوس الارضي . لانهُ لا تبلبلهُ كثرة الانام ولا يتهامل بالعدد القليل . وبسبب ان جوده

هو غير متناهٍ فيريد ان مفعولاته تتصل الى الصغير والكبير الى الشعوب والافراد . أفليس يتعجب من ذلك من يتامل انهُ بازاء عظمته تعالى كل شيءٍ دني حقير . ونظرًا الى محبتهِ كل شيءٍ معتبر عظيم . وتجاه حكمتهِ العالم كلهُ وانسان واحد هو شي واحد *

التامُّل الحادى والثلثون

* فى اهتمام عناية الله فى قوت الحيوانات وكل احتياجات الانسان *

تنبيه * اعلم اننا في هذا التامل نتخذ المادة مما قالهُ السيد المسيح عن العناية الالهيّة

الجزءُ الاولُ

قال سيدنا يسوع المسيح لتلاميذهِ : لا تهتموا لانفسكم بماذا تاكلون ولا لاجسادكم بماذا تلبسون : تامل اولًا ما هو الاهتمام الذي يرذلهُ هنا سيد الكل كانهُ مفرط ومهين عنايتهُ الالهيّة . علي انهُ قد يمكن ان يخطي الانسان على اربعة انواع بالاهتمام الزائد في تحصيل خيرات هذه الدنيا . فيخطي اولًا من يشتهي اشيا لا يحتاج اليها ولا تناسب دعوتهُ بل من شانها ان تربي في قلبهِ العجرفة والبخل * ثانيًا يخطي مَن يطلب هذه الاشيا قبل الوقت * ثالثًا يخطي مَن يبتغيها بنيّةٍ ارضيّة حقيرة فيفضلها على الخيرات الروحيّة . او ان الالتصاق بهذه الاشيا يبرد في قلبهِ الحرارة الواجبة لاكتساب الفضيلة . او لانهُ يريد ان يربح هذه الخيرات الزمنيّة بوسايط مهينة . او لانهُ يقصد أن يتصرف بها تصرفًا رديًا . او لانهُ يجعل فيها سعادتهُ * رابعًا يخطي من يلتمس ذلك باهتمام مفرط وهجس متزايد لا تعذرهُ الضرورة . لان هذا الهجس يدل دايمًا علي افراط التصاقٍ القلب بالخيرات الارضيّة او على ضعف الاتكال على العناية الالهيّة . ولهذا السبب عينه فان كل هجس يستحق اللوم ولو كان من قبل عملٍ جيد كاهتمام مرتا في خدمة المسيح الجسدانيّة . وكهجس بعض نفوس جزوعة في امر خلاصها . فليحسن المتامل البحث عن كل هذه الشوايب . ولينظر هل هو متورط بها فيصلح امرهُ حذرًا من انهُ يسمع فيما بعد ذلك الانتهار الالهي المريع الذي خاطب الله بهِ ذلك الرجل الغني البخيل قايلًا لهُ : في هذه الليلة يطلبون منك نفسك والاشيا التي اعددتها لمن تكون :

متى ٦ : ٢٥

لوقا ١٢ : ٢٠

فكانه تعالى يقول له ماذا ربحته باتعابك وماذا انتفع من غناك ان كان الموت عتيد ان يسلبه منك سريعاً. ثم يختم السيد المسيح هذه النصيحة بنتيجة تخص عنايته قايلاً فاذاً لا تطلبوا انتم ماذا تاكلون ولا ماذا تشربون لان اباكم يعلم انكم تحتاجون هذه *

الجزء الثاني

تامل ثانياً الحجة التي يحركنا بها السيد الى الاتكال على عنايته فقال: اليست النفس افضل من الماكل والجسد افضل من اللباس: ان هذه الكلمات تتضمن ثلث حقايق معتبرة جزيلة المنفعة. فالحقيقة الاولى هي ان النفس افضل من القوت والجسد هو افضل من الكسوة. فبالقوت والكسوة ينبغي ان نفهم كلما يوجد في العالم من الاشيا الثمينة. لا تلك التي يستعملها الانسان لقيام حياته وزينة جسده فقط. بل التي تخص سكناه وتنزهه وجاهه ايضاً * الحقيقة الثانية هي ان الله منحنا النفس والجسد ولم تقدر فطنتنا او استحقاقاتنا ان تسعى في ذلك. وبالنتيجة انه تعالى هو الذى الزمنا بان ناكل ونترد ى باثواب * الحقيقة الثالثة هي ان الذي اعطانا الافضل لا يابى عن منح ما هو ادنى منه كثيراً جداً. وانه بعدما خلق النفس والجسد لا يبعد منهما الكسوة والقوت * فيا ايها المولى الجزيل الجود والسخا والحكمة. اشكرك على هذا الاحسان العظيم والتعليم الخلاصي. واني لاومن بما تكلمت به وارجو ما وعدتني به. واقصد بنعمة عنايتك اني اتمم كلما تطلبه مني *

اعتبر ايضاً شيئاً اخر ينتج من كلام السيد المسيح. وهو انه من حيث ان النفس هي افضل من الماكل والجسد افضل من الثياب. فقد يلزمنا ان نقيس ماكلنا وملبسنا على حسب احتياجات الجسد ونقطع عنه كلما يمكن ان يضر النفس. ولهذا قال الرسول: لا تنقض عمل الله من اجل الطعام ولا تهلك بطعامك ذلك الذى مات المسيح من اجله: الهي لقد قلت بفمك الاقدس: ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه: فانعم علي يارب ان احسب خير نفسي افضل من خيرات العالم كله. واحتسب خسارة كل كنوز الارض وكرامتها كلا شي بالنسبة الى خسارة نفسي *

رومية ١٤ ع ٢٠ و ١٥
متى ١٦ ع ٢٦

الجزء الثالث

قال السيد المخلص: انظروا الى طيور السما انها لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن في

لوقا ١٢ ع ٢٤

الاهرا وابوكم السماوي يقيتها أليس انتم بالحري افضل منها: فتعجب اولاً من عناية الله نحو العصافير لانه يعطيها ما تحتاجه. ليس انه يهتم في الاكبر منها فقط. بل في اصغرها ايضاً. ولا بالانيسة منها التي تبهجنا وتفيدنا فقط. بل في التي تضرنا او لا تنفعنا ايضاً مثل الغربان وغيرها. وهذا قد نبه الله عليه ايوب بقوله: مَن ذا الذي يعد للغراب ماكله حينما تصرخ الى الله فراخه: فكانه تعالى يقول انا هو الذي اطعم الغراب ولو كان هو حيواناً عديم الشبع وغير مفيد. واذا تغافل عن فراخه واهملها فاني اهتم فيها واسمع صراخها واقدم لها ما تطلبه من الغذا. فان كنت انا ابوكم السماوي اطعم العصافير التي لست انا ابا لها بل ربا فقط. فكم بالحري اعولكم انتم ابناي الحقيقيين. وان كنت انا اسمع صراخ الغربان واستجيب لها متحنناً عليها. فكم بالحري يحنو قلبي علي ضرورتكم وتنهدكم. فيا ايها الاب الجواد المحبوب جداً لتشكرنك الطيور والبشر علي اهتمامك في قوتهم. فالعصافير بترنم شدوها والبشريون بتراتيلهم مسبحين رحمتك ❊

ايوب ٣٨ع٤١

تعجب ثانياً من العناية الالهية التي تقيت الطيور بغير انها تزرع وتحصد وتجمع في الاهرا. علي انه تعالى يمنحها وسايط عديدة مختلفة لتجد ما تفتقر اليه لقيام حياتها. فيعلم النسر صيد الطيور ويسقي فراخه دماهم. ويعول السنونو من الذبان الذي تصطاده في الجو في حال ما تتنزه به طايرة. فيريد اذاً السيد المخلص ان نتعلم من الطيور لا نهتم بافراط في الزرع والحصاد وجميع احتياجات عيشتنا. وذلك لان الرب الذي بغير هذه يقيت العصافير سيبصر لابنايه ما يحتاجونه لقيام حياتهم خلواً من انهم يهتمون في ذلك اهتماماً مفرطاً. فكفي اذاً يا نفسي عن هذا الاهتمام المتجاوز الحد ولا تتسجسي من قبل ما يخص الجسد ليلا تهيني وتغيظي عناية الاب السماوي ❊

اعتبر اخيراً ان هذه العناية الالهية تقيت الاسماك وحيوانات الارض بغير انه يعوزها شي. قال النبي والملك داود: عيون الكل ترجوك يارب وتوتيهم طعامهم في حينه: تبسط يدك فتشبع كل حيوان: تنبت له العشب المناسب له: تخرج الاشبال في الليل لتطلب منك طعامها: اني لا اتذكر ياسيدي قولك هذا:

مزمور ١٤٤ع١٥و١٦ ١٤٦ع٨ ١٠٣ع٢١

ليس هو جيدًا ان يوخذ الخبز من البنين ويعطى للكلاب: فان كنت تهتم في طعام الكلاب فهل ممكن ان تهمل البنين. وان كنت تعول الوحوش الضارية. كيف لاتصنع هكذا بالبشر* اشكرك يارب على رحمتك وعجايبك لابنا البشر لانك تشبع النفوس الجايعة وتعطى الغذا للكل فان الى الابد رحمتك. فالقى اذًا يانفسي على الرب همك وهو يعولك ولا يدعك مضطربة من قبل احتياجاتك. بل عناية تكون لديك اما تقيتك وترسًا يحفظك. ومرسى يثبتك واكليلًا يسديك مجدًا موبدًا *

متى ٦ع ٢٥ و٢٦

الجزء الرابع

قال سيد الكل من منكم يقدر ان يزيد على قامته ذراعًا واحدًا: فان كنتم لاتستطيعون ولا ما هو صغير فكيف تهتمون بالبواقي: تامل اولًا ان العناية الالهية حددت قامة كل احد على حسب طبعه ومزاجه. فلايقدر الانسان ان يزيدها شيًا. ومن ذلك ينتج السيد المسيح انه كما ان عناية الله تنمينا بالليل كما في النهار الى ان نكون بلغنا الى قامة ما ولا ندرى كيف يتم هذا. هكذا تبصر لنا كلما نفتقر اليه نظرًا الى عيشتنا وكسوتنا على موجب دعوتنا ورتبتنا. على ان الذي يعطينا هدية معتبرة لايعدمنا ما هو ادنى منها ان كانت الهدية الاولى تقتضي الثانية. وبهذا تستعمل العناية الالهية وسايط سرية مخفية لاندرى بها. لكى نتحقق بافضل يقين اهتمامها فينا فيزداد اتكالنا عليها *

متى ٦ع ٢٧ لوقا ١٢ع ٢٦

اعتبر ثانيًا ان المسيح ينتج ايضًا من كلامه المتقدم ذكره انه اذ لا يمكننا ان نزيد قامتنا ذراعًا واحدًا حتى ولا اصبعًا واحدًا ولو افرغنا فى ذلك كل جهدنا. هكذا باطلًا نجتهد في تحصيل عيشتنا وكسوتنا. لان هذين الشيئين ليس هما متعلقين في اجتهادنا فقط بل في العناية الالهية ايضًا وذلك على وجه اخص وافضل ومن ثم يقول المسيح: فان كنتم لاتستطيعون ولا ما هو صغير فكيف تهتمون بالبواقي: اما تعرفون انه بدوني لاتستطيعون شيًا وانه من قبلي لا غير ينبغي ان تطلبوا كل شي* فاشكرك يا ايها الرب الهي على انك منحتني جسدًا وتنميه بالليل والنهار حينًا اكون نايمًا او مستيقظًا او مفتكرًا في شي اخر. فاذ يكون الروح

افضل من الجسد فاسألك ان تهتم في نفسي اهتماماً افضل من اهتمامك في جسمي. فتنميها كل يوم في الفضيلة والكمال: لانه ليس الغارس بشي ولا الساقي بل انت يارب الذي تنمّي *

اعتبر ثالثاً شيئاً اخر ناتجاً من الموضوع المذكور. وهو انه ينبغي لكل احد ان يقتنع بالجسد الذي اتخذ من الطبيعة مهما كانت قامته وصورته. لانه هو حقاً عمل العناية الالهية التي جبلته كما هو لاجل خير الانسان ولمجد الخالق. ولهذا يجب علينا ان نشكره علي ذلك ونتحقق بان الله يتمجد في الاجساد الكبيرة والصغيرة وفي الاقويا والضعفا علي حد سوى. ومن ثمّ لايسوغ لمن كانت خلقته حسنة ان يفتخر بها كما انه يجب علي مَن كانت صورته دون ذلك ان يفتكر انه تعالى صنعنا فيتعزي بذلك شاكراً * الهي انه ليكفيني ان تكون انتَ الذي صنعت هذا الجسم. فلو يكون في طاقتي ان اصلحه لما كنت استشير غيرك في ذلك. ولما كنت اريد ان يكون اكبر او اكمل مما هو دون رضاك. لانه ليس شي خيراً لي وافضل عندي من مطابقة ارادتي مع ارادتك الالهية *

الجزء الخامس

قال سيدنا له المجد: لماذا تهتمون باللباس تاملوا زنابق الحقل كيف تنمو ولا تغزل. فاقول لكم ان سليمن في كل مجده لم يلبس كواحدة منها. فان كان عشب الحقل الذي يكون اليوم وغداً يطرح في التنور يلبسه الله هكذا فكم بالحري انتم ياقليلي الايمان: اعتبر اولاً ان العناية الالهية منحت لكل خليقة حية شكل ثوب مناسب طبيعتها. فالبست السمك قشراً والطيور ريشاً وبقية الحيوانات جلداً او صوفاً. الا انها اظهرت محبة خصوصية نحو الانسان. علي انه من حيث انه لم يكن له ما يرتدي به. فالبسته في حاله الاولى السعيدة حال البر ثوباً ثميناً اعني به نعمة البر الاصلي. وهذا الثوب كان بمفرده كافياً له ليحفظه عن كل ضرر حتى ومن الخجل من عريه. الا انه بعد ما نزع عنه هذا الثوب الجزيل الزينة واعتراه الخزي من قبل عريه وصنع له مآزر من ورق التين ليستتر بها. تحننت عليه العناية الالهية فصنعت له ثياباً من جلود الحيوانات. وبهذا علمتنا انها مع كوننا خطاة لاتزال مهتمة فينا.

لكي تمنحنا ثيابًا تخص اناسًا خطاة وتناسبهم . كما انها قبل سقوطهم منحتهم ثيابًا تخص اناسًا ابرارًا وتناسبهم . فلتسبحك نفسي يا رب على جزيل اهتمامك في . فان كنت تعامل الخطاة بمثل هذه الجود فما الذي انت عتيد ان تصنعه بالصديقين *
اعتبر ثانيًا ان السيد المسيح لكي يعلمنا انه باطلًا نفرغ الجهود في تحصيل ما يخص اللباس اورد مثل زنبق البر الذي ينبت من ذاته بغير ان يزرعه احد او يسقيه فلا يغزل مثل النسا ولا يتعب مثل الرجال في تحصيل اللباس . ومع هذا فانه عند ولوده وخروجه من الارض يلبس بهاء وجمالًا يفوق بهاء الثياب الملوكية التي كان يلبسها سليمن الحكيم في اشرف الايام وجمالها . فان كان الله احب ان يكسو الزنابق هكذا مع انها تزهر اليوم وغدًا تذوي وتيبس وحينئذٍ لا تنفع لشيءٍ الا لحريق في التنور . فهل يمكن ان تهمل عناية الالهية الانسان عريانًا وهي عارفة بانه لا يزول كالزنبق سريعًا ولم يخلق ليكون طعامًا للنار . بل لكي يتلالا في السما الى الابد . فان كان ملوك الارض الاكثر حكمةً وقدرةً وغناءً من سليمن الحكيم لا يقدرون على ان يفعلوا لاجلهم ما قد يفعله الله لاجل زنابق البر . أفليس هو خير لكِ يا نفسي الرجا بالرب من الرجا بالانسان وروسايه . لانه تعالى يستطيع ان يمنحكِ ما ترتجينه باطلًا من سخاء الملوك *
اعتبر ثالثًا ان السيد المسيح لما خاطبنا عن اهتمام العناية الالهية فيما نحتاجه من اللباس لم يستعمل مثل السمك والحيوانات التي تلبس قشورًا او جلودًا خشنة يابسة . بل انما استعمل مثل الزنبق الذي ينبت اليوم في البر ويلقى غدًا في التنور . وقد فعل ذلك لسببين * السبب الاول والحرفي هو ان الله نظرًا الى كسوتنا يعاملنا بسخاء جزيل فلا يكتفي بان يعطينا الاشيا الضرورية . اذ انه كان يكفي ان يكسونا بجلود الحيوانات كما صنع بادم . بل يمنحنا ثيابًا ثمينة مزخرفة من الحرير والفضة والذهب لكي نكون في حال الكرامة الواجبة لنسبنا ورتبتنا . وذلك لا بنية طلب المجد الباطل . بل لتمجيد تعالى الذي عظمنا ورفعنا على الاخرين *
والسبب الثاني والسري هو لكي نعلم ان العناية الالهية تمنح ثيابًا شريفة لا للمختارين والصديقين فقط . بل للخطاة ايضًا والطالحين الذين يزهرون الان

كالزنادق وغلاة يطرحون في اتون النار الموبدة . ثم انتج من ذلك ان الله الذي يعامل المرذولين بمثل هذه السخا الجزيل لاريب في انهُ سيعامل المختارين بافضل من ذلك . واذقد يكسو كسوة فاخرة اوليك الاشقيا العتيدين ان يُلقوا في نار جهنم . فلاجرم انهُ سيخول اشرف ما يوجد عنده لهولاء المزمعين ان يتلالوا كالكواكب في ملكوته . فاشكرك يارب على ما تحسن به الى خلايقك من الملابس الثمينة الفاخرة . الا اني اجد وارفض حبًا لك هذا الجاه الخارج العالمي . واطلب منك شيًا واحدًا لاغير وهوان تكسوني الان بنعمتك وتكللني فيما بعد بمجدك *

❁ الجزء السادس ❁

قال الرب يسوع بفمه العزيز : لا تهتموا وتقولوا ماذا ناكل وماذا نشرب او ماذا نلبس فان هذا كله تطلبهُ الامم ان اباكم يعلم انكم تحتاجون الى هذه جميعها * اعتبر اولاً كم يريد معلمنا الالهي من تلاميذه ان يكفوا علي قدر الامكان عن الاهتمام في الاشيا الزمنية ملقين همهم علي العناية الالهية . وهذه يعنيه بقوله لهم مرات كثيرة الا تهتموا بافراط بما يخص الاكل والشرب . و زاد علي ذلك ما ذكرهُ ماري لوقا لا ترتفعوا الي العلا . وبهذه ينهيهم عن الاهتمام الزايد في بعض اشيا قد وعدهم بانهُ هو يهتم فيها . فيريد اولاً الا يرغبوا كثيرًا المجد والشرف والمديح والرتب السامية والعظمة العالمية . يريد ثانيًا الا يفتخروا بالخيرات التي بها احسن الله اليهم . يريد ثالثًا ان يجعلوا حدودًا لطلبهم الجاه الزمني . وذلك بان لا يرغبوا ولا يطلبوا المراتب التي تفوق قوتهم . وانهم في كل شيء يقيسون مرغوباتهم علي قياس قدرتهم . يريد رابعًا من تلاميذه ان يحترسوا من التفتيش عما غبي عنهم . رافعين الحاظهم الى السما . مترقبين النجوم والكواكب . ملتمسين منها علامات الحوادث العتيدة ان تدركهم . كانَّ حظهم ونصيبهم متعلقًا بترتيب النجوم وتاثيراتها . بل يتحققوا جيدًا ان العناية الالهية تدبر كل شيء وتتقنه على حسب مرادها . وانهُ لا يحدث شي في العالم بطريق الصدفة والاتفاق . بل كل شيء يتم علي حسب مرام العناية الالهية التي في يدها اجالنا . قال الحكيم : القرعة تلقى في الحضن والرب يدبرها : وقال في محلٍ اخر : ان قلب الملك في يد الرب يميلهُ الى اينما شاء : فاعتقد

متى ٦ع٣١

امثال ١٦ع٣٣
٢١ع١

اذًا ان الله يدبر بتدبير خصوصي المجامع التي فيها يختارون الملوك والامرا والقضاة
وانهُ هو الاول الذي يوزّع المراتب العالميّة والكنايسيّة . على انهُ وان وجد في
هذه المحافل اشيا كثيرة رديئة خبيثة يسمح الله بورودها لاجل اسباب معروفة
منهُ وحده . فمع هذا لا يحدث شي الا كما سبق هو وعرف . ويستخدم اعظم الاثام
لتكميل ارادته المقدسة . وبالنتيجة قد يهين العناية الالهيّة من يهتم بافراطٍ في
الامور الارضية والخيرات الزمنية . ويهينها اكثر من ذلك من يستعمل في ذلك
وسايط ردية . على انهُ كما سنذكر فيما بعد ان كنا محتاجين هذه فان الله لهُ القدرة
والارادة لان يعطيناها بوسايط غير هذه جيدة عادلة يعرفنا لها في حينها . او
يستعملها هو تعالى بغير ان ندري . وعلى هذا المعنى ينبغي ان نفهم قول السيد
المسيح هذا : لا ترتفعوا في افكاركم : فكانهُ يقول حسبما فسر المعلم تاوفيلكتوس
لا يجعلنكم الحزن ان ترفعوا اعينكم الى العلا كاناس مغلوبين من الضجر والياس
الذين يتنهدون متسجسين ملتفتين من هنا الى هناك مشتكين بلسان الحال
من عناية الله وتدبيره *
اعتبر ثانيًا الحجتين اللتين بهما يحثنا السيد المسيح على نزع كل اهتمام زايد فيقول اولًا
ان الوثنيين والعالميين يطلبون هذه . فكانهُ يقول ان هذا الاهتمام الزايد المتجاوز
الحد يخص الامم الذين ينكرون بافواههم وقلوبهم وجود العناية الالهيّة . او
يخص العالميين . الذين ينكرون هذه الحقيقة لا بافواههم بل بافعالهم . او يخص
الغير الكاملين العديمي الاتكال على عناية الله الذين يضطربون ويتسجسون
كاوليك المذكورين * فيا ايها المعلم الالهي الذي قد جعل الامم الخارجون حكمتهُ
جهالةً . وصيرها العالميون ضلالةً لعجزهم عن استفحاص اسرار عنايتك
الواجب لها السجود . فينكرون ويرذلون باطلًا ما يجهلونهُ . انر يا رب بنعمتك
هولاء العميان الاغبيا لكي يبتدوا ان يعرفوك ويحبوك . واذ قد تفضلت علي
فعرفتني الحق المحجوب عنهم فاجعل اعمالي ان تكون مطابقة ايماني . وان اضع لهدو
كلي تحت تدبير عنايتك الالهية * اما الحجة الاخرى فاوردها السيد بقوله ثانيًا
ان اباكم يعلم انكم تحتاجون هذه : وبهذه الالفاظ الوجيزة يورد مخلصنا الثلث

الصفات الالهية التي يتاسس عليها رجاونا اعني بها حكمته تعالى العارفة بما نحتاجه. وجوده الابوي المستعد لمساعدتنا. وقدرته الضابطة الكل المساوية لجوده التي لا تدع ان يعوزنا شي مما نحتاجه ❋ تنبيه

ان هذا الاعتبار من شانه ان ينشي فينا هدوًا وسكينةً في حين ضرورتنا. على ان كلاً منا يستطيع ان يقول في ذاته ان هذا الشي الذي ارغبه جداً اما ان يكون لي نافعًا او مضرًا او باطلاً. فان كان عتيداً ان يضر جسدي او نفسي او لا ينفعهما فلست اريده وحاشا ان اطلبه من الله. وان كان هو خيرًا لي فاني اعتقد يقينًا ان العناية الالهية تمنحنيه. لان الله يريد لي الخير لكونه ابي وهو عارف الوسايط التي يستطيع بها ان يعينني لكونه عالمًا بكل شي. ومن حيث انه قادر على كل شي فلا يوجد شي لا يستطيع ان يفعله لاجلي. فهذا التفلسف الماخوذ من الايمان لمن شانه ان يهدي قلب المومن ويريح نفسه في اية حال كان. وحينيذٍ يختبر حقيقة قول الحكيم: مهما يصيب الصديق لا يحزنه: لانه يعرف ويعتقد انه لا يحدث شي الا بحسب ترتيب عناية الاب السماوي ❋

امثال ١٢ع٢١

الجزء السابع

❋ في عناية الله نحو الذين يطلبون ملكوت السموات قبل كل شي ❋

متى ٦ع٣٣

قال سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح: اطلبوا اولاً ملكوت الله وبره وهذا كله يزاد لكم: هذه هي الالفاظ التي بها ختم ابن الله تعليمه العجيب. وبها يعلمنا كيف ينبغي ان نرتب اشواقنا النصير اهلاً لاهتمام عنايته. فلنتامل هذه الكلمات واحدة فواحدة لان كلاً منها تحوي سرًا ما عجيبًا. فاللفظة الاولى هي هذه اطلبوا اولاً وقبل كل شي ملكوت الله. فكانه يقول ابتدوا بهذا وليكن هذا اول اهتمامكم. اجعلوا هذا غاية كل مرغوباتكم. لا تعتبروا شيًا افضل من هذا الملكوت الابدي. بل فضلوه على كل خير اخر. ولا تدنسوا قلوبكم بعاطفة ما ارضية اصلاً. اطلبوا ملكوت الله اعني ملكوته السماوي السرمدي حيث تتمتعون بمشاهدة الله وتملكون معه. فهذا الخير العظيم لمستحق ان تفرغوا جهدكم الكلي في اكتسابه ❋ ثم اعتبر جيداً ماهية هذا الملكوت الذي يريد السيد المسيح ان نطلبه. علي ان الملك المذكور

هنا هو اولاً ملك روحي وعمل النعمة التي بها يملك الله علي قلوب الصديقين . فهذا الملك يتضمن تعليم الانجيل المقدس الذى يلزمنا ان نعتقده . والوصايا الالهية التي ينبغى ان نحفظها . والاسرار التي نقتبلها . وكل الفضايل الضرورية بممارستها لنستطيع بها ان نخدم ملكنا فيملك علينا وفينا ملكاً كاملاً * ثانياً الملكوت الذي نطلبه هو ملكوت السما حيث يملك الله مع قديسيه . فيا ايها الرب الهنا ارنا اورشليم السماوية . حتي اذا ما نظرنا مجد هذه المدينة مدينة السلام نرغب الوصول اليها والسكني فيها * ثالثاً نطلب ملكوت الله الذى سيكون فى انتها الدهور . حينما يسقط الشيطان بالكلية عن تسلطه ويملك الله وحده على انفس الابرار واجسادهم بواسطة المجد الابدى . فلياتنا يارب ملكوتك هذا الذى به ننجو من تسلط الخطية ونحظى بسعادتك الالهية * اعتبر رابعاً هذه اللفظة اعني ملكوت الله حيث اننا بها نطلب ان ينتهي كل ملك سواه ويزول متلاشياً . وعلى الخصوص نطلب زوال تسلط الشيطان والخطية علينا . فلا نطلب منك يا الهى ان يملك العالم علينا بواسطة الغني والكرامات واللذات التي هي كقيود يسبينا ويربطنا بها . بل انما نطلب ان تملك انت علينا بواسطة الفضايل *

اعتبر ايضاً هذه اللفظة الثانية اعني قوله تعالى : وبره : فلم يعني بذلك ان نطلب اولاً ملكوت الله ثم بعد ذلك نطلب بره . كلا بل انما يريد ان نطلب اولاً ملكوت الله وبره معاً . علي انه لمن الممتنع ان نكتسب الواحد دون الاخر . وقد ضل ضلالاً عظيماً من يطلب ملكوت الله وهو متغاضٍ عن اكتساب البر والقداسة . وباطلاً يطلب الانسان الوصول الي ملكوت السما اذ لم يدخل في الطريق الموصل اليها . ان السما لا تعطى الاّ للمجتهدين والمغتصبين *

اعتبر اخيراً قوله تعالى الاخير : وهذا كله يزداد لكم : وبهذا يعد السيد بانه سيعين عوناً خصوصياً كل الذين يجعلون اهتمامهم الاول والاخص في طلب ملكوت الله وبره . وانهم سينالون احتياجاتهم الزمنية باوفر سهولة من العوام المجتهدين بعناء وكدّ كلي في تحصيلها وقد كان تنبا عن ذلك المرتل قايلاً : الاغنيا افتقروا وجاعوا واما الذين يطلبون الرب فلا يعدمون كل الخيرات : فكانه يقول انه وان

مزمور ٣٣ : ١١

كان الذين يجعلون كل رجاهم في الغني يحتاجون غالب الاوقات اشيا كثيرة.
لا ان الابرار الذين يطلبون الله ويأسسون رجاهم علي عنايته الالهية
لايعوزهم شي من الخير الروحي والزمني. ان كان الخير الزمني لا يصدهم عن
امتلاك الخير الروحي. حتي وان كان الله يسمح احيانًا بان يعدموا ما يفتقرون اليه
لقوتهم وكسوتهم. فانهُ تعالى يجعل ذلك خيرًا لنفوسهم. ولكن لاى سبب لم يقل
السيد المسيح وهذا كله يعطى لكم. بل قال يزداد لكم. فذلك لانهُ تعالى ولو انهُ
يمن على الصديقين بالخيرات الزمنية. فلا يريد ان تكون هذه مجازاتهم
الخصوصية. بل هبةً زايدة غير معتبرة عنده تعالى ❊

الجزء الثامن

تامل ثامنًا ان الله يهتم في مختاريه اهتمامًا هذا احده. حتي انهُ اذا نقصتهم الوسايط
الطبيعية فيستعمل حينيذ وسايط عجيبة فايقة الطبيعة ليمنحهم احتياجاتهم الزمنية
وذلك كما صنع مع شعبه في البرية. حيث عال الاسرايليين اربعين سنة مرسلاً لهم
كل يوم خبزًا من السما. ومجريًا لهم الماء من صخرة. وحافظًا ثيابهم بحال صحتها
الاولى. ولكن على الخصوص يجب ان نتامل الثلث الوسايط التي استعملتها العناية
الالهية لاعالة ايلياس النبي ❊ فاعتبر اولاً ان الغربان كانت تجيب لهُ الخبز واللحم
بالغدا والخبز واللحم بالعشا: فهذه الطيور بامر الله كانت في جوعها تمتنع عن اكل
فريستها وتطير بها الى النبي وتقدم لهُ طعامها. ولنا في ذلك عبارة عجيبة. وهي
ان الخطاة المعبر عنهم بالغربان مع انهم راغبون ومحبون جداً الخيرات الارضية
فتراهم احيانًا يعولون الصديقين بصدقاتهم في حين ضرورتهم. وذلك لزيادة
ما تاثر نعمة الله في قلوبهم الحجرية ❊ فيا الهي مَن ذا الذى لا يريد ان يخدمك. ومَن
لا يترك كل شيء حبًا لك اذ يشاهد الغربان تقدم فريستها لعبيدك. اني منذ الان
فصاعدًا لا اخدم غيرك ولا احب سواك. واني لواثق انهُ اذا اهملتني الناس
كافةً فتدركني عنايتك وتهتم فيَّ وتامر الطيور والوحوش بمساعدتي ❊
اعتبر ثانيًا ان العناية الالهية عالت النبي المتقدم ذكره بواسطة ارملة مسكينة
لم يكن عندها خبز الا قدر ملو كف من الدقيق في الجرن وقليل زيت في القلة:

ملوك ٣ ١٧ ع ٦

ملوك ٣ ١٧ ع ١٢

فيقول الكتاب المقدس ان الله امر هذه المرأة ان تطعمه . ولكي يمكنها ذلك فكثر لها الدقيق والزيت لهذا المقدار حتي انه وجد عند الارملة اكثر مما كانت تحتاجه لعيشتها ولعيشة ابنها ولعيشة النبي . وهذا دليل علي ان الله يحب ان يعول عبيده بواسطة بعض اناس فضلا فيزيد خيراتهم جزاً عن رحمتهم *

اعتبر ثالثا ان الله عال النبي بواسطة ملاك اتاه بخبز وماء حينما كان نايما غير مفتكر بذلك . وهكذا هذا الاب الجزيل حنوه يرسل مليكته الي ابنايه لكي يعينوهم في ضرورتهم متي ما اهملهم الناس ولم يحنوا عليهم . لانه جلت رحمته ارسل احد مليكته الى حبقوق النبي حينما كان يطبخ غذاء للحصادين وامره بان ينقل حالاً النبي مع ذلك الطعام الى بابل ويضعه علي فم سجن الاسد حيث كان دانيال النبي محبوسا . فلما وقف حبقوق عند السجن صرخ قايلاً : يادانيال عبد الله خذ الغذا الذي ارسله اليك الله : فقال دانيال شاكرا الله ومتعجبا من جوده ؛ اللهم انك قد ذكرتني ولم تترك محبيك : الهي ونصيبي الى الابد اني لاشكرك علي انك لا تتغافل قط عن اصدقايك ولا تمسك عونك عن الذين يتكلون علي رحمتك . لانه لم يكف محبتك انك سددت افواه الاسد السغبة ليلا تفترس عبدك . بل امرت ايضا ان يوتى له بغذاء كان يطلبه وينتظره اناس جايعون قد سكبوا اعراقهم من التعب . فلتسبحك البشر والمليكة يارب وليعظموا رحمتك الى الابد . اسالك يا الهي ان ترزقني اتكالا عليك وان تجعلني بنعمتك ان ابني كل رجاي عليك وحدك *

دانيال ٣٦:١٤

التامل الثاني والثلثون

* في عناية الله نحونا في حين احزاننا وتجاربنا *

* الجزء الاول *

تامل اولاً ان كل اتعاب الجسد واحزان النفس هي في يد الله . وانه يبعث بها الينا حسبما يشا . اما شرور الخطاة وفجورهم فيسمح بها تعالى لاسباب محجوبة عن معرفتنا . لانها كلها تعود علي الدوام خيرا لخلايقه لاسيما لمختاريه . ولهذا قال القديس اغوستينوس ان الله لم يكن ياذن بورود شر او نقص في خلايقه . لو لم

يكن قادرًا علي استخراج الخير من اعظم الشرور واصلاح خيرات كثيرة من ادنى شر. وهذه الخيرات هي علي ثلثة انواع على الخصوص. علي انه تعالى اولاً يظهر حينئذٍ جوده وقدرته وعدله ورحمته وكمالات اخرى كثيرة تتضح وتتلالا ما بين شرور هذا العالم * ثانيًا يحفظ بذلك العالم نفسه. علي انهُ لا يمكن ان تقوم العالم الّا بزوال اشيا كثيرة. ومن ثمَّ نرى في الحيوانات والطيور والسمك تضادًا طبيعيًا ينشي بينها حربًا دايمة. وذلك لان البعض منها خلقت لطعام البعض * ثالثًا نجتني نحن ايضًا من هذه الشرور نفعًا خصوصيًا يلايم الجسد او النفس. لانهُ من البلايا تصدر خيرات طبيعيّة وفايقة الطبيعة. من حيث ان الانسان لا يمارس الفضايل العظمى على نوع اتم واكمل مما انهُ يمارسها حينما تحدق بهِ الشدايد الخارجة والباطنة * وهذه الثلثة الانواع من الخيرات تتضمن خيرات اخر كثيرة يستخرجها الجود الالهي من الشرور والبلايا المتعددة المحيطة بنا كما سيبان من كلامنا التالي. الّا اني انصحك الان بشيءٍ واحد يحق لهُ الاعتبار وهو انهُ يجب عليك في حين الشدة ان تفتكر ما الذي تريد العناية الالهيّة ان تفعلهُ لخيرك. فمن ذا الذي لا يفرح من ان لهُ الهًا ذا اقتدار وجود هذا حدهُ حتى انهُ يستطيع ان يحيل شرورنا الى خيرات حقيقيّة. وانهُ لم يكن يسمح بحدوث شر ما لو لم يكن قادرًا ومريدًا ان يصيرهُ سببًا لخيرنا وخلاصنا * فيا ايها الخير الاعظم اشكرك على جودك الذي بهِ تشفينا حينما تضربنا. فاجعلنا يارب بنعمتك ان نحيد عن اعظم الشرور الذي هو الخطيّة. وان نكتسب نفعًا وخيرًا من شدايدنا الزمنيّة *

الجزء الثاني

تامل ثانيًا ما تفعلهُ معنا العناية الالهيّة من العجايب في حين الشدايد الواصلة لنا من قبل الشياطين. فاعتبر اولاً ان الله ياذن للشياطين ان يجربونا. حيث انهُ بغير اذنهِ تعالى لا يجسرون علي ان يمسوا اطراف ثيابنا. حتي انهم بغير هذا الاذن الالهي لا يقدرون ان يدخلوا في جسد ادنى الحيوانات واحقرها. وهذا الاذن هو محدود. فيعيّن الله لهم الجهة التي منها يحاربونا. وكم من وباي قوة وطولة تكون المحاربة. ولا يمكنهم ان يتجاوزوا الحدود المرسومة لهم من العناية الالهيّة *

اعتبر ثانيًا انهُ وان كانت ارادة الشياطين ردية غاية ما يكون . ومن ثمَّ لا يقصدون في محاربتهم ايانا سوى هلاكنا . فقصد الله السامح لهم بتجربتنا انما هو خيرنا . ونيته هي ان يستخدم خبثهم لخلاصنا . ولعمري ان تجاربهم تصيرنا ان نلتجي الى الصلوة ونمارس الصبر والاتضاع وفضايل اخر يريد اللعين ان يستاصلها من قلوبنا ❊

اعتبر ثالثًا ان عناية الله توفق الشدايد والتجارب مع قوتنا الطبيعية والفايقة الطبيعة على حسب مقدار الانعام التي قصد ان يمنحنا اياها : ولا يهملنا ان نجرب باكثر مما نطيق بل يجعل التجربة نافعة لنا : ويقدم لنا في ذلك وسايط مفيدة جدًا وهي ارشاد معلمي الاعتراف ومعونة مليكتنا الحارسين الذين يحاربون عنا حربًا غير منظور . والالهامات والعواطف الصالحة التي بها يقودوننا في طريق السما ان كنا لا نقاوم مقاصد عنايته ❊ فمن هذه الثلثة الاعتبارات ينبغي ان نتخذ لنا نصيحتين جزيلتي الاعتبار تعزيانا جدًا في حال وقوع اشد البلايا بنا . النصيحة الاولى هي الا ننظر الى الشيطان الذي يجربنا بل الى الله الذي يسمح له بان يضايقنا . وعلى هذا المنوال نقبل الشدة من يد الاب السماوي الذي كان يقدر ان يسبق وينقذنا منها . الا انهُ راى خيرًا لنا ان تصيبنا لتكون لنا سببًا لممارسة الفضيلة . فنقول مع ايوب البار : اذ قد قبلنا الخيرات من يد الله فلمَ لا نقبل ايضًا الشرور : الرب اعطاني العافية والغنا والكرامة والسلام والفرح الذي كنت اتمتع به . وهو تبارك اسمهُ اذن للشيطان ان ينزل بي هذه الشدة ولا ريب انهُ لكي اتحقق ان هذا بعدل ادركني فيكفيني ان اعلم انهُ تعالى هكذا رام ان يكون . فليكن اسمهُ ممجدًا الى ابد الدهور على ما اعطاني وعلى ما سلبهُ مني ❊ النصيحة الثانية هي انهُ يجب علينا في محل التجربة ان نمعن النظر الى ما يريد الله ان يعملهُ معنا من الخير . ونعتقد يقينًا ان الله بالنظر لخلاصنا هو اقوى واقدر من الشيطان بالنسبة الى هلاكنا . فاحذرنَّ اذًا من ان تعتبر كثيرًا ضعف طبيعتك وجسارة عدوك ليلا يستحوذ عليك الخوف والهلع من قبل هذين الامرين . بل ارفع نظرك الى رب السما وتامل قدرته وقوة نعمته . واطلب منهُ ان يهديك في طرقه ❊

قرنثيه ١ ١٠ع ١٣

ايوب ٢ع ١٠

الجزء الثالث

تامل ثالثاً حسن تدبير العناية الالهية في زمان الاضطهادات الواردة الينا من قبل الناس المغتصبين واعدائنا الخصوصيين واخوتنا واصدقائنا الكذبة . فاعتبر اولاً ان هذه العناية المحبوبة تربط ايدي اعدائنا فلا يقدرون ان يضرونا بشعرة واحدة من شعور روسنا كقوله تعالى: اليس خمسة عصافير تباع بفلسين وواحد منها لا ينسى قدام الله ولا يسقط علي الارض دون ارادة ابيكم: اما شعور روسكم كلها فمحصاة فلا تخافوا فانكم افضل من عصافير كثيرة : وقد يشير بهذه سيدنا يسوع المسيح الى حجتين من شانهما ان تصيرانا ان نعتبر ونستعظم كثيراً عناية ابينا السماوي ❊

لوقا ١٢ع٦و٧

الحجة الاولى هي ان هذا الاب الكلي الصلاح والخيرية يهتم في العصافير التي لا قيمة لها . حتي انه لا يصاد احدها ولا يسقط على الارض الا بان يكون تعالى قد سبق وعرف ذلك . ومن هذا ينتج انه يهتم بنا اكثر اهتماماً على انه تعالى ليس هو اباً للعصافير لكنه رب لها فقط . اما لنا فهو اب ورب ايضاً . واب لا يمكنه ان لا يحب ابناه . حيث انه يحب عبيده بمحبة ابوية . فان كان هو تبارك اسمه لا يتغافل عن ادنى العصافير واحقرها . فكيف نظن به انه يتغافل الانسان لا سيما عن انسان محبوب منه . وان كان الصيادون جميعهم لا يستطيعون ان يمسكوا او يقتلوا عصفوراً واحداً دون ارادة الله . فمن من المغتصبين يقدر ان يذيق احد الصديقين عذاباً او قتلاً بغير اذنه تعالى ❊

الحجة الثانية هي ان الله احصى شعور روسنا كافة . وانه يهتم في حفظها باحتراس جزيل كاحتراس انسان على ما هو محبوب لديه جداً . ولذلك يحصيه لئلا يضيع منه شي . فمن ثم لا يقدر احد ان ينزع منا شعرة واحدة دون ارادته تعالى . فان كان ذلك كذلك فباي اهتمام واحتراس يحفظ الله عافيتنا وحياتنا وسمعتنا . وان كان اعداونا لا يستطيعون ان ينزعوا شعرة واحدة من شعورنا دون ارادة ابينا السماوي . فكيف يقدرون ان يعدمونا حياتنا او حسن سمعتنا . فمن هذا الاتكال المتين الغير المتزعزع نكتسب سروراً وسلاماً وافراً . علي انه ما الذي

يخشاهُ مَن كان تحت حماية الهِ ضابط الكل ويحبهُ بمحبةٍ هذا حدها حتى انهُ يشهد
على لسان نبيهِ قايلاً: ان مَن يلمسنا يلمسهُ في حدقة عينهِ: فاحفظني يارب كما احفظ
حدقة عيني. استرني وحمني من اعدائي كما يستر الطير فراخه ويحفظها من مخالب
البواشق ❋

زخريا ٢ع٨

اعتبر ثانياً ان العناية الالهية تسمح بالاضطهادات لخير المختارين. ولكي يكونوا
شهداً للمسيح تسمح ايضاً بتسلط اناس مغتصبين على العالم. وفي هذا ينبغي ان تعتبر
شيئين. اولهما ان الله يجتني من اضطهاداتهم خيراً مضاداً الشر المقصود منهم. وانهُ
مرات كثيرة يرفعنا بالوسايط التي يستعملونها ضدنا ❋ والشي الثاني هو ان هذه
الاضطهادات المفعولة ضد الصديقين يصيرها تعالى نافعة لمبغضيهم كما يتضح
ذلك في قصة يوسف البار. الذي قد ارتفع بعناية الله وصار وزيراً لفرعون
الملك ومدبراً لمملكة مصر. لكي يحفظ حيوة اخوته الذين قصدوا قتله حسب
قوله لهم: اما انتم فقصدتم بي شراً والله صيرهُ لي خيراً وبهِ رفعني وشرفني: فاتيت
الى مصر لا لانكم اردتم هكذا. بل لان الله اراد لاجل خلاصكم ولكي ينجي شعوباً
كثيرة. فلنتعزَّ لهذا في حين احزاننا ولنقل مع المرتل: صممت ولم افتح فمي لانك
انت صنعت ما يحزنني: او قلما يكون آذنت بان يصير. ومن ثمَّ ليس لي حجة
للتمرمر والشكوى. هكذا فعل النبي والملك داود اذ نهض شمعي ضده وشتمهُ.
فانهُ اذ تقدم ابيشاي وطلب اجازة من الملك لان يقتل عدوهُ ذاك. اجابهُ الملك
البار قايلاً: الرب قال لهُ ان يشتم داود فمن يقول لماذا فعلت هكذا: لعل الرب
يجازيني خيراً بدل هذا الشتم: وقد يمكن لكل منا ان يقول هكذا. لا تظن ان هذه
الاهانة التي اصابتك حدثت بالاتفاق. بل تحقق انهُ بدون اذن الله وسماحهِ
ما كان ممكناً ان يفتري عليك احد. وانهُ لم يكن الله سمح بذلك لو كان يصدر لك
من ذلك شرٌّ. فالكتاب المقدس يقول ان الله امر اعداءك بان ينزلوا بك الضرر لكي
تفهم من ذلك وتعلم انهُ لا يقصد بهذا سوى خيرك. فهل يجوز لك ان تتمرمر عليهِ
متشكياً. يكفيني يا الهي ان هذه الاهانة اتتني من قبلك وبامرك فها انا اقبلها
بخضوعٍ كليّ لمعرفتي واعتقادي ان اوامرك وتدابيرك كلها عادلة صالحة ❋

تكوين ٥٠ع٢٠

مزمور ٣٨ع١٠

ملوك ٢ ١٦ع١٠و١٢

❁ الجزء الرابع ❁

تامل رابعًا اهتمام العناية الالهيّة فينا نظرًا الى امراض الجسد واوجاعه تلك التي تاتينا من علل طبيعيّة او من قبل خبث الناس. فهذه ايضًا كلها تصيبنا بامر الله ولهذا قال النبيّ: ليس شرٌ في المدينة لم يصنعه الرب: فاعتبر اولًا ان الله يرتب عدد امراضنا وماهيتها وشدتها ودوامها. حتى ان المادة التي تولم الراس لاتزداد ولا تنتقل الى عضو اخر. ولاتدوم يومًا او ساعةً او دقيقةً اكثر مما رسمته العناية الالهيّة. وهكذا شفا الامراض فان الطبيب الالهي يدبره ايضًا. ولتكميل مقاصده بذلك يستخدم جهل الذين يداوننا وخبرتهم. على انه نظرًا اليه تعالى لايصير شي بطريق الاتفاق: لان من قبل الله كل دواءٍ وفي يده ومن قبله الصحة والمرض والحيوة والموت: يضرب ويشفي يميت ويحيي يحدر الى الجحيم ويصعد: ولذلك ولو انه يجوز لنا بل يحسن بنا ايضًا ان نلتجي الى الاطبا والى الادوية الطبيعيّة. الّا انه لايجوز لنا ان نضع على ذلك اتكالنا الاخص. بل ينبغي قبل كل شيء ان نوسسه على الباري تعالى ملتمسين منه العون. لانه هو الذي يبارك على الادوية او يمنحنا ادوية اخرى افضل منها وانفع ❁

اعتبر ثانيًا ان العناية الالهيّة ترسل الينا الاوجاع والامراض كوسايط مفيدة. وتريد ان نستعملها لنفي بها عن خطايانا وننتصر على رذايلنا ونمارس الفضايل ونبلغ الكمال حسب كلام الرسول: ان الفضيلة تكمل بالضعف: فاحذر اذًا من ان تلتزم التفكر والاهتمام فيما يولم الجسد. متغاضيًا عن الخير الواصل للنفس من قبل الامراض. بل ماثلن الرسول القايل: اني افتخر بامراضي لتستقر فيَّ نعمة المسيح: واذا تمرمر الحم متمردًا فخاطبه بحرارة الروح قايلًا له: الست تريد ان اشرب الكاس التي اعطانيها ابي: فهذا الدوا المستكره هو هديّة اتتني من الله. وهذه الكاس المرّة مزجتها لي يد الاب الذي لانظير له في المحبّة والحنو. واني لواثقٌ انه لايوجد فيها سوى ما ينفعني. ولهذا فاني اقبلها واشربها الى اخر نقطة ❁

عاموص ٣ع٦

قرنتيه ٢ ١٢ع٩

يوحنا ١٨ع١٢

❁ الجزء الخامس ❁

تامل خامسًا كيف ان العناية الالهيّة تداوي امراض النفس وتعالجها ولكي

تفهم هذا جيداً فاعلم ان الامراض النفسانيّة نوعان . فبعضها غير اختيارية تعترينا عند ولودنا . وهي تمرد شهوات اللحم علي الروح . وضعف الحيلة . وعدم ثباتها على حال واحدة . ونقايص غير هذه ناتجة من الخطيّة الاصليّة . فهذه النقايص تركتها فينا العناية الالهيّة لا لكي تكون لنا حجارة عثرة واسباب الخطيّة . بل لان تكون لنا مادة يمكن ان تزيدنا فضيلة وتكسبنا اكليل المجد الابدي اذا واظبنا علي محاربة شهواتنا الرديئة . ولكن لكي لا تضعف قوتنا وشجاعتنا في هذه الحرب الشديدة . فان العناية الالهيّة تخمد شهواتنا وتضبطها وتمنحنا عوناً للانتصار عليها * اما النوع الثاني من الامراض النفسانيّة فانه يتضمن الرذايل والخطايا الصادرة من الارادة المفسودة . وهذه الامراض ولو ان الله تعالى لم يكن سببها الا انه يسمح بها ويحتملها لئلا يضر اختيارنا . وبتدبيره العجيب يستنتج منها خيرات كثيرة . علي ان الخطيّة تفيد الانسان اتضاعاً واياساً من ذاته وحرصاً علي نفسه . فيزداد حرارةً ونشاطاً في تتميم لوازمه واحياناً خبث الخطاة نفسه يفيد الصديقين بما انه يصيرهم ان يسيروا بنشاط في طريق الله . ومنه اي من خبث الخطاة ينتج قلما يكون واحد من هذين الخيرين . وهما اظهار جود الله حينما يغفر للخاطي واظهار عدله تعالى حينما يعذبه بحسب استحقاقاته * فيا ايها الاله السرمدي الذي صيرت خطيّة ادم نافعة لنا بارسالك ابنك الوحيد مخلصنا . انعم عليَّ باني انتفع من شقاي ورذايلي . وانت يا يسوع الحنون المنجي نفسي من كل خطيّة . وذلك اما لانك تنهضني برحمتك بعد سقوطي . اما لانك تسبق بنعمتك فتحفظني من السقوط . اسالك يا مخلصي الرحوم ان تتجاوز عن سيآتي الماضية وتحفظني من السقوط في خطايا جديدة . وهذا اطلبه من كرمك باستحقاقات موتك المقدس *

اعتبر اخيراً انه ما عدا ما قلناه مما نحن ملتزمون به للعناية الالهيّة توجد احسانات اخر غير هذه كثيرة جداً تمن بها علينا ونحن لا ندري بها . لانه لمن المحقق ان الله يسبق فينجينا من بلايا عديدة جسدانيّة كانت او روحانيّة خصوصيّة او عامّة . التي قد كانت تحدث في العالم وتصيبنا او لم تسبق العناية الالهيّة وتهتم

فينا وتحفظنا منها . وبالنتيجة انهُ يجب على كلٍ ان يشكرها علي ذلك شكراً جزيلاً .
لانهُ كما اننا نستغفرهُ تعالى على خطايانا التي صدرت منا بطريق الجهل والتغافل .
لعلمنا بانهُ تعالى يعرفها وسيعرّف بها الملايكة والبشر في يوم الدين . هكذا يجب
علينا ان نشكرهُ على احساناته الينا المجهولة منا . علي انها وان كانت مخفية عنا
فانها جزيلة وعظيمة وسنعرفها فيما بعد . ونلتحف بشعار الخزي والخجل ان كنا
لم نشكرهُ عليها قبلاً ونظهر لهُ المعروف لاجلها ❊

التامّل الثالث والثلثون

❊ في العناية الالهية نحو صلواتنا وفي كم نحن ملتزمون لها لاجل هذا الاحسان ❊

الجزء الاول

تامل اولاً ان العناية الالهية لما رات اننا مفتقرون الى خيراتٍ كثيرة ضرورية
للجسد وللنفس . ومخضعون لبلايا متعددة حتي اننا لانستطيع ان نحصل علي تلك
ولا ان ننجو من هذه . فجعلت لنا الصلوة واسطة موصلة الى هتين الغايتين .
ووعدتنا بانها ستمنحنا مهما طلبناهُ . قال سيدنا المخلص : اطلبوا تُعطوا لان كل
مَن يسال يُعطى لهُ : حقاً ان الصلوة هي واسطة نستطيع بها ان ننال كل شيء .
وواسطة فعالةٌ سهلة متسعة جداً . فهي فعالة جداً لان قوتها متاسسة علي كلام
الله الامين في تكميل وعده والقدير على تتميم كلما يريده . وهي واسطة جزيلة
السهولة اذ ليس شي اسهل لنا من الالتجا في زمن الضرورة الى من يحبنا كابنائه .
ويرغب ان نطلب منهُ ما يعوزنا ويشتهي ان يعطينا اكثر مما نشتهي نحن
ان ننالهُ . واخيراً الصلوة هي واسطة متسعة جداً لاننا بها نستطيع ان نكتسب
كل الخيرات وننجو من جميع الشرور ❊

متى ٧:٧

ثم اعتبر ايضاً ان الصلوة هي واسطة تصير صفات الله كافةً ان تسعى في
مساعدتنا وخيرنا . فجود الله يشركنا بها في ذاته ومحبته تملانا من خيراتها
ورحمته تعيننا في الشدة . وقدرته تسعفنا في اتمام مقاصد حكمته فينا بتغيير
كل ترتيب الطبيعة اذا كان الامر واجباً . ومن ثم ترى ان الله بواسطة صلوات

القديسين يشفي المرضى ويحيي الموتى . ويوقف الشمس والقمر . ويصنع معجزات غير هذه مذهلة . وهكذا يشرك الانسان على نوع ما في قدرته الضابطة الكل *
فاشكرك ياسيدي علي هذا الاحسان العظيم . واسالك يارب ان تجعلني ان اعتبر هذه الموهبة السامية موهبة الصلوة كثيراً جداً . وامارس جيداً هذه الرياضة المقدسة . لانه ان كنت لا ابعد عني الصلوة فرحمتك لاتبعد عني *

❁ الجزء الثاني ❁

تامل ثانياً ان العناية الالهية تظهر لنا محبتها في انها تمنحنا ما نطلبه ان كان ذلك نافعاً لنا . وتمسك عنا ذلك اذا كان عتيداً ان يضرنا . علي انه جل تودده رام ان تكون لنا الصلوة واسطة للخلاص لا للهلاك كقوله العزيز : من منكم يساله ابنه خبزاً فلعله يعطيه حجراً او يساله سمكة افيعطيه حية او يساله بيضة افيعطيه عقرباً . فان كنتم انتم الاشرار تعرفون ان تمنحوا ابنائكم عطايا صالحة فكم بالحري ابوكم الذي في السموات يعطي روحاً صالحاً للذين يسالونه : وقد يعلمنا تعالى بتفلسفه هذا الالهي انه كما ان الاب اذا طلب ابنه منه طعاماً فلا يعطيه حجراً لكون هذا باطلاً . ولا يقدم له حية او عقرباً لكونهما مفعمين سماً مميتاً . هكذا اذا طلبنا نحن من الله ان يمنحنا غناء او جاهاً او لذات او عافية او غير ذلك من الخيرات الزمنية . فانه ان عرف تعالى بسابق علمه الالهي ان هذه الاشيا ستكون مانعة لنا عن نيل الخلاص . فيمسكها عنا بما انه يحبنا حباً ابوياً لا يدعه ان يعطينا حجراً نعثر به او عقرباً تلدغنا او حية تميتنا . ولعمري انه تعالى اذ يمسك عنا هذه يستجيب حقاً لصلواتنا . على انه لا يجوز لنا ان نطلب منه شيئاً الا بهذا الشرط المضمر وهو ان كان الشي الذى نطلبه يكون لنا خيراً ونفعاً لا شراً وضرراً *

لوقا ١١ع١١ و١٢ و١٣

ثم اعتبر انه كما ان الانسان اذا راى ابنه قد اشتد به الجوع فيمنحه مهما يحتاجه ويناسبه كالخبز والبيض والسمك . هكذا الله لا يعطينا الشي الضروري فقط مثل الخبز . بل يزيد على ذلك اشيا اخر مثل البيض والسمك . فيطعمنا طعاماً بسيطاً لا طعاماً يربي الشهوة . علي انكم يقول السيد المسيح مع انكم مايلون الى الشر

فانكم تشاركون ابنا كم فيما قبلتموهُ من الخيرات . فكم بالحري الاب السماوي الذى هو الصلاح بالذات يكثر بركاته علي الذين يلتجيون الى رحمته * فيا ايها الاب الجزيل صلاحه وخيريته اشكرك وابارك على انك تمسك عنا ما قد عرفت انهُ يلحق بنا ضررًا . وتمنحنا كلما يناسبنا و يجدينا نفعًا وفايدة . فاجعلني بنعمتك لا اطلب منك سوى الذى تريد . لكي تعطيني دايمًا ما يناسب تمجيد اسمك وخلاص نفسي بنوع اكمل جدًا *

فتعجب الان من عذوبة تدبير العناية الالهية التي لا تدع طلباتنا باطلة بالكلية متي نطلب منها بجهل ما يلحق بنا ضررًا . علي انهُ تعالى ولو مسك عنا ذلك فانهُ يعطينا سواهُ مما كان ينبغي ان نطلبهُ . ومن ثمَّ لما طلب بولس الرسول ثلث مرات ان ينجيه الله من منخس اللحم فلم ينل مطلوبه . لانهُ نال شيًا افضل من ذلك وانفع . وذلك لانهُ تعالى وازرهُ بقوةٍ فايقة واينهُ بنعمته . فصار لهُ ذلك المنخس سببًا لان يسير في طريق الكمال باشدّ حرارةٍ وعزمٍ . فلا تدع اذًا يا سيدى انى اهمل صلاتي اذ تكون هي عندك جزيلة الثمن بهذا المقدار . نعم انها لحقيرة جدًا نظرًا اليَّ انا الخاطي . اما نظرًا الى وعدك واستحقاق موت ابنك فانها لمعتبرة واهلة للاجابة . ولهذا ارجو منك ان تستجيب لها دايمًا . وانك اذا ما مسكت عني ما اطلبهُ ان تمنحني ما كان واجبًا عليَّ طلبه *

الجزء الثالث

تامل ثالثًا ان العناية الالهية تستمع صلاتنا و تستجيب لها في الوقت الاكثر مناسبةً . وربما ان الله اراد ذلك بقولهِ : في الزمان المقبول استجبتُ لك : ومن ثمَّ نجد القديسين لمعرفتهم ذلك يطلبون مع المرتل ان الله يعينهم في زمان مناسب . ولهذا ايضًا اذا جان الوقت المناسب للاجابة ففي الحال يعطينا الله مطلوبنا اذا طلبنا كما يجب . لا سيما اذ نطلب غفران خطايانا . لانهُ نظرًا الى هذا الطلب فكل زمان هو زمان مناسب وحينيذٍ يتم ما قالهُ اشعيا النبي : حينيذٍ تدعو الرب فيستجيب تستغيث ويقول هنذا : ويكمل ايضًا ما قالهُ تعالى على فم هذا النبي : ويكون قبلما يدعون انا استجيب لهم وفيما هم يتكلمون فيهِ انا سامع *

اشعيا ٤٩ع٨

اشعيا ٥٨ع٩

٦٥ع٢٤

وقد يتفق احيانًا انهُ جلت رحمته مع انهُ يستجيب لنا لا يكمل الامر حالاً بل يبقيهِ الى وقت ما. وذلك لسبب انهُ في ذلك الحين يوجد اناس اخرون يطلبون منهُ ضد ما نطلبهُ نحن. هكذا اذ صلي دانيال النبي طالبًا من الله ان يخلص شعبهُ من الاسر قبل الله صلاته. الا انهُ لم يكشف لهُ ذلك الا بعد واحد وعشرين يومًا. لسبب ان ملاك فارس كان يطلب منهُ تعالى ان ياخر خلاص الشعب الاسرايلي الى زمان اخر. واحيانًا يتاخر الله في الاجابة لنا قصاصًا لخطايانا وعدم معروفنا وفتورنا في عبادته وقلة رغبتنا لنيل ما نطلبهُ في صلواتنا. ولهذا يصيرنا اوفر حرارةً واستعدادًا لاكتساب المواهب الالهية. وعلى هذا النحو يجعل الاله الرحوم تاديبه نعمةً لنا. فلتكن مباركًا ايها الاب المحبوب لا لانك تستجيب لي حالاً فقط بل لانك تاخر عليّ الاجابة ايضًا. لانهُ وان كنت تدعني احيانًا منتظرًا فلست تبطو عليّ. وان كنت لا تاتي اليّ في الوقت المرغوب مني فانك تاتي دايمًا في حين ضرورتي * ثم تعجب كيف ان الله يصيرنا ان ننتفع من من تاخيره الاجابة. علي انهُ بمقدار ما يتاخر عن الاجابة لنا بمقدار ذلك يغنينا بمواهبهِ ويمنحنا اكثر مما نطلبهُ و نرجوهُ منهُ. وقد اوضح لنا ذلك ابن الله الوحيد بمثال ذلك الذي اتى الى صديقهِ ليلاً وطلب منهُ ثلثة ارغفة. ولما راى انهُ لم يقم و يعطيه استمرّ قارعًا الباب. وعلي هذا النحو غلب صديقهُ بلجاجتهِ فقام وفتح لهُ الباب ومنحهُ ما كان يطلبهُ منهُ. والافضل ان اقول انهُ اعطاه لا الثلثة الارغفة المطلوبة منهُ فقط. بل اعطاه كلما كان يحتاج اليهِ. فعلي هذا المنوال يعامل الله الذين يلتجئون اليهِ باتكال صديق علي من هو اعز واجود اصدقايهِ. لانهُ في اية ساعة و وقت ياتون اليهِ يجدونهُ مستعدًا للاجابة. حيث انهُ لا ينام ولا ينعس. واذا اتفق احيانًا ان يجيبهم بصرامة ما كما صنع مع المراة الكنعانية. فيكون قصد تعالى بذلك ان يجرب ايمانهم ويمنحهم اخيرًا ما طلبوهُ وازيد منهُ كثيرًا *

الجزء الرابع

تامل رابعًا ان الجميع مطلقًا بغير استثنا يقدرون بواسطة الصلوة ان يصيروا

اهلاً لان تهتم فيهم العناية الالهية. لان السيد المسيح يخاطب الجميع بقوله: اسالوا تعطوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم لان كل من يسال يقبل الخ: فمن ذا لا يتعجب من جود الله وخيريته. علي انه ولو كان عدد الذين يلتجيون اليه لا يحصى ومرغوباتهم وضروراتهم مختلفة جداً. فانه مع ذلك يسمع طلبات الجميع كانهم واحد فقط. وليس انه تعالى لا يضجر ولا يغتاظ منهم فقط. بل انه يسمع طلباتهم بسرور وابتهاج ايضاً. وقد اشار الى ذلك بقوله اسالوا اطلبوا اقرعوا. فكانه يكرر قوله قايلاً ثلث مرات اطلبوا اطلبوا اطلبوا. لاني اشتهي جداً جداً ان احسن اليكم * فيا لعظم تفاقم جود الله وسخايه الغير المتناهي. لماذا يا الهي ترغب بهذا المقدار ان نطلب احسانك. العل هذا يجديك نفعاً. لماذا تحثنا هكذا بان نلتجي الى رحمتك. فها هوذا ملوك الارض يغتاظون ممن يطلب منهم شياً. وانت يا سيدي تغتاظ اذا لم نطلب منك خيراتك. اوليك لا يسمعون الا طلبات البعض من الاعزا. اما انت يا ملك الملوك فتسمع طلبات افقر واشقى من في العالم. وقد يتفق مرات كثيرة ان اوليك لا يريدون او لا يقدرون ان يعطوا ما يطلب منهم. اما انت يارب ففي كل وقت تريد وتقدر ان تمنحنا كل شي. لان جودك وقدرتك ليس لهما حد ولا تقدير. فليباركك اذاً الجميع اذ الجميع يقتبلون منك الخيرات والبركات *

اعتبر ثانياً ان سيدنا يسوع المخلص يريد منا ان نصلي بحرارة واشتهاء جزيل لنيل ما نطلبه منه. وهذا هو فحوى قوله العزيز اسالوا اطلبوا اقرعوا. فكانه يقول اسالوا باتكال اطلبوا برغبة وحرارة اقرعوا بمواظبة *

اعتبر ثالثاً انه ليس الصديقون فقط بل الخطاة ايضاً ينتفعون من اهتمام العناية الالهية. وانه تعالى يستجيب صلواتهم اذا طلبوا شياً جيداً وبنية حسنة. واذا طلبوا ذلك كما يجب وواظبوا علي طلبه ونزعوا كلما يمكن ان يصير صلاتهم باطلة لانه خلواً من ذلك لا ينالون شياً ويجوز ان يقال لهم: تطلبون ولا تنالون لانكم لا تطلبون جيداً: وايضاً: لستم تعرفون ما تطلبون: فيا الهي الذي احب ان يفعل ارادة خايفيه. اسالك ان تجعلني بنعمتك ان اكمل ارادتك علي الدوام لكي استحق ان تتمم ارادتي الصالحة تلك التي لا تضاد ارادتك. اما انت يا نفسي فاحذري من

متى ٧:٧
يعقوب ٤:٣
متى ٢٠:٢٢

ان يوجد في سيرتك ما يوجب اللوم لكي يزداد رجاوك بالله فيستجيب لصلواتك: من يسد اذنه عن صراخ المسكين فهو يصرخ ولا يسمع له: من يمل اذنيه لئلا يسمع الشريعة تُرذل صلاته: ❁

امثال ١٣:٢١ ٩:٢٨

اعتبر رابعاً باية عذوبة يسوقنا الله الى الصلوة. لانه لا يكفيه ان يحثنا عليها بهذا المقدار. بل يعلمنا ايضاً كيف ينبغي ان نمارسها وما الذي يجب ان نطلبه. وبالهامه يحركنا في طلبه ويوضح لنا الحجج التي بايرادها ننال مرغوباتنا. قال الرسول الالهي: نحن لا نعرف ان نطلب كما يجب لكن الروح القدس يطلب عنا بزفرات غير موصوفة: فالذي يصلي على هذا النحو له دليل ان الله يريد ان يستجيب له. علي انه تعالى لم يكن يحركنا الى طلب شيء ما لو لم يكن يريد ان يمنحناه

روميه ٨:٢٦

التامل الرابع والثلثون

❁ في ان الله بعنايته العجيبة يقيم مليكة لحفظنا وفي النفع الواصل لنا من ذلك ❁

الجزء الاول

تامل اولاً ان الله ارسل مليكته ليحفظونا ويرشدونا في طريق الخلاص وقد حثه على ذلك حجج كثيرة. فاعتبر اولاً ان الله رام ان يظهر بهذا جزيل حبه لنا ورغبته خلاصنا. حيث انه كما قال الرسول: اختار ارواحاً للخدمة يرسلهم لخدمة الذين هم عتيدون ان يرثوا الخلاص: وبالنتيجة فالخلايق جميعها لاهذه التي على الارض فقط. بل تلك التي في السما ايضاً التي تسمو هذه علواً وشرفاً وتفوقها فووقاً عظيماً جداً تهتم كلها في خدمة الانسان ومساعدته في حين ضرورته. ولهذا قال السيد المسيح: لا تحتقروا احداً من هولاء الصغار لان مليكتهم ينظرون في كل حين وجه ابي الذي في السموات: وقد اعنى بهذا ان الله يعتبرهم بهذا المقدار حتى انه اقام لحفظهم مليكته الماثلين امام منبر عزته والمتمتعين بمجده. فاشكرك ايها الاب السرمدي علي احسانك هذا العظيم. وارغب منك ان تصيرني ان اخدمك كما تخدمك مليكتك القديسين ❁

عبرانيه ١:١٤

متى ١٨:١٠

اعتبر ثانياً السبب الذي من اجله ارسل الله مليكته ليحفظونا. وهو علمه تعالى

بضعفنا والمخاطر الكثيرة المحيطة بنا. ولهذا قال المرتل: لا يقترب اليك شر وضربة لا تدنو من مسكنك: لانه اوصى ملايكته بك ليحفظوك في ساير طرقك: وعلى الايدي يرفعوك ليلا تعثر برجلك بحجر: وبهذا القول اوضح لنا النبي ثلثة انواع من الاحسان الجسيم * فالاحسان الاول هو ان الله اوصى لا ملاكا واحدا بل ملايكة كثيرين ان يهتموا بنا * الاحسان الثاني هو انه اوصاهم في انهم يحفظوننا في كل طرقنا وفي كل مكان وفي كل امر * الاحسان الثالث هو انه تعالى اوصاهم ان يحملونا على ايديهم ليلا نسقط وان يسهروا على حفظنا ويستروننا باجنحتهم وينقذوننا من كل خطر *

اعتبر ثالثا ان الله اذ راى الارواح الخبيثة المطروحة من السما انهم عتيدون ان يضطهدونا على الدوام. رام ان تاتي الملايكة الصالحون لمعونتنا ولمحاربة الشياطين عنا. فمن يحسن هذا الاعتبار لا شك في انه يحتقر الشياطين الذين ليس لهم علينا قدرة بازاء الملايكة الذين يحفظوننا. فلو ان الله ينعم عليك يا نفسي بان يفتح عينيك بغتة كما صنع مع خادم اليشع النبي. فكنت تنظرين كم هم اقل عددا وقوة الذين يحاربونك من الذين يحاربون عنك. ولقد كنت ترغبين المحاربة وترتجين الظفر. فامدحي اذا ربك الذي كقايد جيش سماوي يرسل لمعونتك جنوده ضد الاعدا المحيطين بك *

❁ الجزء الثاني ❁

تامل ثانيا ان العناية الالهية تهتم اهتماما عموميا في كل الناس وتحرسهم على نوع عجيب. وذلك لانها اولا تمنح ملايكة للمرذولين كما تمنح للمختارين وللخطاه كما للصديقين. وللوثنيين كما للمسيحيين. وذلك ليحرسوهم حتى للمسيح الدجال ايضا لانه سيكون له ملاك حارس. حيث ان الله الذي يريد ان الجميع يخلصون يعطي لكل واحد منهم هذا العون لاكتساب الخلاص. ومع ان ملاكا واحدا يكفي لحراسة اناس كثيرين ساكنين في مدينة او بلدة واحدة. فقد اراد الله ايضا ان يكون لكل انسان ملاك واحد خاص به يهتم فيه وحده بكل اهتمامه. ويرافقه في كل مكان ويرشده ويدبره في اموره الى اخر يوم من حياته. ولا يفارقه اصلا

ولا يهمله اهمالاً مطلقًا ولو مهما وجد متمردًا مخالفًا ارادته * فيا ايها الرب المتعالي كيف نشكرك علي هذا الاحسان الجسيم الذي به تقيم مليكتك واصدقايك الاحبا لارشاد اعدايك وحفظهم . انه بالاثم قد حبل بنا وجميعنا حصلنا ابناء الغضب . ومع هذا فقد جعلتنا عند ولودنا تحت تدبير هولاء الارواح الطوبانية لكي تصيرنا بواسطتهم آنية الرحمة الذين قد عددتهم للمجد: فياليتني استطيع ان اخدمك كما يخدمك هولاء الطوبانيين لكي احظى بسعادتهم . فمن فهم جيدًا هذه كلها لاريب في انه يحترم قريبه . لعلمه بانه لايوجد علي الارض انسان ولو مهما كان حقيرًا لم يكن له من قبل الله ملاك يرشده . ولهذا قال سيد الكل : احذروا لا تحتقروا احد هولاء الصغار: لانه ولو مهما يكون الانسان صغيرًا دنيًا فله ملاك يحفظه . فان كنا لانجسر ان نتومر علي انسان امام صديقه ولو كان هو غايبًا . ولا ان نفتري عليه بحضوره ان وجدنا احد المقتدرين محاميًا له . فكم بالحري يلزمنا ان نداري هكذا قريبنا اذ قد عرفنا ان اصغر الناس واحقرهم له واحد من اخص خدام الله يدبره ويحفظه . فيسمع ما يقال عنه ويرى مايفعل به من الافترا ويطلب من الله ان ينتقم له وينتظران يامره الديان العادل باخذ الانتقام . فهذه الاعتبارات تصيرنا ان نشكر الله ونحمده ونحب مليكتنا الحارسين ان يباركوه معنا *

الجزء الثالث

تامل ثالثًا ان المليكة يسهرون في حفظنا بفرح وسرور عظيم . غير ظانين بان هذه الوظيفة الدنية تشين او تنقص كرامتهم . وهذا الفرح يصدر من اسباب مختلفة يمكن كل واحد منا ان يخصها لذاته * فاعتبر اولاً ان سبب سرورهم هذا الاول والاخص هو ان الله هكذا يريد . وهذا وحده يصيرهم ان يباشروا بفرح احقر الوظايف . على انهم من حيث انهم يحبون الله من كل قوتهم فمن ثم لا يرغبون سوى تكميل اوامره . ويحتسبون الطاعة له في ايما امر كان كرامة عظمى . ولهذا كان الملاك روفايل احد السبعة الارواح الواقفين امام الله يخدم طوبيا الشاب في سفره بسرور وابتهاج كانه اقيم لتدبير مملكة عظيمة . لانه كان يتغاضي عن دناة

منزمور ١٠٢ع٢٠

هذه الوظيفة. وانما يفتكر في عظمة من كان امرهُ بذلك وعزته: فباركوا الرب ياجميع مليكته الذين تسمعون صوته فتصنعون اوامره بقوة شديدة: تضرعوا لاجلي لكي اقتدي بكم وامثالكم فاجعل كل سروري ومجدي في الطاعة لاوامر الله خالقي *

اعتبر ثانيًا ان السبب الثاني الذي من اجله تحرسنا المليكة بسرور وفرح جزيل هو محبتهم لنا. حيث انهم قد عرفوا ان الله يحبنا حقًا. ومن ثمَّ هو من المستحيل لا يحبونا. ولعلمهم بانهُ تعالى احبنا لهذا المقدار حتى انهُ تجسد لاجلنا. فهم حبًا لنا يريدون ان يكونوا في خدمتنا. ولهذا لما راى احدهم الرسول يوحنا الانجيلي قاصدًا ان يجثو امامهُ ساجدًا منعهُ عن ذلك قايلاً: انظر لا تفعل انا نظيرك في عبودية الله: فكانه يقول ان كوني عبدًا للرب يسوع معك احسبهُ شرفًا اعظم من كوني ملكًا. وهو اشرف لي ان اخدمهُ كعبد من اني اكون ربًا فتسجد لي. ولفرط حب المليكة لنا يحسنون لا الى الابرار فقط بل الى الخطاة ايضًا لكي يتوبوا ويخلصوا *

رويا ١٩ع١٠

اعتبر ثالثًا ان سبب حبهم الثالث لنا هو رغبتهم المضطرمة لان تمتلي الكراسي التي سقط منها المليكة الطالحون. ولهذا تجتهد المليكة الصالحون ليصيرونا اهلاً لان نجلس في اماكنهم. ومن ثمَّ اذا تاب واحد من الخطاة يصير فرح عظيم في السما. وبخلاف ذلك اذا سقط وهلك واحد من الابرار تبكي مليكة السلام. وقد يمكن ان نقول ايضًا ان تراخينا يحزنهم وحرارتنا في عبادة الله تسرهم وتبهجهم. ولزيادة ما يرغبون ان ننمو في الفضيلة يشتهون اننا اذا امكن الامر نتقدم عليهم في الاستحقاق والمجد. وليس انهم لا يحسدوننا على نمونا الروحي فقط بل يرغبون ان نسموهم فوقًا. فانظري يا نفسي ما اخلص محبتهم المجردة من كل طلب ذاتي. فاقتدي بها واحترسي من كل حسد. احزني على الابرار الذين يسقطون عن حال البر وافرحي للخطاة الذين يرجعون الى الله بالتوبة. وطوبي كل من تجديه اوفرمنك قداسة. تذكري ان لكِ ملاكًا يشتهي جدًا نموكِ في الفضيلة. فلا تفعلي ما يغيظهُ ولا تهملي شيًا مما يرضيه لكي تسري بذلك وتفرحي من يجعل سروره وفرحه في انكِ تنمين في الفضيلة والاستحقاق *

❁ الجزء الرابع ❁

تامل رابعًا كيف تسهر الملىكة القديسون في حفظنا و الفوايد التي نجتنيها من ذلك. فاعتبر اولاً من اين لهم هذه المحبة نحونا. فقد اوضح لنا ذلك السيد المسيح بقوله: ان مليكتهم ينظرون دايمًا وجه ابي الذى في السموات: فمشاهدتهم الله مواجهةً تصدر فيهم ثلث خواص التي بدونها لم يكونوا يستطيعوا ان يحفظونا جيدًا. وهي الحكمة والجودة و القدرة. فبالحكمة يعرفون احتياجاتنا. و حالما يعرفونها يضطرهم جودهم نحونا ومحبتهم لنا في مساعدتنا وحفظنا. و قدرتهم تقدرهم علي ذلك دايمًا. و اذا لم يكشف الله ارادته الالهية لهم سريعًا فحينيذٍ كل ملاك يعمل ما يراهُ افضل للشخص الذي اُقيم لحفظهِ و لو قاومهُ في ذلك ملاك اخر. كما يتضح ذلك في الملاك الحافظ الشعب العجمي حيث انه قاوم زمانًا مديدًا الملاك المقام لحفظ الشعب الاسرايلي. الاَّ انهم يتفقون سريعًا و يجدون ارادتهم حينما يكشف الله لهم ارادته. وهذه الحقيقة يلزمنا ان نعتقدها جيدًا ونتذكر قول ابن سيراخ: لا تقل قدام الملاك ان عناية الله ليس لها وجود ليلا يسخط الله علي اقوالك و يبيد جميع صنايع يديك: فكانهُ يقول اذكر ان ملاكًا ما يرقبك. فلا تقل انهُ لا ملاك ولا الله يهتم فيك. ليلا يعذبك العدل الالهي قصاصًا عن تجديفك ❁

ثم اعتبر ان الملىكة يسعفوننا كثيرًا في اكتساب الفضايل كافةً لا سيما في الرياضات المتجهة الى الاتحاد بالله كالتامل والصلوة النظرية. و يسبقوننا محثيننا علي ذلك كما قال المرتل. ويقفون عن يميننا في حين صلواتنا لتكون صلاتنا باتضاع ونشاط وسكينة. و من ثمَّ اذا شعرنا بميل الى الصلوة فلنتحقق حينيذٍ ان هذا من قبل الملاك الحارس لنا. و انهُ لمن الصواب و الواجب ان نسمع لهُ ونطيعهُ. ويجب ايضًا ان نقتدي بالمرتل الذي كان يحسب ذاته امام الملىكة حينما كان يصلي و يسجد لله و يرتل تسابيحه في هيكلهِ المقدس ❁

اعتبر اخيرًا ان الملىكة يهتمون اهتمامًا بليغًا في ان يدفعوا عنا كلما يمكن ان يصدنا عن اكتساب الخلاص. ولهذا يحاربون لاجلنا الارواح الخبيثة كما قيل

متي ١٨ ع ١٠

جامعه ٥ ع ٥

للرسول يوحنا الانجيلي . ويسترونا ويسندوننا في حين شك حربنا مع الابالسة ويقووننا في التجاريب . ثم انهم يحفظوننا ضد اعداء غير هولاء حيث ان النبي يقول : ان ملاك الرب يعسكر حول خايفي الله وينجيهم : اى ان الملاك المقام على حفظك يجمع عسكرًا من الميلكة يقفون حولك لينقذوك من اعدايك كما فعلوا مع اليشع النبي ضد الذين كانوا يطلبون قتله . فالميلكة اذًا لا يهتمون في حفظ نفوسنا فقط بل في حفظ اجسادنا ايضًا . ولو كان قصدهم الخاص بذلك هو خيرنا الروحي فيهتمون في حفظ حياتنا وعافيتنا وكرامتنا وارزاقنا . وفي ان لا يعوزنا شي مما يخص المعاش والكسوة وما يضاهي ذلك على حسب موجب دعوتنا . ومن جملة الاشيا التي يتقيدون فيها اكثر هي مساعدتهم ايانا في اختيار الدعوة التي قد عرفوا انها تناسبنا اكثر لاكتساب الخلاص باوفر سهولة حسب ترتيب العناية الالهية . ويعينوننا ايضًا في امراضنا واحزاننا واتعابنا ومخاطرنا . اي انهم اما انهم ينقذوننا منها بالكلية . اما يخففون الوجع اما انهم يعزوننا ويشجعوننا . اما انهم يقدمون لنا اناسًا يعينوننا ويعزوننا واخيرًا يشفعون فينا عند الله . واقول على الاطلاق انهم يباشرون بكمال الاهتمام وفرط المحبة كلما يخص وظيفتهم هذه ❊ ولنا في ذلك نموذج شريف في الكتاب المقدس حيث يذكر ما صنع الملاك روفايل من الاحسان نحو طوبيا الشاب . حيث انه خلصه من حوت مريع المنظر كاد ان يبتلعه وعلمه كيف كان ينبغي ان يمسكه وما هو الشي الذى كان مفيدًا له منه وامره بان يملحه لمعاشهما في الطريق وان يحفظ قلبه وكبده . وبهذا القلب المشوي علي النار اخرج شيطانًا نجسًا . وبكبد هذه السمكة الموضوع علي عيون طوبيا الشيخ فتح عينيه واشفاه من العمى . ولم يكفه ذلك لكن بحسن تدبيره حصل لهذا الشاب دينًا قديمًا قد كان اتى ليطلبه . ووجد له امراة جيدة صالحة واملاه من الخيرات . وقدم له نصايح مفيدة قبل زيجته وبعدها . ورده اخيرًا الى بيت ابيه غنيًا سعيدًا . فالذي عمله هذا الملاك مع طوبيا علي نوع منظور فهو يعمله مع غيره علي نوع خفي غير منظور . حتي ان كل واحد منا يسوغ له ان يخاطب ملاكه الحارس هكذا : ولو انني اجعل نفسي يسيرًا لك فلست اكون مستاهلًا لتدبيرك

مزمور ٣٣ ع ٧

طوبيا ٢ع٩

واحسانك : فها هوذا اسلم ذاتي لارشادك . فكمل في ما قد بدأته . دبر جسدي ونفسي الى ان توصلني الى بيت ابي السماوي حيث اتمتع معك بكل الخيرات الى ابد الابدين ❊

اعتبر الان ما انت ملتزم به من قبل المعروف نحو ملاكك الحارس . فيلزمك اولاً ان تذكره وتعتبره كرقيب لديك وكقاض عليك . فلا تفعل شيئاً جهراً او سراً مما يمكن ان يغتاظ منه . ثم يفيدك جداً ان تخاطبه كثيراً . علي انه من حيث انه اقيم معلماً لك ومدبراً ورفيقاً وصديقاً فمن الصواب ان تظهر له اتكالاً وحباً . فالتجئ اليه اوقاتاً كثيرة وخاطبه تارةً كانه معلمك الماهر الفقيه فيعلمك . وتارةً اساله كانه مشيرك الخبير فيريك ما يجب عليك فعله . وحيناً ادعوه كانه معضدك القوي فيسرع لمعونتك . ووقتاً التفت اليه كالتفات صديق الى صديقه فانه يعزيك في اتعابك واشكره احياناً علي احسانه اليك . واوقاتاً اخر افرح وابتهج من الخيرات التي يتمتع بها وبارك الله الذي اختاره للمجد الابدي . ثم لان ملاكك الحارس ينتقل احياناً الى السما (وحينئذ ولو انه يفارقك فلا يتغاضى عنك بل يراك ويهتم فيك دائماً) فاطلب منه الا يبطئ بل ان يرجع اليك سريعاً ❊

التامل الخامس والثلثون

❊ في العناية الالهية وتدبيرها العجيب الذي به خلص العالم بتجسد ابن الله ❊

الجزء الاول

تامل اولاً الواسطة المذهلة التي بها خلص الله العالم الذي كان اهلكه ادم بالخطية . فاعتبر اولاً ما يصنع الله الان مع الانسان وقابله مع الذي صنعه فيما تقدم مع ادم . فذلك لما خلقه الله منحه نعمته والبر الاصلي ووعد بان يمنح ذلك لذريته ان ثبت في الطاعة له تعالى . وقد كان هذا الثبات امراً سهلاً عليه . لانه حينئذ كان ناجياً من الثلثة الاسباب التي تصدنا الان عن الثبوت في الخير . وهي تمرد اللحم علي الروح وضعف الجسد الذي يثقل النفس ويميل بها الى الارض . واضطهادات الاشرار الذين يستجسون الاخيار ويفسدونهم . علي انه كما قال

القديس توما اللاهوتي لو يوجد حينئذ اناس اشرار لكان الله افرزهم حالاً من
بين الصالحين. نعم ان الله اذن للشيطان ان يدخل في الفردوس الارضي
ليجرب ادم. الا ان الظفر به اعني بالشيطان كان سهلاً على ادم. لانه بخزاة الله لم
يكن في طاقته ان يفسد الاخلاط ولا ان يحرك الشهوات ولا ان ينجس المخيلة
بتخيلات خطرة. بل انما كان يقدر ان يخدع الحواس الخارجة بواسطة اشيا
مبهجة. فالانسان اذاً انخدع وانغش برضى خاطره اي لانه غمض عينيه عن
النور الالهي. ولو كان الامر متعلقاً بالله وحده لقد كان ثبت ادم وجميع الناس ايضاً
ثبتوا معه في النعمة واستحقوا اكليل المجد الابدي. فبعد ان تكون تاملت
ذلك وشكرت الله عليه *

اعتبر ثانياً ان الله لما راى كل مقاصد عنايته قد بطلت بخطية ادم افتكر في
تدبير وسبيل اخر يرشد به البشر الى غايتهم القصوى. وعوضاً عن ان يعذبهم
بحسب استحقاقهم عزم على خلاصهم واخترع لهذا واسطة انفع واشرف جداً
من الاولى. ولعمري انه لم يكن الله سمح قط ان يخطي ادم لو لم يقدر تعالى ويريد
ان يستنتج من مثل هذا الشر العظيم خيرات كثيرة اعظم منه. واحدى هذه
الخيرات هي اظهار افراط جودة نحو اعدائه. ولذلك ولو ان ادم بعد خطيته
كان يستحق غضب الله وتعذيبه الابدي. فلم يقابله الله بحسب استحقاقه.
غير انه اعدمه البر الاصلي. ولم ينزع عنه السلطان المعطى له قبلاً على كل العالم
المنظور. فالشمس التي لم تكن اضت الا على الصديقين ابتدأت حينئذ ان
تضي على الاثمة الخاطئين. وهكذا ايضاً الندى السماوي الذي لم يكن قبلاً ينحدر
سوى على الابرار ابتدأ ينحدر على الاشرار. بل الله عينه ابتدأ بان يظهر جوده
وسخاه نحو اناس عديمين المعروف ليجتذبهم الى التوبة ويربح بكثرة احساناته
اناساً متمردين عليه * فمن جملة الوسايط التي وجدها لتخليص الانسان اختار
تلك التي لم يمكن لحكمته ان تخترع ولا لقدرته ان تتمم ولا لجوده ان يشتهي اعظم
واشرف منها. وهي انه اراد ان يولد من ذرية ادم انسان وتكون فيه الطبيعة
الالهية متحدة مع الطبيعة البشرية. فيكون قادراً على مصالحة البشر مع الله.

وعلي هذا النحو لم يكتف الباري تعالى بان يعالج دآنا المميت . بل احبّ ان يكون هولنا الدوا نفسه بواسطة تجسّد الالهي الذى به شرفنا بعد الخطيّة والمعصية شرفًا يفوق جدًّا على ذلك الشرف الذي كنا حاصلين عليه قبلًا في حال البر الاصلي . ومن ثمّ تصرخ الكنيسة في تراتيلها قايلة : ياالها من خطيّة سعيدة قد استحقت مثل هذا الخلص العظيم ❊

❁ الجزء الثاني ❁

تامل ثانيًا الموضوع المتقدم ذكره تاملًا مفصلًا . فاعتبر انهُ كما ان ادم الثاني الذي هو سيدنا يسوع المسيح يفوق ادم الاول في كل الكمالات فووقًا غير محدود . هكذا ايضًا الخيرات الواصلة لنا من قبل الثاني تفوق فوقًا لاقياس لهُ ولا تقدير كل الخيرات التي قد كان يمكن ان نكتسبها بواسطة الاول لوانهُ لم يخط . علي انهُ اولًا لمن المحقق انهُ لو لم يخط ادم لكانت اولاده كافةً ولدوا في حال النعمة . الّا انهُ لمن المحقق ايضًا ان الذين يولدون من المسيح ميلادًا روحيًا بواسطة المعمودية يقتبلون نعمةً اوفر من تلك ❊ ثانيًا لمن المحقق ايضًا ان الانسان في حال البر الاصلي كان ناجيًا من تمرد الشهوات الذي نشعر به الان . الّا اني اجاسر واقول ان هذا التمرد يعود لنا خيرًا . لان الانتصار الذى نحوزهُ علي الشهوات بواسطة نعمة المسيح يزيدنا استحقاقًا ومجدًا ❊ ثالثًا نسلم ايضًا ان بني ادم الاول كانوا عتيدين ان ينجوا من الموت ومن بقيّة البلايا التي ادركت ابناء ادم الثاني . الا انهُ لمن الموكد ايضًا ان المسيح باقتباله الموت وهذه الشدايد نزع عنها كل اهانة ومرارة . بل انهُ تعالى جعلها مادةً لممارسة اعظم الفضايل التي لم يكن مارسها الانسان في حال البر الاصلي . علي انهُ في هذه الحال ما كان يجد سببًا لممارسة الفقر والصبر والمحبّة للاعدا والخضوع لتدبير الله فيما يخص العافية والحيوة ولم يكن مات احد استشهادًا ❊ رابعًا لمن المحقق ان الانعام والاحسان التي يمنّ الله الان بها علينا تفوق كل البلايا التي تاتينا من قبل خطيّة ادم . علي ان الخطيّة كما قال الرسول : ليست هي كالعطيّة : ولم يمكن ان يضرنا ادم بمقدار ما نفعنا السيد المسيح . علي انهُ جلّ توددهُ يمحو فينا الخطيّة الاصليّة ويغفر لنا خطايا اخر عديدة

مفعولة منا اختياريًا. ويضاعف علينا فيض النعم الجزيل عددها والعظيم قدرها هذا المقدار. حتى انهُ كان للانسان في الفردوس الارضي سببًا وحجة" لان يشتهي الخيرات العظيمة التي نتمتع بها في العهد الجديد. ويجسد نا علي اسرارنا وذبايحنا التي منها كانهُ من ينابيع سماوية نقتبل بركات ابدية باستحقاقات مخلصنا الالهي. فاشكرك يايسوع على اهتمامك الابوي فينا. وعلى انك عوضًا عن البر الاصلي الذي خسرناهُ تفيض علينا انعامك في كل دقيقة. انى لاحب الحرب المتصل وانت معي افضل من الصلح والسلام بدونك. لانهُ بدونك ليس للصلح دوام ولا يومًا واحدًا. وحيثما تكون انت حاضرًا فالحرب الدايم يفيدنا صلحًا وسلامًا ثابتًا *

الجزء الثالث

تامل ثالثًا كيف ان سيدنا المخلص يحسن نحونا عنايتهِ وما تفعلهُ فينا هذه العناية الالهية. فقد اورد ذلك الرسول بقولهِ عنهُ اي عن سيدنا يسوع المسيح: انهُ صار لنا حكمة" من قبل الله وبرًا وطهارة" وفدا: فاعتبر اولًا انهُ تعالى هو حقًا حكمة لنا لانهُ ليس تدبير" افضل حكمة" من تدبيرهِ: وقد توجد فيهِ جميع ذخاير الحكمة والعلم: ولانهُ قد عرف ميلنا الباطن فيسعفنا بنعمتهِ لنتبع الميل الجيد وننتصر علي الميل الردي. وقصد الخلاص باهتمامهِ فينا هو ان نكون متصفين بالحكمة لا تلك التي هي عالمية ارضية بل تلك التي هي سماوية: ويعطيها لكل احد بوفور جزيل: ولهذا قال احد الانبيا انهُ اذا اتى المسيح: تمتلي الارض من معرفة الرب: وجميع بني الله يتعلمون من الرب: وانهُ سيعلمهم الحقايق الضرورية للخلاص. فيا ايها الحكمة الغير المخلوقة ينبوع كل حكمة ملكية وبشرية. الذي قد جعلت بازاينا حياتك وانجيلك ونموذجاتك واقوالك لتعلمنا. فاذ قد انعمت علينا بجميع هذه الانوار انعم ايضًا علينا بهذا الامر وهو ان نصل الى ما قصدتهُ فينا عنايتك الالهية *

اعتبر ثانيًا ان ابن الله هو عدل لنا وذلك لاسباب كثيرة. لانهُ اولًا يدبرنا بكل عدل. ولهذا دعاهُ النبي عادلًا يبغض كل ظلم. ومن" المستحيل ان تشوبهُ المحاباة. بل انهُ يعطي لكل احد ما يحق لهُ وقصد الخلاص هو ان يشركنا في العدل الحقيقي

كورنتيه ١ ١٤: ٣٠

كولوسايس ٢: ٣

اشعيا ١١: ٩ ٥٤: ١٣

بتبريرنا من كل خطية. وان يملانا من ذلك السلام الذى لم يزل مرافقًا العدل علي الدوام. وقد كان تنبا عن ذلك الملك و النبي داود قايلاً: يشرق في ايامه العدل وكثرة السلامة: وقال اشعيا النبي عن الذين يحفظون ناموس الله: انه يكون سلامهم مثل نهر وعدلهم كامواج البحر: فانا اعترف يا الهي ومخلصي انك عدلي وبري وانك لتبررني بنعمتك. وان هذه النعمة انما هي واصلة اليّ من استحقاقاتك التى بدونها لايقدر احد ان يربح اكليل العدل المستعد للصديقين فى ملكوتك. اي نعم يامخلصي انى اعترف مصدقًا انك بررتني باتعابك. وان جراحك هى التي تشفع فيّ عند ابيك السماوي ولاجلها واكرامًا لها يغفر لي خطاياي ويستجيب لصلواتي. ويفتح لي ابواب السما ومدخل الملك الابدى ❊

مزمور ٧٢ع٧ اشعيا ٤٨ع١٨

اعتبر ثالثًا ان سيدنا يسوع المسيح هو لنا طهارة وتقديسًا لانهُ هو قدوس القديسين وتدبيره مقدس ويمتلك كل كنوز القداسة. والذي لنا منها فمن امتلايه اتخذناه. علي انهُ تعالى لم يمنحنا البر الذى ينقينا من خطايانا فقط. بل انه يعطينا القداسة ايضًا التى تحوي كل الفضايل والمواهب الفايقة الطبيعة مع نعمة اخرى خصوصية لحفظها. فالى هذا الفضل اي الى تقديسنا يتجه كل اهتمامه فينا. وهذه هى غاية كل اوامره ومشوراته ونموذجاته. ومن ثمّ يقول للمومنين كافة: كونوا قديسين لاني انا قدوس: كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي كاملٌ هو: فاذ كنت لي تقديسًا يايسوع الصالح قدسني بالحق كما انك قدست ذاتك لاجلي بتقدمة نفسك للموت ❊

بطرس ١ ١ع١٦ متي ٥ع٤٨

اعتبر رابعًا ان المسيح هو فداونا لانهُ حقًا نجانا من اسر الشيطان ومنحنا حرية الروح الحقيقية. ولم يقصد مخلصنا سوى انهُ ينجينا من شقاينا ويصيرنا ورثة حقيقيين لملكه السماوى. فاشكرك ياسيدي الجزيل حنوه لانك خلصت نفسي من نار جهنم وروحي من تسلط اللحم. وجسدى من شقا هذا العالم. ووعدتني بانك تنقذهُ من فساد الموت الى الابد ❊

التامل السادس والثلثون

❋ في العناية الالهية نظرا الى تاسيس الكنيسة ووسايط خلاصنا ❋

امثال ٩: ١ـ٥

ان موضوع هذا التامل نتخذه من قول الحكيم: الحكمة ابتنت لها بيتاً ونحتت سبع اعمدة. وذبحت ضحاياها ومزجت خمراً وسومت مايدتها. ارسلت جواريها ينادين الى البرج والى سور المدينة من كان صغيراً فليجيني وقالت للجهال هلموا كلوا خبزي واشربوا الخمر التي مزجتها: ❋

❁ الجزء الاول ❁

تامل اولاً ان الله بحكمته الغير المتناهية ابتنى في وسط العالم بيتاً الذى هو كنيسته المقدسة حيث وضع كلما يحتاجه العتيدون ان يسكنوا فيها. وقصد تعالى في عمله اي في المومنين كافة" هو انهم ينجون من اعظم الشرور التي في العالم وهى الخطية والهلاك الابدي. وانهم يكتسبون اعظم الخيرات وهى النعمة والمجد السرمدى. فلكي تفهم جيداً عظمة هذا الاحسان تامل الغاية التي من اجلها بنى الله كنيسته. فاعلم ان السيد المسيح لم يقصد في ذلك سوى مجد ابيه ومجده الذاتي. فرام ان يكون له مسكناً على الارض يتنعم فيه بالتردد مع بني البشر ليعلمهم طريق السما. والحال انه تعالى لم يكن يستطيع ان يقصد شياً اعظم من ذلك. لان عنايته ظهرت على نوع عجيب في اختراع وسايط جليلة موصلة الى هذا المقصود. على انه ان كان الله يهتم جداً فيما يخص جسد الانسان وحياته الطبيعية. فكم بالحري يهتم في خلاص نفسه وحياته الفايقة الطبيعة. وان كان تعالى يتعاطى وسايط عجيبة في حفظ هذا الجسد البايد القايم اليوم والعتيد ان يطرح غداً في القبر. فماذا تكون تلك التي يستعملها في حفظ النفس التي لا تموت. انه ليجوز لنا ان نقول عن ذلك شياً وهو انه بمقدار ما يعلو الروح شرفاً على اللحم وبمقدار ما يفوق الشي الابدى على الشي الفاني المنتهي بمقدار ذلك يفضل الله الانسان الباطن على الانسان الخارج. وحيوة ذاك على حيوة هذا. قال الرسول الالهى هل ان الله يهتم في البقر اهتماماً خصوصياً. ومع ذلك فانه تبارك اسمه وضع

لاجلهم شريعةً يامرها بان لا تكمم فم البقر الذى يدرس. ويريد الرسول بذلك
ان الله لا يهتم في البقر الا لاجل البشر. فعلى موجب هذا القياس اقول ان كان الله
يستعمل وسايط جزيلة العدد والشرف فى حفظ الجسد العتيد ان يرجع سريعاً
الى التراب. فكم بالحرى انه يفعل ذلك لاجل النفس العتيدة ان تفارق الجسد
لكى تصعد الى السما. ولهذا قال الحكيم ان الحكمة الازلية تحب البشر بهذا المقدار
حتى انها تلقاهم وتسعفهم بعناية كلية. وقد يجب علينا ان نشكر الله على ذلك
معترفين اننا لا نستحق هذا الاحسان قايلين ما قاله طوبيا للملاك: ان كنت
اجعل نفسي في غلمانك فلا اكون مستاهلاً لتدبيرك واحسانك الذى صنعت
معى: ربي والهي اريد ان اكون في خدمتك كاسير لانك تحبني نظير ما يحب الاب
ابنه *

طوبيا ٩-٢

الجزء الثاني

تامل ثانياً الوسايط المقدمة لنا في الكنيسة لاجل خلاصنا. فهذه الوسايط هي
سبعة كاعمدة لهيكلة متينة تسند وتدعم بيت الله * فالواسطة الاولى هى موهبة
الايمان الذى به نعرف الله والذى ارسله ليكون لنا وسيطاً ومخلصاً. اعني به
سيدنا يسوع المسيح ابنه الوحيد الذى بمعرفته نكتسب حيوة الابد. على انه لمن
المحال كما قال رسول الامم ان نرضي الله دون الايمان ونربح الخلاص باسم اخر
غير اسم يسوع المسيح * الواسطة الثانية هى الناموس الانجيلي الطاهر. الذى
يامرنا بكلما يجب علينا فعله لكى نربح الملكوت. ويشير علينا بكلما يبلغنا اليه باوفر
سهولة واعظم كمال * الواسطة الثالثة هى التقوى التى بها نقدم لله ذبايح مقترنة
بطقوس مقدسة ذات هيبة جزيلة. وبها تختلف الكنيسة الجديدة عن القديمة
اختلافاً عظيماً. على ان الكنيسة القديمة كان لها ذبايح كثيرة في هيكل واحد.
اما الكنيسة الجديدة فلها في هياكل كثيرة ذبيحة واحدة تتكرر كل يوم مرات
عديدة وهي افضل جداً بما لا يحد من كل ذبايح العهد القديم. من حيث ان ذبيحتنا
هى جسد ابن الله ودمه تحت اعراض الخبز والخمر * الواسطة الرابعة تتضمن
السبعة الاسرار الكنايسية التى رسمها سيدنا يسوع المسيح لمغفرة خطايانا ولتقوية
ضعفنا. واعظمها هو سر القربان المقدس. وهذه الاسرار هى السبعة الاعمدة

المنظورة التي بُنيت عليها الكنيسة * الواسطة الخامسة تحوى الفضايل السبع الخصوصيّة أعني بها الايمان والرجا والمحبّة والفطنة والعدل والشجاعة والقناعة. مع سبع مواهب الروح القدس التي يجوز لنا ان نسميها الاعمدة الغير المنظورة التي تزين هذا البيت الروحي المقدس. حيث يمارس الساكنون فيهِ افعالاً صالحة لتمجيد الله ولخدمة القريب او لفايدتهم الخصوصيّة * الواسطة السادسة تتضمن المواعيد التي بها وعد الله الابرار الساكنين في بيتهِ انهُ سيمنحهم حيوة الابد مع خيرات اخر عظيمة في هذه الدنيا وفي الاخرى. ثم وعيد تعالى للاشرار العايشين خارج بيته والذين يسكنون فيهِ ويعيشون عيشة رديّة بانهُ سيطرحهم في النار الخالدة ويعذبهم بعذابات اخر مريعة في هذا العالم وفي العتيد ايضًا * الواسطة السابعة هي الكتاب المقدس الذى يعلمنا كل الاشيا التي ذكرناها. ويشبه مايدة نجد فيها على الدوام كلما نحتاج اليهِ حياتنا الروحيّة. وحقايق هذا الكتاب الالهي كما قال الرسول تقوينا وتعزينا وتشجعنا فيما بين اتعاب هذه الحيوة الى ان نصل الى الحيوة السعيدة الابدية التي وُعدنا بها * فافحص عن هذه كلها فحصًا جيدًا بتأني. وليفرح قلبك من انك ساكن في بيت الله. واشكرهُ على هذا الاحسان العظيم قايلاً. لتسبحك مليكتك يارب على جميع هذه الوسايط التي بها استطيع ان اربح السما. ولكن اذ قد انعمتَ عليَّ بالسكني في بيتك فاشركني بالخيرات التي تتمتع بها خاصتك فاستمر في طاعتك الى المنتهى وانال الحظوة بملكك الابدى *

الجزء الثالث

تامل ثالثًا ان الكنيسة المقدسة المسماة من الرسول: بيت الله الحي: هي الكنيسة الوحيدة التي فيها يمكن الانسان ان ينال الخلاص. وان كل الذين يكونون خارجًا عنها يهلكون لا محالةَ. على انهُ كما انهُ في زمان الطوفان لم تكن سوى سفينة واحدة خلص بها من الغرق كل الذين دخلوا فيها. واما الذين كانوا خارجًا عنها هلكوا جميعهم. هكذا ليس لنا سوى كنيسة واحدة وايمان واحد وديانة واحدة وناموس واحد. واقول على الاطلاق ان وسايط الخلاص هي شي واحد للكل كما ان

للكل الهاً واحداً وخالقاً واحداً ومخلصاً واحداً وغاية قصوى واحدة . وقد ينتج من ذلك انهُ كما ان الراس هو واحد هكذا لا يمكن ان يكون جسد الكنيسة السري اعني بهِ مجمع المومنين الكاتوليكيين الّا واحداً . ولعمري ان هذا الاعتبار من شانهِ ان يصيرنا جزيلي المعروف نحو الله الذي فتح لنا باب هذا التابوت السري . ولم ينعم بهذا الاحسان علي اناس لاعدد لهم من الامم الذين يموتون في ظلمة الضلال . وايضاً لم ينعم بهِ علي اطفال كثيرين من المسيحيين الذين يموتون قبل ان يقتبلوا سر العماد المقدس . فقد ميزنا الله وافرزنا من اوليك الاشقيا ولكن ليس لنا ان نفتخر بذلك ولا ان نقول اننا وجدنا اكثر منهم استحقاقاً او اقل اثماً . وقد رام سبحانهُ ان نقتبل سر العماد المقدس قبل ان نعرف قوة هذا السر . وبرحمة عظيمة صيرنا ابناً لهُ بالذخيرة قبل ان نعلم ان ندعوهُ ابا * فيا ايها الاب المحبوب كيف اشكرك علي هذا الاحسان الذى بهِ طهرتني من خطيتي وقدستني بنعمتك قبل اني استطيع ان اختار الخير وارذل الشر . ولم يكن بعدُ انفك لساني حينما مددت انت يدك الضابطة الكل فنجيتني من كل قوة دمشق اي من تسلط الشيطان . فاسالك يا الهي ان تحفظني فى حضن كنيستك المحاربة كى اظفر باعداي فاملك معك في كنيستك المنتصرة الى ابد الابدين امين *

التامل السابع والثلثون

* فى دعوة الله ايانا الى نعمة التقديس فى الكنيسة الحقيقية *

ان لنا في هذا الاحسان ستة اشيا يجب علينا ان نعتبرها . وهى ماهية هذا الاحسان والخيرات الواصلة الينا من قبلهِ . وكيف يكمل فينا فعلهُ ومن هم الذين يقتبلونهُ ومقدار دوامهِ . وكثرة الحجج التي تلزمنا بان نستفيد منهُ *

الجزء الاول

تامل اولاً ان الدعوة كما قال المجمع التريدنتيني المقدس هى الهامٌ سماوي ونورٌ ما يسبق بهِ الروح القدس فينبه الخاطى ويحثهُ ويدعهُ للتوبة ولنيل نعمة التقديس قبل ان يستطيع ان يستحق ذلك . فالخاطى اذاً لا يقدر بقوتهِ الذاتية ان يخرج

من خطيته. ولا ان يدخل في الكنيسة اي في مجمع المومنين حسب قول السيد المسيح: لايستطيع احد ان ياتي الي اذ لم يجتذبه ابي: لانه كما ان لعازر بعد نزوله في القبر قد كان مكث هناك دايما لو لم يدعه يسوع صارخا بصوت عال قايلاً: لعازر اخرج خارجا: هكذا كل من مات للنعمة بالخطية فانه قد كان يستمر دايما على هذه الحال ان لم ينبهه الله بصوته ويلزمه بالخروج من هذه الحال الشقية * فانتج من ذلك ان الهام الله ودعوته هي الالة العامة التي يستعملها الروح القدس في كلما يخص تقديسنا. فبهذه الواسطة نقتبل اولاً موهبة الايمان الذي بدونه لانستطيع ان نرضي الله * ثانيا نكتسب بهذه الواسطة الرجا الذي هو باب الخلاص * ثالثا ننال روح مخافة الله الذي يصيرنا ان نبغض الشر * رابعا نربح فضيلة التوبة التي تجعلنا ان نندم متوجعين علي خطايانا * خامسا نكسب المحبة التي تنفي فينا ما يكون دنسا. واخيرا نقبل النعمة التي تكمل فينا هذا التطهير وهذه النعمة هي نعمة محضة لايمكن ان تخصها لاستحقاقاتنا. لان الله كما قال الرسول الالهي: دعانا بدعوته المقدسة لا بحسب اعمالنا بل بحسب عزمه والنعمة التي وهبت لنا بيسوع المسيح: فيا الهي الاله الازلي السرمدي ليكن جودك مباركاً وممجداً الى الابد. لانك انعمت علي بنعمة تجتذب الي عطايا اخر جليلة كاملة. فلو لم تدعني لكنت انا حاصلاً بعد فيما بين الاموات. ولو لم تسبقني بالهامك الالهي خلواً من اني استحق ذلك لكان ادركني منذ ازمنة انتقامك العدل. فاذ قد ارتضيت ان تدعوني برحمتك فاسالك بحق هذه الرحمة ان تقويني بنعمتك لهذا المقدار حتي اسعى مع نعمتك واتمم ما تلزمني به دعوتك الالهية *

يوحنا ٦: ٤٤

١١: ٤٣

تيموتاوس ٢: ١: ٩

الجزء الثاني

تامل ثانيا الوسايط المختلفة التي بها يدعونا الله الى خدمته. فيجتذب البعض بواسطة الواعظين وبالذين يقبلون الاعتراف وبمعاشرة اناس روحيين. وبعضاً بقراة الكتب المفيدة وبالنموذجات الصالحة. ويدعو بعضاً بواسطة الشدة والتعذيب. وبعضاً يدعوهم بالتعزيات والاحسان. ويدعو كثيرين بالوسايط العامة. فيدع الاشيا جارية حسب جريها الطبيعي. ويجعل منها يصير من الخير

والشر مفيدًا لتوبتهم وخلاصهم . وقد يدعو بعضًا بوسايط خارجة عن العادة حتي بالعجايب ايضًا . وذلك لكي يعلمنا انهُ يقدر بجودتهِ وقدرتهِ ان يظفر بالقلوب الاشد صلابة والاعظم قساوةً . علي انهُ جلَّ ثناؤهُ يحب البشر بمحبةٍ غير متناهية وجودهِ يحرك قدرتهِ الى اجتذابهم اليهِ بوسايط مذهلة ❋

فعلى المتامل ان يعتبر الوسايط الكثيرة التي بها يدعوهُ الله ويجتذبهُ الى التوبة . حيث انهُ تعالى تارةً يسيج طريقنا بشوك وذلك اذا رآنا هاربين منهُ . وعلي هذا النحو يلزمنا بالرجوع الى الورا . وتارةً يجتذبنا بواسطة الملاطفة والعذوبة وبكثرة الحسنات . وتارةً يضربنا بغتةً ويلزمنا بالالتجا الى رحمتهِ . وتارةً يضع بازاء اعيننا صورة الموت والدينونة والجحيم والفردوس ويستخدم هذه الاعتبارات لينتصر علي قلوبنا . فان كنا لا نقبلهُ في قلوبنا او نطردهُ بعد قبولنا اياه فلا يزال مجتهدًا في ان يدخل ثانيةً . بل يقرع باب قلبنا دايمًا ويستدعينا ليلاً ونهارًا الى ان نجيبهُ ونقبلهُ ❋

اعتبر لان انهُ من جملة الناس كافةً لا يوجد احد على الارض غير مشترك بنعمة الدعوة الالهية . على ان جميع الوثنيين والامم تهتم فيهم عناية الله . لان ابن الله هو شمس العدل الذي قد اشرق نورهُ علي العالم كلهِ واشهر تعليمهُ في المسكونة قاطبةً . وقد بني كنيستهُ ورسم الاسرار لاجل خلاص الجميع . فلا شك في انهُ يدعو الجميع الي معرفة الحق . فيستخدم تارةً النور الطبيعي لكي يبغضوا الشر ويحبوا الفضيلة وتارةً يضيهم بنور خصوصي : لانهُ هو النور الحقيقي الذي يضي لكل انسان آتٍ الى العالم : وبنورهِ يعدهم لقبول النعمة . ولان الاكثرين لا يعرفون هذا الاحسان فنحن الذين عرفناهُ يجب علينا ان نشكر عنهم المحسن العام قايلين . ايها الحكمة الازلية التي تدعو في الشوارع والازقة كل العابرين الى وليمتها . اشكرك يارب علي هذا الاحسان الجزيل واعترف انك لكي تجتذبهم اليك تقدم لهم براهين وحججًا واضحة مقنعة بهذا المقدار . حتى انهُ يمكنهم ان يفهموها بسهولة ويستطيعون بها ان يقبلوا دعوتك . فياليتهم يطيعونك فيكونون كلهم في كنيستك ويستحقون ان يحيوا معك في ملكوتك ❋

يوحنا ١ : ٩

اعتبر اخيرًا ان العناية الالهية لا تبرح تدعو الناس ما داموا علي الارض. وانها تقدم لهم كل الوسائط الضرورية لاكتساب الخلاص. لان الله هو رب البيت الذي يدعو الفعلة باكرًا اي من ابتدا حياتهم. ولكن لانهم يابون عن ان ياتوا اليه فيعود ثانيًا ويستدعيهم جديدًا عند الظهر والعصر. اي في سن الرجولية والشيخوخة. فان قسوا ايضًا قلوبهم فياتيهم في اخر النهار ايضًا اي عند اقتراب الموت. وفي اي وقت ياتون اليه تعالى يقبلهم. فاذًا وان كان الله لا يعطى انعامًا خصوصية لبعض اناسٍ من الخطاة قاسين القلوب ومن ثمّ يتبين انه تعالى اهملهم. الّا انهُ لا يمسك عنهم الانعام الكافية الضرورية للتوبة وللخلاص *

فالملخص من ذلك هو انهُ لا يجوز لنا ان نياس قط من توبة الخاطى ولو مهما كان اثيمًا. على اننا نحن الخطاة كافةً يهتم الله فينا بعنايته ويحملنا في حضنه. فعسى ان الخاطى الذي هو اليوم قاسي القلب يتوب غدًا ويقبل الدعوة كما صار في اللص الذي انتقل من الصليب الى الفردوس. ولنحذر من ان يصيرنا هذا متراخين في امر خلاصنا. لانهُ ان كنا لا ننزع عنا موانع النعمة نحصل على خطر عظيم من ان نخيب املنا. فان خاب املنا فلا يخيب امل الله لانهُ تبارك وتعالى يستخدم كل شيءٍ لمجده. وذلك اما بتبريرنا اذا اطعناه واما بتعذيبنا اذا قاومناه * فيا ايها الرب المتعالي ان عنايتك لها يدان يد الرحمة وبها تكثر البركات والخيرات على الذين يخضعون لارادتك. ويدُ العدل وبها تعذب الذين يخالفونك. فاسالك يا الهي ان تسند راسي بشمالك التي هي يد عدلك وتعتنقني بيمينك التي هي يد رحمتك. ثبتني بالخوف من عقوباتك ليلا اتجاسر علي مقاومة اوامرك. قوني بالرجا بك لاستمر خاضعًا لارادتك كل ايام حياتي *

الجزء الثالث

انهُ مما قلناهُ يمكنك ان تعلم الحجج التي تلزمنا بالاصغا لصوت الله متى ما يحثنا. اما على الخروج من حال الخطية. اما على التقدم الى ما قدام اعني الى الارتقا في الكمال. فهذه الحجج هي ستة الاولى هي جلال عظمة المولى الذي يدعونا الى خدمته. لا كانهُ يحتاج الينا بل لاننا محتاجون اليه. ولسبب انهُ جوادٌ بجودٍ غير متناهٍ

يرغب ان يحسن الى عبيك . حقًا اننا لملتزمون من كل جهة بالطاعة له تعالى في كل امر . قل لي اليس هو من الواجب ان الخليقة تخضع لخالقها والعبد لسيك والابن لأبيه . والمريض لطبيبه والتلميذ لمعلمه والاسير لفاديه *

الحجة الثانية هي دناة الانسان وحقارته . الذي مع انه يستحق ان يعذبه الله ويبعده ويرذله . فانه تبارك وتعالى يرتضي بان يشرفه بخدمته *

الحجة الثالثة هي تفاقم الشقا الواصل الينا من الخطية . الذي كان من المستحيل ان ننجو منه لو لم يخلصنا الله برحمته . علي ان شقا الخطية وشرها لاعظم من كافة نيران الجحيم وعذاباته . حتي انه لو يمكن لانسان بار ان يتعذب بجميع عقوبات الهالكين ولانسان خاطي ان يكون ناجيًا من كل عذاب لقد كان هذا حاصلاً على حال اشقي وارثي من حال ذاك . ومن ثم كان يقول القديس انسلموس لو اني رايت من جهة خطية مامية ومن جهة اخرى جهنم خالية من الخطية والتزمت باختيار واحد من الاثنين . لكنت اختار حالاً السقوط في جهنم ولا ارضى قط بالسقوط في الخطية . وعلي حسب هذا المعنى قال لعازر المقابي المعظم : اني اختار اكثر ان اطرد الى الجحيم : وانا بري من الخطية من اني اكتسب حيوة مدينة بالاثم . وقد ثبت هذا الحكيم بقوله : الموت بالخطية موت سو والجحيم انفع منه *

مقابين ٢ ٦:٢٣

سيراخ ٢٨:٢٥

الحجة الرابعة هي عظمة شرف الخيرات المعدة للمدعوين من الله . لانه يريد ان يهبهم حيوة النعمة والفضايل الفايقة الطبيعة والسلام الفايق كل معرفة . وجميع مواهب الروح القدس وتعزياته والروح القدس نفسه الذي منه تصدر هذه العطايا كلها ويمنحهم ايضًا عربون الحيوة والسعادة الابدية *

الحجة الخامسة هي كيفية دعوته تعالى ايانا . لانه يدعونا بعذوبة ومحبة ويحركنا خارجًا وباطنًا الى ان ينتصر على قساوتنا فنصغى اليه ونطيعه كانه بهذا يقصد خيره لا خيرنا *

الحجة السادسة هي شدة العذابات التي تدرك من لا يصغى لدعوته تعالى . علي ان من لا يطيعه ويتبعه فلا جرم في انه يهلك الى الابد . وحظه يكون حظ اوليك المدعوين الى الوليمة وابوا ان ياتوا فحكم عليهم بانهم لا يذوقون له عشاء الى الابد *

التامل الثامن والثلثون

* في العناية الالهية نظرًا الى السبعة الاسرار الالهية المرسومة لتبرير الانسان وخلاصه *

اعلم ان زخريا النبي راى يومًا هذه العناية الالهيّة بشكل منارة من ذهب وهذه كانت رمزًا عن الكنيسة الكاثوليكيّة. وراى علي راسها مصباحًا عظيمًا وذلك عبارة عن السيد المخلص راس الكنيسة. وحوله سبعة سرج اصغر من المصباح وهذه كانت رمزًا عن المومنين المقيمين في الكنيسة. ولقيام هذه السرج كانت سبعة مساكب من ذهب ممتلية زيتًا ثمينًا. وبها يشار الى سبعة اسرار الكنيسة. علي انها تحتوي علي زيت النعمة لشفا ضعفنا وجراحاتنا الروحيّة او لتقويتنا ونموّنا في الفضايل. وبهذه تحصل مستنيرين ملتهبين كسرج متقدة التي تنير وتضي امام الرب في وسط الكنيسة. لأن هذه كلها قد اتخذناها من سيدنا يسوع المسيح الاله والانسان. حيث انهُ من جراحاته كانهُ من ينابيع حيّة يجري زيت النعمة المفاضة في الاسرار المقدسة. ولهذا السبب كانت السبعة السرج متعلقة بالمصباح الكبير ومنهُ كان يجري الزيت اليها. فلنفحصنّ عن ذلك بالتفصيل *

الجزء الاول

تامل اولًا السبب الذي من اجله رام الله ان تكون في الكنيسة سبعة اسرار. وهذا تعرفهُ بسهولة اذا فحصتَ عن غاية كل سر من هذه الاسرار * فاعتبر اولًا ان سر المعمودية يشبه اناءً مملوًا زيتًا سماويًا يشفي البشر من الداء والجراح الذي اعتراهم من قبل الخطية الاصليّة. فيولدون بهِ ثانيًا للنعمة ويتخذون حيوة جديدة بالمسيح. ولهذا جرت العادة المقدسة ان يُدهن المومن بزيت مقدس في الاعتماد. ليعلم من ذلك انهُ ينبغي ان يقتدي بابن الله المسيح الحقيقي مسيح الرب * اعتبر ثانيًا ان سر التثبيت يقوّي جنود السيد المسيح الجديدين ويوطدهم في الايمان والنعمة بواسطة دهنهم بالزيت والبلسم. دليلًا علي انهُ يلزمهم ان يحاربوا اعداء الله واعداء ناموسه. وان يكونوا في العالم رايحة طيبة بفضايلهم * اعتبر ثالثًا ان سر القربان المقدس هو دواءٌ شافٍ لفساد الحب الذاتي الذي يتلف ويبيد

حيوة الروح . كيف لا وقد يحتوي هذا السر الطبيب مع الدوا . اعني سيدنا يسوع المسيح الذى مسحنا بزيت البهجة والعبادة ليحفظ بذلك فينا الحيوة التي وهبها لنا دواسطة النعمة *

اعتبر رابعًا ان سر التوبة يشفينا مما ادركنا من الامراض والجراحات من قبل الخطايا المفعولة منا . ويجدد فينا حيوة النعمة التى عدمناها بهذه الخطايا . وقد يجوز لنا ان نشبّه خلام البيعة بالسامري الحنون الذي سكب خمرًا وزيتًا على جراحات ذلك المريض فاشفاهُ *

إعتبر خامسًا ان سر مسحة المرضى هو حقًا اناء مملوّ زيتًا خلاصيًا . تدهن به المرضى لتنظيفهم من جميع عيوبهم الروحية ولتقويتهم ضد الضعف البشري ولحصولهم على الشجاعة في الحرب الاخير ضد الشياطين . لينتصروا عليهم فيدخلوا الملكوت السماوى ظافرين *

اعتبر سادسًا ان سر الكهنوت بواسطة الدهن المقدس يصير الكهنة قابلين لان يحفظوا الاتحاد والصلح في جماعة المومنين . ويمنحهم ايضًا انعامًا خصوصية لكى يقدموا جيدًا ذبيحة جسد سيدنا يسوع المسيح ودمه وفاء عن خطايا الاحيا والاموات . ولينالوا الاسرار المقدسة كما يجب ويمنحوا المومنين ادوية اخر روحية *

اعتبر سابعًا ان سر الزيجة قد ارتسم من اجل الضعفا من المومنين الغير الكاملين . ومن شانه ان يخمد حرارة الشهوة . وبه يتحد المتزوجون بمحبة جديدة ناجية من خطر الخطية ويقيمون بنين . للكنيسة المحاربة ومختارين للكنيسة المنتصرة *

❁ الجزء الثاني ❁

تامل ثانيًا قوة اسرارنا التي ليست هي كاسرار العهد القديم طقوسًا بسيطة وعناصر ضعيفة خاوية كما قال الرسول . بل انها تتضمن دهنًا سماويًا وتمنح النعمة للذين يتناولونها جيدًا . حيث انهُ حالما يتلا هذا القول : انا اعمدك بسم الاب والابن والروح القدس : تحصل حالاً نفس المعتمد بقوة السر برية من الخطية الاصلية ومن كل خطية اخرى . وحينما ينطق الكاهن بالفاظ الحل يستحيل المعترف حالاً من انسان خاطٍ الى انسان صديق الله وخليله . ثم ان اسرارنا لها خاصة

اخرى وهي انها تحوّل الندامة الغير الكاملة الى ندامة كاملة. اعني بذلك ان المومن اذا اعترف بندامة غير كاملة تلك التي خارجًا عن الاعتراف لا تكفي لنيل الغفران. فبالاعتراف وبقوة هذا السر ينال النعمة كالذين يعترفون بندامة كاملة. وهكذا من يتناول القربان المقدس بمجرد الندامة الغير الكاملة ظانًا بسلاجة جيدة انهُ حاصل على حال النعمة. فانهُ عند تناوله جسد الرب يقتبل غفران خطاياه. واقول علي الاطلاق ان كل اسرار الكنيسة تصدر فينا ذاتيًا النعمة. ومن ثمَّ ما عدا النعمة التي يقتبلها كل صديق بحسن استعداده فانهُ يقتبل نعمةً اخرى بقوة السر. وهذا قد ارتضى بهِ الله الرحوم واحبَّ ان يكون هكذا. اولًا لتسهيل اصطلاحنا معهُ تعالى حيث انهُ لهذا يغني عما يعوزنا. وذلك لان كثيرين لم يكونوا ينالون الغفران لو يطلب الله منهم دائمًا ندامة كاملة. ثانيًا اراد تعالى ان يكون هكذا لكي يفيض علينا باغزر نوع كنوز نعمته ومجده. ولكي يمنحنا مجانًا ما لا يمكننا ان نستحقهُ اصلًا. فانتج من ذلك عظم سعادتنا نحن الذين خُلقنا في ناموس النعمة. وكم تفيدنا ممارسة سر الاعتراف وتناول سر القربان المقدس بتكاثر ✲

الجزء الثالث

تامل ثالثًا ان العناية الالهية تقدم لكل كل الاسرار ليستعملها على حسبما يكون ذلك مفيدًا لهُ او ضروريًا لاكتساب الخلاص او الكمال. فاعتبر اولًا ان الله قد اوصى جميع البشر باقتبال سر المعمودية وامر جميع المومنين الحاصلين في حال الخطية المميتة بالالتجا الى سر الاعتراف. ولهذا دعا النبي هذين السرين: عيونًا مفتوحة لبيت داود ولسكان اورشليم اي للمومنين لغسل الخاطي: ثم ان الله يدعو الكل الى تناول سر التثبيت وسر القربان المقدس ويحث ايضًا جميع المرضى الحاصلين على خطر الموت على تناول سر المسحة الاخيرة. ثم ان العناية الالهية لا تزال تدعو كثيرين الى سر الكهنوت لاجل خدمة الكنيسة ومنفعة المومنين حتي ولو ان الاكثرين لا يدعوهم الله الى هذا السر. الَّا انهُ مع هذا قد ارتسم لاجل الكل من حيث ان الكل ينتفعون منهُ حينما يقتبلون الاسرار علي ايدي الكهنة ✲

زخريا ١٣ع١

اعتبر ثانياً ان الاسرار الكنايسية ليست هي كسرج سريعة العطب كالزجاج. بل انما هي سرج من ذهب جزيلة الثمن والدوام تستمر الى انقضا الدهور ممتلية زيتاً. مع انهُ يعطى منهُ لكل الذين يطلبون. علي ان نبع هذا الزيت الالهي هو المسيح الذى لا تحد استحقاقاته وكنوزه لا تفرغ. فكما ان زيت الارملة المذكور في سفر الملوك لم يزل يجري طالما وجدت آنية تفرغ فيها. وكما انهُ جرى من ذلك الزيت مقدار[ا] هذا حد حتي ان الارملة استطاعت ان تفي بهِ كل دَينها وتعيش منهُ هي واولادها. هكذا الزيت المقدس الجاري من الاسرار المقدسة لا يزال جارياً طالما يوجد اناس يريدون ان يجمعوا منهُ ما يحتاجونهُ ليفوا بهِ ما عليهم للعدل الالهي من الدَين ويحفظوا بهِ حيوتهم الروحية ❊

التامل التاسع والثلثون

❊ في شرف سر الاعتراف وفي الفضايل التي تمارس بواسطتهِ وفي الانعام الواصلة الينا من قبلهِ ❊

❁ الجزء الاول ❁

تامل اولاً عظم جلال الاحسان الذى قد أنعم الله بهِ علي الكنيسة والمومنين حينما رسم سر الاعتراف. فلكي تعقل جيداً شرف هذا السر وفايدته تامل بعضاً من مفعولاته التي من شانها ان تحثنا علي تناولهِ بالتكاثر. فاعتبر اولاً انهُ وان كان ترك الخطايا يخص الله وحده فمع ذلك اراد تعالى أن يشرك الكهنة في هذا السلطان. والزم ذاته بان يثبت في السما الحكم الذي يحكمون بهِ علي الارض. واما الامر العجيب هو انهُ جلت رحمته قد دفع هذا السلطان لاناس قابلين الخطية محتاجين الى من يحلهم ايضاً. وذلك لكي يكونوا جزيلي الرحمة والشفقة على الخطاة. ثم ان هذا السلطان لعظيم[ا] لهذا المقدار حتى انهُ تعالى لا يستثني لذاته ترك خطية ما من جميع الخطايا ولو مهما كانت عظيمة ولا يحدد سلطان الكهنة نظراً الى عدد الخطايا. بل انهُ تعالى قال يوماً لبطرس الرسول انهُ يجب أن يغفر لاخيهِ ويحلهُ: لا سبع مرات فقط بل سبعين مرة" سبع مرات : اي كلما يحتاج ذلك. ولعمري أن هذا يظهر لنا على نوع عجيب جود الله ومحبتهُ للخطاه. فيا أب

الرجات والاله الجزيل حنوه لتباركنك الملكة الوف الوف مرات في السما علي ما تنعم به على اعدايك . حقا ان جودك لاعظم من خبث البشر . فمن ذا لا يلتجي اليك بطمانينة . من ذا لا يرجو منك الغفران وها أنت تسبق فتمضي للقا الخطاة لتخلصهم * اعتبر ثانيا ان الديان الازلي العتيد أن يدين الخطاة بلا رحمة في وقت الموت وفي انتها العالم . اراد ان يغير هذا الحكم الى حكم اخر عذب يتم في هذا السر . وهذا فحوى قول الرسول : ان دنّا نفوسنا فلا ندان : لان الله لا يعذب الخاطي مرتين *

قرنثيه ١١ ع ٣١

الجزء الثاني

تامل ثانيا ما يربح المومن من الاستحقاق في سر الاعتراف . فاعتبر اولا ان سيدنا يسوع المسيح رسم هذا السر لخير المومنين الذين يجدون في خطاياهم مادةً لممارسة افعال كثيرة جزيلة الفضيلة يستطيعون بها ان يربحوا كلما خسروهُ بالخطية * فالفضيلة الاولى التي تمارس في سر الاعتراف هي الايمان الذي به نعتقد اعتقادًا ثابتا ان سلطان ترك الخطايا ولوانهُ ذاتيا يخص الله وحده . فمع ذلك قد أعطى للكهنة وانهُ قد دُفعت لهم مفاتيح السما لكي يحلوا الخطاة ويصيروهم اهلا لان يدخلوا الملكوت الابدي * الفضيلة الثانية هي الرجا ضد كل رجا بشري . على ان اقرار الانسان بزلته امام الحاكم الازلي هو واسطة لنيل الغفران . خلافا لما يصير في العالم حيث كل من يعترف باثمه يحجل على ذاته الحكم والعذاب * الفضيلة الثالثة التي تمارَس في سر الاعتراف هي المحبة التي تصير الخاطي ان يندم علي ذنوبه ندامةً حقيقيةً لاجل مجرد جود الله الغير المتناهي * الفضيلة الرابعة هي الاتضاع الذي به يتضع الخاطي لا امام الله فقط بل امام الناس ايضا . اعني امام الكهنة وذلك بكشفه لهم أخفى سراير قلبه حتى الزلة التي من شانها ان تلحق بالمعترف خزيا وخجلا عظيما * الفضيلة الخامسة هي الطاعة في امر مستصعب جدا . علي ان الانسان في سر الاعتراف يتقدم الى الكاهن كالمروءس الى ريسه وحاكمه نيةَ أن يطيعهُ في كلما يلايم وظيفته * الفضيلة السادسة هي العدل الذي به يحكم الله بكل انصاف وصرامة بان الخاطي اولا يتقدم اليه تعالى

علي صيغة انسان مذنب يشكو ذاته بذاته ويقوم على نفسه شاهدًا حاكمًا ومعذبًا مكملاً الحكم المسجل عليه. ثانيًا بان يخضع لا اضطراريًا بل اختياريًا لحكم مَن اقامهُ السيد المسيح نايبًا عنهُ. وان يتمم كلما يامرهُ بهِ لاصلاح اسيته الى الله وللقريب * الفضيلة السابعة هي الشجاعة العظيمة التي بها ينتصر الانسان على نفسه وعلي الميل الردي الذي يسوقنا الى كتم ذنوبنا وللاحتجاج عنها. وهذا الميل الشديد قد اتخذهُ الجميع كميراث من ابينا ادم وصار فينا طبيعيًا بهذا المقدار حتي ان الذي ينجو منهُ يكون قد ارتفع فوق الطبيعة البشرية. وهو افضل من انسان حسب راي ايوب البار. ولعمري ان شجاعة الانسان الذي يعترف بخطاياه ليست هي اقل من شجاعة مَن ينتصر علي تجربة قوية. وعلى هذا المعنى قال القديس غريغوريوس ان صعوبة كشف زلاتنا نظير الصعوبة التي نشعر بها حينما نمتنع عنها ونظفر بها. وبالنتيجة ان من يعترف يتواضع عن جميع خطاياه لممدوح جدًّا نظير مَن قد عمل اعظم الاعمال *

فهذه السبع الفضايل التي يمارسها المومن غالب الاوقات في سر الاعتراف تصيّر كشف الانسان خطاياه عملاً جزيل الاستحقاق عند الله وممدوحًا عند المليكة. ومعتبرًا عند كل معلم اعتراف خبير ذي عقل ثاقب. فليتقدم اذًا كلٌّ الى هذا السر بكمال النشاط. وليتذكر ان ابن السونامية فتح فاهُ سبع مرات قبل ان يقوم من الموت. فان اردت ان تقوم من حال الموت افتح قلبك وفمك وابرز عواطف مقدسة فانك ستحيى حيوة جديدة روحية سماوية *

الجزء الثالث

تامل ثالثًا الانعام الواصلة لمن يتناول سر التوبة كما يجب وهي تلك التي ذكرها الرسول بقولهِ: للعدل والسلام والفرح بروح القدس: فاعتبر اولاً ان الله يمنحهُ البراي نعمة التبرير التي بها ينقيهِ من كل خطاياه ويعدهُ بين اصدقايهِ وابنايهِ بالذخيرة وورثة ملكهِ السماوي. ويفيض في قلبهِ المحبة مع بقية الفضايل الفايقة الطبيعة ومواهب الروح القدس. وبهذه يرد نفس المومن الى بهاها القديم وجمالها الاول. اما الذين يتناولون هذا السر وهم حاصلين على حال النعمة فانهم

رومية ١٤:١٧

رويا ٢٢ع١١
سيراخ ٢٨ع٢٢

يكتسبون داعًا زيادة النعمة ويتم فيهم قول الله : مَن كان بارًا فليتبرر ايضًا : لاتستحي من ان تتبرر حتي الى الموت : *

اعتبر ثانيًا ان المومن ينال نعمةً اخرى في سر الاعتراف وهي سلام فايق الطبيعة. على ان الله اولاً يصطلح معهُ. ثم انهُ تعالى لكي يجازيه عن شجاعتهِ هذه وانتصاره علي صعوبة كشف ذنوبهِ وظفره بالحيا الردي الطبيعي. يظفرهُ بعد ذلك بثلثة انواع من الاعداء. فيبيد الله عنهُ النوع الاول ويهزم النوع الثاني. واما النوع الثالث فيخضعهُ لسلطانهِ. فالاعدا الاولون الذين يبيدهم الله عن المومن في سر الاعتراف هم خطاياه التي يطرحها الله في عمق البحر. والاعدا الذين يردهم عنهُ هاربين هم الشياطين الذين يلتحفون حينيذٍ بشعار الخزي والخجل وخيبة الامل. على ان الشي الذي يخافون منهُ اكثر خوفًا هو كشف المومن جراحات نفسه للطبيب الروحي. واخيرًا يخضع الله للمعترف النوع الثالث من الاعدا وهم اللحم والحواس فيخضع اللحم للروح والحواس للعقل: لان الرب اذا سر بطرايق الانسان رد اعداه الى المصالحة: فلنا اذًا في كشف الضمير للكاهن واسطة جزيلة النفع للانتصار علي التجارب وقهر الشهوة. فطالما تخفي شيًا عن معلم الاعتراف تكون انت في حرب باطن دايم. ويكون الشيطان بطمانينة وسلام. وبخلاف ذلك ان لم تخفِ عنهُ شيًا فيهرب الشيطان ويدع النفس في سلامةٍ لا تقدر كل قوات الجحيم ان تسجسها *

امثال ١٦ع٧

اعتبر ثالثًا اننا نحصل على خير اخر بواسطة سر الاعتراف وهو الفرح بروح القدس. لانهُ تعالى يشتت عنا وقتيذٍ كل خوفٍ وسجس ناتج من تبكيت الضمير ويملا قلب المعترف من الابتهاج والسرور بتحقيقهِ لهُ انهُ جاز غفران خطاياه. وقد اشار الى هذا النبي والملك بقولهِ: تسمعني سرورًا وبهجةً فتفرح وتجذل عظامي: وحقًا انهُ متى نزع الله عن الخاطي حمل خطاياه الثقيل. فانهُ يلاشي عنهُ حالاً الحزن المميت الذي كان يمزق قلبهُ. فيزهر لحمهُ جديدًا كقول المرتل ومن حال الفشل والياس الذى كان متورطًا فيهِ يرفعهُ ويرقيه الى حال الطمانينة والسكينة الباطنة. ويصيرهُ ان يرجو النعمة والمجد الابدي. فبهذه الاعتبارات

مزمور ٥٠ع١٠

حث نفسك علي ان لا تهمل شيًا لكى تعترف اعترافًا جيدًا . واعتقد يقينًا ان الحيا المقترن به هو كلا شي بالنسبة الى الخيرات الغير المتناهية المقدمة لك من الله والعذابات التي تنقذ منها بواسطته * ثم بعد ذلك اذا تاملت الاتعاب والعذابات التي احتملها مخلصك الالهى لاجل خلاصك وفا عن خطاياك . فانك ستعترف مصدقًا ان الشي الذي يطلبه منك لكى يردك الى نعمته هو شي يسير جدًا . ويحسن بك ان تخاطب نفسك كما خاطب عبيد نعمان السرياني سيدهم اذ راوه محتدًا بالغضب علي اليشع النبي قايلين له : لو قال لك النبي امرًا كبيرًا لكان ينبغي لك ان تصنعه فكيف اذ هو قال لك اغتسل وتطهر : فلو ان الله امرك يا نفسي بامر الامور واصعبها لكى تتطهري من برص الخطية . لكان ينبغي ان تطيعيه حالًا . فكيف لا تعملي ما اوصاك به قايلًا اعترفي فتتطهري . اغتسلي سبع مرات في الاردن اي اغتسلي في سر التوبة بممارسة السبع الفضايل المتقدم ذكرها فيزول عنك البرص بالكلية . اقتدي بايوب البار . لا تستري خطاياك كانسان اي بضعف بشري ولا تخفي اثمك في حضنك : لا تخزي من ان تقري بالحق لاجل خلاص نفسك لانه قد يوجد خزي يجتذب الخطية ويوجد خزي يحصل منه المجد والنعمة : اي ان كان الخجل يصدك عن الاعتراف فانه يصيرك اكثر اثمًا . لا انه اذا استحوذ عليك هذا الخجل في حين اعترافك فقط فخجلك هذا يسبب لك اكليل مجد ابدي وذلك لانتصارك علي نفسك وظفرك بصعوبة الاقرار بخطاياك

ملوك ٤ ٥ : ١٣

سيراخ ٤ : ٢٤ و٢٥

التامل الاربعون

* في الاستعداد الواجب على المومن قبل ان يتناول سر التوبة المقدس *

ان الشي الذي ينبغي لك ان تفحص في هذا التامل هو ان تدين ذاتك وتحكم علي نفسك جيدًا قبل الاعتراف . لكى تستطيع ان تنال الغفران بواسطة هذا السر . فاعتقد انك بهذه الطريقة ستنجو من غضب الديان العادل المرهوب حينما ياتى في اليوم الاخير ليدين الاحيا والاموات . واعتبر هنا انه في هذه المحاكمة الاختيارية يلزمك ان تشكو وتشهد وتحكم وتعذب علي مقتضى العدل الالهى . ولهذا

قال القديس غريغوريوس الكبير ان الضمير يشكو المذنب و العقل يحكم عليه . والخوف يربطهُ . والندامة تعذبهُ . فقبل الاعتراف اذًا ينبغي ان يرينا الضمير جميع ذنوبنا ويبكتنا عليها . وان يحكم العقل بالعذاب الواجب فنقبلهُ طوعًا ورضىً . ثم ينبغي ان الخوف من الله ومن احكامهِ المرعبة يضطرنا علي نوع ما في قبول التعذيب الذى قد حكم بهِ العقل او الكاهن ووجد مناسبًا لخطايانا ولو مهما كان مرًا وثقيلًا . اخيرًا ينبغي ان الندامة تتمم الحكم المسجل علينا فتسحق قلوبنا تعذيبًا عن ذنوبنا . فهذه الافعال الاربعة التي هي افعال العدل تكمل فينا باطنًا . ولكي نمارسها جيدًا فيلزمك ان تستعمل بعض اعتبارات قوية موثرة كاعتبار حضور الله المرهوب ديان الاحيا والاموات . فتصورهُ جالسًا اما على كرسي ملتهب بالنار كما ظهر لدانيال النبي لكي يشير بهذه الروية المريعة الى شدة رجز غضبه علي الخطاة . اما علي منبر متلالٍ بنور مبهج كما تراآى للتلميذ الحبيب مشيرًا بذلك الى حكمتهِ تعالى وقداستهِ ورأفتهِ علي اصدقايهِ وعبيده . فلا شك ولا جرم ان حضور الحاكم الازلي يصيرنا ان ندين نفوسنا ونحكم عليها باقصى صرامة . ولهذا فالكتاب المقدس يوصينا في مواضع كثيرة ان ندين انفسنا بصرامة بعد البحث عن خطايانا امام الله . متذكرين ديّاننا العادل الذى يحضر هذه المحاكمة ٭

الجزء الاول

تامل اولًا ان الله لما رسم هذا السر ارادهُ ان يكون قايمًا في بعض افعال اختيارية وهي الندامة و الاقرار والوفا . وقد امرنا بهذه الافعال لاجل الخطايا الصادرة منا بالفكر والقول والفعل . علي انهُ تعالى رام بهذا ان نسعى قليلًا في اكتساب نعمة التبرير . وبعد ما نعترف بالخطية نستعد قلما يكون ببعض افعال مناسبة لنا لاقتبال المغفرة . فاذ قد احب الله ان يجعل هذه الافعال استعدادًا ضروريًا لنيل النعمة . فلمن الواجب أن نمارسها علي اكمل نوع يمكننا . فابتدي بالتوسل الى الثالوث الاقدس واطلب عونًا من الاقانيم الالهية . واسال الروح القدس مبدا المحبة ان يمنحك ندامة كاملة فيضرم في قلبك لهيب محبتهِ التي بها تمحا جميع الخطايا . ثم أطلب من الله الابن الذي هو كلمة الاب وحكمتهِ الغير المخلوقة أن يمنحك

موهبة التنوير لتعلم بذلك زلاتك . و لهبك كلمات والفاظاً ذات تواضع وتقوى لتعترف بها و تنال غفرانها . واخيراً استغث بالله الآب الذى قد اختصت به القدرة و سله ان يمنحك قوة لممارسة افعال التوبة الصارمة القشفة لكي تفي ما لعدله الالهي عليك . وها نحن نورد في الجزء التالي كيف يجب ان نمارس هذه الافعال

❁ الجزء الثاني ❁

ففي ممارسة الفعل الاول الذى هو توجع قلب نادم على خطاياه لا يحسن بنا ان نكتفي بالندامة الغير الكاملة تلك التي يسببها فينا الخوف من العذابات الابدية . بل يجب ان نضع امام اعيننا شيئاً افضل واشرف من ذلك . على ان الخليق بنا أن نبرز ندامة اخرى كاملة تدعا انسحاقاً و قد يفيدك كثيراً ان تمارسها بقلب مضطرم و نشيط . لانه علي قياس حرارة هذه الندامة تعطى النعمة في هذا السر . فان كانت ضعيفة رخية تعطى من النعمة قليلاً . وبعكس ذلك اذا كانت الندامة حارة قوية فتعطى نعمة وافرة . وان كنت خالياً من الندامة فلا تنال لهذا السر نعمة اصلاً . وبالنتيجة ان الندامة يجب ان تكون الاستعداد الاخص في سر التوبة . و لكي تحسن ندامتك تامل الاعتبارات الاتي ذكرها ❁

فاعتبر اولاً جود الله الغير المتناهي الذى يصيره محبوباً علي نوع غير محدود . حتي انه لو كان ممكناً لنا ان نحبه حباً غير متناه لكنا ملتزمين بذلك . علي ان هذا الجود الالهي هو محبوب لهذا المقدار حتى ان الذين ينظرونه جلياً في السما مثل القديسين لمن المحال ان لا يحبوه محبة كلية و من كل قوتهم . فيا لغباوة عقل و قساوة قلب من لا يحب هذا الذى يستحق ان يحب حباً غير محدود . بل انه يغيظه بالمعصية . و يا لتفاقم شقاي و خبثي انا الذى احتقرت مثل هذا الجود الغير المتناهي و بغضته . ليتني لم اكن اسيت اليك ايها الاله المحبوب فوق كل شيء . ان سبب وجع قلبي وندامتي المرّ هو لاني اسيت اليك يا الهي الذي احبه الان بكل قوى نفسي ❁

اعتبر ثانياً ان الله باتساعه الغير الممسوح و بحكمته الغير المحدودة هو حقاً حاضر في كل مكان ولا يخفى عنه شيء . فتصور نفسك في وسط الله الذي يحتوي

كل شيءٍ و يرى الكل . واعترف انك كنت هناك حينما اخطات وانهُ تعالى لاجل هذا غضب عليك و رذلك : لان عينيه نقية لاترى الاثم ولا يقدر ينظر الى فاعليهِ : وقد يستكره الخطية غاية الاستكراه . فكيف تجاسرت ان تخطى تحت نظر الله . اما اسير تجاسر على ارتكاب مخالفة سيد في حضوره وهو عارف بان سيده يعذبه بشدة الصرامة * فكيف احتملتني ياالها الرب الهي حينما اخطات بازاء عزتك . كيف لم تعذبني وتلاشيني على مجاسرتي هذه وعدم معروفي . كيف ما اصرفتَ وجهك عني ورذلتني الى الابد . فها انا قد ندمتُ على اثمي وقصدت قصداً حقيقياً ثابتاً اني منذ الان فصاعداً لا افعل شيئاً لا يجوز فعلهُ امام عزتك *

حبقوق ١ : ١٣

اعتبر ثالثاً قدرة الله الضابطة الكل التي بها يحفظ جميع الخلايق ويسعى معها في كل اعمالها . حتى انهُ دون عونه وتوفيقه لا يمكننا ان نبصر او نتكلم او نسمع او نحرك يدنا او رجلنا . ولا ان نُبرز فعلاً واحداً من افعال الفهم والارادة . وبالنتيجة ان كلما نخطي بالكلام او بالفعل فاننا نستخدم ضد الله قدرته الضابطة الكل *

اعتبر رابعاً انك اسيت الى خالقك الذي بدونه لم تكن خرجتَ من العدم . والى حافظك الذي بدونه قد كنتَ رجعتَ الى العدم حين خروجك منهُ . والى مَن يدبرك بحسن عنايته : أهكذا تجازي الرب ايها الغبي والجاهل أليس هو اباك الذي اقتناك كيف تركت الله الذي خلقك ونسيت الرب الذي خلصك *

تثنية ٣٢ : ٦

اعتبر خامساً ما قد احتمل ابن الله من الاتعاب والاوجاع لاجلك في زمان حياته والامهِ . واذكر انك كما قال الرسول قد صلبت المسيح في ذاتك وانك عشت كانهُ تعالى لم يكن عاش ومات لاجل خلاصك . فكيف لا تتمزقين يانفسي من شدة الندامة ولا تذوبين بينابيع الدموع السخينة بعد ان تكوني صلبت مثل هذا الاب المحبوب والمخلص الفايق الحنو والرحمة واحتقرتِ بخطاياكِ مَن قد سفك دمهُ كلهُ وفاءً عنها *

اعتبر سادساً احسان التقديس الذي يتضمن المعمودية وبقية الاسرار لا سيما سر التوبة وسر القربان المقدس . وانعاماً اخر غير هذه كثيرة منظورة وغير منظورة التي انعم الله بها عليك والخيرات السماوية العتيدة التي وعدك بها . فكيف

جاسرت ان تغيظ من احسن اليك بهذه كلها *

اعتبر سابعًا ما الذي بسببه اسيت الى ربك . انما هو لذة ما شهوانيّة او مكسب دنيوي او طلب جاه زمني او شي اخر نظير ذلك زايل يضمحل كالدخان وليس هو بشي نظرًا الى الله . فلاجل هذه جحدت الهي باعمالي وجعلتها الهة لي وفضلتها علي ربي : فتحيرن ايتها السماوات علي هذا وابوابهنّ اخربن شديدًا يقول الرب . فان شرين عمل شعبي تركوني انا ينبوع الماء الحيّ واحتفروا لانفسهم ابيارًا مشققة لا يمكنهنّ ان يحفظن المياه : اني قد تركت الهي ينبوع الخيرات الابدية لاطلب خيرًا ما كاذبًا زايلًا *

ارميا ٢ع٢ و١٣

فبعد ان تكون تاملت هذه وحركت بها قلبك الى الندامة . فتعجب كيف ان الخلايق احتملتك . واصرخ قايلًا ايها المليكة المرسلون من الله لتعذيب الخطاه كيف لم تشهروا نحوي سيوفكم النارية الملتهبة . كيف لم تخف عني الشمس والقمر والنجوم ضوها . وكيف لم تفترسني الوحوش الضارية ولم تنفتح الارض وتبتلعني . كيف لم تاكلني النار ويغرقني البحر . كيف لم تقم عليّ كل الخلايق وتحاربني وتعذبني وتلاشيني . فانا اعترف يارب امام السما والارض اني لقد كنت استحق هذه كلها . غير انك نجيتني منها لانك راوف وكثير الرحمة وجودك هذا الغير المتناهي هو الشي الذي من اجله يتجع قلبي نادمًا على خطاياي . فها انا اقصد امام عزتك ان اموت الف مرة ولا اغيظك فيما بعد بخطيّة واحدة *

تنبيه

ان كان تاملك جود الله ومحبته واحساناته لا يحرك قلبك القاسي الى التوبة . فيلزمك حينيذ ان تنبهه وتحركه باعتبارات الخوف . فاذا حركت في داخلك هذا الخوف الخلاصي . فهو يحركك ايضًا ويميل بك الى الخلاص كما قال القديس برنردوس *

فاعتبر اذًا اولًا البلايا الزمنية التي يعذب الله بها الخاطي في هذه الدنيا . فاعلم ان الخطية تعدمنا نوعين من الخيرات وهما خيرات الحظ وخيرات الجسد . فخيرات الحظ يسلبها الله من اعدايه لاجل تصرفهم الردي بها كما سلب من المصريين قديمًا ما كان عندهم ثمينًا من الفضة والذهب . وهكذا أخرج الكنعانيين من منازلهم واراضيهم . وقد يسمح الله ايضًا ان يتعذب الخطاة

بخسران عرضهم. ولعمري انهُ من الواجب ان الذين لا يكرمون الله والقريب كما يجب يفقدون كرامتهم. فلاجل ذلك سقط عالي الكاهن عن درجتهِ الشريفة. وسقط معهُ اولادهُ ايضاً وهلكوا. وقال الرب عنهم: اني اهين الذين يحتقرونني: وعلى هذا النحو لاجل الخطية سقط شاول عن كرسيهِ الملوكي. والتزم بختنصر الملك ان ياوي البراري ويعيش مع الوحوش سبع سنين بصورة وحش. وما عدا هذه فلقد عرفنا بالتجربة ان الخطية يلحقها فقد الصحة والعافية. وان الله يعذب اعظم الخطاة باعظم الامراض واشنعها. على انهُ من العدل والصواب ان الذي يستخدم عافيتهُ وقوتهُ ضد الرب وناموسهِ ان يخسرها ويعدمها. وان الذي يدع نفسهُ في حال الضعف والمرض مع انهُ قادر على شفاها ان يشعر في جسدهِ بضعف ومرض لا يقدر على مداواتهِ. كمثل ذلك المخلع المذكور في الانجيل المقدس الذي ما قدر أن ينزل في البركة التي كان الجميع يبرأون فيها ❊

ملوك ١ ٢٠٤٣

اعتبر ثانياً ان الخطية تفقد فرح القلب وتملا النفس من الحزن المميت وتصير الحيوة أمرّ من الموت كقول المدينة التعيسة: املاني مرارات واسكرني بافسنتين: ومثلها صرخ انتيوخوس قايلاً: ما اشد الضيقة التي اصابتني واي امواج حزن انا فيها الان وقد كنتُ مسروراً ومحبوباً في قدرتي: ثم ان الخطية تسبب الموت ايضاً ولاجلها أرسل الله ملاكاً قتل في ليلة واحدة كل ابكار المصريين. وأطرح بعد ذلك في بحر القلزم عساكرهم. ومرةً اخرى قتل ملاك الرب من عسكر سنحاريب مائة وخمسة وثمانين الف نفس. وما اكثر الذين ماتوا من الاسرايليين في القفار لاجل الخطية. وهي التي بسببها ياتي الغلا والحرب والطاعون. وقد يستعمل الله ايضاً لتعذيب الخطاة امواج البحر والامطار والبرد والرعود والنار النازلة من السما واشيا غير هذه متعددة. وذلك لان الخطية هي اسية الى الخالق وقد يجب ان تنهض جميع الخلايق لتحارب الخطاة الاغبيا منتقمة لخالقها: ليعلموا ان شراً ومراً هو انهم تركوا الرب ولم تكن عندهم مخافتهُ: ❊

مراثي ٢٥٤٣ مكابين ١ ١١٤٦

ارميا ١٩٤٢

اعتبر ثالثاً ان الخطية هي شر اعظم بلا قياس من جميع هذه الشرور الزمنية المذكورة. وان العذاب الواجب لخطية واحدة مميتة يفوق بما لا يقدر كل

العذابات الممكن احتمالها في هذا العالم . وهذه الحقيقة يثبتها الآباء القديسون بالبراهين الآتي ذكرها *

البرهان الاول انهُ لمن المحقق ان كل الشرور الزمنية لا تعدمنا سوى بعض خيرات مخلوقة محدودة ناقصة . اما الخطيئة فانها تعدمنا خيرًا كاملاً غير محدود اعني بهِ الله سبحانهُ . والحال انهُ اذ يحق لله وحدهُ ان يسمى خيرًا علي الاطلاق . وذلك لان الخلايق كلها ولو مهما كانت جيدة كاملة فليست هي بازاء الله سوى شي دني حقير وكلا شيء . فمن ثمَّ ليس شي يحق لهُ اسم شر غير الخطيئة . وبالنسبة اليها كل بلايا هذه الدنيا ليست هي الاَّ شرورًا خيالية وهمية . وقد ينتج من ذلك انهُ لو نزلت بي بغتةً كل بلايا هذا العالم كالفقر والوجع والحزن والامراض والاضطهادات . وحُكم عليَّ بعد ذلك بجميع العذابات التي احتملها الشهدا من قبل المغتصبين . لكان يجب عليَّ ان احتسب هذه كلها كلا شي . ولقد كان يلزمني ان اقبلها بحسن الرضى فرارًا عن الرضى بالخطيئة . فعلى موجب هذا التعليم قال عازار المكابي الجزيل الشجاعة : اني اختار أن أُطرد الى الجحيم اكثر من أن أخالف ناموس الرب : هذا ما قالهُ القديسان الجليلان مار ديونيسيوس والقديس توما اللاهوتي *

مكابيين ٢ ٦ ٢٣

البرهان الثاني في ان العذاب المحكوم بهِ علي الخطيئة هو شر اقل من شر الخطيئة . اعلم ان الله مع انهُ الصلاح والقداسة بالذات فانهُ هو علة كل الشرور والبلايا الواردة الينا . ولهذا قال عاموص النبي : ليس شر في المدينة لم يصنعهُ الرب : وبعكس ذلك لمن المستحيل ان يكون الله علة خطيئة واحدة خفيفة . لان قدوسيته تنافي الاثم ضرورةً ولهذا قال حبقوق النبي : نقية عيناك يارب لئلا ترى السوء ولا تقدر ان تنظر الى الاثم : ومن ثمَّ نرى ابن الله بعد تجسده قد قبل وكابد جميع العذابات الواجبة لخطايانا . الاَّ انهُ جلت قدوسيته كان يبغض الخطيئة ويكرهها بغضًا وكرهًا هذا عظم مقدارهما . حتي انهُ لو لم يكن غير قابل الخطية لكان اختار أن يحتمل كل عذابات الامه واهاناتها بل اكثر منها ايضًا لو كان الامر لازمًا والاَّ يرضى بخطيئة واحدة * فيا ايها الاله القدوس الذي تردأت بطبيعتنا

عاموص ٣ ٦

حبقوق ١ ١٣

واحتملت الموت على الصليب لكي نعلم كم مقدار ما تبغض الخطية وتستقبحها. عذبني في هذه الحيوة بما تريد من العذابات الشديدة. واجعلني ان احفظ نعمتك كل ايام حياتي *

البرهان الثالث اعلم ان الله بحسن عنايته يستخدم شرور هذه الحيوة لمداواة شرورنا الباطنة اعني بها خطايانا وشفاها. فكما ان الطبيب الماهر لا يهمل جرحاً عظيماً ليشفي اجلاً من نخس ابرة. هكذا الباري تعالى الذي يصير البلايا الحاضرة دواء للخطية. يوضح بذلك جلياً انها اقل شراً من شر الخطية. فلاجل هذا لما رام السيد المسيح طبيبنا الالهي أن يشفينا من خطايانا ويفي عنها. ارتضى بان يحتمل لاجلها عذابات قادحة جداً. لان عظم تفاقم شدتها لم يكن حصل مساوياً لجسامة خطايانا. ولم يكن تعالى وفاعنها بالامه بموجب العدل خلواً من استحقاقات اقنومه الغير المتناهية. فانتج من ذلك كم يجب عليك ان تبغض هذا الشر الذي لا يشفى الا بهذه الادوية الشديدة. وباي صبر يلزمك ان تحتمل جميع بلايا هذا العالم التي ولو مهما كانت عظيمة فانها كلا شيء بالنسبة الى خطايانا وقل مع ايوب البار: اني اخطات وحقاً اني اثمت ولم اقبل ما استوجبته: *

ايوب ٣٣ع٢٧

اعتبر رابعاً ان الخطية المميتة لا تجتذب الينا جميع هذه الشرور والبلايا الزمنية المتقدم ذكرها فقط. بل تجلب ايضاً علينا عذابات اخر ابدية اشد منها يتعذب بها الخاطي بعد الموت. لانها اعني الخطية هي شر اعظم من كل النيران والعذابات الجهنمية من حيث ان شرها هو غير متناهٍ. لسبب انها اسية الى عزته تعالى الغير المتناهية * فتامل اذاً اولاً ماهية جهنم واعقل جيداً تعريفها. حتى اذا ما سمعت اسمها يرتعد قلبك ويرتجف رعبةً وخوفاً. فاعلم ان جهنم هي حبس ابدي مملو ناراً وعقوبات اخر غير متعددة يعاقب بها كل الذين يموتون في حال الخطية المميتة. فالذي طرح في هذا السجن المدلهم لا يمتلك خيراً ما اصلاً من جميع الخيرات المرغوبة من الناس. بل يكون متوغلاً في جميع البلايا التي تخشى طبعاً. فردد في عقلك مهما تحتمله او يحتمله غيرك من الاحزان والاوجاع. ثم زدها بتصورك اياها مويدة. على ان كل عقاب زمني سريع الزوال هو خفيف

يسير. اما العذاب الجهنمي من حيث انهُ لايزول بل يدوم بمقدار دوام الله فانهُ هو عظيم حقاً لا يحد ولا يدرك. فان اعتراك الان وجع او اهانة فتحقق يقيناً ان عذاب الهالك يفوق عذابك فوقاً لا يقدر. تامل قاين فان لهُ في جهنم اكثر من خمسة الاف سنة. ومع هذا فان حالهُ كحال من هبط فيه منذ دقيقة واحدة. والغني الشرير فلهُ في النار الف وسبعماية سنة واكثر لايزال يطلب نقطة ماءٍ ليبرّد بها لسانه. الَّا انهُ باطلاً يطلب ذلك * فياللتفاقم غباوة الذين يسلكون في الطريق الموصلة الى هذا المكان التعيس فراراً من اتعاب هذه الحيوة القصيرة. فكيف لا احتمل بالصبر شيئاً قليلاً مدةً يسيرة وها انا قد استحققت بخطاياي ان احتمل تعباً لايزول وعقاباً ابدياً *

تامل ثانياً اسباب هذه الابدية الشقية واعراضها. فاعلم انهُ في جهنم كل شيءٍ هو ابدي سرمدي. فاولاً الهالك وذلك لانظراً الى النفس فقط بل نظراً الى الجسد ايضاً. على ان المنكود حظهُ لايستطيع ان يقتل ذاته ولا يقدر احد ان يميته ولا يريد الله ابداً ان يلاشيه: بل في تلك الايام يطلبون الناس الموت ولا يجدونهُ ويشتهون الموت والموت يهرب منهم: وعجزهم هذا عن نيل الموت يضاعف عذابهم * ثانياً مكان العذاب الجهنمي هو سرمدي لا يهدم ابداً. لان الارض التي عمق الله هذا السجن المظلم في قلبها الى الابد هي ثابتة * ثالثاً النار التي هناك فهي الى الابد تضطرم وتحرق الهالكين. لان نفخة الله كقول النبي تلهب هذه النار خلواً من مادةٍ. وبالنتيجة ان النار التي تحرق الهالك بلا فتورٍ تدوم الى الابد. والدودة التي تاكلهُ لا تموت. لان الشيء الذى تتولد منهُ اعني بهِ خطية الهالك لا تمحى. واخيراً الحكم الذي بهِ حتم عليهِ بالخلود في جهنم لا يقبل التغيير. فاخبريني اذاً يانفسي أيمكن ان تومني بهذه الاشيا ايماناً حياً ولا ترتجفي عند تاملك تلك العذابات العظيمة المتصلة المساوى دوامها دوام الابد.

فها هوذا المريض الملقى على سرير لين ممهد اذا استمر ليلةً واحدة في حال وجع اليم يتضيق جداً جداً ويشتهي الموت. فماذا تكون ضيقة الهالك المحكوم عليهِ بالخلود في سجنٍ منتن مظلم حيث يلقى على سريرٍ ملتهبٍ بنارٍ تاكلهُ بلا

رويا ٦:٩

فتور في ابد الدهور *

تامل ثالثاً ما أخوف هذا السجن الجهنمي . على انهُ هو حقاً حبسٌ تغرهُ الله في قلب الارض . وهو مفعم ظلاماً اكثف من الظلام الذى تعذب بهِ المصريون . ففي هذه الهوة العميقة لا ترى الشمس ولا القمر ولا النجوم . حتى ان النار الملتهبة لا تضي هناك لان الله يقطع لهيب النار ويفصل قوتها المحرقة من قوتها المضية . فالنار تحرق الهالكين ولا تمنحهم ضوءًا بل دخاناً معتماً مرًّا يسكب الدموع من اعينهم . ثم ان جهنم هو مكان ضيق لانهُ ولو كان عميقاً واسعاً كما قال اشعيا النبي . الّا ان عدد الهالكين الموجودين فيهِ يكون هذا اجد مقداره . حتى ان موضع كل واحد منهم يكون اضيَق من المكان الذي قُبر فيهِ . بل يستمرون الى الابد في وسط النار متكومين على بعضهم بعض . لا يقدرون ان يتحركوا وينقلبوا من طرف الى طرف . وهذا يصير لهم عذاب النار اعظم اشتداداً ومرارةً وذلك لاجل افراط حرارتها في موضع ضيق لا يمرّ فيهِ الهوا . ولذلك حسناً دُعيت جهنم بحيرة نار وكبريت : على انهُ كما ان السمك المحبوس في بحيرة لا يقدر ان يخرج منها . هكذا حال الهالكين في بحيرة كبريت مذاب . الذى نتانتهُ مع تلك التي تصدر من اجساد الهالكين تسبب لهم الماً غير محتمل . الّا ان أخوف ما يوجد في هذا الحبس الملتهب هو ان يستمر مغلوقاً الى الابد . لا يستطيع احد ان يفتح ابوابه لا بحيلة ولا بقوة . وان سمح الله للبعض من الهالكين ان يخرجوا من جهنم فان العذاب الجهنمي يرافقهم في كل مكان ثم يرجعون سريعاً الى سجنهم السفلي . فاجعلني يا يسوع الصالح ان ابكي الان على خطاياي بكاءً مرًّا : لئلا انحدر الى ارض الظلمة ارض ظلال الموت *

ايوب ١٠ : ٢١

تامل رابعاً شقا هولاء الملاعين المطرودين في هذا الحبس . فاعتبر اولاً انهُ لا يبقى لهم صفة ما من الصفات الحسنة التي كانوا يمتلكونها فيما تقدم . تلك التي صيرتهم معتبرين في العالم . فلا تجد ما بينهم تقوى ولا فطنة ولا حسب ولا نسب ولا مصاحبة ولا ذمة . بل تراهم كلهم حاصلين على صفات ردية تصيرهم محتقرين مبغوضين . نعم انهُ يوجد في جهنم من كل انواع الاشخاص . فهناك ترى ملبكة

قد كانوا قبلاً متصفين بكمال البها و الحكمة و القدرة . وملوكاً و امرا قد كانوا قدماً مفخمين مكرمين علي الارض كالالهة . و فلاسفة وعلما قد كانوا مزهرين في العلوم الدقيقة . واخيراً هناك ترى آبا و امهات اخوة واقربا و اصدقا كانوا من ذى قبل متحدين بمحبة عظيمة . فهولاء كلهم اذ دخلوا جهنم سقطوا بالكلية عما كانوا عليه . فلا يحب احدهم الاخر . بل جميعهم يبغضون و يحاربون بعضهم بعضاً ككلاب كلبة لاسيما الذين كانت بينهم محبة دنسة ❊

تامل خامساً قساوة الذين يعذبون اعدا الله في جهنم . و ذلك لانه ما علي ان كل هالك يعذب غيره كما تقدمنا فقلنا . فمع ذلك ان الذين يعذبونهم باشد عذاب هم الشياطين المجتهدين في انهم ينتقمون من الله و من سيدنا يسوع المسيح بتعذيبهم البشريين الهالكين . فيرهبونهم باشباح و تخيلات مريعة و بوسايط اشيا غيرهن كثيرة يخترعونها لتعذيبهم ❊ اما المعذب الثالث الاشد قساوة من المتقدم ذكرهم هو دود الضمير الذى ياكل قلب الهالك . لانه يتذكر دايماً خطاياه السالفة و الوسايط السهلة التي بها كان يمكنه ان ينجو من عذاباتها . فهذا الفكر المتردد في عقول الهالكين . على ممر الاوقات هو لديهم كجلاد قاس يعذبهم كثيراً بلا فتور . لان هذا شي يسير بالنسبة الى الالام الواصلة اليهم من قبل البارى تعالى الذى يعذبهم بكل رجز غضبه : انه لمخوف الوقوع في يدي الله الحي الشديد الانتقام : ❊

عبرانيه ١٠ : ٣١

تامل سادساً العذابات الخصوصية التى تتعذب بها فى جهنم الحواس الخارجة و القوى الباطنة . على انه كما ان الانسان بخطيته يصنع شرين عظيمين اولهما ترك ربه ينبوع الماء الحي . و الثاني التصاق قلبه بالخلايق راغباً التمتع بلذة ما مقدمة له من قبلها . هكذا يعذب في جهنم بعذابين مختلفين . اولهما يقال له عذاب الخسران ثانيهما عذاب الحواس . فلنا خذن الان بالبحث عن العذاب الثاني لانه اسهل للفهم البشري ❊

فاعتبر اولاً العذابات الشديدة التى يكابدها الهالكون في جهنم بعد القيامة في كل حواسهم الخارجة . لان الله قد حكم حكماً ابدياً غير قابل التغيير بان كل

انسان يتعذب بما قد اخطا به. والحال ان الحواس هي كابواب دخلت منها الخطية في النفس. فلمن الصواب اذًا انها تُعاقب لذلك. وحقًا ان حواس الهالك ستتعذب عذابًا شديدًا. فالاعين التي استلذت بالنظر المنحرف سيكون عقابها النظر الدائم الى شياطين يقفون بازائها باشكال شنيعة كريهة مرعبة. والاذن تتعذب بسماع ولولة الهالكين المجدفين على الله والشاتمين بعضهم بعضًا بصراخ يشبه نبح الكلاب الكلبة. والشم يتعذب برايحة الكبريت ونتانة اجساد الهالكين. والذوق يشعر بمرارة انكى من مرارة الافسنتين. وبجوع وعطش هذا عظم مقداره حتى ان الهالكين يطلبون دائمًا نقطة ماء فلا تُعطى لهم. واخيرًا اللمس يتعذب في كل اجزاء الجسد بجميع الاوجاع *

اعتبر ثانيًا وعلى الخصوص ماهيّة النار الجهنميّة وشدة حرارتها. النار التي بالنسبة اليها لا تكون نارنا هذه الارضيّة نارًا حقيقيّة بل شبه تلك النار وصورتها فقط. فبهذه يعذب العدل الالهي الاجساد والنفوس معًا والارواح البسيطة ايضًا. وهذه النار تتصف بثلث خواص. لانها اولًا تلتصق بالهالكين التصاقًا شديدًا لهذا المقدار حتى انها لا تفارقهم ابدًا. بل الى اين ما مضى الهالك ترافقه النار. وتغيير المكان لا يغير عذابه ولا ينقصه * ثانيًا هذه النار تعذب الهالكين بافراز. فتحرق اكبر الاثمة اكثر مما تحرق الذين هم اقل خطاء. وتقسو على الاعضا التي بها قد اخطا الهالك اكثر من غيرها لانها تلتصق بها اشد التصاقًا وتنكيها باشد تعذيب. فاذا وجدت مثلًا في جهنم انسانًا نمامًا حلافًا مجدفًا شرهًا فانها تعذبه في لسانه خاصةً * ثالثًا لا توجد لهذه النار خاصة ما جيدة بل كل خواصها مولمة. على ان النار الجهنميّة كما قلنا انفًا تحرق الهالكين ولا تضي عليهم ولا تفنيهم. وهم في وسطها كالتبن الذي يلتهب بدقيقة من الزمان الّا ان النار لا تقدر ان تلاشيه. فاللهيب المحيط بالهالكين يولمهم ويعميهم الّا انه لا يميتهم. فهل يمكن ان نتصور شيًا اشد خوفًا من صورة انسان غارق في بحيرة نار ملتهبة او في بير كبريت مذاب. يصرخ ويولول ليلًا ونهارًا ولا يجد احدًا يستطيع أن يخلصه او يخفف اوجاعه. فيا ما اعظم تفاقم شر الخطيّة حيث

ان الله الذى هو الجود بالذات يهمل في مثل هذه العذابات القادحة خلايق كثيرة قد اخرجها هو نفسه من العدم وافتداها بدم ابنه الوحيد. والحال انه لمن المحقق الذى لايشوبه ريب انه تعالى لا يتحنن عليها. وليس انه لايريد ان يطفى تلك النار فقط. بل ينظر الى الهالكين في وسطها بعين لاترق ولا ترحم. فاسمعي اذًا يانفسي ما يخاطبك به تعالى علي فم نبيه قايلاً: مَن منكم يقدر ان يسكن مع النار الآكلة مَن منكم يلبث مع المواقيد الابدية: فاحذري جيدًا ايتها الخاطئة في هذه النار لكي يشملك الخوف الخلاصي فتطفى به نار شهواتك التي لاتقدرين ان تخمدها بواسطة المحبة الالهية *

اشعيا ٣٣: ١٤

اعتبر ثالثًا عذابات قوى الهالك النفسانية فاولاً المخيلة لا تزال متسجسة منضغطة بخيالات محزنة وتصورات مرعبة اشد خوفًا من تلك التي عذّب الله بها المصريين. فحينيذٍ الخوف والحزن والضجر والياس والحسد والرجز تثب على الخاطي كوحوش مفترسة فتمزق قلبه وتفترسه * ثانيًا القوة الذاكرة تتعذب بذكر الخيرات الارضية التى زالت. والبوس والبلايا التي حضرت وليس لها زوال. فلا يستطيع الهالك أن يفتكر بشيءٍ ما يعزيه. ولا ان يصرف فكره عما يحزنه ويضنيه * ثالثًا الفهم فانه يكون مفعمًا ظلامًا كثيفًا لهذا المقدار. حتي انه لايقدر أن يبرز فكرة ما حسنة او مبهجة بل لايزال مفتكرًا بالعذابات الابدية * رابعًا الارادة فانها تحصل قاسية راسخة مبجنة في الشر. لا سيما في الغضب نحو الله والقديسين. ثم ان الهالك لايستطيع ان يصنع ارادته الذاتية في شيءٍ ما يخفف به قليلاً عذاباته. علي انه من حينما يلقى في الظلمة البرانية مرتبط اليدين والرجلين كما يقول الانجيل المقدس. يحصل عادم الاستطاعة علي مباشرة عمل ما من اعمال النور او عمل اخر يعزيه او يبهجه. فالارادة الذاتية لسبب انها لا تقدر ان تملك أربها في شي البتة تصير لذاتها جهنمًا جديدة. وذلك قصاصًا عادلاً عما استلذت به في العالم ضد ارادة الله *

تامل سابعًا عذاب الهالكين المدعو عذاب الخسران. انه قد تحقق من قبل الايمان ان الهالك قد نُفي من ملكوت السما الى الابد وخسر الى الابد الخير الاعظم

الذي كان قد خُلق لاكتسابهِ. اعني بهِ مشاهدة الله مواجهةً ظاهرًا وحبهِ المطوّب والفرح الغير الموصوف الناتج من اثنيهما. فهذا الخسران يسبب لهُ حزنًا عظيمًا جدًا. لاسيما اذا كان الهالك قد حصل في هذه الدنيا على معرفة ما من الامور السماوية بواسطة نور الايمان. على انهُ حينيذٍ ولو ان عقلهُ يكون قد اظلم بالكلية في بقية الاشيا. لأنهُ نظرًا الى هذا الامر يكون جزيل المعرفة. ولكي يزداد عذابهُ هذا يزيد الله فيهِ معرفة الخير الذي خسرهُ * فلكي تفهم كم يتعذب الهالك من قبل هذا الخسران. فاعتبر اولاً كم يتالم القديسون على الارض متى يريهم الله قليلاً من المجد السماوي. على انهم حقًا لايجدون شقاءً وعذابًا كمثل فقد المشاهدة الالهيّة الى الابد ومجرد هذا الفكر يرعبهم ويرجفهم * اعتبر ثانيًا ان الهالكين ولو انهم لايعدّون هذا الخير الاعظم خيرًا لايقًا لكونهم عديمي كل محبة نحو الله ونحو كل شيء مقدس. الّا انهم مع هذا يعتبرون دايمًا انهم بفقدهم الله قد فقدوا ما كان عتيدًا أن يمنحهم الى الابد السعادة العظمى وينجيهم من الشر الاعظم الذي هو الهلاك الابدي * اعتبر ثالثًا كم يتالم اهل العالم من خسران بعض خيرات ارضيّة التي هي حقًا دنيّة. واستنتج من ذلك باي حزنٍ وبكاءٍ ينوح الهالكون على خسرانهم خيرًا غير متناهٍ حاوٍ في ذاتهِ جميع الخيرات. وإن كان الموت هو الشي الذي بين جميع الأشيا يخيفنا اكثر خوفًا لكونهِ يفرز النفس من الجسد ومن الخلايق المنظورة كافةً. فكم يكون اشد خوفًا من ذلك الموت الابدي الذي يفرق النفس من الله ويبعدها من ملكوت السما ومن صحبة الملايكة القديسين. فاذًا كما انهُ: لم تبصر عين ولم تسمع اذن ولم يفهم عقل بشر الخيرات المعدّة في السما للابرار: هكذا لايمكن الانسان أن يفهم شقا الهالكين الذين خسروا هذه الخيرات الى ابد الابدين * فبهذه الاعتبارات ثبّت نفسك في مخافة الله وبغضة الخطيّة. وارجو من رحمتهِ تعالى أن ينجيك من هذا الشقا الاعظم. وتوسل الى سيدنا يسوع المسيح وخاطبهُ هكذا. انني لاعترف يا الهي واقر مصدقًا اني انسان شقي قد صنعتُ في ارض القديسين شرورًا متعددة. وبها صيرت نفسي غير اهلٍ لان تراك في مجدك. الّا اني الان نادم حقًا على

قورنثيه ٢ ٢ : ٩

خطاياي التي بها استحقيتُ هذا العذاب . فارحمني يا الهي الراوف واغفر لي ولا
تدع أن تهلك عمل يديك . ولا تعدمهُ الغاية التي صنعتهُ لاجلها . ولا تسمح يارب
بان أُطرح في الهوة الجهنمية فاكون طعامًا للنار الخالدة الابدية حيث يُشتم
اسمك القدوس : لانهُ ليس مَن يعترف لك و يمجدك في الجحيم : فلا يكن هذا ياسيدي
لا يكن بنعمتك لاني اريد ان احبك واباركك الى وقت موتي بل الى ابد الابدين *

مزمور ٦ع٦

الجزء الثالث

تامل الان الشرط الثاني الذي قد التزمنا بفعله في سر التوبة وهو الاعتراف . فبعد
أن تكون فحصتَ ضميرك فحصًا جيدًا ينبغي ان تعزم علي الاقرار بتلك
الخطايا اقرارًا كليًا ولو مهما كانت قبيحة فظيعة ومحجوبة عن معرفة الناس . وان
تظفر بالخجل الذي يعتريك من قبل ذلك . فلكي تنتصر على هذه الصعوبة
تفلسف هكذا مخاطبًا ذاتك بذاتك قايلًا . ان كنت انا لا اغلب الان هذا الخزي
اليسير فسياتي اليوم الذي فيه يخزيني الله امام الجميع بخجل اعظم من هذا كثيرًا .
أليس ان الله قد عرف جميع شروري . فلماذا اخاف من ان اوردها لمن اقامهُ
تعالى نايبًا عنهُ وقد يقدر ان يحلني منها ويغفر لي اياها . فجدي يانفسي الله ربكِ
واظهري كلما صنعتِ من الشر . لان هذا الاعتراف لا يعود لكِ سبب الموت كما
صار لعاخان . بل يعود لكِ سبب الخلاص كما صار لداود النبي . وقد نصحنا
القديس دوناونتورا نصحًا حسنًا مفيدًا يخص ما نحن في صدده . وهو انهُ يريد
ان يبتدي المومن اعترافهُ عن اقبح الخطايا التي ارتكبها . حتي اذا ما انتصر على
اقوى اعدايهِ يسهل عليهِ الانتصار على بقيتهم . كما نرى ان داود بعد ما غلب
جليات الجبار غلبَ بسهولة بقية الفلسطينيين . الا انهُ لا يكفيك أن تري الكاهن
كل جرحاتك . بل يلزمك ان تفعل ذلك باتضاع جزيل . وليكن اعترافك كليًا
سادجًا واضحًا منزهًا من كل مكر وحيلة . واحذر جدًا من الاعتذار . ولا تنسب
خطيتك لا للقريب كما فعل ادم ولا للشيطان كما صنعت حوا . بل انسبها بكليتها
لذاتك كما فعل داود النبي . واحذر من محذور اخر وهو ألّا تزيد خطاياك بالمبالغة
قاصدًا بهذا الاتضاع الكاذب أن تُعدّ رجلًا متضعًا . علي ان هذا نوع من ارفع

انواع حيل المجد الباطل. اعني طلب الوصول الى الاعتبار والكرامة بطريق التواضع. ثم يلزمك اخيراً بعد كمال الاقرار الكلي أن تنصت جيداً لما ينصحك به الكاهن. وأن تقبل بحسن الرضى توبيخاته وان كانت شديدة مرة. ولا تعاند ولا تقطع عليه الكلام. بل اقتدي بداود الملك الذى حينما نصحه ناثان النبي ووبخه على خطاياه لم يقل سوى هذه الكلمة: اني قد اخطأت للرب: وقد اوصانا الحكيم بهذا قايلاً: اسمع ساكتاً فستاتيك نعمة حسنة جزاء عن الوقار والاحترام: وقد تختبر ذلك في سر الاعتراف حينما يكلمنا الله على لسان خادمه. لانه حينئذٍ يمنحنا نعمته بجود مفرط. ولكي تكمل هذه كلها حسناً يجب عليك أن تعتبر معلم الاعتراف لا كانسان بل كنايب الله. ولاجل هذا السبب رام سيدنا يسوع المسيح ان الكاهن يحل المعترف عن خطاياه لا بطريق التوسل وطلب الغفران. بل بطريق الحكم قايلا بسلطان فايق على كل سلطان بشري: انا احلك من خطاياك: فان اردت يا نفسي أن تسمعي بفرح هذه الالفاظ المانحة حيوة الابد. فازدري بكل خجل وخزي زمني زايل. واوضحي جلياً خطاياك كلها فيتمم الله فيك وعده وينسى جميع ذنوبك *

ملوك ٢ ١٢ و ١٣

سيراخ ٣٢ و ٩

الجزء الرابع

اعلم انه من بعد هذه كلها ينبغي أن تفعل شيئاً اخر عند اقتبالك سر الاعتراف. وهذا الشي هو الوفا. ولكي تمارس هذا العمل جيداً فيجب عليك قبلما تتقدم الى الكاهن وتجثو عند رجليه ان تكون مستعداً لتتميم مهما يامرك به لاشفا امراضك الروحية. ولوفاء ما عليك من الدين الروحي. على انه لمن الواجب على المريض أن يطيع الطبيب فيما يخص عافيته. ويتناول من يده ما يقدمه له من الادوية سواء كانت التي تشفيه من ذلك المرض ام التي تصونه من مرض جديد. وايضاً انه لمن الواجب على المديون أن يفي ما عليه. فاذا ما غفر الله لك جميع خطاياك بجزيل رحمته وغير العذاب الابدي الذي كنت تستوجبه بعذاب اخر زمني قصير. فاحذر جداً من أن تابى أن تقدم لعدله وفاء خفيفاً بعدم قبولك القانون الذي يفرضه عليك الكاهن. لكن اقتد بالنبي والملك داود وقل

مز ٥١ و ٤ و ١٩ و٤٨ و ٣٧

مثله: اني للضرب مستعد و سبب وجعي اعني به خطيتي هو امامي في كل حين: انني اخبر بذنبي و افتكر الان في خطيتي: وسافتكر فيها دايمًا ما حييت ❊ ثم لكي تقبل بشجاعة و رغبة القانون العتيد ان يفرض عليك. فتذكر الاوجاع التي كابدها سيدنا يسوع المسيح وفاءً عن خطاياك. فان كان مخلصنا الجزيل حنوه قد ارتضى ان يتالم هكذا لاجل خطايا لم يكن ارتكبها هو. أما يجب عليك ان تتالم لاجل خطايا قد فعلتها انت: فاصنع اثمارًا تليق بالتوبة: لان كل شجرة لا تثمر ثمارًا تشبه تلك التي اثمرها السيد المسيح. تقلع منه تعالى وتلقى وتلعن الى الابد. و قد يحسن بك ان تتامل العذاب الكاين في المطهر. حقًا انه لانسان غبي جاهل من ياخر وفا دينه الى الوقت الذي فيه ياتي اليه من قبل الحاكم اناس ينهبون كل ماله ويمضون به الى السجن الذي لا يخرج منه حتى يفي كلما عليه الى اخر فلس. الا انه اجهل منه جدًا من ياخر وفا دينه الروحي الى المطهر حيث يحتمل عذابات شديدة مستطيلة. وقد كان يمكنه ان يفيها هنا بتتميم بعض قوانين خفيفة قصيرة وجزيلة الاستحقاق. فيا لجود الله الذي حينما نفي ما لعدله علينا يجازينا عن ذلك ويجعل لنا هذا الوفا سببًا لاستحقاق الثواب وازدياده ❊

متى ٣ و ٨

اقول اخيرًا ان الشي الذي يلزمنا اكثر الزامًا هو القصد الحقيقي الثابت في اصلاح سيرتنا. على انه خلوًا من ذلك تكون الندامة كاذبة والاعتراف نفاقًا والوفا باطلًا والحل كذلك. وهذا القول يتاسس على هذا المبدا الذي لا يشوبه الريب. وهو ان الله لا يترك الخطية لاحد ان لم يكن قاصدًا قصدًا حقيقيًا ثابتًا اصلاح سيرته. حتى انه تعالى لا يغفر الخطية العرضية ان لم يكن الانسان قاصدًا التوبة والرجوع عنها

❊

❁ إيضاح مفيد في فحص الضمير وهو اثني عشر فصلاً ❁

الفصل الاول

❁ في ذكر ستة نصائح لارشاد المسيحي في امر الاعتراف ❁

النصيحة الاولى . انه ليلزم المومن اولاً قبل الاعتراف ان يفحص ضميره باجتهاد واجب كاجتهاده في امر باهظ جزيل الاعتبار . علي ان هذا الاجتهاد ضروري لهذا المقدار حتي انه بدونه يكون الاعتراف باطلاً كما يكون باطلاً اذا اخفى المعترف خطية ما مميتة متعمداً . وذلك لانه كما قرر جمهور المعلمين ان اخفا الخطية بتعمد وانتباه في حال الاعتراف والتواني في الفحص الذي ينتج منه ضرورة التناسي وعدم الانتباه هو شي واحد غير مختلف . ولذلك يجب علي الواعظين ان ينبهوا المومنين علي ذلك في كل مكان لاصلاح ضلال اناس كثيرين الذين يتقدمون الى الاعتراف خلواً من فحص واستعداد . فهولاء ما علا انهم ينافقون بفعلهم هذا . فمع ذلك يلتزمون بتجديد ذلك الاعتراف كالذين اخفوا بتعمد خطية مميتة . على ان هذا التناسي لا يعذر به المومن من حيث انه لم يصدر عن نقص طبيعي بل هو مسبب عن تواني اختياري واهمال جسيم ❁

النصيحة الثانية . يلزم المسيحي ثانياً في محل الاعتراف ان يورد عدد خطاياه . اي ان يوضح كم مرة سقط في تلك الخطية واذا لم يقدر ان يوضح ذلك بالتدقيق فليورده باقرب ما يمكن . وان كانت الخطية مسببة عن عادة مستطيلة كخطية البغضة او خطية السكر . فليبين مقدار الزمان الذى استمر فيه علي هذه العادة لانه من ذلك يستطيع الكاهن أن يعرف عدد الخطايا التي فعلها في هذه المدة ❁

النصيحة الثالثة . ولا يكفي المعترف أن يوضح نوع خطاياه وعددها فقط . بل يلتزم ايضاً أن يبين نوع اعراضها وعددها ان كانت تلك الاعراض تضادد علي وجه خصوصي وصية من وصايا الله او وصايا الكنيسة او متى ما تزيد

الخطية شرًا ولو ان تلك الاعراض لم تكن تغير نوع الخطية. على انهُ وان استمر فعل الخطية على نوع واحد فقد يمكن ان يكون مقترنًا بقبايح شنيعة هذا المقدار حتى انهُ يكون الاعتراف عنها ضروريًا جدًا. مثلاً اذا سرق احد اسلحة لكي يقتل احد الناس ويفسد امراته. فمن المحقق الواضح انهُ وان كان ذلك فعلاً واحدًا وبالتالي خطية واحدة. فمع ذلك يقترن بهِ عرضان قبيحان وهما القتل والزنا اللذان يضادان. هاتين الوصيتين اعني بهما لا تقتل لا تشتهي امرأة قريبك. ومن ثمَّ اذا وجدت اعراض تثقل الخطية هكذا فينبغي ان تُذكر في الاعتراف. وقد توجد اعراض غير هذه ليست هي بثقيلة نظير تلك كالتمرمر في الكنيسة او فعل الخطية في يوم صوم او في يوم عيد فهذه لا نلتزم بالاعتراف عنها. ولو كان ذلك مستحسنًا كما يحسن الاعتراف عن الخطايا العرضية. ولكن لانهُ يعسر قليلاً تمييز هذه الاعراض فنذكر هنا تلك التي نلتزم غالب الاوقات بالاقرار بها *

فاقول اولاً انهُ نظرًا الى الخطايا المميتة يلزمك ان تعترف عن اعراض الاشخاص الذين اخطيت معهم. على ان الخطية تختلف على حسب اختلاف الاشخاص المفعولة بهم. وبالنتيجة انهُ ينبغي ان توضح في الاعتراف هل الشخص الذي سقطت معهُ بالخطية هي بنت محررة او امرأة متزوجة او بنت بتول او راهبة او قريبة لك. فمثل هذه الاعراض نلتزم بايضاحها والاعتراف بها لا اذا اكملنا فعل الخطية فقط. بل اذا ندنسنا ايضًا بمجرد اشتهاها من حيث ان اشتهاء الخطية وفعلها هما شي واحد بالنظر الى الله تعالى * اقول ثانيًا انهُ يلزمك ان تعترف بعرض الشك ايضًا. ويراد بذلك القول او الفعل الذى صرت بهِ سببًا لان يسقط بهِ الغير في الخطية. كمن يعطف بكلامهِ او بفعلهِ امراة الى الخطية او يغري رجلاً بالقتل وما ماثل ذلك. ولهذا في امر خطية اللحم فماعدا الذي ذكرناهُ يلزمك ان توضح في الاعتراف هل اجتهدت في اجتذاب الشخص الى الخطية او الشخص من ذاتهِ تقدم الى فعلها اذ انهُ في القضية الاولى توجد خطية الشك لا في الثانية. وينبغي لك ان تفتكر ايضًا هل انك بفعلك الخطية في المكان الفلاني وامام اناسٍ

صرت لهم سبباً كافياً لان يخطيوا * اقول ثالثاً انه يلزمك ايضاً ان توضح في الاعتراف عَرَض المكان المقدس وذلك في ثلثة امور خاصة وهي اذا سرقت او سفكت دماً او اهرقت زرعاً بشرياً في مكان مقدس بطريق الخطيئة. علي ان كل فعل من هذه الافعال الثلثة يغير نوع الخطيئة لاجل الاحترام الواجب للمكان المقدَّس ويصيرها نفاقاً * اقول رابعاً ان الذي حلف او نذر أن لايفعل شيئاً ما هو من ذاته خطيئة كالسرقة والتجديف والزنا وغير ذلك. فاذا فعل ضد حلفه ونذره يلزمه ان يورد عَرَض الحلف والنذر *

النصيحة الرابعة. لا يحتاج ان الموءمن يفسر بالتفصيل الوسائط التي استعملها في فعل الخطيّة ولا كيف فعلها لاسيما في امر خطيّة اللحم بل يكفيه ان يورد نوعها فقط. فان كملت الخطيّة بالفعل فليقل اسم الفعل مثلاً فليقل زنيت ولا يفسر ما يمكن ان يفهم بسهولة بعد ذكر نوع الخطيّة. وان جرى منك لمس فقط فيكفيك ان تقول لمست لمساً نجساً ولا تذكر مكان اللمس ولا كيفيته الاّ ان يكون صدر من اللمس شي يغير نوع الخطيّة فيلزمك ذكره. واذا كانت الخطيّة بالكلام فقط فيكفي ان تقول تكلمت كلاماً نجساً بنيّة ان اجتذب غيري الى الخطيّة او من باب التنزه وطلب اللذة ولا تذكر بالتفصيل هذه الالفاظ الدنسة. واذا اخطات بالفكر فقط فيكفيك ان تقول خطر لي فكر نجس ورضيت به او استلذذت فيه او سمحت بان يطيل التردد في عقلي. ولا تذكرن كيفيّة هذه الافكار بالتفصيل *

النصيحة الخامسة. ولكي تعلم جيداً كيف ينبغي أن تعترف بخطية الفكر. فاعتبر انهُ لما يخطر لك فكر ردي فانك امّا تطردهُ حالاً وامّا تحفظهُ قليلاً واما تشاور نفسك كيف تكملهُ او قلما يكون تستلذ فيه اختيارياً. فالنوع الاول هو من البين الواضح خالٍ من كل ذنب. بل انهُ فعل جيد تستحق به اجراً عند الله وبالنتيجة لاحاجة للاعتراف عنهُ * اما النوع الثاني فقد توجد به خطية عرضية يكون قياس عظمها على قياس اطالة استمرارك الاختياري على الفكر. وقد ينبغي ان تعترف عن ذلك هكذا. خطر لي فكر نجس او فكر بغضة او فكر

تكبر وعجب ولم اطرده سريعًا بل اهملته يتردد في عقلي يسيرًا * اما النوع الثالث فهو خطية مميتة ولوانك لم تكمل الفكر الذي ارتضيت به اختياريًا او شاورت نفسك كيف تكمله. علي انه كما قال العلما اللاهوتيون ان الفعل الباطن والفعل الخارج هما شي واحد بحسب الجوهر * اما النوع الرابع الذى به يستمر الانسان مرددًا الفكر في عقله اختياريًا ومستلذًا فيه فانه ولو لم يتم الفكر بالفعل فمع ذلك يخطي خطية مميتة. حتى ولو انه لم يرضَ بفعل الخطية لانه قلما يكون يرضى بلذتها ويرمي نفسه في خطر ان يرضى بفعلها. وقولنا هذا يخص مَن ينتبه علي الفكر الردي ولا يطرده. على انه اذا اجتهد في طرده حال انتباهه عليه فلا يخطي بذلك خطأً مميتًا لكونه لم يفق عليه قبلاً. الّا انه لا يتبرى من الخطا العرضي لانه كان ملتزمًا بان ينتبه *

النصيحة السادسة. احذر في اعترافك من أنك تظهر خطايا غيرك وتذكر اسم احد. بل قل هكذا اخطات مع شخص متزوج او غير متزوج. واذا رايت انه يمكن أن يعرف ذلك الكاهن الشخص المشار اليه من قبل الاعراض. فيجب ان تعترف عند كاهن اخر. واذا لم يمكن ذلك فيجوز لك ان توضح تلك الاعراض على ان هذا ليس هو بالحقيقة فضح صيت القريب بل ايراد الخطية وايضاحها. ثم احذر ايضًا من أن تعتذر عن نفسك في الاعتراف بخطاياك اوتزيدها. وابذل جهدك في أن تجد لنفسك طبيبًا روحيًا ماهرًا كما تجتهد في حال مرضك ان تجد لك طبيبًا جسدانيًا مختبرًا. علي ان الذي يطلب كاهنًا جاهلاً فانه يطلب مرشدًا يقوده الى جهنم *

الفصل الثاني

* فيما يلتزم لاجله المومن بتكرير الاعتراف *

اعلم ان المومن يلتزم بتكرير اعترافه اذا كان اعترافه باطلاً. والحال ان الاعتراف يكون باطلاً اولاً اذا اخفى المعترف في اعترافه خطية مميتة متعمدًا مع علمه انها مميتة. على انه اذا كان حينئذٍ لا يعرف ذلك فيكفيه أن يعترف بها متى

عرف ولا يلتزم بتكرير اعترافه حتي ولا اذا كان جهله بذلك غير معذور * ثانياً يلتزم المسيحي بتكرير اعترافه اذا اعترف خلواً من فحص ضمير وذلك بعد انقطاعه زماناً كثيراً عن الاعتراف . على ان توانيه بذلك لا يعذره بل يزيده لوماً وخطاءً * ثالثاً اذا لم يقصد في اعترافه المتقدم الخروج من حال الخطية * رابعاً اذا اعترف عند كاهن غير عارف بلوازم معلم الاعتراف والواجبات المرتبة علي المعترف مع كون مادة اعترافه اموراً ثقيلة مستصعبة . وما عدا ذلك فقد يمكن ان يشك البعض في اعترافاتهم السالفة فيحسن لهم ان يعترفوا قلما يكون مرة واحدة اعترافاً عاماً *

الفصل الثالث

* في ذكر الخطايا المضادة الوصية الاولى وهي انا هو الرب الهك لا يكن لك اله غيري *

اعلم انه يجب عليك اولاً ان توضح في اعترافك هل وفيت القانون الذي فرضه عليك معلم اعترافك في الاعتراف السابق وتممت ما اوصاك فيه . لاسيما اذا اوصاك بان ترد شيئاً لصاحبه او ان توفي نذورك او ديونك او ان تتجنب اسباب الخطية . ثم بعد ان توضح ذلك اشرع في بيان ما صدر منك من الخطا . واعلم ان الله كما قال القديس اغوستينوس يسجد له بواسطة الايمان والرجا والمحبة . فقل اذاً نظراً الى الايمان هل شككت في قاعدة من قواعد الايمان . هل بحثت عن امور الايمان بحثاً مفرطاً . هل صدقت المنامات والمنجمين والسحرا او استعملت سحرهم . هل مارست رياضة من رياضات العبادة بنية ردية مثلاً بنية ان يموت احد . هل جدفت علي الله او على القديسين . هل تمرمرت عليه تعالى او شكوت منه لاجل اتعابك وشدايدك كانه ليس هو عادلاً ورحوماً . هل شتمت الدين او دعيت علي الاموات * ومن جهة الرجا فقل هل وضعت اتكالك على الله في وقت اتعابك وشدايدك ام قطعت رجاك من رحمته او طمعت فيها ولاجل ذلك استقمت علي خطاياك * ومن جهة المحبة فقل هل قصدت في قلبك متعمداً ان تفضل لذة او كرامة ما على محبة الله .

اشمازيت او استخزيت من الامور الملايمة خدمته وكرامته . هل استهزيت بطقوس الكنيسة او بايقونات القديسين او بكلام الله او باسراره او بالذين يمارسون افعال العبادة . هل ذكرت اقوال الكتب المقدسة في مذاكرات مضحكة وحولتها الى معاني المزح . هل استخزيت امام الامم من كونك مسيحيًا او امام الهراتقة من كونك كاثوليكيًا . هل عملت او قلت او كتبت شيئًا كنت تعرف انهُ ضد حقيقة الايمان او كنتَ تشك فيهِ . هل القيتَ نفسك في خطر الخطية او فعلتَ شيئًا كنت تشك في انهُ جايز لك . هل قصدت رضى الناس لا رضى الله في ممارستك افعال عبادتهِ . هل تركت الصلوة زمانًا مديدًا هل في وقت صلواتك شرد عقلك باختيارك ❁

الفصل الرابع

❁ في ذكر الخطايا المضادة الوصية الثانية وهي لاتحلف باسم الله بالباطل ❁

فقل ان كنت حلفت لاثبات شيءٍ تعلم انهُ كذب لاحقيقة لهُ او حلفت على امرٍ تشك بهِ او على غفلةٍ بغير تمييز . هل وعدت احدًا بشيءٍ غير جايز وثبتَّ وعدك بالحلف . هل تممت وعدك وقسمك . هل كنت قاصدًا ان تقوم بالوعد حينما اثبته بالحلف . هل توعَّدت اجرايك او اولادك وثبتَّ وعيدك لهم بالحلف ولم تفعل اخيرًا ما توعدتهم بهِ . على ان هذا هو خطية مميتة كالذي تقدم ذكره وتكون ملتزمًا بتتميم هذا الحلف الّا ان يكون الشي الذى حلفت عليهِ غير جايز . او رايت بعد وعيدك وحلفك ان الافضل ان تغفر . هل حلفت انك لاتعمل شيئًا ما خيريًا مثلاً انك لاتقرض لاتكرز وما شاكل ذلك . وهذا الحلف لايلزم بالقيام فيهِ غير انك تكون قد اخطات بوعدك وقسمك هذا . هل حلفت ان تعمل شيئًا رديًا وهذا الحلف ايضًا لايلزمك بتتميمهِ بل تخطي خطية اخرى اذا فعلت ذلك الشي الردي الذي حلفت عليهِ . وقد تخطي على هذا المنوال اذا ثبتَّ وعدك او كلامك باللعنة او بالدعا على ذاتك . مثلاً اذا قلت الله يلعنني او يخرب داري او يجازيني بالنقمة وما يضاهى هذا ان

كنت لا افعل كذا. وهكذا اذا صرت سببًا لاحد لان يحلف او منعته عن تتميم الامر الحميد او الجائز الذي كان اقسم ان يفعله. او توانيت في توبيخ وتاديب الحلافين الذين تحت سلطتك كامراتك واولادك وغيرهم *

الفصل الخامس

* في ذكر الخطايا المضادة وصية الله الثالثة وهي احفظ ايام الاعياد *

اذكر هل باشرت في يوم احد او عيد عملًا ما خدميًا او صرت سببًا لغيرك لان يباشر مثل هذا العمل او لم تمنع عن ذلك الذين هم تحت سلطانك. هل حضرت القداس في هذه الايام وهل حضرته بالكلية اعني من ابتدايه الى انتهايه. هل وقفت في الكنيسة بالاحترام الواجب او خلوًا من ذلك ملتفتًا الى هنا وهناك ضاحكًا او متكلمًا مع الناس. هل اجتهدت في ان تحضر اولادك واجراوك القداس وان يحضروه كما يجب. هل اصرفتَ هذه الايام باللعب والاباطيل. هل تكاسلت في استماع الوعظ والتعليم. هل حضرت الصلوة في الكنيسة وانت محروم او تناولت في هذه الحال سرًا من الاسرار المقدسة *

الفصل السادس

* في ذكر الخطايا المضادة الوصية الرابعة وهي اكرم اباك وامك *

فافتكر اولًا ان كنت ابنًا هل احتقرت اباك وامك او شتمتهما او لعنتهما او خالفتهما في امر من الامور الحميدة الجايزة. هل ساعدتهما في ضرورتهما. هل تممت وصيتهما عند موتهما. هل اشتهيت موتهما * ثانيًا وان كنتَ ابًا فانظر هل تكاسلت في تعليم اولادك الامور الضرورية للخلاص او لم تجتهد في تاديبهم وتوبيخهم وتعذيبهم. هل علمتهم شيًا رديًا او امرتهم به. هل صرت لهم نموذجًا رديًا بعادة الغضب والخلق الردي او الشتايم واللعنات او الدعا على الموتى او بغير ذلك من الاقوال والافعال النجسة الغير اللايقة. هل اجتهدت في صدهم عن معاشرة الناس الاردياء. هل منعتهم عما يختص بخدمة الله. هل لعنتهم

او دعيت عليهم واشتهيت موتهم او بغضتهم . هل ضربتهم بلا سبب او بخلق ونزاقة . هل اخرت عليهم اقتبال سر المعمودية ❊ ثالثًا وان كنت متزوجًا فافحص هل بغضت امرأتك او احتقرتها واهنتها بالفعل او بالكلام . هل ضربتها هل خفت من كثرة الاولاد . هل فعلت شيئًا ضد لوازم الزيجة ليلا يكثروا . هل صيرتك محبتك المفرطة لامرأتك ان تفعل شيئًا غير جايز في مباشرة امور الزيجة . هل ابيت عن وفا حق الزيجة بغير سبب كافٍ . وكذلك المرأة ينبغي ان تنظر هل خالفت رجلها بلا سبب داعي لذلك او هل صارت لهُ سببًا لان يغتاظ ❊ رابعًا وان كنت ريسًا او معلمًا فافتكر هل اهتممت في ارشاد الذين هم تحت حكمك وتدبيرك وتعليمهم الامور الضرورية للخلاص . هل نصحتهم ووبختهم وعذبتهم لما تكلموا او فعلوا شيئًا يغيظ الله . هل علمتهم شيئًا رديًا او امرتهم بما لا يجوز . هل صرت لهم سببًا لان لا يحضروا القداس في ايام الحدود والاعياد هل ضربتهم خلوًا من سبب او بالخلق والشراسة . هل ثقلت عليهم التعب فوق قوتهم . هل أخرت وفاءً ما يجب لهم من الكرا او نقصت منهُ شيئًا ❊ خامسًا وان كنت تحت رياسة غيرك وتدبيره فانظر هل احتقرت ريسك او معلمك او تكلمت في حقهِ . هل تكاسلت في خدمتهِ تكاسلاً معتبرًا باهظًا صار لهُ من قبلهِ ضرر . هل سرقت منهُ شيئًا او تُلف بذنبك شي مما لهُ او تصرفت فيهِ بغير اذنهِ . هل خالفتهُ في شيءٍ معتبر او صرت لهُ سبب الغيظ والغضب . هل طعنتهُ في امرٍ غير جايز هل اشهرت اسراره هل تمرمرت عليهِ ❊

الفصل السابع

❊ في ذكر الخطايا المضادة الوصية الخامسة وهي لا تقتل ❊

افتكر هل اشتهيت الموت لذاتك متعمدًا وهل فعلت شيًا مسببًا لك الموت . هل القيت ذاتك اختياريًا في خطر الموت القريب بغير سبب داعٍ لذلك . هل سببت موتًا روحيًا لقريبك وذلك اما بواسطة مثالك الرديء واما بمشورتك واما باشتراكك معهُ في خطيتهِ واما بامتداحك اياهُ واما بمساعدتك لهُ في الخطية .

هل بغضت قريبك وكم مقدار من الزمان استقمت على حال البغضة له. هل اشتهيت ضررًا لاحد من باب الانتقام وبحركة البغضة له. هل قصدت ان لا تغفر للقريب او ان لا تتصالح معه. واذ تصالحت معه ألعلك ابيت ان تبصره وتكلمه وتحييه بالسلم كما كنت تفعل معه قبلاً واذ اسيت الى احد ألعلك لم ترد ان تطلب بذاتك او بغيرك مصالحته. هل حسدت احدًا فاغتظت من خيره او فرحت بضرره. هل احتقرته في قلبك احتقارًا معتبرًا باهظًا. هل اسيت اليه اسية ثقيلة بالشتم والافترا. هل تصدقت على الفقرا حينما كنت تعرف انك ملتزم بذلك. هل ابيت ان تسعف القريب في ضرورته الباهظة اذ كنت قادرًا على ذلك. هل ضربت احدًا او جرحته او قتلته بذاتك او بواسطة غيرك. هل سكرت او صرت سببًا لغيرك ان يسكر. هل سببت لامرأة طرح جنينها او هل الامرأة سببت ذلك لذاتها على وجه من الوجوه. هل صرت سببًا لموت الاطفال الصغار لانك اردت ان يناموا معك في الفراش *

الفصل الثامن

* في ذكر الخطايا المضادة الوصية السادسة وهي لا تزن *

هل استمريت مفتكرًا افكارًا نجسة بنية ان تستلذ بها وذلك اختياريًا. هل نظرت الى ما يسبب هذه الافكار. هل استلذيت اختياريًا بذكر خطية نجسة وماذا كانت تلك الخطية. هل وسوست لاحد مستعطفًا اياه الى هذه الخطية سواء كان بالكلام او بالاشارات او بمكاتيب او بهدايا او بفعل ما غير لايق. هل قبلت احدًا قبلة نجسة. هل صدر منك لمس نجس للحمك او للحم غيرك وما الذي حدث عن ذلك. هل سقطت في خطية الزنا ومع من كان ذلك. هل مع شخص يقربك وفي اية درجة او مع شخص غريب متزوجًا ام غير متزوج. هل باشرت عملاً ما نجسًا ضد الناموس الطبيعي. هل اشتهيت شيئًا ما من هذه الافعال الدنسة المتقدم ذكرها. هل نطقت بالفاظ نجسة وقدام من نطقت بذلك. هل ترنمت باغاني تميل بالقلب الى المحبة الدنسة *

الفصل التاسع

* في ذكر الخطايا المضادة الوصية السابعة وهي لا تسرق *

افتكر هل اخذت شيًا مما للغير بالخطف او بالحيلة او بالربا او بالسيمونيا . هل تحفظ عندك شيأ ضد رضى صاحبه . علي انهُ لا يكفيك ان تقصد رد ذلك الشي بل ينبغي ان تردهُ حالاً . هل الذي وجدته رددته لصاحبه . هل انك في البيع والشرا عملت شيأ بطريق الحيلة . هل اشتريت شيًا كنت تعرف انهُ مسروق او تشك بذلك . هل بعت شيًا بثمن زايد جدًا او اشتريت شيًا بثمن دني جدًا عما يسوى . هل اعطيت دراهم زغل . هل صرت سبب ضرر احد بوجه من الوجوه . وان كنت خادمًا لغيرك فافتكر هل تلف شي مما انت متوكل عليه *

الفصل العاشر

* في ذكر الخطايا المضادة الوصية الثامنة وهي لا تشهد بالزور *

افتكر هل شهدت بالزور علي احد في المحكمة او في غير مكان قايلاً عنهُ ما كنت تعرف انهُ كذب او كنت تشك في حقيقته وما هو الضرر الذي حدث من ذلك للغير . هل تكلمت بالكذب وهل لك عادة في ذلك . هل سببت ضررًا لاحد بكذبك . هل تهمت القريب بالكلام او بالكتابة . هل اشهرت رذايل الناس او نقايصهم التي لم تكن معروفة الا من اناس قليلين . وهل اشهرت ذلك قدام كثيرين . هل ظننت في القريب ظنونًا باطلة . هل حولت في فكرك او بالكلام افعال غيرك الصالحة الى شر . هل سودت عرض احد او سررت لما سمعت اناسًا يسودونهُ او لم تحام لهُ وانت قادر على ذلك . هل رميت فتنة بين الانام بنقل الكلام وما هو الضرر الذي صار لهم من ذلك . هل شكرت ذاتك علي شي ردي . هل اشهرت سراير الناس فانضروا لذلك . هل فتحت مكاتيب الغير خلوًا من سبب داع لهذا وهل صار لهُ ضرر من ذلك * تنبيه اما الخطايا التي ضد الوصية التاسعة والعاشرة فقد اوردناها في الفصل السادس والثامن

الفصل الحادي عشر

* في ذكر الخطايا المضادة وصايا الكنيسة الست *

وما على الذي ذكرناه في الفصول الماضية عما يخص تلك الوصايا فافتكر هل اعترفت في كل سنة مرة واحدة اعترافاً واجباً . هل تناولت سر القربان المقدس باستحقاق مرة واحدة في كل سنة . هل صمت الصيامات المفروضة وامتنعت عن اكل اللحم والزفر في الايام المحرمة . هل صرت سبباً لاحد لان لا يحفظ هذه الوصايا . هل وقعت تحت حرم بعدم طاعتك لامر الكنيسة *

الفصل الثاني عشر

* في ذكر الخطايا التي تخص بعض رتب ووظايف كنايسية وعالمية *

فان كنت كاهناً فافتكر هل قبلت الكهنوت بنية طلب مجد او ربح زمني او خلواً من دعوة الهية . هل قبلت الكهنوت او درجة من درجاته بغير استعداد او في حال خطية مميتة . هل قرأت الصلوات المفروضة من الكنيسة على كل كاهن . هل قدست او ناولت سراً من الاسرار المقدسة في حال خطية مميتة او خلواً من الاكرام الواجب للاسرار الالهية الرهيبة . هل رتلت او قرات صلوات الكنيسة بغير عبادة . هل وفيت القداسات التي قبلت لاجلها من الناس دراهم او شيئاً اخر . هل ظهرت في الكنيسة وخارجاً عن الكنيسة بحلة لايقة . هل لبست ثياباً تليق بدرجتك . هل تركت احداً يخدمك في بيتك ممن تشك به الناس . هل حضرت محافل اللهو او الطرب . هل دخلت في الكهنوت بالسيمونيا او بطريقة اخرى غير جايزة . هل قبلت خدمة الكنيسة وارشاد المومنين خلواً من ان تكون متصفاً بالمعرفة والفضيلة الضرورية لذلك . هل اصرفت مدخول الكنيسة في اشيا ردية او باطلة وتغافلت عن مساعدة المساكين . هل صرت سبباً لغيرك لان يرتسم كاهناً وهو غير قابل لهذه الدرجة *

وان كنت خوريًا فافتكر هل تغافلت او تكاسلت في تعليم الرعية الامور الضرورية للخلاص . هل استكسلت في افتقاد المرضى وتعزية الحزانا ومساعدة الفقرا . هل مات بذنبك طفل بغير معمودية او مريض خلوًا من تناول الاسرار هل تغافلت عن رفع الشك من رعيتك . هل احترست علي ان تكون اواني الكنيسة وحلتها لايقة . هل قبلت اعتراف احد بغير اذن الاسقف وخلوًا من علم كافٍ لارشاد النفوس . هل قبلت اعتراف الناس بعجل وبغير التعليم الضروري . هل حللت في الاعتراف اناسًا غير مستحقين كالذين يعترفون بلا ندامة حقيقية او بغير قصد التوبة الحقيقية عن خطاياهم او بغير أن يردوا ما عليهم للناس وخلوًا من أن يجتهدوا في اصلاح العرض الذي سودوه وبغير أن يصالحوا اعداهم ولا ان يجتهدوا في ترك عوايدهم الرديه . هل حللت احدًا عن قضايا محفوظة لروسا الكهنة بغير اجازتهم . هل استشرت اناسًا معلمين في قضايا صعبة لم تعرفها جيدًا او حكمت عليها بسرعة خلوًا من تفتيش وبحث . هل اظهرت على وجه من الوجوه خطايا احد سمعتها في الاعتراف . هل كلمت تلاميذك خارجًا عن الاعتراف عن خطاياهم بغير اجازتهم او فرضت عليهم قانونًا اشتهرت به خطيتهم . هل قطع المعترف رجاه لاجل كثرة صرامتك المتجاوزة الحد او هل تراخيت نحوه بتنازل مفرط لرغبة خير او جاه زمني او لاجل خوف بشري واحترام دنيوي . هل حللت من النذور والحرومات والرباطات الكنايسية خلوًا من سلطان او غيرت بلا سبب واجب قوانين قد وضعها غيرك . هل فعلت شيًا او امرت بفعل شي لاجل حجة معروفة منك بطريق الاعتراف فقط . هل تقدمت الى قبول اعترافات النسا بغير استعداد خصوصي لحفظ العفة والاحتشام معهن . هل سالتهن في الاعتراف عن امور خطرة غير ضرورية . هل بعد قبول اعترافهن رددت في عقلك ما يمكن ان يسبب لك فكرًا رديًا . هل قبلت اعترافهن بالاحتشام الواجب . هل في قبول اعترافاتهن فضلت بعضهن علي بعض بميل ما بشري منحرف . هل رذلت اعتراف الفقرا *

وان كنت راهبًا فافتكر هل دخلت الرهبنة بنية ما عالمية وهل اصلحت

هذه النية . هل ضجرت من دعوتك وقصدت ان تغيرها . هل تكاسلت في حفظ قوانينك او صرت سببًا لاحد لان يرتخي في حفظها . هل خصصت لذاتك شيئًا . هل قبلت او اعطيت او اعرت شيئًا بغير اجازة الريس . هل لبست ثوبًا غير لايق بالادب الرهباني . هل افتكرت او اشتهيت او نظرت او سمعت او قلت او قرأت او كتبت او فعلت شيئًا ضد العفة . هل احتقرت او خالفت امر ريسك . هل تمرمرت عليه او صرت سببًا لاخوتك لان يتمرمروا . هل رميت فتنة في الدير ❊ وان كنت طبيبًا فافتكر هل دخلت في هذه الصناعة وباشرتها بغير علم كاف . هل وصفت دواء خطرًا للداء لم تعرفه جيدًا . هل نصحت المرضى الحاصلين على خطر الموت بان يحضروا نفوسهم له . هل اشرت على احد او امرته بان يعمل شيئًا يخالف به ناموس الله . هل حللت للمرضى قطع الصوم واكل زفر بغير سبب واجب . هل اطلت عليهم المرض لتزيد مكسبك . هل مات احد بذنبك . هل امتنعت عن مداواة المساكين . هل صرت سببًا بالمشورة او بالادوية لمنع التوليد او للطرح . هل بعت ادويتك بثمن زايد عن المعقول والصواب ❊

التامل الحادى والاربعون

❊ في تقدمة الشكر بعد الاعتراف ❊

اما بعد الاعتراف بخطاياك ما بين يدي الكاهن واقتبالك الحل عنها . فالواجب عليك ان تختلي قليلاً لكي تبارك الله وتشكره على احسانه هذا العظيم . ولعمري انه تعالى قد طلب منا هذين الشيين على لسان هوشع نبيه حيث يقول : ارجع يا اسرايل الى الرب الهك لانك سقطت لاجل اثمك : كلموا الرب وتوبوا اليه انزع عنا يارب كل خطايانا اقبل اشواقنا الخيرية الصالحة ونقدم لك ذبايح شفاهنا : اي اننا عوضًا عن الذبايح الدموية التى كانت تقدم لك قديمًا نقدم لك الان ذبايح شفاهنا معترفين بخطايانا لكي تغفرها ثم مسبحين مراحمك بعد نيل الغفران عنها . حقًا ان ذبيحة التسبيح تمجد الله جدًا وتفيد الانسان كثيرًا . على ان

هوشع ١٤ع٢و٣

الذين يحسنون المعروف نحو الله يظفرون بالخلاص بسهولة * وبخلاف ذلك العديموا المعروف فانهُ يصعب عليهم الخلاص جدًّا. انظر ما اكثر ما سرَّ ابن الله بذلك الابرص السامري لانهُ اقبل اليهِ تعالى فشكرهُ علي شفاء برصهِ. وبعكس ذلك تامل كيف اغتاظ على التسعة الاخرين الذين اذ اشفاهم ايضًا من البرص لم ياتوا ليشكروهُ على ذلك ويقدموا الحمد الواجب لله * فاذًا بعد الاعتراف يحسن بك ان تنفرد قليلاً ممتثلاً امام الله متاملاً بايمان حيّ جسامة الاحسان الذي اقتبلتهُ. وقد يفيدك ان تردد في عقلك الحكم الكلي العذوبة والتعزية الذى بهِ حكم لك الكاهن قايلاً انا احلك. فيندهش عقلك من قوة هذه الالفاظ القوة الغير المتناهية والالفاظ التي تفعل بحسب معناها وتفيض في قلب سامعها فرحًا لا يوصف وتجذل العظام الذليلة. ثم بعد ذلك احسن اتكالك علي سيدنا يسوع المسيح وارجُ من رحمتهِ الغير المحدودة انهُ يكون قد ثبت حكم نايبهِ وقدم لهُ لذلك شكرًا وافرًا. وذلك بالافعال المختصة بالمعروف وهي الحس الباطن بالاحسان وتقدمة الشكر للذي اقتبلناهُ منهُ والمكافاة عنهُ بافتعال ما يسرّ بهِ *

الجزء الاول

تامل اولاً كل النعم التي مَنَّ الله بها عليك في هذا السر العظيم. وقد عينها داود النبي والملك في المزمور الثاني بعد المائة حيث يبارك الله على احساناتهِ الى الخطاة * فهذه الحسنات هي ست علي الخصوص. اولها هو ان هذا الاب الرحيم يغفر لنا جميع خطايانا. لا تلك التي اعترفنا بها فقط. بل التي نسيناها بالكلية والتي لم تخطر في بالنا بعد الفحص الواجب. ثانيها هو انهُ تعالى يشفي كل امراضنا الروحية التي هي رذايلنا واماراتنا الغير المنتظمة اعني بها الحزن والخوف المتجاوزين الحد. وغير ذلك من الالام والحركات البارزة من الشهوة الحساسة التي يخضعها للعقل. ثالثها هو انهُ تبارك اسمهُ ينجينا من الموت الابدي الذي كنا قد استوجبناهُ بخطايانا. ومن موت اخر يصيبنا في هذا العالم بفقد النعمة الالهية. رابعها هو انهُ جلت رحمتهُ يحفظنا من اعدايِنا. خامسها هو انهُ تقدست اسماوهُ يمنحنا كل الخيرات التي يمكن ان نرغبها لا سيما النعمة والمحبة

وبقية الفضايل المفاضة في انفسنا . وليس انهُ يمنحنا ها فقط بل يحفظها فينا ايضًا وينميها بازدياد . سادسها هو انهُ جلَّ ذكرهُ يجددنا كالنسر وينزع عنا الانسان العتيق وعوايده الردية ويلبسنا الانسان الجديد . وهكذا يردنا الى نشاطنا الاول ويصيرنا ان نمارس رياضات التقوى ببهجة روحية . فهذه هي الانعام التي بها ينعم الله على الذين يتقدمون الى سر التوبة باستحقاق *

الجزء الثاني

مزمور ١٠٢

ثم انهُ يجب عليك ان ترتل هذه التسبحة قايلًا مع النبي : بارِكي يا نفسي الرب وجميع ما في باطني اسمهُ القدوس . بارِكي يا نفسي الرب ولا تنسي جميع مكافاته . الذي يغفر جميع ذنوبكِ ويشفي ساير امراضكِ وينجي من البلا حياتكِ ويكللكِ بالرحمة والرافة ويشبع بالخيرات شهواتكِ ويجدد مثل النسر شبابكِ . ليس مثل اثامنا صنع معنا ولا بحسب خطايانا جازانا . لكن كبعد المشرق من المغرب ابعد عنا سياتنا . وكما يتراف الاب علي البنين يتراف الرب علي خايفيه لانهُ عرف جبلتنا وذكر اننا نحن تراب : يا الله الهُ نفسي كيف اشكرك علي حسناتك الجزيلة . وبماذا اظهر لك المعروف الواجب عليَّ . فاني منذ الان فصاعدًا ابذل جهدي في ان اتمم ما قد ابتدأتهُ انت بجودك فيَّ . فاذ قد غفرت لي خطاياي فلست اعود اليها ابدًا . واذ قد خلصتني من الموت فلا اصنع شيًا فيما بعد يستوجب ذلك . واذ قد كللتني برحمتك فاني اضع عند رجليك كل الاكاليل التي سار بها بفضلك . فاسالك يا الهي الجزيل الحنوان تزيد علي انعامك هذه نعمة اخرى . وهي ان تملا وتشبع شهواتي بوفور مواهبك . اجعلني ان اكمل جميع هذه المقاصد المقدسة . منطقني بقوة جديدة لاسير راكضًا في سبلك بنشاط جزيل . بل اطير كالنسر فلا اتعب ولا اضعف *

الجزء الثالث

اما فعل المعروف الثاني الذى يجب عليك ان تمارسهُ بعد الاعتراف فيتوقف على ثلثة اشيا . فاولًا ينبغي ان تجتهد في تثبيت عزمك وتمكينه على اصلاح سيرتك . فتصور في عقلك ان السيد المسيح يقول لك ما قالهُ لذلك المريض الذي كان

يشكره على احسانه اليه : انك قد عوفيت فلا تعد تخطي ليلا يكون لك شرًّا من الاول : وحقًّا اننا قد عرفنا بالتجربة ان العودة الى الخطية هي اكثر خطرًا من السقطات الاولى . فان شرعنا نرتجع الى رذايلنا الردية فنكون حالاً قد استدعينا الشيطان الذي كنا اخرجناهُ سابقًا وفتحنا لهُ باب قلوبنا ليدخل : وهو حينئذٍ يمضي و ياخذ معهُ سبعة ارواح اخر شرًّا منهُ ويقيم هناك وتكون اخرة ذلك الانسان شرًّا من اولهِ : لأن العودة الى الخطية حالاً بعد الاعتراف هي اكثر خطرًا من ذلك . على ان هذا دليل على أن رجوعنا الى الله ولو انهُ كان حقيقيًّا لأنهُ كان فاترًا باردًا مرتخيًا جدًّا . فمن كانت هذه الحال حاله يخصهُ ماقالهُ الحكيم : مَن يغتسل لاجل لمسهِ جسد ميت ثم يمسهُ ايضًا ماذا ينتفع من غسلهِ الاول : فالامر يجري هكذا في الخاطي الذي يرتجع بعد التوبة الى الرذيلة كعادته القديمة . لانهُ ماذا ينتفع من صياماتهِ وصلواته . فليمعن النظر كلٌّ منا في هذه الاعتبارات لكي يكتسب بها خوفًا خلاصيًا . وليحذرنَّ من ان نفشلهُ الخوف ويقطع رجاهُ . على ان الانسان من عادته ان يسقط سبع مرات في النهار ويقوم ❁

واخيرًا نقول ان السيد المسيح يطلب منا بعد الاعتراف ان نظهر لهُ المعروف باستعدادنا لتناول جسده الاقدس بنشاط وحرارة حسبما قال المرتل : بماذا اكافي الرب عن كلما اعطاني كاس الخلاص اقبل وباسم الرب ادعو ❁

يوحنا ٥:١٤
لوقا ١١:٢٦
سيراخ ٣٤:٣٠
مزمور ١١٥:١٢و١٣

التامل الثاني والاربعون

❁ في سر القربان المقدس ❁

اعلم ان هذا السر العظيم يلزمنا باستعداد جزيل لتناولهِ . فلكي يسهل ذلك على اهل التقوى والعبادة من المومنين نقدم لهم هنا اعتبارات مختلفة في هذا الصدد ❁

❁ الاعتبار الاول ❁

في الفرق الموجود بين طعامنا هذا السماوي وبين الطعام الذي أُعطي لادم في الفردوس الارضي وايضًا بينهُ وبين المنّ الذي أُعطي للاسرايليين ❁

اعتبر اولاً انهُ من جملة الاطعمة التي أُعطيت لادم في الفردوس والذها واحسنها

وافضلها كانت ثمرة شجرة الحيوة التي كانت من خواصها ان تصير المتناولين منها غير قابلين الموت. وهكذا فان الطعام الاخص والافضل من جملة ما اعطاناهُ الله في فردوس كنيسته لقيام حيوة نفوسنا. هو جسد ابنهِ الحبيب ثمرة الحيوة. والخبز الذي يحيي الى الابد. فلنا اذاً شجرة للحيوة كما كان لادم. الا ان شجرة ادم كانت من الارض. اما شجرتنا فقد اتتنا من السما. تلك لم تكن تقيت سوى الجسد. اما هذه فتقيت النفس. الشجرة الاولى كانت تحفظ الحيوة في الذين يفوزون بها. اما الشجرة الثانية فتمنح الحيوة للذين فقدوها. ولهذا فالخليق بنا ان نشبهها بشجرة الحيوة التي في السما: لانها تثمر اثنتي عشرة ثمرة كعدد اشهر السنة وورقها لشفا الامم: على أن شجرتنا الالهية اعني بها سر القربان المقدس تثمر اثنتي عشرة ثمرة جليلة. وهي الفضايل التي من عادتها ان تبرزها فينا وهي ايضاً تقتبل اثمار الروح القدس الاثنتي عشرة: وهي المحبة والفرح والسلام والصبر والانس والجود والاناة والدعة والايمان والادب والقناعة والعفة: وهذه الاثمار تثمرها فينا شجرتنا كلما ناكل منها. وورقها اعني بذلك ما يذكر عن عجايبها تمنح الصحة والعافية ومن ثمَّ قال المخلص: كلماتي هي روح وحيوة: فاشكرك يا ابا الرحمات لانك غرست هذه الشجرة في كنيستك لاحيى بها الى الابد. فاعني بنعمتك لاظفر بر ذايلي فاجتمع مع تلك النفوس المنتصرة التي وعدتها بان تاكل من اثمار شجرة الحيوة التي في فردوسك السماوي ❊

رويا ٢٢ع٣ · غلاطيه ٥ع٢٢ · يوحنا ٦ع٦٤

اعتبر ثانياً الفرق الموجود بين هذا الطعام الالهي وبين المنّ الاسرايلي. فاولاً هذا المن قد كان حقاً خبز السما وخبز الملايكة وانما دعي هكذا لان الملايكة كانوا يصنعونهُ في الجو. ومن هناك كان ينزل كالندى على الارض. اما منّ المسيحيين فانهُ نزل من اعلى سما السموات. وليس هو عمل الملايكة بل هو عمل الروح القدس الذي اكمل سر تجسد ابن الله. لانهُ اذ اراد الكلمة الالهية ان يصير انساناً نزل مثل الندى على الارض وصار طعامنا وشرابنا تحت اشكال الخبز والخمر. فالان لا يقال لنا ما قيل قديماً للاولين: بعرق جبينك تاكل خبزك: لان ابن الله بعرقهِ وسفك دمهِ قد اكتسب لنا هذا الخبز السماوي الذي ناكلهُ بلا تعب ❊ ثانياً

خليقة ٣ع١٩

المن الاسرايلي كان دواءً جليلاً ضد جميع الامراض . وطالما كان الاسرايليون ياكلون منهُ لم يكن في اسباطهم مريض . الا ان كثيرين وافاهم الموت بغتةً لاجل مخالفتهم واخيرًا مات جميعهم . اما القربان المقدس فيشفي هكذا كل امراضنا الروحية ويحفظنا من الموت الابدي . وسينقذ الابرار من موت الجسد حسب وعد تعالى : من ياكل جسدي ويشرب دمي فلهُ حيوة الابد وانا اقيمهُ في اليوم الاخير :

يوحنا ٥٥ع٦

اعتبر ثالثًا ان المن القديم ولو انهُ لم يكن لهُ الا طعم واحد فكان بعجوبةٍ مذهلةٍ تميز الصالحين من الطالحين . ينتقل طعمهُ الى مهما ارادوا من الطعوم . فالامر يجري هكذا في هذا السر الالهي . علي انهُ ولو ان الذين يتناولون القربان المقدس في حال الخطية لا يجدون فيهِ سوى طعم الخبز والخمر . الا ان الصالحين يجدون فيهِ عذوبات ولذات مختلفة حسب استعدادهم وارادتهم . فالذي يتناول القربان المقدس بنية ان يكتسب فضيلة الطاعة او الامانة . يجد لذةً في ممارسة افعال هاتين الفضيلتين . اللتين كان يجد فيهما قبلاً صعوبةً ومرارة . واقول على الاطلاق ان الذي يتقدم الى هذه المائدة المقدسة باستعدادٍ واجبٍ يشعر باطنًا بعذوبةٍ تفوق جدًا على كل لذات الحواس *

اعتبر رابعًا ان الاسرايليين كانوا كل يوم باكرًا ياخذون من المن بعضهم اكثر من غيرهم وبعضهم اقل . الا ان الذين كانوا ياخذون اكثر لم يكن لهم اكثر مما للذين كانوا اخذوا اقل منهم . فهذه هي صورة القربان المقدس الذي يكفي دايمًا لقوت النفس مهما كان مقدار اعراض السر . علي ان جسد المسيح يوجد بكليتهِ وعلي حدٍ سوى في ادنى جوهرة كما يوجد في الكبرى . بل في جزءٍ صغير من اجزا الجوهرة كما يوجد في كلها . ومن ثم فالذي يتناول جوهرةً كبيرة لا يتناول اكثر من الذي يتناول جوهرةً صغيرة . والذي يتناول جوهرةً واحدة فانهُ يتناول مقدار الذي يتناول الف جوهرة . من حيث ان اثنيهما يتناولان سيدنا يسوع المسيح بكليتهِ الذي يقيتهما ويشبعهما على حدٍ سوى . وينتج ايضًا من ذلك ان الذي يتناول القربان المقدس تحت شكل الخبز فقط . فانهُ يتناول مقدار ما يتناول الذي يقتبل هذا السر الالهي تحت اشكال الخبز والخمر . علي ان جسد المسيح

ودمه الاقدسين يوجدان متحدين تحت كل من الشكلين . فيا ايها الخبز الالهي خبز حياتنا انك لعظيمٌ وصغيرٌ علي حدٍ غير موصوفٍ . لانهُ اي ما شي هو اصغر من اصغر اجزاء الجوهر واي شي هو اعظم من انسان هو اله . فيا ايها الخبز الحي والمحيي انعم عليَّ ان اكون نظيرك صغيرًا وعظيمًا معًا فصغيرًا بازاء عينيَّ وعظيمًا بازاء عينيك *

الاعتبار الثاني

* في العجايب الموجودة في القربان المقدس *

مزمور ١١٠ع٤

قال المرتل متنبيًا عن هذا السر الاقدس : الرب الرحوم والراوف صنع ذكرًا لعجايبه اعطى غذاءً لاتقيايه : فهذه العجايب التي يذكرها النبي هي علي الخصوص سبع او ثمان * العجوبة الاولى هي ان القربان المقدس يتضمن كلما للثالوث الاقدس من العظايم من حيث انهُ يحتوي الكلمة الالهية مع ناسوته : الذى فيهِ يستقر كل ملوءِ اللاهوت جسدانيًا : وبالنتيجة يوجد فيهِ الثالوث الاقدس كلهُ علي انهُ لضربٌ من المحال أن يوجد احد الاقانيم الالهية الثلثة منفردًا عن الاقنومين الاخرين من حيث ان الثلثة الهٌ واحد . ومن ثمَّ الابن لايستطيع أن يفعل شيًا في هذا السر الالهي دون الاب والروح القدس . مع اننا نخص ذلك للابن لا للاب وللروح القدس . وذلك لان الابن وحدهُ اتحد اتحادًا قنوميًا بالجسد الذي ناكلهُ وبالدم الذي نشربهُ . فهذا السر اذًا يتضمن كل العظايم والكمالات الالهية . لانهُ

كولوسا ٢ع٩

اذ تكون في يسوع المسيح كل كنوز حكمة الله وعلمهِ فبالتالي تكون ايضًا فيهِ تعالى كل كنوز جود الله ومحبتهِ . فالمسيح اذًا بحكمتهِ الغير المتناهية اخترع الواسطة التي بها يصير ذاته خبزًا حيًا يقيت بهِ البشر . وجودهُ صيرهُ ان يمنح ذاتهُ للمومنين على هذا النوع العجيب . ومحبتهُ ساقتهُ الي أن يمنح ذاتهُ لا لاصدقايهِ فقط بل لاعدايهِ ايضًا . ورحمتهُ الغير المحدودة اجتذبتهُ الينا وصيرتهُ ان يجعل جسدهُ طعامًا للجياع ودمهُ مشربًا للعطاش . واثنيهما دوا للمرضى . وسخاوهُ الغير المدرك يلزمهُ ان يعطينا كلما لهُ بغير أن يرجو منا شيًا . وقدرتهُ الضابطة الكل تصنع في هذا السر العظيم عجايب لم يسمع مثلها قبلاً * العجوبة الثانية تتضمن عجايب كثيرة تفعلها في هذا السر قدرة الله الضابطة الكل

لاتشعر بها الحواس بل يتعجب منها العقل الذي ينظر اليها بعيون الايمان لاغير * فالعجوبة الاولى التي يفعلها الله بقدرته الالهية في سر القربان المقدس . هي انه يفك الاتحاد الطبيعي الموجود بين جوهر الخبز والخمر وبين . اعراضهما ويلاشي جوهرهما خلوًا من ان يلاشي الاعراض . ولذلك ولو انه بعد التقديس تبقى رايحة الخبز والخمر وطعمهما ولونهما . الا انه لمن المحقق انه لا يوجد فيهما جوهرهما بل قد تحول الى جسد المسيح ودمه الاقدسين * فيا ايتها الكلمة الضابطة الكل التي هي احدّ من كل سيف ذي حدين اذ تفصلين . الاعراض من الجوهرة المستقلة عليه . افصلي ـ في الجزء الحيواني من الجزء النطقي لكي لا اعيش في الباطن كما اعيش في الخارج عيشة انسان مجبول من ارض بل انت تحيين فيّ وحدك * العجوبة الثانية التي تفعلها قدرة الله في هذا السرّ المسجود له . هي ان جوهر صغير كجوهر الخبز والخمر يستحيل حقًا الى جسد كبير كامل كجسد سيدنا يسوع المسيح . وان هذا الجسد يكون حقًا بكليته تحت الاعراض السرية مع المجد الذي يمتلكه في السما . فهنا اي في القربان المقدس يكون حقًا راسه مع عينيه الطاهرة التي تبيد كل شر بنظرها وتجتذب الى حبه القلوب الشديدة صلابتها . هنا توجد حقًا رجلاه ويداه وجنبه مع علامات جراحاته . وهنا يوجد قلبه ملتهبًا بتلك المحبة التي اضطرته بسفك دمه لاجل اعاليه . هنا تجد كل جسد متلاليًا كمثل الشمس والكواكب بل اكثر منها بهاء كثيرًا جدًّا . فهل يمكن ان يصنع الله عجوبة اعظم من هذه العجوبة التي بها يحيل شيًا صغيرًا دنيًا الى شي عظيم بهذا المقدار . بل الى شي الهي لاجل قوت البشر * فيا الهي ومجدي احلني بنعمتك الى انسان جديد فها انا اقدم لك ذاتي ذبيحة ومحرقة جزاء عن تغييرك هذا العجيب لجوهري الخبز والخمر وتحويلك هما الى جسدك ودمك الاقدسين . انه لواجب عليّ ان اخص ذاتي بالكلية لخدمتك اذ كنت انت منحتني ذاتك بالكلية لاجل حفظ حياتي . فلاجل هذا وبهذه النية اقدم لك جسدي ونفسي وحواسي وقواي لاني لست اريد ان احيي الا لاجلك * العجوبة الثالثة المذهلة العقول هي ان جسد ابن الله كله يوجد في الجوهرة على نوع روحي . لانه يوجد بكليته في الجوهرة

المقدسة وبكليته يوجد ايضًا في كل جزء من اجزاها . ولقد يصير في اعراض الخبز والخمر انفصالاً وتمييزًا . الا انهُ لا يشوب جسده ودمه انفصال ما اصلاً . ومن ثمَّ يسوغ لنا ان نقول عنهُ تعالى انهُ في هذا السر يكون كمن لا جسد لهُ مع انهُ يمتلك جسدًا . على انهُ تقدس اسمهُ لهُ رجلان ولا يقدر ان يمشي . لهُ يدان ولا يمكن ان يحركهما . لهُ لسان ولكن لا يستطيع ان ينطق بهِ . وعلى الاجمال نقول انهُ لا يستعمل في هذا السر سوى قواهُ الروحيَّة . فكانهُ تعالى بهِ اي بهذا السر روح بسيط ❊

التجربة الرابعة هي انهُ تعالى وان كان لم يزل في السما ولا يبرح مستقرًا هناك على الدوام . فمع ذلك هو حقًا على مذابحنا . وحيثما يُقدَّم القداس الالهي وحينما ينطق الكاهن بكلام التقديس قايلاً هذا هو جسدي . ففي الحال تقدس اسمهُ يحقق هذه الكلمات ويصنع كل العجايب المتقدم ذكرها . ويكثر ذاته لكي يكون في كل الاماكن التي يوجد فيها اناس يستطيعون ان يستفيدوا من حضوره . فبماذا اكافيك يا يسوع الحلو عن كلما فعلت من المعجزات لاجلي . وكيف اظهر لك المعروف الواجب . فها انا اقدم لك ذاتي بكليتي لاخدمك في كل مكان وفي كل زمان ❊

❁ الاعتبار الثالث ❁

في ان سيدنا يسوع المسيح رسم سر القربان المقدس تذكرةً للوظايف المختلفة التي ❊ باشرها لاجلنا في زمان حيوتهِ وتردده على الارض ❊

فاعتبر اولاً انهُ جل ذكرهُ اذ كان مترددًا على الارض فكان يباشر وظيفة الطبيب وذلك لانهُ كان يشفي المرضى ويقيم الموتى . ولم يكن يستعمل في ذلك دواء اخر سوى قوة كلمتهِ . ما عدا انهُ احيانًا كان يلمسهم بيدهِ او ياذن للمرضى ان يلمسوا ثوبهُ . ولم يكن يكتفي بذلك لكنهُ كان يشفي امراض النفس ايضًا بقوة كانت تخرج منهُ . فهذه كلها يصنعها الان تقدس اسمهُ في سر القربان المقدس . حيث يكون لنا الى انقضا العالم طبيبًا ودواء . لانهُ تبارك اسمهُ لكي يشفي امراضنا الروحيَّة ياذن لنا ان نلمس جسده الاقدس الموجود تحت الاعراض السرية . ولا يشفي بذلك نفوسنا فقط لكنهُ يعافي اجسادنا ايضًا اذا راى هذا خيرًا لنا ومفيدًا لخلاصنا . فتامل الان ما اكثر ما تحتاج الى هذا الطبيب الالهي وانت حاصل بحال انسانٍ

قد كثرت امراضهُ وثقلت عليهِ جداً. فتقدم وارها له تعالى واطلب منهُ ان يشفيها بحضوره * تذكر ثانياً ان السيد المسيح في زمن حياته علي الارض كان يباشر لاجل الانسان وظيفة المعلم. وهذه نفسها باشرها الان ايضاً علي مذابحنا لانهُ من حيث انهُ هو نور العالم فينير الذين يقتبلونهُ ويعلمهم حقايق انجيلهِ المقدس * تذكر ثالثاً ان سيدنا يسوع المسيح باشر علي الارض كل الوظايف المختصة بمن يكون مخلص العالم. لانهُ اخرج الشياطين من اجساد المجانين ومن نفوس لا عدد لها. وقد بذل دمه وحياته من اجلها كراعي صالح يبذل نفسهُ للموت لاجل خرافهِ. وهكذا في سر القربان المقدس فانهُ يظهر لنا جلياً انهُ هو مخلصنا وراعينا. لانهُ هنا اي في هذا السر المقدس يهبنا اثمار الامه وموته. هنا ينتشلنا من اسر الشيطان واللحم والرذايل والشهوات. هنا يقدم لنا جسدهُ ماكلاً واخيراً هنا لا ياكل الخروف علي مايدة راعيهِ فقط كما قال ناثان النبي لداود. بل ياكل الخروف لحم الراعي ايضاً. مع ان بقية الرعاة ياكلون لحم خرافهم. فانا اعترف يا مخلصي الحنون وراعيَّ الصالح اني لولاك لقد كنتُ اهلك جوعاً ويفترسني الذيب الجهنمي. فنجيني من فم الاسد. واذ قد هيات قدامي مايدةً كسورٍ مقابل اعداي المحيطين بي قوديني بنعمتك لكي اظفر بهم. حتي اذا ما تركت مايدتك هذه انتقل اليك فاجلس علي تلك المايدة المعدة لي في ملكوتك * تذكر رابعاً ان سيدنا يسوع المسيح يمارس في هذا السر الجليل تلك الفضايل التي مارسها علي الارض في زمان حياتهِ. فالفضيلة الاولى هي الاتضاع الذى يصيرهُ أن يحجب كل مجد عظمته تحت اعراض جزءٍ صغير من الخبز. ومن ذلك يتخذ الكافرون سبباً ليحتقروهُ محتسبين جسد الاقدس خبزاً اعتيادياً لا غير * الفضيلة الثانية هي طاعة كلية لصوت الكاهن. على انهُ يحضر حالما ينطق الكاهن بكلمات التقديس ولو انهُ نطق بها بنيَّة رديةٍ ولو مهما كان انساناً ردياً أثيماً * الفضيلة الثالثة هي حلمه وصبرهُ العجيب فيما بين الاهانات التي يهان بها من الهراطقة والخطاة الذين يتناولونهُ في حال الخطية وهو مع ذلك يستقر في الجوهر طالما تدوم الاعراض السرية علي صحتها ولا يشكو ولا ينتقم منهم *

الفضيلة الرابعة هي المحبة التي تجتذبه الى هذا السر ليمارس افعال الرحمة كافة نحو الجميع . قاصدًا بذلك خيرهم الروحي لا غير راغبًا أن يهب ذاته للكل ليحقق بذلك انه مات لاجل خلاص الكل * الفضيلة الخامسة هي تلك التي بها يمكث في الجوهر الى ان تبيد الاعراض . وهذا كله يمارسه علي الدوام وسيمارسه ايضًا الى انتها الدهور . ومع انه يهان بذلك من الاكثرين فلا تستطيع هذه الاهانات ان تبعده عنا وتفرقه منا * فعلى المتامل ان يطلب هذه الفضايل الخمس من يسوع المسيح حينما يتناوله في القربان المقدس . ناظرًا بعين الايمان الى جراحاته الخمسة التي حفظها في جسده المجيد هاتفًا نحوه هكذا . الهي وسيدي الكلي الرحمة والمحبة انك اذ قد ارتضيت أن تفتقدني مع جراحاتك الخمسة . فاسالك بجزيل استحقاقاتها ان تهبني هذه الخمس الفضايل التي تمارسها في هذا السر . فانني اطلب بجراحات قدميك المقدستين أن تجعلني متضعًا حليمًا وبجراحات يديك اسالك أن تصيرني مطيعًا ثابتًا في فعل الخير . وبجرح جنبك الطاهر ارغب اليك ان تمنحني حبًا مضطرمًا لكي استمر مواظبًا على خدمتك الى الموت فافوز بحيوة الابد

الاعتبار الرابع

في ان سيدنا يسوع المسيح رسم سر القربان المقدس تذكرةً لالامه وموته الاقدسين

اعتبر جيدًا هذه الحقيقة التي هي من حقايق ايماننا . وهي ان السيد المخلص رام أن يتذكر المومنون على الدوام الامه وموته . ولهذا رسم لهم سرًا يهبهم فيه كل يوم جسده ماكلًا ودمه مشربًا تحت اعراض الخبز والخمر . وهذا يتضمن موضوعًا جزيل النفع لاضرام محبته تعالى فينا * فاتنكر اولًا لماذا اراد سيدنا يسوع المسيح الذي اختار له موتًا مرًا في الغاية أن يكون الشي الذي جعله تذكرةً لموته لذيذًا مستعذبًا كوليمة مستحبة . أليس انه كان ينبغي أن يكون بعكس ذلك . اعني أن يكون سرًا يسفك الانسان فيه دمه كما كان يفعل قديمًا في الختانة . واذا كان واجبًا أن يكون هذا السر بنوع الوليمة أما كان يجب أن يكون الماكول مرًا كما كان يصير في اكل الفصح . وأن يكون المشروب خلًا ومرارة كتلك التي شربها تعالى علي الصليب . لأنه جل تودده لم يرد ان يكون شي من مثل هذه الاشيا

رمزًا وتذكرةً للالام. لكنهُ اختار خبزًا لا خبزًا من شعير كالذي كان هو تعالى يأكل منهُ فيما تقدم. بل خبزًا من حنطة وذلك لاربعة اسباب تظهر لنا غزارة محبته للبشر * السبب الاول هو لكي يظهر لنا انهُ يحبنا كما يحب الاب ابناه. لانهُ اخذ لذاته ما كان مرًا مستصعبًا وترك لنا ما كان لذيذًا سهلاً * السبب الثاني هو لكي يرينا باي سرور اهرق دمهُ من اجلنا ومات عنا موت الصليب. وهذا هو الذي من اجله رام ان تكون اشارة الامه لا بما يحزن ويولم. بل بما يفرح ويلذ كالوليمة. محتسبًا اننا نستلذ ونسر بذكر الامه. ولان يوم موته كان اليوم العظيم الذي فيه اتخذ الكنيسة عروسًا له. احبَّ ان يديم ذكر هذا السر الجليل بوليمة نظير الوليمة التي تكمل في يوم الزيجة * السبب الثالث هو لكي يوضح لنا عذوبة الناموس الجديد. على أن نير السيد المسيح هو حقًا طيب وحمله خفيف واسراره كلها عذبة لا سيما سر القربان المقدس الذى خرج من قلبه مع الماء والدم اللذين خرجا من جرح جنبه الاقدس * السبب الرابع هو لكي يرغبنا بالاشتراك في اهانات موته واوجاعه. علي ان محبته هذه المفرطة نحونا تقتضي منا المعروف وتلزمنا بان نشترك في الامه فنحتضن صليبهُ ونذوق مرارة كاسه. ونحب الاهانات ونميت جسدنا بالصوم وبقية افعال التقشف. فيا الهي ومخلصي ذاكرًا ساذكر وتضعف بي نفسي وهذا الذكر سيقني في بالامانة كلما يصدني عن كمال التعبد لك *

افتكر ثانيًا لماذا اراد السيد المسيح أن يوجد في القربان المقدس ليكون هو بذاته تذكرةً لالامه. علي انهُ قد يمكن ان يفعل ذلك بواسطة الخبز والخمر. كما انهُ في المعمودية جعل الماء تذكرةً لموته ودفنه. فاعلم انهُ اراد ان يكون الامر هكذا لاجل ثلثة اسباب * السبب الاول هو لكي يعلمنا كم يعتبر الامه وكم يريد ان نعتبرها. حيث انهُ احبَّ أن يكون هو بذاته تذكرةً لها في العالم. فيا لجزيل ما يجب علينا ان نتذكر الامه المخلصة وأَلَّا ننساها ابدًا. حيث ان ابن الله نفسهُ رام أن يكون معنا دائمًا بذاته ليذكرنا بهذا الامر ويلزمنا بالمعروف الواجب لهُ * السبب الثاني هو لكي يظهر لنا افراط محبته ورغبته لان يتالم من اجلنا. علي انهُ

كل مرة يقدم القداس الالهي تذكرةً لالام السيد المسيح يود تقدس اسمهُ ان يسفك دمهُ ثانيةً لاجلنا. والذي يصده ويمنعه عن ذلك هو ان الذبيحة الغير الدموية ومجرد صورة موته يكفيان لنيل غفران خطايانا. فكما انهُ في سفر الرويا يُسمى: الخروف الذي ذُبح منذ انشا العالم: لانه كان يُذبح رمزًا وصورةً في كل ذبايح الناموس القديم. هكذا يمكننا أن نسميه الان الخروف الذي يُذبح الى انتها العالم من حيث انه في كل القداسات العتيدة ان تكمل يجدد دايمًا ذكر موته. وهذا الاعتبار يحثنا على ان نقدم لهُ ذواتنا ذبيحةً ونشترك باتعابه تعالى حبًا لهُ ولاجل خير اخوتنا مقتدين بالرسول القايل: اننا حاملون دايمًا في اجسادنا ماتيه يسوع لتظهر حياتهُ فينا دايمًا: واننا نمات كل يوم وقد حُسبنا كخراف للذبح :*

رويا ١٣ع٨

قورنتيه٢ ٤ع١٠

رومية ٨ع٣٦

السبب الثالث هو ان السيد المسيح لهُ المجد لمعرفته بقلة معروفنا نحو الله عما حصل لنا من الاحسانات الغير المتناهية عظمها وعددها ولعلمه باننا عاجزون عن رد الشكر الواجب لاجلها. رام ان يفعل ذلك عنا في هذا السر. لانه كما ان الروح القدس يصلي عنا بالزفرات التي لاتوصف. هكذا سيدنا يسوع المسيح يشكر اباه على احساناته الينا ويظهر لهُ معروفه لاجلها على نوعٍ لا يوصف. ولهذا سمي هذا السر اوخاريستيا الذي تاويله رد الشكر *

افتكر ثالثًا ان السبب الذي من اجله اراد مخلصنا ان يمكث تحت اعراض الخبز والخمر ليكون لنا تذكرةً لالامه. فهو لانه لاشك في انهُ توجد مناسبة بين الامه وبين اعراض الخبز والخمر. فتامل اذًا انهُ كما ان الخبز يتركب من حبوب كثيرة قد طُحنت وعُجنت جملةً. وكما ان الخمر يُصنع من عنبات كثيرة مدلوسةً ومعصورةً. هكذا السيد المسيح انطحن بالضربات واندلس بالارجل وعُصر بالامه لهذا المقدار حتى انهُ خرج دمهُ من كل ناحيةٍ. فكما انه تعالى يريد اننا عند نظرنا اعراض الخبز والخمر نتذكر اوجاعهُ واهاناته. هكذا يريد ايضًا منا ان نسحق قلوبنا بالتوبة ونقهر اجسادنا بافعال التقشف وان نفرح بازدرا الناس بنا *

الا ان وده تعالى لا يقف عند هذه الحدود بل يتقدم الى ما قدامه. فتامل اذًا ان المومن اذ يستحم بماء المعمودية يكون بذلك صورةً ورمزًا لموت المسيح ودفنه

حسب قول الرسول . اما في سر القربان المقدس فان المسيح نفسهُ هو صورة موته ودفنه واشارتهما . وذلك لان وضعهُ تحت اسناننا واكلنا اياهُ وادخالهُ معدتنا هو تذكرةٌ لما كمل بهِ حينما مزق اعداوهُ جسدهُ ومات ووُضع في قبر . فتذكري يا نفسي انك لما تتناولين القربان المقدس تكونين حينئذٍ قبرًا لمخلصك الذى ولو انه يكون ميتًا بالصورة فانه هو حقًا حيًا في ذاته . فتذكري ان قبرهُ الاول كان ممجدًا وانه كان جديدًا منحوتًا في صخرة . فكوني انت مجيدةً بالافعال الصالحة وعيشي عيشًا جديدًا وسيري بروح جديدة . واستقري ثابتةً على الصخرة الذي هو المسيح باقتفا فضايله . فيايسوع الصالح قدِّس هذا القبر الذي تدخل فيهِ . ولا تدع حب خليقة من الخلايق ان يلج قلبي الذى قد اخترتهُ ان يكون لك قبرًا . لكن كن انت وحدك فيهِ وامتلكني بكليتي ❊

الاعتبار الخامس

❊ في ان القربان المقدس هو لنا عربون المجد الابدي ❊

اعلم ايها المتامل ان سيدنا يسوع المسيح الذى وعدنا بالمجد الابدي اراد ان يثبت لنا وعدهُ بعربون منظور . فرسم سر القربان المقدس المتضمن كلما يمكن ان يعزينا في منفانا هذا ويقوي رجانا كما سيتضح ذلك من الكلام التالي ❊

فافتكر اولاً ان هذا السر المسجود لهُ هو عربون المجد الابدي الذي لم يكن ممكنًا ان يحقق لنا الله امتلاكهُ العتيد بعربون اخر اثبت من هذا السر . على ان هذا العربون المعطى لنا في هذا السر يحتوي على اثمن مايوجد على الارض وفي السما . واثمن من المجد السماوي الذى وعدنا بهِ . ولعمري ان الذى يريد ان يثبت وعدهُ ببرهن يلزمهُ الزامًا كليًا بتتميم قولهِ . فانهُ يعطي عربونًا يساوي ما وعد بهِ ثمنًا وقيمةً فانظر الان ما الذى تفعلهُ الاقانيم الالهية في سر القربان المقدس . انهُ لايوجد شي للاب السماوي يعتبرهُ ويحبهُ اكثر من ابنهِ الوحيد المساوي لهُ في العزة . فلذلك فعل معنا بهذا السر نظير ما يفعل ملكٌ يريد ان يثبت وعدهُ وشروط الصلح فانهُ يعطي ابنهُ ووارث ملكهِ عربونًا لذلك . فحقًا حقًا انهُ لنا في المسيح اعظم العطايا الالهية وقد اعطانا الله كل شيءٍ فيهِ . على

ان الذي اعطانا ابنه الوحيد ليكون فلانا وطعامنا الاعتيادي أيمكن ان يعدمنا نعمته ومجده. اني لواثق انه يعطينا الاثنين ان كنا نحن لا ننصده ولا نمنعه عن ذلك. لان كل كنوزه تعالى يحتويها ابنه الوحيد * ثم ان ابن الله يهب لنا في هذا السر الذي هو سر محبته عربونًا ليس له نظير. لانه يعطينا ذاته ومع ذاته يمنحنا جميع الحقوق التي بها نعطف الاب الازلي الى حبنا والاهتمام في خلاصنا. لان المسيح هو اخونا البكر وابن الله الوحيد وارث ملكه. وقد تجسد ليخلص الذين اختيروا للمجد الابدي كما قال الرسول. لانه لا يخلص احد الا باستحقاقاته وقد ابتاع لنا حيوة الابد بموته. وبه فتح لنا ابواب السما ثم انه يمنحنا كلما نفتقر اليه لبلوغ اكليل المجد الابدي. والحال ان سر القربان الالهي يتضمن هذه كلها. فما كان اذًا ممكنًا ان يعطينا عربونًا اثمن واثبت منه * واخيرًا فالاب والابن اللذان يرغبان جدًا خلاص البشر منحانا الروح القدس الذي هو عربون وراثتنا. والمسيح يعطيناه في قلوبنا عربون الخيرات العتيدة. ولاجل ذلك نزل ابن الله من السما ويفتقدنا في هذا السر الاقدس * فلتكن مباركًا ايها الثالوث الاقدس الذي اعطيتنا هذين العربونين العظيمين وثبّت لنا بهما وعدك العجيب. فمن ذا لا يرجو السعادة الابدية. مَن ذا يشك في محبة الله. فاذًا منذ الان فصاعدًا اتكلي يانفسي على رحمة الله الغير المتناهية. ابذلي مجهودك في خدمته فانك تنالين المجد الذي وعدك به لا محالة *

افتكر ثانيًا ان سر القربان المقدس من حيث انه هو واسطة عظمى لبلوغ حيوة الابد. فانه مع ذلك هو عربونها ايضًا. لان الشي الذي يوصلنا الى الخير الذي نتمناه هو حقًا عربون ذلك الخير. والحال ان الذي يرغب الوصول الى ملكوت السما يحتاج الى اشيا كثيرة. لانه ينبغي له اولاً ان يغفر الله له خطاياه الماضية ويصونه من الرجوع اليها وان يمنحه اخيرًا نعمة الثبوت. وهذا كله يصنعه السيد المسيح على نوع عجيب في سر القربان المقدس. لانه ولو كانت مغفرة الخطايا شيئًا مختصًا لسر المعمودية ولسر التوبة. الا ان هذا السر الالهي سر القربان المقدس قلما يكون يثبت هذه المغفرة وبه يدعونا الديان العظيم الى وليمته دليلاً على انه قد غفر لنا *

ثانياً دصوننا هذا السر الالهي من زلات عديدة. لانهُ يخمد فينا نار الشهوة ويمنحنا قوةً لمقاومة الشيطان وينجينا من مخاطرَ كثيرة * ثالثاً يحفظ فينا حيوة النفس كما ان الاطعمة الاعتيادية تحفظ حيوة الجسد. ولهذا قال سيدنا يسوع المسيح بفمهِ العزيز: هذا هو الخبز الذي نزل من السما لكي لا يموت من ياكل منهُ: انا هو الخبز الحي الذي نزل من السما من ياكل من هذا الخبز يحيي الى الابد: من ياكل جسدي ويشرب دمي فلهُ الحيوة الابدية وانا اقيمهُ في اليوم الاخير: وهذه الكلمات الالهية اوضح لنا السيد ان هذا السر الاقدس يمنحنا قوةً ننتصر بها علي كلما يصدنا عن بلوغ السعادة الابدية. وحقاً انهُ لينقذنا من الموت الاول موت الخطية ومن الموت الثاني الذي هو عقاب الخطية الابدي. وسينقذنا ايضاً من موت الجسد في يوم النشور. وما عدا هذا فانهُ يصدر فينا كلما تتوقف عليهِ حيوة الابد. لانهُ يمنحنا حيوة النعمة ويحفظها فينا الى الانتها. وسيخولنا فيما بعد الحيوة المجيدة التي تتمتع بها نفوس القديسين في السما. وفي اليوم الاخير يقيم اجسادنا ليشركها في هذا المجد السماوي * فهذه الخيرات جميعها لنا عربونها في سر القربان المقدس وبهِ يبلغها كل الذين يتناولونهُ بتكاثر وعبادة *

يوحنا ٦ع٥٠ و٥١ و٥٥

تنبيه

اعتبر هنا ان هذا السر الالهي من حيث انهُ عربون المجد الابدي. فانهُ هو لنا زوادٌ الهي لانتقالنا من الارض الى السما. ومن ثمّ يلزمنا ان نطلبهُ برغبةٍ ونتناولهُ بطمانينةٍ في حال خطر الموت. لانهُ كما ان ايليا بعدما اكل الخبز المعطى لهُ من الملاك شعر بقوة عظيمة استمرَّ بها ساعياً حتي وصل الى جبل حوريب المقدس. هكذا من ياكل هذا الخبز الذي نزل من السما يكتسب قوةً يستمر بها سالكاً بسهولة الى ان يصل الى صهيون السماوية. ولا شك في ان سيدنا يسوع المسيح رسم هذا السر قبل آلامهِ بيوم. ليعلمنا بذلك ان القربان المقدس يمنحنا قوةً لاحتمال اوجاع الموت ويصيرنا أن ندخل بطمانينةٍ في هذا الطريق المفزع طريق الابدية. فتذكر ياسيدي ما خاطبت بهِ تلاميذك قايلاً: اني ساتيكم ثانياً واخذكم الى عندي لكي تكونوا حيث اكون انا: فاسالك ان تاتيني وتفتقد نفسي وبقوة هذا الخبز السماوي اجتذبني الى جبلك المقدس * ثم انه يجب عليك كثيراً انك كل من تتناول

يوحنا ١٤ع٣

هذا السر الاقدس ان تتصور في عقلك انك لعتيد أن تموت بعد ذلك سريعًا وذلك حسب مشورة الحكيم القايل : ان جلست لتاكل مع امير فتامل جيدًا الموضوعات امامك واجعل سكينًا في حنجرتك *

امثال ١:٢٣

✤ الاعتبار السادس ✤

* فيما صنع السيد المسيح في العشا السري قبل ان يرسم سر القربان المقدس *

اعتبر اولاً لماذا اراد سيد الكل أن يغسل ارجل تلاميذه قبل أن يرسم سر القربان المقدس . فقد صنع تعالى هكذا لكي يعلمنا باي نقاوة ينبغي لنا ان نتقدم الى هذا السر الالهي متطهرين من كل خطية مميتة . بل مجتهدين ايضًا في أن نكون بريين من كل خطية عرضية ومن ادنى النقايص الخفيفة بمقدار ما يمكننا . ولهذا يلزمنا ان نغتسل اولاً ونتطهر في سر التوبة *

اعتبر ثانيًا لماذا اراد السيد المسيح ان يتقدم العشا الناموسي الذي كان يوكل فيه خروف الفصح علي العشا السري الذي فيه قدم سيدنا يسوع المسيح لتلاميذه جسده لياكلوه . فلذلك يحوي سببين قد اتخذهما تعالى من المناسبة الموجودة بين العبارة وبين الشي المعبر عنه * فالسبب الاول هو لكي نعلم ان الحمل الالهي يشبه جدًا الحمل الفصحي . على ان الشعب الاسرايلي قدموا الخروف الفصحي شكرًا للاحسان الالهي الذي به نجوا من اسر فرعون . ثم انهم اخذوا من دم الخروف المذبوح ووضعوه علي ابواب بيوت المومنين لكي لا يدخل بيوت العبرانيين ذلك الملاك المنتقم الذي قتل كل ابكار المصريين . واخيرًا أكلوا الخروف وباكله حصلوا علي قوة لسفرهم البعيد . فعلي هذا النحو يقدم الخروف الالهي ذاته علي مذابحنا ذكرًا وشكرًا للاحسان الذي به انقذنا باستحقاقه من اسر فرعون العقلي الذي هو الشيطان . ثم جعل جسده ودمه ماكلاً ومشربًا لنا . وبتناولهما نتقوي للخروج من ارض مصر وللمسير في طريق الخلاص الى أن نبلغ الى ارض الميعاد السماوي * السبب الثاني الذي من اجله اكل المسيح الخروف الفصحي قبل العشا السري . فهو لكي يعلمنا بالطقوس المستعملة في اكله كيف ينبغي لنا ان ناكل الحمل الالهي المعبر عنه بالخروف الفصحي . ففي اكل هذا الخروف

الناموسي امر الله شعبه اولاً أن يشدوا حقويهم دليلاً على العفة. لان المسيح الحمل الذى لا عيب فيه هو بتول ومحب البتولية والطهارة * ثانيًا امر الله الشعب الاسرايلي بان يكونوا ياكلهم الخروف لابسين الاحذية في ارجلهم. وذلك لكى يعلم من ذلك المسيحى انهُ يجب عليهِ ان يتحفظ جدًا من التصاق قلبه بالارضيات * ثالثًا كان الاسرايليون ياكلون الخروف الفصحى على صيغة اناس متغربين حاملين عصيهم في ايديهم. وكانت تلك العصا رمزًا على الصليب الذى ينبغي ان نستند ونتكل عليهِ في سفر حياتنا هذه * رابعًا كان ذلك الخروف يوكل بعجل اشارةً الى ان الذى ياكل الخروف الالهي يجب عليهِ ان يمارس اعمالهُ بنشاطٍ ويتناول هذا السر الالهي بجوع روحي وشراهة مقدسة تظهر اننا نستلذ باكل هذا الطعام السماوى * خامسًا في العشا الناموسي كانوا ياكلون فطيرًا وهندبة البرّ. ليعلم المسيحى انهُ ينبغي لهُ ان ياكل العشا السري بضمير نقى منزه عن خمير الخطية وبجسد مماتٍ بمرارة افعال التوبة * سادسًا في ذلك العشا القديم امر الله الاسرايليين بالّا ياكلوا شيًا نيًا بل يكون كل شيٍ مشويًا على النار. فليحذر اذًا المسيحى من التقدم الى العشا السرى بقلب باردٍ بل يتامل قبلاً شرف هذا السر العظيم لكى يحمى قلبهُ في باطنهِ وفي هذين تتقد النار نار المحبة الالهية *

اعتبر ثالثًا ما تكلم بهِ سيدنا يسوع المسيح قبل أن يرسم هذا السر الاقدس وذُق ما اطيب الرب وما احلى خطابهُ فقال: انى اشتهيت جدًا ان اكل معكم هذا الفصح وانا اقول لكم انى منذ الان فصاعدًا لا آكل منهُ الى ان ياتى ملكوت الله: كانهُ جل ودهُ يقول. انى منذ زمان مديد كنت منتظرًا هذا اليوم الذى فيهِ اريد ان اظهر لكم افراط محبتي للبشر. ليس باكلى معكم الخروف الفصحى فقط. بل على الخصوص خروفًا اخر اشرف من الاول بما لا يُقدَّر. فمن ذا لا يذوب قلبهُ بالمحبة لك يايسوع الحبيب عند استماع كلامك هذا الجزيل العذوبة. فان كنت انت تشتهي هكذا ان تاكل معى الفصح. فباية رغبةٍ وحرارةٍ يجب عليَّ انا ان اشتهى الاتكا على مايدتك لآكل فصحك الالهي: فها انك واقف على الباب وتقرع

لوقا ٢٢ ع ١٥

رويا ٣ ع ٢٠

قايلاً من يسمع صوتي ويفتح لي الباب فادخل اليه واتعشى معه وهو يتعشى معي: فهلم يا سيدى فها هوذا انا قد سمعت صوتك العذب وفتحت لك باب قلبي فادخل فيه عاجلاً لاني اشتهي بحرارة مضطرمة ان اقبلك واتناول معك عشاء *

الاعتبار السابع

في الزمان والمكان والجماعة التي اختارها السيد المسيح ليرسم سر القربان المقدس

اعتبر اولاً لماذا السيد المسيح رسم هذا السر الالهي في ليلة آلامه يوماً واحداً قبل موته. ولم لم يبق ذلك الى بعد قيامته من الموت. فاعلم انه اراد بهذا اولاً ان يرينا مقدار حبه لنا. لانه حينما كانت اعداوه يعدّون له الموت كان هو تعالى يعدّ لهم هذه الوليمة الالهية الحبية. فحقاً يا سيدي انه لا يستطيع شي ان يفصلك عن محبتنا لا ضيق ولا الموت نفسه. فاسالك بحق هذه المحبة الغير المتناهية أن تضرم في قلبي نار محبتك بهذا المقدار. حتى انه لا يفصلني منها لا ضيق ولا سيف ولا الموت عينه * ثانياً اراد سيدنا يسوع المسيح بهذا الفعل أن يعلمنا كم يشتهي أن يمكث معنا الى انتها الدهور. لا نظراً الى لاهوته فقط بل نظراً الى ناسوته ايضاً. ولذلك لما رأى انه قد قرب الوقت الذي كان ينبغي أن ينتقل فيه من هذا العالم ويفارقنا. اخترع نوعاً عجيباً ليمكث به معنا الى انقضا العالم. وهو انه وضع جسده ودمه الاقدسين تحت اعراض الخبز والخمر. فيا يسوع الجزيل حنوه يا محيي وحب قلبي. ان كنت انت تشتهي هكذا أن تكون معي الى الابد. فكيف لا اشتهي انا ان لا افارقك ابداً: ان نسيتك ونسيت محبتك تنساني يميني ويلتصق لساني بحنكي ان لم اذكرك واحبك كافة ايام حياتي *

مزمور ١٣٦ ع ٥

اعتبر ثانياً المكان الذى اختاره سيدنا يسوع المسيح ليرسم فيه سره العجيب. فهذا المكان كان علية عظيمة مفروشة لا يذكر اسم صاحبها. الا انه قبل المسيح بكل اكرام واحترام. وقد صار هذا المكان بعد ذلك مقدساً شريفاً مجيداً. على انه تعالى رآه ان تسكن هناك تلاميذه بعد موته مع والدته الطوباوية مريم البتول وهناك ترآى لهم بعد قيامته. هناك حل عليهم الروح القدس. ومن هناك خرجوا اخيراً ليمضوا ويبشروا بالانجيل في كل العالم. فلنفحص الان عن الاسرار

المحتوية في هذه الجملة. فحقًا ان هذا المكان المقدس رمز على الخصوص للكنيسة الكاتوليكية التي خارجًا عنها لا يجوز اكل الحمل الالهي. وفيها يقتبل المومن الانعام الالهية. لأن هذا المكان يعبر ايضًا عن النفس التي يدخل اليها السيد المسيح ويمكث معها بواسطة تناول القربان المقدس. وقد يلزم ان يكون هذا المخدع عظيمًا واسعًا بوفور المواهب الالهية. وينبغي ان يكون مفروشًا مزينًا بالفضايل. فانظر يارب الى مذلتي. ان الموضع الذي تريد ان تاكل فيه العشا معي هو ضيق كثيف غير مزين. فاجعله يارب علية واسعة ثم زينها بمواهبك لتكون مسكنًا يليق بعزتك السامية *

اعتبر ثالثًا من هم الذين ارسلهم السيد المسيح ليعدوا كل شيء لاكل الخروف الناموسي. فهم بطرس ويوحنا الرسولان المحبوبان عنده تعالى افضل من بقية الرسل. وهذا دليل على انه لا يجوز ان ناكل خروف الناموس الجديد بغير استعداد واجب الذي هو موسس على الايمان الحي المرموز عنه ببطرس الرسول. وعلى المحبة المضطرمة المعبر عنها بيوحنا التلميذ الحبيب *

اعتبر رابعًا من هم الذين اختارهم سيد الكل ليحضروا رسم سره الالهي ويتناولوه قبل الكل. فهم رسله الاطهار. فتامل لان باي احترام ووقار حضرت الرسل هذا السر الالهي وباي عبادة تناولوه. ثم التفت الى يهوداس وتامل كيف ان عقله كان خارج العلية ولم يكن يميز ما يقدم له. بل تناول خبز الحيوة كخبز اعتيادي. وحوّل لذاته سر الخلاص الى سم مميت. فبعد ان اكل جسد الرب وشرب دمه خرج حالًا ليبيع مخلصه. لان الانتقام الالهي ادركه عاجلًا واثبت بموته الشرير ما قاله الرسول: من ياكل هذا الخبز ويشرب كاس الرب بغير استحقاق فانه يحتقر في جسده ودمه: وخطيته تكون كخطية الذي سلمه تعالى جدلًا لليهود. ولاجل هذا يمرض كثيرون ويموتون موتًا رديًا. فاذًا لكي تتناول هذا السر الاقدس كما يجب. فاقتدِ بالاثني عشر رسولًا. احضر السر الالهي لا بالجسد فقط بل بالروح ايضًا باصغاء روحي واحترام كلي. تامل ما يصنع الرب لاجلك وما يجب عليك ان تصنع انت لاجله. واطرد عن عقلك لا الافكار الردية فقط بل

قرنتيه ١ | ٢٧: ١١

الافكار الباطلة ايضاً . لتستطيع ان تتامل جيداً الموضوعات امامك وانت جالس على مايدة الامير الالهي ❊

❊ الاعتبار الثامن ❊

❊ في كيف ان سيدنا يسوع المسيح احال الخبز الى جسده ❊

اعتبر اولاً ان السيد المسيح في ذلك العشا الالهي اخذ خبزاً وبقوله هذا هو جسدي احال جوهر الخبز الى جسده الاقدس . فالذى كان خبزاً بسيطاً حينما ابتدا السيد ان ينطق بهذه الكلمات صار جسده حالاً حال كمال لفظها . ولم يبق من الخبز غير اعراضه وقد اظهر السيد المسيح بهذا العمل العجيب حكمته وقدرته وجوده ومحبته ❊ فاولاً بحكمته اخترع واسطة لتقديس نفوسنا لم يكن ممكناً ان يخترعها سوى العقل الالهي . فكما ان الله تعالى اظهر حكمته الغير المتناهية في سر تجسد الكلمة الازلية . حيث انه اذ شاء ان يخلص العالم اخترع واسطة تقترن وتتحد بها الطبيعة الالهية بالطبيعة البشرية بقنوم واحد . هكذا تلالات حكمته تعالى في سر القربان المقدس حيث يقترن ابن الله مع اعراض الخبز والخمر ليكون لنا طعاماً . انني لاعتقد ياسيدي بهذه العجوبة المذهلة اعتقاداً كلياً ثابتاً منزهاً من كل شك وريب . واقر مصدقاً انه ليس بامر عجيب ان الحكمة الغير المتناهية تخترع وتصنع ما لايدركه عقل بشرى . انه فيك يايسوع توجد كل كنوز حكمة الله وعلمه . فاشركني يانوري ونور العالم بانوارك الساطعة لكى اعرف واعتبر احسانك هذا العظيم فاشكرك عليه كما يجب ❊ ثانياً اظهر السيد المسيح بهذا السر العظيم عظمة اقتداره . لانه بكلمة واحدة وبادنى دقيقة يصنع عجايب كثيرة لا في الخبز فقط بل في جسده ايضاً . لانه بلحظة عين يحيل جوهر الخبز الى جسده فلا يبقى من الخبز سوى الاعراض حتى انه بكليته يوجد تحت ادنى جزء من اجزا الجوهرة . ثم انه اذا انقسمت الجوهرة الى اجزاء كثيرة فلا ينقسم جسده . لانه هو حقاً في كل جزء من اجزائها كما هو حقاً فيها كلها . وهذه الحقايق يلزمنا ان نعتقدها اعتقاداً ثابتاً حياً . حيث ان الحق سبحانه وتعالى الذي لايعسر شي على قدرته الغير المتناهية هو الذي اخبرنا بها . أهكذا يارب تقلب ترتيب الطبيعة لكى تطعم

دودة حقيرة . وتجعل جسدك علي حال غريبة جديدة لكي توفقه مع مذلة عبدك . فلتكن قدرتك مباركة . اظهر في يا الهي انك قادر علي كل شي بتغيرك اياي تغيراً كلياً . محيلاً اياي الى انسان جديد * ثالثاً اظهر السيد المسيح في هذا السر الالهي جودة الغير الموصوف . على انه كما ان الاب الازلي اظهر صلاحه للبشر حينما بذل عنهم ابنه الوحيد الذى لم يكن له شي اعز واعظم منه واعطى معه كل شيء . هكذا الابن اظهر محبته للبشر حينما اعطاهم طعاماً لم يكن افضل منه لديه اعني به جسده الاقدس وكلما كان موجوداً فيه . فكما انه اذا وهب امير لاحد الناس صندوقاً مملوًا ذهباً وجواهر ثمينة بقوله له خذ هذا الصندوق فقد اعطيتكه فيكون قد وهبه كلما فيه لا محالة . هكذا المسيح تعالى لما اعطانا جسده الاقدس وهبنا معه دمه ونفسه وكنوز استحقاقه . فما الذي اصنعه يا سيدي الصالح والجواد شكرًا وجزاء عما اظهرته لي من المحبة في هذا السر العجيب . انك قد وهبتني اعظم ما عندك . فها انا اقدم لك افضل ما عندي . انت اعطيتني كل خيراتك مع ذاتك وانا اقدم لك ذاتي مع جميع خيراتي جسدى دمي ونفسي * اعتبر ثانياً الاسرار العظيمة المتضمنة في هذه الكلمات التي نطق بها ابن الله عند تقديسه الخبز . فتامل اولاً انه لم يقل هذا هو رمز جسدي او صورته بل قال هذا هو جسدي . وبهذا يحقق لنا جلياً وجود جسده وبالتالي يظهر لنا افراط محبته وحسن عنايته الابوية . علي انه لكي يقيت نفوسنا ويقدسها فكان يكفي ان يكون هذا السر خبزًا اعتيادياً صورة ورسماً لجسده الاقدس . كما ان ماء المعمودية ولو كان ماء بسيطاً فله قوة لتطهير نفوسنا . لانه لم تكتف بهذا محبة يسوع . لكنه رام ان يكون هو بذاته في السر ويمنحنا جسده ماكلاً . على انه قد تحقق بالتجربة ان الذي يفعله الانسان بذاته فانه يفعله باكثر نشاط وافضل اهتمام واوفر سرور . وهذا يتضح ظاهرًا في امرأة تحب ابنها كثيرًا . فانها لا تدع غيرها ان تطعمه وتغذيه . لكنها هي نفسها تغذيه من حليبها بمحبة وحنو لا يوصف * تامل ثانياً ان السيد المسيح لم يقل هذا هو جزء جسدي . بل قال هذا هو جسدي . على انه وان كان ادنى جزء من جسده الاقدس يكون كافياً لتقديسنا . فمع هذا

يمنحنا جسده كله راسه وعينيه واذنيه وفمه ولسانه وصدره وقلبه ويديه ورجليه. ليقدس بها كل اجزا جسد من يتناوله. كما ان اليشع النبي حينما قصد أن يقيم ابن السونامية: وضع فاه علي فيه وعينيه على عينيه ويديه على يديه: فقل اذًا عند تناولك جسد الرب يا الها المخلص الكلي الرافة الذي نزلت من السما في هذا السر العظيم لكي تحيي نفسي وتقدسها. قدس عيني واذني بعينيك واذنيك. فلا تسمع اذناي ولا ترى عيناي شيًا لا يرضيك. نق لساني بلسانك ليلا ينطق كلمة تغيظك. قو رجلي ويدي برجليك ويديك لاسير دايمًا في طرقك ولا ازال عاملًا لاجلك. افتح عينيك يارب وانظر الي واجعلني بنظرك ان اراك بعين الايمان تحت حجاب هذا السر الاقدس فاومن بك وبحقايقك ايمانًا راسخًا حيًا. افتح اذنيك يارب وانصت لصلاتي وتنهدي. واجعلني ان افتح ايضًا اذني لاصغي الى صوتك واقبل اوامرك. افتح فمك العزيز وكلم نفسي واجعلني أن اباركك طول ايام حياتي. افتح لي صدرك الطاهر لكي الج فيه ليضطرم قلبي بالنار الملتهبة في قلبك الاقدس. امدد يديك ومس يدي وقدس كل اعمالي *

ملوك ٤ ٣٤٤٤

تامل ايضًا قوله تعالى هذا هو جسدي الذي يبذل لاجلكم. ومن ثم فالجسد الذي نتناوله في سر القربان المقدس هو جسد المسيح الذى تالم وصلب لاجلنا. فلنتعجب من افراط محبة يسوع القاسية عليه تعالى والسخية نحونا. ولننظر الى الخمسة الجراحات التي اقتبلها في جبل الجلجلة. ولنحتسبها عربون خلاصنا. ولنطلب منه باستحقاقها ان يقدسنا *

❁ الاعتبار التاسع ❁

* في كيف ان السيد المسيح احال الخمر الى دمه الاقدس وفي الخيرات الجزيلة الواصلة للعالم من قبل هذا الدم الكريم *

ان سيدنا يسوع المسيح بعد تقديس الخبز اخذ كاسًا ممتلية خمرًا وقال: هذا هو دمي دم العهد الجديد الذى يهراق عن كثيرين لمغفرة الخطايا: وبقوة كلماته هذه استحال الخمر حالًا الى دمه الطاهر * فاعتبروا لا تفاقم محبة ابن الله السخية الضابطة الكل التي بها يسقينا كل دمه. علي انه كان يكفي لتقديس نفوسنا أن

يمنحنا من دمهِ حسب مقدار الخمر الموجود في الكاس قبل التقديس . بل كان يكفي أن يمنحنا منهُ نقطةً واحدة . لأن هذا لم يكن كافيًا لمحبتهِ . فاراد ان يعطينا كلما لهُ من الدم في عروقهِ وبقية اعضا جسدهِ . ليت شعري مَن يعطيني محبةً تجعلني ان اهرق كل دمي لاجلك يايسوع الحبيب * ثم انهُ لم تتوقف محبته تعالى عند هذه الحدود . لكنهُ مع دمهِ كله اراد ان يعطينا ايضًا الاناء الثمين والكريم الذي يتضمنهُ . وفعلهُ هذا كفعل ملك سخي قدم لعبده المحبوب لديهِ خمرًا لذيذًا في كاس من ذهب قايلًا لهُ . خذ هذا الخمر والكاس معًا . على انهُ تعالى يقدم لنا حقًا دمهُ والاناء الذي وضعهُ فيهِ اعني بهِ جسده كلهُ مع نفسهِ المتحدة باللاهوت ليكون لنا مشربًا وماكلًا . فيالها من محبةٍ سخيةٍ . أيمكن يايسوع الحبيب ان لا اقدم لك كلما لي بعد أن اوهبتني انت كلما لك *

اعتبر ثانيًا السبب الذى من اجلهِ دعا السيد المسيح كاس دمهِ كاس العهد الجديد . فاعلم انهُ تعالى اراد ان يرينا بذلك فضل العهد الجديد على العهد العتيق . على ان العهد العتيق لم يستقم الا بواسطة دم الحيوانات المذبوحة التي كانت رمزًا وصورةً للخروف الالهي الذي ذُبح على الصليب . اما العهد الجديد فقد ختمهُ الله وثبتهُ بدمهِ وموتهِ . فالمسيح اذًا قبل موته بيوم واحد دفع لنا بعهده كل كنوز نعمتهِ ومجده . فوعدنا بانهُ سيمحو خطايانا ويهبنا نعمة التقديس ونعمة البنوة الالهيةَ بالذخيرةَ والمحبةَ مع بقيةَ الفضايل ومواهب الروح القدس والغبطة الابدية . ووعدنا اخيرًا بانهُ يستجيب لصلواتنا ويعيننا في ضرورياتنا وجميع افعالنا . ولتثبيت هذا الوعد اعطانا وثيقة مختومة لا بحبر بل بدمهِ الذى بهِ وباستحقاقهِ سنمتلك جميع الخيرات التي وعدنا بها . وهذا العربون الالهي من شانهِ ان يضرم فينا محبة الله ويقوي رجانا ويملانا سرورًا روحيًا . فاذا قدست او حضرت القداس او تناولت القربان المقدس . يلزمك ان تقدم هذا الدم الاقدس للاب الازلي راجيًا منهُ انك تنال بهِ كل شيء تطلبهُ . قايلًا لهُ ايها الاب الرحوم ان الدم الذى اقدمهُ لعزتك هو حجة مختومة بختم الهي تتضمن اوامر ابنك الاخيرة . وقد وعدني فيها بانك تمنحني مهما اطلبهُ منك . فانت الذى التزمت بتتميم هذه الحجة

كمل ما وعدني به واستجب لصلاتي ❁

اعتبر ثالثاً ما قاله سيدنا يسوع المسيح لتلاميذه ان دمه سيهراق عنهم وعن كثيرين لمغفرة الخطايا. قال هذا السيد لكي يصدر فيهم عواطف التحنن والمحبة والمعروف. فكانه يقول اذكروا ان الدم الذي تشربونه هو الدم الذي انا عتيد ان اسفكه لا من اجلي بل من اجلكم. فليحن اذاً قلبكم علي. حبوا من يحبكم افضل من حياته. وهذا الدم فاني اهرقه لاجل كثيرين اعني اهرقه لاجل الجميع على الاطلاق بنوع يكفي لخلاصهم. واهرقه لاجل كثيرين علي نوع اخراخص ليصنع فيهم الخلاص حقاً ❁ فيا ايها الدم الكريم المسفوك من الخروف الالهي والمقدم لنا لنغسل ونبيض فيه ثيابنا. اي لتطهير نفوسنا من كل ادناسها. اغسل وبيض وطهر نفسي تطهيراً بليغاً. ولا تدع ان يبقى فيها ادنى دنس ❁

✤ الاعتبار العاشر ✤

❁ في الاعراض السرية وفيما تعنيه هذه الاعراض ❁

ان هذا الاعتبار والاتي بعده يفيدان المومن في استماع القداس الالهي. فاعتبر اولاً لماذا وضع السيد المسيح جسده تحت اعراض الخبز وجعل دمه تحت اعراض الخمر. فالسبب هو لكي نعلم ان دمه كله كان عتيداً ان ينفصل من جسده. وانه تعالى سيسفكه في يوم الامه الى اخر نقطة باوجاع لا توصف. فاذاً متى حضرت القداس الالهي ورفع الكاهن الكاس بعد الجوهرة. فتذكر هذا الانفصال الاليم الموجع. وافتكر بان الكاس تحتوي علي كل الدم الذي جرى من جسد سيدنا يسوع المسيح ليلة الامه ويومه. وتامل بتان كل جرح من جراحاته فرداً فرداً. وارها كلها لسيدك الجزيل الحنو وحينئذ اطلب منه شيئاً ما بعواطف المحبة والمعروف والندامة قايلاً له. ايها الدم الالهي الذي جريت من جسد يسوع في بستان الزيتون حينما كانت نفسه حاصلة على غاية الحزن والتوجع. اني لمبتهج من انك موجود بكليتك في هذا الكاس حيث يكرمك المومنون ويسجدون لك. فانا اباركك وامجدك واطلب منك ان تحفظني من الاحزان والاوجاع الخالدة لانك لم تسفك الا لكي تنقذني منها ❁

اعتبر ثانياً الاسباب التي من اجلها اراد السيد المسيح ان استحالة الخبز و الخمر
الى جسده ودمه الاطهرين تكمل علي نوع غير منظور. وان اعراض الخبز والخمر
لاغيرهما يحجبانه عن نظرنا. علي انه جلت قدرته كان يقدر بسهولة ان يصير
لنا هذه الاستحالة منظورة. وان يرينا العظايم المحتوية في هذا السر *
فالسبب الاول يخص مخلصنا الذى احب ان يتضع و يكون لنا الى انقضا العالم
مثل الاتضاع والصبر. لانه كما انه في سر تجسده لاشى ذاته بما انه ظهر بصورة
عبد واخفي تحت ستر ناسوته كمالاته الالهية حتي ان الاكثرين كانوا يحتقرونه.
هكذا الاتضاع صيره ان يتردى في سر القربان المقدس باعراض الخبز والخمر. وان
يظهر بهيئتهما محجباً. هكذا كل مجد لاهوته وناسوته. ولهذا ازدرى به كثيرون
من الكفرة الهراطقة واهانوه. واحتمل ذلك بصبر بليغ لتعليمنا. فاشكرك يا يسوع
الجزيل الاتضاع والصبر علي هذا التعليم والمثال العجيب. واطلب منك أن تجعلني
بنعمتك أن اقتدي بك فاخفي واحجب عن نظر الناس ومعرفتهم كلما يمكن أن يسددني
مجداً وشرفاً. وان ارغب واحتمل بالصبر مهما يسبب لي احتقاراً واهانة. وامنحني
ايماناً حياً لاعتقد و احترم هذا السر كما يجب. علي انه لمن الواجب اننا نكرمك
و نرفعك ونمجدك بمقدار ما تتضع وتتلاشى لاجلنا *
السبب الثانى الذي من اجله اراد السيد المخلص أن يختفي في هذا السر تحت
اعراض الخبز والخمر هو سبب يخصنا. على انه تعالى بهذا اراد أن يقدم لنا مادة
لممارسة الايمان علي نوع جديد. وذلك لانه هنا اي في هذا السر الاقدس ينبغي
للمسيحي أن يقاوم و يرذل شهادة حواسه. و يزدري بالبراهين الباطلة التي
يتفلسف بها العقل النطقي بعد شهادة النظر والذوق. وهنا يلتزم المومن ان
يسبي عقله و يخضعه للايمان. ولهذا نرى الكنيسة تسمي هذا السر عند تقديس
الكاس: سر الايمان: فاذاً اذا حضرت القداس او تناولت السر الالهي او دخلت
الكنيسة فانهض ايمانك واحييه. وقل هكذا لقد امنت يارب مصدقاً ان الذي
اراه في الجوهرة ليس هو خبزاً بل اعراضه فقط. وانك لموجود حقاً تحت هذه
الاعراض مكان جوهر الخبز *

السبب الثالث الذى صير سيدنا يسوع المسيح ان يحجب وجهه في هذا السر هو لكى يسهل علينا التقدم اليهِ. علي انهُ لو يظهر لنا تعالى كما هو لم يكن ممكنًا ان يدنو منهُ احد. فرام اذًا ان ينزع عنا هذا الخوف الغريزي. وكما ان المحبة صيرتهُ أن يمكث معنا. هكذا هي ايضًا صيرتهُ أن يختفي لنحظى بهِ بسهولة ولا تصدنا عن تناولهِ اشعة مجده وعزته. فمن ذا اذًا لا يباركك ويحبك يا ايها الرب الهي لاجل هذه المحبة التي صيرتك ان تنسي عظمتك لتوفق ذاتك مع مذلتنا وتخفى مجدك ليلا يبهرنا فنتباعد عنك تهيبًا *

اعتبر ثالثًا ما الذى الزم السيد المسيح ان يمنحنا ذاته تحت اعراض الخبز والخمر ولم يختر اشيا اخر منظورة وملموسة مثلهما. وهو انهُ تعالى اراد بهذا اولاً أن يتحد بنا علي نوعٍ روحي نظرًا الى لاهوتهِ وعلي نوع جسدي نظرًا الى ناسوتهِ اتحادًا لا يمكن ان يوجد اشد واشرف منهُ. لانهُ ايما شي يتحد بالانسان اكثر من الطعام الذي يتناولهُ ويصير معهُ شيًا واحدًا. فكما ان المحبة من شانها ان تقرن وتربط المحب مع المحبوب منهُ. هكذا يسوع محب البشر لم يكتفِ في انهُ يسكن معنا بل اراد ان يدخل فينا ويكون في باطننا. وبهذا اي باتحاده هذا السري يصدم فينا اتحاد المحبة الحقيقية الكاملة * السبب الثاني الذي من اجلهِ يمنحنا ذاتهُ تحت اعراض الخبز والخمر. هو لكى نعلم انهُ تعالى يفعل في نفوسنا ما يفعلهُ الخبز والخمر في اجسادنا. علي انهُ تعالى بحضورهِ وبقوة هذا السر يحفظنا وينمينا ويقوينا ويفرحنا ويخمد الشهوة ويصلح فينا اضرارها. واقول علي الاطلاق انهُ يجعلنا شبيهين لهُ باشراكهِ ايانا في صفاتهِ وفضايلهِ حسب قوله العزيز: من يأكلني يحيى لاجلي: فهذه الاعتبارات من شانها ان تصدم فينا جوعًا عظيمًا نحو هذا الخبز السماوي وترينا كم يجب علينا أن نتناولهُ اوقاتًا كثيرة. كما انهُ يلزمنا أن ناكل احيانًا كثيرة الخبز الاعتيادي لحفظ حياتنا * فيا ايها الخبز الذى نزلت من السما الخبز المليكي طوبى لمن يقتبلك كل يوم فتصيرهُ أن يعيش عيشًا سماويًا مليكيًا. ايها الخمر الذى ينبت العذارى ويفرّح قلب الانسان طهر نفسي وفرّح قلبي واسكرني بمحبة ذاتك الذي اهرقك لاجلي *

يوحنا ٥٨٤٦

❁ الاعتبار الحادي عشر ❁

❁ في الاشيا الستة التي فعلها وقالها سيدنا يسوع المسيح عند تقديسه الخبز والخمر ❁

اعتبر اولاً ان سيدنا يسوع المسيح اذ رام ان يرسم هذا السر الالهي اتصف ببليغ الاحتشام واظهر في وجهه عبادةً وهيبةً عظيمةً ثم اخذ خبزاً. فمع انه كان يمكن أن يقدسه على المائدة اراد ان ياخذه بيديه لنعلم بذلك ان احالة الخبز الى جسده كان فعل قدرته واستحقاق اعماله المعبر عنهما بيديه. فكانت اذاً هذه الاستحالة العجيبة فعل قدرته الغير المتناهية التي كان يملكها بحسبما هو اله وكانت ايضاً فعل سلطانه العظيم الذي قد اقتبله بحسبما هو انسان. حينما جعل الاب الازلي كل شيءٍ بين يديه. فكان اذاً حينئذٍ سيدنا يسوع المسيح ماسكاً ذاته بيديه وموزعاً نفسه لتلاميذه ليتناولوهُ. فيا لاعجوبة قدرة الله الغير المسموع بها وبالتغيير يمين العلي. فاشكرك يارب على انك اعطيت مخلصي سلطاناً كلياً وجعلت يديه قادرة على كل شيءٍ. فامددهما عليَّ يايسوع وبتغيير لا يمكن ان يفعلهُ سواك احلني بالكلية الى ذاتك حينما تقيتني وتشبعني بهذا الخبز الالهي. انت ادم الجديد السماوي الذي ربحت لنا باعراقك الخبز الذي يحفظ حياتنا. اشكرك على انك تعطيني مجاناً ما قد اكتسبته بعناءٍ جزيل. انهُ ليجب عليَّ ان اعمل بيدي لكي استحق ان اكل هذا الخبز اللذيذ الثمين اذ قيل: من لا يعمل فلا ياكل: ❁

تسالونيكي ٢ ١٠:٣

اعتبر ثانياً ان سيدنا له المجد بعد ما اخذ الخبز رفع عينيه الى السما. ليشير بذلك الى ان الخبز الذي كان عتيداً ان يعطيناه لم يكن من الارض بل من السما. وانه المن السري والخبز الالهي الذي كان قد وعدنا به قايلاً: ليس موسى اعطاكم الخبز من السما لكن ابي الذي يعطيكم خبز الحق من السما: انا هو الخبز الذي نزل من السما: ثم بعد ذلك شكر الله على الاحسان العظيم الذي به كان يوزع على يده هذا الخبز ويمنحهُ للبشر. دليلاً لنا على انه لكي نتناول القربان المقدس كما يجب يلزمنا أن نمارس عواطف المعروف نحو المعطي سبحانه قبل التناول وبعده. ومن ثمَّ سمي هذا السر اوخرستيا الذي تاويلهُ رد الشكر. فبعد ان شكر السيد المسيح

يوحنا ٦: ٣٢ و ٥١

اباهُ بارك الخبز وكسرهُ ووزعهُ على الرسل. ليعلمنا بذلك ان المومنين الذين
ياكلون خبزًا واحدًا ويشربون كاسًا واحدًا. ينبغي ان يحب بعضهم بعضًا
ويكونوا قلبًا واحدًا ❊

اعتبر ثالثًا كيف ان سيدنا يسوع المسيح بعدما كسر الخبز اعطاهُ لتلاميذ قايلًا
خذوا فكلوا لان هذا هو جسدي. تامل هذا الكلام اعطاه لتلاميذ. من يقدر
ان يصف سمو وثمن هذه الهبة التي بها يهب المسيح ذاته مع جميع خيراته
للمومنين به. اسالك يا سيدي ان تمنحني ذاتك لاني تلميذك. نعم اني غير مستحق
هذا الاحسان العظيم. لاني عارف انك اذ تنعم به علينا لا تفعل ذلك لاجل اننا
اهلٌ لهُ ومستحقينهُ بل لانك انت هو الجود بالذات. فها انا اتقدم الى وليمتك
المقدسة. واذ قد امرتني ان آخذ الخبز وآكلهُ. فاني ساخذهُ واسجد لهُ واتناولهُ
لكي اطيع امرك واحظى بحضورك الحلو. فارجو من كرمك ان تغنيني برحمتك
عما ينقصني من الاستحقاق لاقبل هذا السر كما يجب ❊

✤ الاعتبار الثاني عشر ✤

❊ في السلطان المعطى من المسيح لرسله وللكهنة ليقدسوا جسده ودمه ❊
❊ الاطهرين ويقدموهما ذبيحةً لله تعالى ❊

اعتبر اولًا ان سيدنا يسوع المسيح بعد ما رسم سر القربان المقدس قال لرسله:
اصنعوا هذا لذكري: وبقوله هذا منحهم سلطانًا ليصنعوهُ مثلهُ اى ان يحيلوا
الخبز الى جسده والخمر الى دمه وامرهم بان يعملوا ذلك هم وخلفاوهم في الكهنوت
على حسبما فعل تعالى امامهم. فتامل هنا اولًا افراط محبة يسوع الذى منح هذا
السلطان العظيم على جسده ودمه لا للملايكة بل للبشر. وبه يحيلون حقًا
الخبز الى جسده والخمر الى دمه. وقد تتضمن هذه الاعجوبة عجايب كثيرة تساوى في
العظمة الاعجوبة التي بها يشفي الانسان المرضى ويقيم الموتى. فحقًا يا الهى انك لقد
شرفت الانسان جدًا ورفعتهُ الى غاية الشرف حينما اعطيتهُ سلطانًا يفوق
سلطان الملايكة. فلما خلقتهُ واقمتهُ على اعمال يديك انقصتهُ قليلًا عن الملايكة.
لانك اليوم رفعتهُ عليهم بالسلطان الذي به يحدر من السما جسدك ودمك بين

يديه . فلتسبحك جميع الخلايق علي هذه الاعجوبة المذهلة العقول . ولتبارك كل من اجلها كل قوى نفسي الى الابد *

تامل ثانيًا ان السيد المسيح قد كان يمكن ان يحدد هذا السلطان نظرًا في الكهنة بتعيين عددهم ونظرًا الى الاماكن والازمنة . لانهُ كان يقدر ان يامر بان لا يكون سوى كاهن واحد في العالم كله او في كل اقليم او في كل مدينة . وان ذلك الكاهن لا يكون له سلطان على التقديس ان لم يكن جزيل القداسة . او ان تقديس جسده ودمه لا يتم الا في مكان معين ومرة واحدة فقط في كل سنة كما كان امر في تقدمة خروف الفصح . لان جوده الغير المحدود لم يقبل هذا التحديد . بل امر ان يكون الكهنة كثيرين . وانهم مع كونهم ذوي سيرة رديئة يستطيعون أن يقدسوا في كل زمان وفي كل مكان . حتي وفي كل يوم وفي افقرها كل القرى واحقرها . فيا للسخا العظيم الذي لا يدرك . ألم تكن عارفًا يا يسوع الصالح ضعف الانسان الذى من عادته ان يزدري ويحتقر كلما ليس هو نادرًا ولو مهما كان ثمينًا كريمًا . فكيف اذًا آذنت أن يكون الكهنة كثيرين بهذا المقدار وان يقدسوا مرات عديدة . لعمري ان محبتك لا حد لها ولا تقدير . وهي التي صيرتك ان تحتمل نفاق الاشرار الذين يدنسون اسرارك لكي تحسن الى الابرار الذين يتناولونها باستحقاق . فالطوبى ثم الطوبى للذين لا يجعلون حدودًا لما يقتبلونهُ من الاتعاب في خدمتك كما انك لا تجعل حدودًا للنعم التي يقتبلونها من سخايك *

تامل ثالثًا اتضاع سيدنا يسوع المسيح وتحقق ان احدى عجايبه العظمى هي طاعته لصوت الكهنة . علي انهُ تعالى قد وعد بانهُ يحضر حالاً بين ايديهم كل مرة يقدسون في اي مكان وساعة كان الى انقضا العالم . حتي ولو انهم يقدسون لاجل مقاصد ذات نفاق . مثلاً ليتوطوا بارجلهم السر الالهي او لكي يلقوهُ في النار او للكلاب . فهذه الاهانات يقبلها المسيح لكي لا يعدم المختارين تناول سر محبته * فيا لعوم محبة يسوع من يستطيع ان يصفها او يدركها . مَن ذا الذي كان يمكن أن يختلج في فكره أن الله عتيد أن يطيع الانسان ويخضع لا لصوت من يكون قديسًا كيسوع فقط بل لصوت من يكون شريرًا ايضًا مثل يهوداس .

مَن ذا الذي كان يمكن ان يظن ان رب المجد يحتمل هذه الاهانات . فيا الافراط
حبك للاتضاع والطاعة يا يسوع الحبيب . فمن ذا الذي بعد ذلك لا يطيع روساه في
كلما يامرونهُ بهِ من الامور الجايز فعلها ولو انهم يكونون ارديا ونيتهم في اوامرهم ردية *
اعتبر ثانيًا ان المسيح بكلامهِ المتقدم ذكره امر رسله والكهنة ان يقدموا ذبيحة
جسده ودمه تحت اعراض الخبز والخمر عوضًا عن الذبايح القديمة . وقد يجب جدًّا
علي المومنين أن يعقلوا جيدًا عظمة شرف هذه الذبيحة الجديدة وفايدتها *
فاعلم اولًا ان الانسان بالذبيحة يقدم لله شيئًا ما مقبولًا وبهِ يكرمهُ تعالى . والحال
انهُ لا يمكن ان يُقدَّم للاب الازلي شي ما اشرف واعز من ابنهِ الوحيد الاله الحق
والانسان الحق . الذي قال عنهُ تقدست اسماوهُ : هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ
سررت : فما اكثر ما تكون الشعوب ملتزمة بك يا مخلصنا لاجل هذا الاحسان
العظيم الذي بهِ منحتهم افضل ما يكون عندك ليكون لهم سرًّا وذبيحةً . ولئلا
يصيّر الكاهن بحقارتهِ ورداوتهِ هذه التقدمة المقدسة اقل قبولًا عند ابيك .
قصرت لنا كاهنًا لانك انت الذي تَقدم هذا الخبز وهذا الخمر علي يد مَن يقدس *
اعلم ثانيًا ان ذبيحة القداس لها على النوع الاكمل الثلث الصفات اللازمة لكل
ذبيحة وهي . اولًا انهُ بها يفي الانسان عن خطاياه . ثانيًا انهُ بها يظهر معروفه
نحو الله لاجل حسناتهِ . ثالثًا ينال انعامًا جديدة زمنية وابدية . فليقصد اذًا
هذه الثلثة الاشيا كل مَن يقدس او يحضر القداس . وليحسن حينيذٍ اتكالهُ ورجاه
ولا يشك في انهُ باستحقاق هذه الذبيحة يسكن غضب الله ويفي دينه وينال ما
يحتاجهُ . فليقل اذًا هكذا . ايها الاب الازلي انك قد قبلت تقدمة هابيل البار
وسررت بها . فكم بالحري تسر في تقدمتنا يسوع ابنك الجزيل القداسة والبر
الذي قُتل من الذين كان يحبهم بمحبةٍ اخوية وقدم ذاته ذبيحةً عنا ليفتدينا
بثمن دمهِ الكريم . فاقبل يارب هذه الذبيحة وفاءً عن سياتي وشكرًا عن حسناتك
التي . وباستحقاقات مقدمها الاصلي الذى هو ابنك الحبيب امنحني في هذه الحيوة
نعمة وافرة . وفي الاخرى خولني المجد الابدي امين *
اعتبر ثالثًا ان المسيح امر رسله الاطهار أن يفعلوا لذكره ولذكر الامهِ ما

قد صنعهُ هو تعالى . فتامل اذًا ان سيدنا يسوع المسيح قدم لاجل خلاصنا ذبيحتين . فالذبيحة الاولى هي دموية وهذه قدمها على الصليب . والذبيحة الثانية هي غير دموية وقد قدمها في العشا السري . واراد ان تكون هذه رمزًا وعبارةً عن تلك . لنعلم بذلك كم يشتهي ان نذكرهُ ونذكر موته لانهُ علق خلاصنا بالصليب . فاذًا الشي الاخص الذي من اجلهِ رسم هذا السر الذي بهِ صير لنا ذاته قوتًا وذبيحة . هو لانهُ اراد ان يديم فينا هذا الذكر . وان نمارس نحوهُ افعال المعروف وهي الاعتراف بالحسنات التي قبلناها منهُ واعتبارها . ورد الشكر للمحسن الالهي . واظهار المعروف بخدمة ما من الخدم . فاسالك يا الهي باستحقاق هذا السر الذي بهِ اردت ان تكون معي دايمًا ليلاً انساك ابدًا . ان تنعم عليّ بهذا اعني بان اذكرك كما تذكرني انت . وان اظهر لك المعروف لاجل حسناتك . واشكرك لاجلها على الدوام ❋

❁ الاعتبار الثالث عشر ❁

❂ في الاستعداد الواجب لتناول القربان المقدس ❂

اعتبر اولاً عظم جلال عزة ابن الله الذي يمنحنا ذاتهُ في هذا السر الجليل . وتامل بايمانٍ حي كلما يمتلكهُ من الكمالات الالهية والبشرية مبتديًا من تلك التي تخص لاهوته . فافتكر اذًا جيدًا واعتقد يقينًا ان الذي تقتبلهُ في هذا السر هو الابن الوحيد الذي هو في حضن الاب . الذي هو ضيا مجد وصورة جوهره الحقيقية . الازلي السرمدي الغير الممسوح والضابط الكل نظيرهُ . المساوي لهُ في الحكمة والقوة والجودة . الذي خلق العالم ويدبرهُ وهو مبدا كل الخلايق وغايتها . فالذي يلزمنا ان نتعجب منهُ اكثر تعجبًا . هو ان هذا الرب العظيم جلاله والفايقة عزته لم يكتف بانهُ تجسد لاجل خلاصنا . بل اراد أن يتضع ويصغر ذاته اكثر من ذلك في هذا السر لكي يسكن فيهِ معنا دايمًا فيعزينا بحضوره ويحفظنا من اعداينا . وامر ايضًا ان يكون لنا ملجا وعرش النعمة كما قال الرسول . لنلتجي اليهِ في زمان ضرورتنا بكمال الاتكال لندرك الرحمة ونجد المعونة ❋ فيا ايها الكلمة الالهية كيف وانت جالس في حضن ابيك تنحدر الى اسفل لتسكن في حضن احقر من

في العالم. كيف ترتضي ياملك المجد المرتفع فوق سما السموات أن تسكن بمسكن كثيف علي الارض. ان سبب ذلك ليس هو شيئًا اخر سوى محبتك التي تصيرك ان تنسى عزتك لكي تعظمنا وترفعنا بذلتك وتنازلك. وتجتذب اليك قلوبنا بمثل هذه المحبة المذهلة العقول. ليتنا نستطيع أن نحبك كما تحبنا وبمقدار ما تحبنا. وياليت يمكننا أن نتضع بمقدار ما تتضع انت فنقدم لك الاكرام الذي يحق لعظمتك والواجب لجلالك ❊ ثم تامل ان الذي تقتبله في هذا السر هو الذي بعد تجسده استقر تسعة اشهر في مستودع الكلية الطهارة مريم العذرا واملا نفسها من اعظم مواهب نعمته. وهو الذي في بيت زخريا واليصابات قدس ابنهما من البطن ويقدر الان ان يقدسك. وهو الذي بعد ذلك اهتم في خلاصنا بغيرة مضطرمة وتعب جزيل. وهو الذي كان يشفي المرضى ويقيم الموتى ويصنع خيرًا مع الكل وفي كل مكان. وهو الذي اسلم ذاته لاعدايه ليجلد بالسياط ويكلل بالشوك ويُهان ويُصلب لكي ينقذنا من اسر الخطية. وهو الذي صلي لاجل اللص التايب ووعده بملكوت السما. والحال انهُ تعالى هو الان ذاك المخلص نفسه الذي يحل علي مذابحنا ليكون هو بذاته صورة سر الامه. وليسقينا ذلك الدم الذي سفكه على جبل الجلجلة. فهل يمكن ان نشك في انهُ يقدر ويريد أن ينعم علينا بمثل الاحسان المذكور ❊

تامل اخيرًا أن الذي نتناولهُ في هذا السر هو ذاك الذي بعد موته كسر ابواب الجحيم وقام من الموت بمجد عظيم. وهو الان جالس من عن يمين ابيه. وهو عتيد ان يدين العالم. وقد اراد ان يخفي مجده تحت اعراض هذا السر ويريد منا ان نلتجي اليه بكمال الطمانينة راجين منهُ النجاة من شقاينا. فيا ايها المخلص الجزيل حنوهُ الذي يفتقدنا كل يوم باحشا رحمته من العلا. كيف اشكرك على هذا الاحسان العظيم. وكيف يمكن ان يعتريني الجزع عند تقدمي اليك. وانا عارف انك تنزل من السما لتتحد بي. فها انا اسجد لك وامجدك في هذا السر الالهي. واجثو عند رجليك مع المجدلية طالبًا العفو وغفران خطاياي. والمس باكرام وهيب ثوبك المقدس لكي تشفيني. واضع يدي في جرح جنبك مع توما الرسول لتنورني

باشعة وجهك فاصرخ قايلاً حقاً انك ربي والهي *

اعتبر ثانياً باية محبة ودالة مقدسة يعاملنا ابن الله في سر القربان الالهي . وباية عذوبة وبشاشة يفتقدنا نحن الخطاة . علي انهُ لقد كان يكفي لخلاصنا ان ننظر الجوهرة الالهية . كما انهُ كان يكفي لشفا الاسرايليين الذين لدغتهم الحيات في البرية ان ينظروا تلك الحية النحاسية المرفوعة علي خشبة . وبالاكثر لقد كان يكفينا ان نلمس جسد السيد المسيح . ولعمري ان هذا شرف عظيم لنا لأن الختن الحبيب الالهي ختن نفوسنا لم يكتفِ بذلك ولم يحسب هذا شيئاً . بل انهُ لافراط محبته لنا اراد ورغب ان يتحد بنا اتحاداً لا يمكن أن يوجد اشد منهُ بين شي جسمي وبين الانسان . فرام ان يكون هو نفسهُ طعاماً لنا ويلج في فمنا بشكل ماكل . ومن الفم ينزل الى معدتنا ويستقر هناك الى أن تبتدي الاعراض ان تزول . وعلى هذا النحو يجدد علي نوع ما الاعجوبة المذكورة من ارميا النبي بقوله : انثى تحيط في مستودعها رجلاً كاملاً بالحكمة والقداسة : لاننا نرى كل يوم نساءً ورجالاً يقتبلون في القربان المقدس هذا الانسان الالهي كاملاً بالسن . متصفاً بالمجد والبها الذي يمتلكهُ الان في ملكوته . فياما اعجب الوسايط التي اخترعتها يا يسوع الحلو لكي تُرينا محبتك . أتعلم يا مجدي ما هو المكان الذي تريد ان تسكن فيهِ . فهل يخفى عنك اني بالوعة مستكرهة مسكن للحيات واناء للهلاك . فكيف ترتضي ان تسكن هنا . وكيف اجسر انا ان اقتبلك . فها لساني هو ينبوع الفساد وفمي مقر الشراهة . ومعدتي كحماة لا تفوح منها سوى رايحة منتنة اي افكار فاسدة وعواطف رديئة . فكيف ترغب يا سيدي وتشتهي بغاية الشوق ان تمكث عندي وانت الطهارة والقداسة بالذات . فحقاً انهُ بالصواب تكنيك الاسفار المقدسة بابي المراحم لانك تحب ان تسكن في محل الشقا . فاجلني يا رب الى انسان جديد . نقِّ نفسي وزينها لتكون لك منزلاً مقبولاً : طاطي سمواتك وانزل : لانهُ أن كنت انت تتنازل الى ان تسكن فيَّ . فلماذا لا تتنازل معك السموات . فهلمَّ نازلاً يا مخلصي واحدر في قلبي الفضايل السماوية . امنحني ايماناً حياً ورجاءً متيناً وحباً مضطرماً واتضاعاً عميقاً وطاعةً كلية وعبادةً متقدة . لكي تصير لك نفسي

ارميا ٢٢:٣١

مزمور ١٤٣ : ٥

بزينة هذه الفضايل فردوسًا يسكن فيهِ رب المجد الى الابد *
اعتبر ثالثًا الاثمار التي قد اعتاد السيد المسيح ان يثمرها في نفوسنا حينما يشرفها بحضورهِ عند تناول هذا السر الجليل. ثم سلهُ ان يصدرها في نفسك. ولكي تفهم هذا جيدًا فتامل الوظايف المختلفة التي كان يباشرها تعالى على الارض ويباشرها الان ايضًا في هذا السر الالهي لتقديس نفوسنا. فاعلم ان السيد المسيح ياتي الينا اولاً كمخلص لكي يغفر لنا خطايانا. ثانيًا ياتي الينا كطبيب جزيل الحنو لكي يشفي امراضنا الروحية. ثالثًا ياتي الينا كمعلم ماهر لكي يعلمنا طريق الحق والفضيلة. رابعًا ياتي الينا كالحبر الاعظم حبر العهد الجديد لكي يشركنا في اثمار الذبيحة الدموية التي قدمها لاجلنا على الصليب واستحقاقها. ولكي نقدم لهُ جزاء عن ذلك ذبيحة قلب منسحق متواضع مع قرابين عواطف المعروف والمحبة. خامسًا ياتي الينا كما كل سماوي لكي يعولنا من حليب تعزياته الكلية العذوبة. ولكي يتحد بنا برباط المحبة الكاملة ويشرفنا بقبلة السلام * وقد يمكنك ان تردد في عقلك صفات اخر كثيرة مختلفة يمتلكها السيد المسيح. فتصور انهُ تعالى ياتيك كراعٍ لكي يردك الى الرعية وكترس يحفظك. او كنارٍ لينقيك ويضرمك. ثم افتكر وتامل ما اكثر ما انت محتاج الى معونتهِ. فتصور ذاتك امامهُ كانك ماسور بالخطية متعبد للشيطان. وكانسان ملتحف بالجهل والضلال او كفقير مقتر. او كعبد مارد مرتجع الى ربهِ لاعتقادهِ ان سعادتهُ متعلقة بالتعبد لهُ. فاذا قابلت على هذا النحو صفات يسوع مع صفاتك اي رحمته مع شقايك. فانهُ من احدى الجهات يشملك التعجب والتحير. ومن جهة اخرى يلتهب قلبك بالشوق الى الاتحاد بيسوع ربك. فتخاطبهُ هكذا. الهي ونصيبي الى الابد. كيف لا ياخذني التحير والذهول. بل كيف لا اغيب عن الحس من الاندهاش عندما ارى هذه المعجزات التي تفعلها محبتك لاجلي. كيف تاتي اليَّ انت يا حياتي لتتحد بي وتحييني. أليس انهُ كان يكفي لهذا ان تقول كلمة لتصنع في ما تشا. واعظم ما يكون انهُ لقد كان يكفي أن ترسل اليَّ ادنى عبيدك كما ارسلت قديمًا جيازي ليضع عليَّ عصاه. فلقد كنت انهض حالاً من حال الموت الا ان محبتك لم تقف عند

هذه الحدود . بل تاتي انت بذاتك لكي تلاوديني بيدك وتحييني وتعزيني بعذوبة محبتك الغير المتناهية . فهلم اذًا يا الهي ولا تبطو . واسرع لمعونتي ونجني عاجلاً من شقاي : ايقظ واظهر قوتك وهلم لخلاصي : شقق السموات وانزل فتذيب الجبال بوجهك : امطري ندًى يا ايتها السموات من فوق والغيوم فلتمطر الصديق لتتفتح الارض وتنبت الخلص : هلم يا حبيب قلبي هلم وانتقد نفسي المرتاحة اليك غاية الارتياح . هلم يا ذخيري الاعظم الوحيد اتحد بي سريعًا لاني لا استطيع ان اطيق مفارقتك ❁ فعلى المتامل ان يبرز مثل هذه الاشواق الحارة بالتكاثر . لكون السيد المسيح هو خبز الحيوة . فيريد ان يوكل بجوع واشتها . وما عدا الاشواق المضطرمة والجوع الروحي فينبغي للمومن قبل تناول السر الالهي ان يكون متصفًا بنقاوة قلب عظيمة جدًا . فكما ان الجسد لا يجب ان يقترب الى تلك المايدة المقدسة الا ان يكون صايمًا ممتنعًا عن كل اكل وشرب من نصف الليل الماضي . هكذا النفس لا يجوز لها ان تدنو منها قبل ان تكون امتنعت وتطهرت من اصغر الخطايا . فعلى مقتضى هذا التعليم يجب علي المسيحي ان يكون اصرف تلك الليلة الاخيرة خلوًا من دنسٍ في النفس والجسد . فان زلّ في شيءٍ ما ضعفٍ بشري فيبتغى منه لاكرام الواجب لجسد الرب ان يتنقى اما بالاعتراف الذى لا بدّ منهُ ان كانت الخطية مميتة . اما بفعل الندامة ان كانت الخطية عرضية ولم يكن لهُ زمانٌ مديد عن الاعتراف ❁

مزمور ٣٤٧٩ اشعيا ١٢٦٤ ٨٤٤٥

❁ الاعتبار الرابع عشر ❁

❁ في تناول القربان المقدس على نوع روحي ❁

اعلم ان هذا التناول الروحي حسب تعليم ماري توما اللاهوتي . هو رياضة باطنة نمارس بها افعالاً جزيلة يستطيع بها المومن ان يجتني الاثمار والمنافع الروحية التي يقتبلها بالتناول الحقيقي . اما هذا التناول الروحي يتم في زمانين وعلى نوعين مختلفين ❁ على ان هذا التناول المذكور اعني التناول بالروح يعيقنا ويعدنا للتناول بالجسد . وذلك بواسطة افعال بعض فضايل نمارسها عند هذا التناول الروحي وتناسب هذه الوليمة السماوية . ثم انهُ يعيننا علي ان نحضر القداس جيدًا

وننتفع منهُ. لانهُ كما ان الكاهن. كل من يقدس فانهُ يقدم لله الذبيحة الالهية ويتناول السر المقدس. هكذا كل من يحضر القداس يجب عليهِ ان يفعل هذين الامرين على قدر ما يمكنهُ. فيجب عليهِ اولاً ان يقدم الذبيحة لله شكراً عن حسناتهِ ووفاءً عن خطاياه وخطايا اصدقايهِ الذين في المطهر. وايضاً لكي ينال من الله انعامه وما تحتاج اليهِ الكنيسة. علي انهُ لهذا رُسمت هذه الذبيحة كما قلنا في الاعتبار الحادي عشر * ثانياً يجب على المومن حينما يحضر القداس ان يتناول السر تناولاً روحياً. وذلك بواسطة اشتياق حار لاكل جسد المخلص. وهذا يتوقف على ممارسة افعال الايمان والرجا والمحبة *

فمارس اذاً اولاً افعال الايمان نحو هذا السر الغير الموصوف. وتامل جيداً اخص الاساسات التي يعتمد عليها ايماننا. وهي حكمة الله الغير المدركة التي اخترعت هذه الواسطة العجيبة لقوت نفوسنا. وجوده تعالى الغير المتناهي الذي اختار هذه الواسطة. وقدرته الضابطة الكل التي استعملتها. وكلامه العزيز الذي لمن الممتنع ان يكون كاذباً من حيث انهُ هو كلام الحق بالذات ومنهُ تعلمنا مهما نعتقدهُ عن هذا السر. وقد يجب ان تكون شهادتهُ عندنا افضل كثيراً جداً من شهادة الحواس. فاذ قد اعتمد ايماننا علي هذه الاساسات الراهنة الغير المتزعزعة فينبغي ان نمارس افعالهُ بغير ارتياب وتشكيك. ونعتقد اعتقاداً ثابتاً ان سيدنا يسوع المسيح الاله الحق والانسان الحق هو حقاً بكليتهِ موجود تحت اعراض الخبز والخمر. وهو هنا متصف بكل المجد والعزّ التي يمتلكها في ملكوتهِ. حتي كما انهُ يشاهد لاهوته وناسوته في السما يقيت قديسيه ويشبعهم. هكذا ههنا على الارض يملانا من خيراتهِ بنظر الايمان. الذي ولو انهُ يكون مظلماً لانهُ يصيرنا ان نشعر بهِ تحت اعراض السر * والحال انهُ لكي يحسن ايماننا ويزداد قوةً ونوراً فانهُ يحتاج الى التامل الذي من شانهِ ان يجذب الينا انواراً كثيرة ويسعفنا في تحصيل معرفة كمالات هذا الرب والاله العظيم الذي نقبلهُ * فمارس اذاً افعال الايمان بهذا السر علي المنوال الاتي ذكره وقل هكذا. اني لاعتقد واومن يقيناً بان سيدنا يسوع المسيح هو حقاً مختفياً هنا تحت حجاب الاعراض مع جسده ونفسه

ولاهوته. واصدق ان الموجود في الجوهر هو ابن الله الحي وانهُ ازلي وضابط الكل ومتصف بحكمة وقدوسية غير متناهية. واعترف انهُ هو مخلصي ومعلمي وابي ودياني وانهُ في يده نصيبي الابدي. واقرانهُ هو الذي ولد في مغارة ووُضع في مذود وجُلد وكُلل بالشوك وصُلب لاجلي. واعتقد هذا جميعه لانهُ هو علمناهُ وشهد بهِ. ولذلك اصدق متحققاً انهُ ليس قد قدر فقط. بل انهُ احب ان يخترع هذه الامور العجيبة وانهُ اكملها كلها بالفعل ايضاً * فيا ايها الرب ملكي والهي اني وان كنت لا اشاهدك مواجهةً لاني قد عرفت من الايمان انك موجود هنا. وفي هذا كفاية لكي اكرمك وامجدك في هذا السر كاني اراك بعيني. وقد تبتهج وتتهلل نفسي من كونك قريباً مني واشكرك لانك تشرفني بحضورك. فزدني ايماناً يارب لكي اذوق جلال سعادة الذين يحظوا بك الى الابد *

مارس ثانياً افعال الرجا. ولكي تمارسها حسناً اذكر ان الرجا يعتمد ايضاً على حكمة الله الغير المحدودة وعلى جوده وقدرته وامانته في تكميل مواعيده. على انهُ ليس شي ولو مهما يكون عسراً لا يقدر ان يصنعهُ لاجلنا. فاذا ما تاسس ايماننا على هذا النحو فمارس افعاله جيداً بواسطة التامل الذي يسعفنا في طلب كل الاشيا التي نرجوها ونيلها. والحال ان الشي الاخص الذي نرجوهُ ونبتغيه هو ان يتمم سيدنا يسوع المسيح ما وعد بهِ الذين يتناولونهُ كما يجب في القربان المقدس. فقل اذاً هكذا الهي ومخلصي اني ارجو منك ألا تسمح بان يدركني الموت اذا ما اكلت من هذا الخبز الحي. بل اني احيي الى الابد واكون فيك دائماً كما تكون انت فيَّ الى ابد الدهور. وارجو اني احيي بك ولاجلك كما تحيي انت بالاب ولاجله. وان انال باستحقاقك حيوة الابد واخيراً ان تقيمني في اليوم الاخير. ايها الخبز الحي وخبز حياتي ها انا قد وافيت لاقتبلك راجياً منك رجاءً متيناً ان تحييني بالروح وتقوي قلبي وتملا نفسي من السرور والبهجة. وتشركها في طهارتك وتحيلني الى انسان جديد. زدني يارب رجاءً بجودك لكي اكتسب مواعيدك الالهية * ثم انه يجب عليك انك لاتدع رجاءك ان يقف عند هذه الحدود بل اعتقد ان السيد المسيح لم يعلق مفعولات رحمته وقدرته بتناول هذا السر

تناولاً حقيقياً فقط . بل انهُ تعالى يقدر ان يمنحنا جميع هذه الخيرات لاجل مجرد ارتياحنا الى تناولهِ ❊

مارس ثالثاً افعال المحبة التي بها ترتبط النفس مع السيد المسيح وتكتسب هذا الاتحاد الالهي الذي هو اخص الثمار التي نجتنيها من سر القربان المقدس . فانظر اذاً بابتهاج قلب كيف ان الله يظهر في هذا السر العظيم جودهُ ومحبتهُ وقدرتهُ وسخاءُ . وبازكهُ على انهُ احبنا بهذا المقدار حتى انهُ اراد أن يكون لنا ماكلاً . واشتهى ان تكون دائماً متحداً بهِ بالمعرفة والمحبة . وان تقتدي بفضائلهِ وان يحبهُ الجميع ويمجدوهُ ويتناولوا سر محبتهِ . ويجعلوا سعادتهم في انهم يكملون ارادتهُ دائماً . فانا اعترف يا الهي انك لمحبوبٌ جداً في كل مكان الا انك في سر القربان المقدس تستحق ان نحبك محبة خصوصية . فاجعلني باستحقاق محبتك ان احبك من كل قلبي ومن كل نفسي ومن كل روحي ومن كل قواي . ولتصير في نعمتك ان احبك لاجل ما تظهر لي من الجود في هذا السر . ولاجل الانعام التي اكتسبها بهِ . ولاجل المجد الابدي الذي تعدني بهِ بواسطتهِ . لا سيما لاجل رغبتك المضطرمة في اجتذاب قلبي ومحبتي بواسطتهِ . تمم فيَّ يا رب ما تشتهيهِ واشتهيهِ انا ايضاً اشتهاءً بليغاً . وهو اني احبك كما تريد انت ان تُحب واستمر متحداً بك بمحبةٍ كاملة الى ان اتمتع بك تمتعاً كلياً في ملكوتك ❊

❖ الاعتبار الخامس عشر ❖

❊ في تقدمة الشكر لله بعد تناول القربان المقدس ❊

انهُ بعد تناول السر الالهي يجب عليك ان تستفيد من حضور يسوع ومخاطبتهِ الحلوة على انهُ تعالى ما دام موجوداً فيك فانهُ هو نورك . فسر اذاً ما دام النور معك لئلا يدركك الظلام . فالشيء الاول الذي ينبغي ان تفعلهُ هو تقدمة الشكر للسيد المسيح لاجل احسانهِ . قال الحكيم : لا يفلتك جزء صغير من العطية الصالحة : على انهُ كما اننا نحترم احتراماً كلياً كل جزءٍ صغير من اجزاء الجوهرة لاجل وجود المسيح فيهِ . هكذا ينبغي لنا ان نستعظم ونعتبر اعتباراً بليغاً ادنى دقيقة من هذا الزمان السعيد الذي فيهِ نتمتع بينبوع النعم . لانهُ يمكننا ان نقتبل في كل دقيقةٍ

سيراخ ١٤ع١٤

مواهب جزيلة. ولهذا قال القديس ديونيسيوس ان هذا السر هو كمال بقية الاسرار وواسطة فعالة جداً لاكتسابها. فعليك اذاً ان تمارس حينئذ الثلثة الافعال المذكورة في الاعتبار السابق. ولا تصرف الزمان باطلاً في طلب اعتبارات جديدة. لان تلك التي اوردناها فيها الكفاية. بل ابذل الجهود في ممارسة عواطف جديدة ورد الشكر ليسوع لاجل احسانه على النوع الاتي ذكرهُ *

اولاً بعد تناولك السر الالهي ايقظ ايمانك واحسنهُ. واعتقد بايمان حي متين ان سيدنا يسوع المسيح هو حقاً حاضر وموجود فيك. فانهُ وان كان غير منظور. فتصورهُ كانك تنظرهُ وتعاينهُ. ورددحينئذ في عقلك مهما تاملتهُ قبلاً من كمالات المسيح وعظايمه. فكما انهُ اذا خرج الملك من بلاطه ترافقهُ عظماء ملكه. هكذا يسوغ للمومن كما قال القديس غريغوريدوس ان يتصور المسيح مع الوف الوف من الارواح السماوية حولهُ. ويلزمهُ حينئذ ان يجثو بالروح عند رجلي رب المجد بتخدير واندهاش عقل من انهُ تعالى ارتضى ان ينزل من منبر عزته ليسكن في موضع كثيف حقير. ثم مارس عواطف الاتضاع والتهيب والخجل قايلاً مع بطرس الرسول: ابعد عني يارب لاني انا رجل خاطي: او مع اليصابات: من اين لي ان ان ياتيني الهي ويفتقدني: او مع المرتل: من هو الانسان لتذكرهُ او ابن الانسان لتفتقدهُ: انهُ لانقص من المليكة كثيراً جداً فكيف تنحدر معهم من السما لتسكن فيه. يا الهنا الرب ربنا ما اعجب اسمك علي الارض اذ قد جعلت فيها مسكنك وصيرتها مسكناً سماوياً * ثم مارس افعال المعروف والمديح. ومع المرتل حث كل قواك الباطنة والخارجة وكل افكارك وعواطفك على تمجيد اسمه وقل هكذا. لتباركك عيناي يارب لانها تمتعت برؤياك. ولتسبحك شفتاي التي أهلت لتقبيلك ولمسك وليمجدك لساني الذي حظي بذوقك. وليحبك قلبي الذي اقتبلك ولتقل عظامي كلها من مثلك. ليسبحك ذكري وليمدح فهمي كمالاتك. ولتحبك ارادتي ولتتوق اليك شهوتي. ولتطعك اماراتي وليمجدك كل شي ويباركك لاجل افتقادك اياي *

ثانياً اعتبر ما يفعلهُ فيك مخلصك حينما يفتقدك. واعتقد انك قد اقتبلت حقاً

لوقا ٥: ٨
لوقا ١: ٤٣
مزمور ٨: ٥

فاديك وطبيبك ومعلمك وقد حل فيك كل خيرك . فاحتضنهُ اذاً وضمهُ الى قلبك وخاطبهُ باتضاع جزيل ومحبةٍ مضطرمة قايلاً مع العروس النقية : اني وجدت مَن احبتهُ نفسي فمسكتهُ ولا ادعهُ ان يفارقني : اي نعم ليس شي يقدر أن يفرقهُ مني لا تعب ولا ضيق . لا افلتهُ الى ان يدخلني في بيت امي في اورشليم السماوية حيث احظى بهِ الى الابد . ثم بعد ذلك اسكب مع المرتل تضرعك امام الختن الالهي ختن نفوسنا وصف لهُ احزانك شيًا فشيًا بالتفصيل كانهُ لم يكن عالمًا بها . واطلب منهُ ان يعالجها قايلاً اني انا هو هذا المريض الذى قد اشرف علي الموت وامراضي هي اماراتي الغير المنتظمة . اعني بها كبريايي وحبي التنعم وحدة اخلاقي . فان شيت يا طبيبي الحنون القادر على كل شي فانك لقادر ان تشفيني بكلمةٍ في لحظةٍ واحدة . فقل اذًا لنفسي ما قلتهُ لزكا حينما دخلت في بيتهِ : اليوم وجب الخلاص لهذا البيت : فها انا قد حصلت على حال الجهل والضلال وصرت كانسان متبرقع بظلام الموت . فالى من التجي الا اليك يا نوري ومرشدي . فنمثل هذه الطلبات حرِّض مع يعقوب اسرايل رب المليكة ولا تفلتهُ قبل ان يباركك *

ثالثًا يجب عليك بعد تناول القربان المقدس ان تقدم للسيد المسيح شيًا ماجزاءً عما انعم بهِ عليك في هذا السر الجليل . فكما انهُ دعاك الى وليمة عظيمة . فلمن الصواب أن تعمل لهُ وليمةً ايضًا . وهذا قد اعناهُ بقولهِ انهُ اذا دخل الى نفسٍ ليتعشى معها . هي ايضًا تتعشى معهُ . فكما انها تقتات من مواهبهِ . هكذا هو تعالى يقتات ايضًا من اشواقها ومقاصدها المقدسة . ولهذا ينبغي ان تصنع لربك وليمةً ما روحيةً بعد تناول القربان المقدس . بتقدمتك لهُ ما قد عرفت انهُ يستحسنهُ ويشتهيهِ بالاكثر . فالشي الاول الذى يطلبهُ منك هو قلبك وقد يريد أن نقدمهُ لهُ كلهُ كما انهُ وهبنا قلبهُ بكليتهِ . على انهُ تعالى لا ياذن للقلب المتعبد لهُ ان يقبل فكرًا ما رديًا اوشيًا اخر يثلم او يتلف المحبة التي قد التزمنا بها نحوهُ . ويريد ايضًا منا ان نقدم لهُ اجسادنا كذبيحةٍ حيةٍ مقدسةٍ مقبولة . وان نحمل دايمًا علينا علامات الامهِ بواسطة الاماتة . لا سيما اماتة تلك الامارة التي تصدنا اكثر صدًا عن عبادتهِ . واخيرًا يريد منا أن نطعمهُ في اعضايهِ اي في

انشاد ٤:٣

لوقا ١٩:٩

المساكين بواسطة الصدقة الممكنة لحال دعوتنا ورتبتنا. وان كنت راهبًا واردت ان تقدم له شيئًا مقبولاً جدًا فجدد بعد تناول السر نذورك. وقلما يكون عاهد يسوع وعن يفعل ما من الافعال الصالحة بانك تمارسه في ذلك النهار. واذا امكنك فاصرف ذلك النهار كله برياضات المعروف والاقتداء بفضايله ❋

التامل الثالث والاربعون

❋ في العناية الالهية نظرًا الى دعوات هذه الحيرة ووظايفها المختلفة ❋

❁ الجزء الاول ❁

تامل اولاً ان الله جل ذكره دعا نفسه ابانا. ولعمري ان هذا الاسم يحق له سبحانه اكثر مما يحق للابا الارضيين. على انه تعالى لم يعطنا الحيوة الطبيعية وحيوة النعمة ويحفظهما فقط على نوع عجيب كما تقدمنا فقلنا. بل ان عنايته الابوية تخصص ايضًا لكل دعوة ووظيفة مناسبة له. وتسوقه اليها بحركات سرية لكي يصنع خلاصه باوفر طمانينة. فتدعو البعض الى الزيجة وبعضًا الى العفة. وبعضًا الى الرهبنة وقومًا تدعوهم الى الرتب الشريفة والدرجات الكنايسية. لانه كما انه في جسد واحد تكون اعضا كثيرة مختلفة في خدمتها. هكذا في جسد الكنيسة السري وفي كل جماعة منتظمة وضع الله وظايف متنوعة. ففيما بين الاعضا المركبة منها هذه الاجساد. يريد ان البعض يكونون كالراس للتدبير وللترأس. والبعض كالاعين للارشاد. وبعضًا كالايدي لممارسة رياضات الحيوة العملية. وبعضًا كالقلب لممارسة رياضات الحيوة النظرية. وبعضًا نظير الارجل لمعاطاة الاعمال الدنيا الوطية ❋ والحال ان الله يعقل جيدًا مزاج كل احد وطبعه وزناته. وبالنتيجة يعلم ان يضع كل احد في الوظيفة التي تناسبه اكثر. وهذا يفعله حقًا مع كل احد ما عدا الذين يلقون عنهم نير الطاعة لتدبير عنايته. فيختارون دعوتهم من تلقا نفوسهم. ويدخلون فيها لاجل بعض غرض بطرايق منحرفة ردية ❋ فهذه الحقيقة اذا تاملناها جيدًا تحرك فينا عواطف المعروف نحو جزيل اهتمام هذا الاب الكلي الجود والصلاح ببنيه. وهنا يجب عليك أن

تعتبر شيين. الشي الاول هو ان الذين لم يختاروا دعوتهم بعد يلازمهم أن يستشيروا
الله بنية مستقيمة ويستعملوا وسايط تدل علي الخضوع الكلي لتدبير عنايته.
لكي يستعدوا بذلك لتتميم ارادته. وبواسطة استقامة نيتهم يستحقون ان يعرفوا
الدعوة الالهية ويريهم الروح القدس الدعوة التي تناسبهم اكثر من غيرها.
وذلك ان جعلوا كل اتكالهم على الله وسلموا ذواتهم لتدبيره تسليماً كلياً.
فاذا اتفق انهم لا يجدون وسايط كافية لتكميل ارادته. فلا شك في ان الله يعطيهم
وسايط أُخر فاعلة اقوى من تلك. وقد يتحقق ذلك كل مومن اطلع على ما سُطر في
الاسفار المقدسة عن زيجة اسحق مع رفقة. وطوبيا مع سارا. وعن انتخاب
يوسف الحسن لتدبير مصر. وداود الى رتبة ملك اسرايل *

الشي الثاني الذي يجب أن يُعتبر هنا هو الذين قد دخلوا في الدعوة التي دعتهم اليها
العناية الالهية. ينبغي لهم ان يستمروا عليها ويرضوا بها لرجاهم ان دعوتهم
التي هي من الله تكون لهم واسطة سهلة لاكتساب حيوة الابد. وان كانت حالهم
دنية حقيرة فلا يخلون من ذلك. ولا يحتسبون حظهم اقل خيراً من حال غيرهم.
وهكذا الذين يمتلكون الرتب الشريفة والدرجات السامية فليحترسوا من
الافتخار بها. قال الرسول: ليستمر كل احد في الدعوة التي دُعي اليها: دعوة عبد
كانت او حر شريف او حقير. وليحترس كل مومن علي ان يحفظ الاتضاع في
الارتفاع والاتكال في المذلة. على انه خيرٌ للانسان ان يكون رجلاً في جسد
الكنيسة السري فيصل الى الوطن السماوي من أنه يكون فيه راساً فيطرد الى اللجة
الخالدة. فابتهجي اذاً يا نفسي من ان نصيبكِ يكون بين يدي الله. اقبلي بفرحٍ
الدعوة المقدمة لكِ من قبله. لانها هي حقاً الطريق التي يريد ان يبلغكِ بها
الى السعادة الابدية *

قرنثيه ١ ٢٠ ٤٧

الجزء الثاني

تامل ثانياً كيف تخصص العناية الالهية لكل احدٍ دعوتهُ ووظيفتهُ. على ان
تدبيرها في ذلك لا يوجد شي يشبههُ في تدبير ملوك الارض. حيث ان الله الذي
يدبر العالم تدبيراً قوياً لطيفاً. يهتم اهتماماً خصوصياً في أن يولد مع كل انسان

ميل وانصباب ما الى دعوة ووظيفة خصوصية قد اختار ان يقيمهُ عليها . حتى انهُ لا توجد صناعة او وظيفة ولو مهما كانت دنية غير مرضية للبعض اكثر من غيرها اشرف منها . وقد نرى كل يوم اخوة ولو انهم ولدوا مثل العيس ويعقوب من دم واحد وفي ساعة واحدة . فمع ذلك تكون اماراتهم واميالهم مختلفة جدًّا . لانهُ كما ان الفاخوريّ من مادة واحدة وجبلة واحدة يصنع اواني متنوعة الاشكال والاستعمال . وكما ان الطبيعة من مادة واحدة تجبل اعضا مختلفة في اشكالها ووظائفها . هكذا الحكمة والقدرة الالهية تجعل اختلافًا فيما بين الانام ولو كان نوعهم واحدًا . وتمنحهم ميلًا غريزيًّا يميلون بهِ طبعًا الى تفضيل وظيفة ما على غيرها . وقد يلزمنا ان نشكر الله علي ذلك ونباركهُ . لان اختلاف هذا الميل يجدينا نفعًا جزيلًا . لانهُ يوجد لنا عن ذلك اناس يخدموننا بابتهاج في كل حال وامر . فالبعض يحبون ان يحفظونا في محل الحرب . والبعض يدبروننا في زمان الصلح . والبعض يفلحون لنا الارض وهلم جرًّا . وقد لحظ ذلك الرسول فقال لو يكون الجسد كلهُ عينًا من ذا الذى كان يقدر ان يمشي . ولو يكون الجسد كلهُ رجلًا من كان يستطيع ان يبصر . ولو ان يكون الجسد كلهُ لسانًا من كان يشتغل . ولو يكون الجسد كله يدًا من كان يقدر ان يتكلم *

ثم اعتبر انهُ كما ان اختلاف الوظايف بين الاعضا ينفع كل واحد منها . هكذا اختلاف الوظايف بين الانام والميل الذي يميلون بها اليها طبعًا ينفع كل واحد منهم . وبالنتيجة يجب علي الكل ان يشكروا العناية الالهية على جزيل اهتمامها في احتياجاتهم . ثم افحص انت ايها المتامل ما اتخذت من الله من الميل الجيد لكى تتبعهُ . فيصيرك هذا ان تحب دعوتك . واشكر ربك الذى يدبرك بحسن اللطافة والجود . ولا يريد ان يدخلك في دعوة قهرًا او جبرًا . لاسيما ان كنت عتيدًا ان تستمر فيها زمانًا طويلًا * فيا ايها الاب الجزيل الجود والكلى الصلاح والمستحق ان تحب من الجميع محبة كلية . اشكرك علي عذوبة تدبيرك اياي الذي بهِ تصير لي كل شيءٍ سهلًا وتخفف لي نيرًا لا قدرة لكثيرين علي حملهِ . واشكرك ايضًا على ان كل احد بعون نعمتك يحمل حملهُ برضا والكل يسعون في

مساعدة بعضهم بعضاً. اجعلني يارب ان اتمم لوازم وظيفتي لتكون خدمتي مفيدة لي ولقريبي * اعتبر ايضاً ان العناية الالهية اذا راتنا لا نميل طبعاً الى الوظيفة التي تدعونا اليها. تمنحنا حينئذ ميلاً يضاد ميلنا الطبيعي. وذلك باظهارها وايرادها لنا الخيرات الجزيلة الناتجة من تلك الوظيفة. ومن ثمّ تصير لدينا سهلاً مستعذباً ما كنا نراه قبلاً مستصعباً ومستكرهاً. ولهذا نرى كثيرين يباينون العالم بسرور ويدخلون الرهبنة ليمارسوا احقر وظايفها. ويجدون في هذا لذةً لم يكونوا وجدوا مثلها في العالم لو مكثوا فيه *

واذا اتفق انهم لايشعرون بهذه اللذة والعذوبة الحسية حينما يفتكرون في ترك العالم. فيلهمهم الله حينئذ ويظهر لهم في تركه حججاً فعالة قوية بهذا المقدار. حتى ان الارادة تنسحب ورا تلك الانوار السماوية وتظفر بالصعوبة الطبيعية. فيا الهي لقد سلمتُ نفسي بالكلية بين يديك. وارجو من مراحمك الغزيرة انك اذا ما وضعت عليَّ حملاً ثقيلاً أن تصيرهُ لي خفيفاً بوفور تعزياتك الالهية. لاني قد جعلت كل سروري في تكميل ما تريد وتسر به. فلا تدع ياسيدي ان يميل بي ميلي الى ما يغيظك *

✤ الجزء الثالث ✤

تامل ثالثاً ان العناية الالهية تمنحنا كلما نحتاجه لكي نتمم لوازم الدعوة التي دعتنا اليها. على ان الله لايامرنا بما لايمكننا فعله ولايضع علينا حملاً لا طاقة لنا على حمله. حاشا وكلا بل انه يعرف قدرتنا. ومحبتهُ لنا لاتسمح بان نسقط تحت الحمل. ولهذا يعطى المتزوجين بواسطة سر الزيجة نعمةً خصوصية لكي يحتملوا بالصبر اتعاب هذه الدعوة واحزانها. ويسكب روح القدس على الكهنة بواسطة سر الكهنوت ليباشروا وظيفتهم حسناً. ويهب الرهبان نعماً خصوصية لكي يحفظوا بالكمال رسوماتهم. وهكذا يعطى روسا الكنيسة وقضاة الشعب روحاً للتدبير. وبمقدار ما يكون التدبير اكثر صعوبةً بمقدار ذلك يزيدهم الله قوةً وعوناً. ومن ثمّ لما رام الله ان يخفف علي موسى حمل وظيفته التي كان يستثقلها هذا النبي قال له: اني ساخذ من روحك واعطيه للسبعين من المشيخة العتيدين ان

يحملوا معك ثقل الشعب: فكانهُ تعالى يقول انك مادمت وحدك تدبر الشعب كلهُ وتحمل الحمل وحدك فكنت اسعفك واقدرك علي ذلك. اما الآن اذ قد طلبت ان اخففهُ عنك. فاني اعطي الذين يحملون جزءًا من اتعابك جزءًا من العون الذي كنت تستمدهُ مني قبلاً * وهذا المثل يوضح جليًا ان احتمال الحمل الثقيل ليس هو بامر اعسر من احتمال حمل خفيف. من حيث ان الله يعطي علي الدوام عونًا علي حسب ثقل الحمل وصعوبة الوظيفة. وبالنتيجة يمكن لكل واحد ان يقول مع المرتل: جربني يارب وابلوني احمي قلبي وكلوتي: ضع عليَّ يارب حملاً كما تريد فاني اقبلهُ بفرح واحملهُ كذلك. لان رحمتك امام عيني في كل حين وانا الواثق انك اذا ما زدتني ثقلاً تزيدني ايضًا قوةً * وقد يتضح مما تقدم كم يلقي نفسه في خطر جسيم مَن يدخل في دعوةٍ لا يدعوه الله اليها ولا يستشير في اختيارها غير ميل اللحم. على ان من كانت هذه الحال حالهُ فانهُ يحيد عن الطريق المرسومة لهُ من عناية الله. ولذلك يكون هو سبب ضلالهِ العتيد. الا ان الذي قد حصل علي الخطر ولا يمكنهُ ان يترك دعوتهُ اما لانها غير قابلة التغيير او لاجل سبب آخر باهظ. فلا يجب ان ييأس من رحمة الله ولا يقطع رجاهُ. علي ان صلاح الله وجوده لعظيمٌ بهذا المقدار. حتى انهُ اذا تركنا ارشاد عنايتهِ يعرف ان يردنا الى الطريق المستقيم بوسايط معروفة منهُ وحدهُ. وقد يتفق اوقاتًا كثيرة انهُ يستخرج الخير من الشر. ويستخدم ضلالنا لاصلاح حالنا. الا انهُ جلت رحمتهُ متى عاملناهُ هذه المعاملة يريد منا ان نرجع اليهِ مثل الابن الشاطر بقلب متوجع علي زلاتنا وبحسن الاتكال على غزارة رأفتهِ *

مزمور ٢٥ع٢

التامل الرابع والاربعون

* في عناية الله نظرًا الى تاسيس دعوة الرهبنة وفي الرهبنات المختلفة التي اقامها تعالى *
* وفي كيف انهُ يدعو اليها اناسًا كثيرين *

الجزء الاول

تامل اولاً ان الله اقام في كنيسته رهبنات كثيرة وان الاسباب التي من اجلها اسس هذه الرهبنات هي باهظة معتبرة وها نحن نورد هنا اخصها. فاعتبر اولاً ان

المومنين كما قال ماري توما اللاهوتي يجدون في كل مكان مدارس مشتهرة يتعلمون فيها الكمال المسيحي . فيجوز اذًا ان نسمي اديرة الرهبان منازل مقدسة حيث يسكن الذين يطلبون الرب حقًا ويسكنون جميعًا كاخوة . وهم بنوا الحكمة المتمسكين بالطاعة والمحبة ❁

اعتبر ثانيًا ان الرهبانية هي نظير مدرسة يتعلم فيها المومنون الاقتدا بالمسيح والتشبه بابيه الازلي وذلك لكي يوجد في المسكونة كلها اناس مجتهدين في ان يكونوا كاملين كما ان اباهم السماوي هو كامل : وذلك ليس بحفظهم وصاياه فقط بل بحفظهم مشوراته ايضًا كما حفظها هو تعالى نفسهُ ❁

متى ٤٨:٥

اعتبر ثالثًا ان الرهبنة هي ملجا للمومنين بها ينقذون من مخاطر العالم ويهتمون بهدو وسكينة في خلاص نفوسهم . وقد يجدون بها وسايط كثيرة لا للهرب عن الخطية فقط . بل للهرب عن اسبابها ايضًا ولممارسة الفضايل كافةً . فالطوبى للذين يدعوهم الله الى الرهبنة لانهُ قد صار لهم الهًا ناصرًا وبيت ملجا ليخلصهم ❁

اعتبر رابعًا ان الرهبنة هي لدى الله بيتًا مبهجًا وفردوس النعيم على الارض . وذلك لان تنعمه تعالى هو التردد مع بني البشر . فيجمع اعزا اصدقايه لكي يسكن معهم ويبتهج فيما بينهم . كما ان اعظم ابتهاجهم وفرحهم هو التردد معهُ تبارك اسمهُ . ومن ثم يسوغ لنا ان نسمي كل دير بيت الصلوة ومخدع مغلق حيث يتردد الملك السماوي مع احبايه ويكشف لهم اخفي اسراره ❁

اعتبر خامسًا ان الرهبنة هي السراج الموضوع على منارة الكنيسة . والمدينة الموضوعة على جبل عال ومن هناك يخرج النور الذي يضي للكل . علي ان الله يعلم جماعة المومنين بواسطة الرهبنة ويحفظ بينهم نقاوة التعليم وقداسة السيرة . حيث ان الرهبنة بذاتها تظهر علانيةً حقيقة الانجيل وسمو كماله . وبواسطة الفضايل التي تمارسها تحرك الناس الى محبة الله وتمجيده . فيتم في الرهبان قول الرسول لتكن سيرتكم نقية . متذكرين انكم بنوا الله مستسيرين سيرة بلا عيب لا تستطيع ان تبكتكم عليها الاشرار الذين انتم عايشون فيما بينهم . بل تكونون ككواكب مضية في العالم ❁

اعتبر سادسًا ان الله اسس الرهبنة لكي يربح بها المومنون استحقاقات كثيرة ٠ ويجمعوا كنوزًا روحية غزيرة وينموا في الفضايل جميعها . ويعيشوا على الارض عيشًا مليكيًا فيكون حظهم بعد الموت مع مليكة السما ❊ فالراهب اذا تامل جيدًا هذه الخمسة الاشيا يلزمهُ ان يستنتج منها ست نتايج تشبه الستة الاجنحة التي رأها اشعيا النبي . فيلزم الراهب ان يحب الله والقريب حبًا كاملًا . ويقتدي علي قدر طاقته بالاب السماوي وبابنه الوحيد سيدنا يسوع المسيح . ويتجنب اسباب الخطية وكلما يمكن ان يصدهُ عن اكتساب الخلاص ويلازم التردد مع الله . ويحب القريب بحسن سيرته وينمو في جميع الفضايل ليكون اجرهُ عظيمًا جدًا في ملكوت السما ❊

تنبيه

ان هذه الحجج الستة التي لاجلها رسم الله الرهبنة ينبغي ان يتخذها المومن كقياس يعرف به هل ان دعوتهُ الى الرهبنة هي صادرة من الله حقًا . علي ان الدعوة الرهبانية من حيث كونها من الله يجب ان تكون موسسة علي احدى هذه الحجج الست ❊

❀ الجزء الثاني ❀

تامل ثانيًا ان الله اسس رهبنات مختلفة ورسم لها قوانين وطقوسًا متنوعة تنتج منها كل الخيرات التي ذكرناها في الجزء الاول . وقد اسس الله الرهبنات على هذا النحو لاجل ثلثة اسباب معتبرة جدًا ❊ فاعتبر اولًا ان المحبة الكاملة تمارَس على انواع كثيرة نظرًا الى الله لقيام مجده . ونظرًا الى القريب لمساعدته بواسطة اعمال الرحمة الجسدانية والروحانية . والحال ان رهبنة واحدة لا تقدر ان تتمسك بجميع هذه الانواع او قلما يكون لا تقدر ان تمارس كل هذه الاعمال حسنًا وبالكمال . فلاجل ذلك رسم الله بحكمته رهبنات كثيرة . بعضها تتمسك بالاختلا والسيرة النظرية . وبعضها تهتم اهتمامًا خصوصيًا في اتقان وظيفة الاكليريكيين في خدمة المذبح وقرأة الصلوات والتراتيل الكنايسية . وبعضها تتقيد بافعال التقشف . وبعضها تهتم في خلاص النفوس . وبعضها تهتم بافعال الرحمة الجسدانية . وبالنتيجة ان كل افعال المحبة تمارس بالكمال في هذه الرهبنات ٠ ومن ثم يمكننا ان نقول ان الرهبنة على وجه العموم هي : بيت الحكمة المتاسس

امثال ١٢٩

على سبعة اعمدة: وان السبعة الاعمدة هي السبعة الانواع من الرهبنات المتقدم ذكرها. وان جميع هذه الرهبنات الكثيرة المتنوعة تستمر على حسن كمالها بوسايط جيدة فاعلة مناسبة جدًّا لغايتها. كتناول الاسرار المقدسة بالتكاثر وفحص الضمير وارشاد الريس والاختلا والصمت وهلمَّ جرًّا ❊

اعتبر ثانيًا ان السبب الثاني لاختلاف الرهبنات هو كثرة فضايل المسيح وسمو عظمتها. الفضايل التي لا يمكن لرهبنة واحدة ان تمارسها كلها على نوع كامل. ولهذا رأت العناية الالاهيّة ان ترسم رهبنات كثيرة لكي تزهر الواحدة بالفقر والاخرى بالطاعة. وغيرها بالغيرة في خلاص النفوس. ولهذا قد شبّه النبي الكنيسة بملكة لابسة ثوبًا موشي شبيهًا بثوب ختنها الالهي. فيجب اذًا علي الراهب ان يفحص قبل كل شيء فحصًا بليغًا عن ماهية روح رهبنته. اعني ما هو الشي الخاص الذي تلزمه قوانينه ان يماثل فيه المسيح. واذا عرف ذلك فيجب عليه ان يفرغ فيه كل جهده ❊

اعتبر ثالثًا ان السبب الثالث لاختلاف الرهبنات هو اختلاف الطبايع واميال البشر. علي ان جميع الناس لا يقدرون ان ياتوا الى الله بطريقة واحدة. ومن ثمّ اقتضى الامر ان تقدم لهم الحكمة الالاهيّة طرايق كثيرة لكي يجد كل احد ما ديناسبه اكثر مناسبةً. فيسهل على الكل السلوك في طريق الخلاص والكمال. على ان البعض يستحسنون الخلوة. ولو انهم يكونون في العالم لكانوا تلفوا. واخرين تراهم قد ولدوا للتصرف مع القريب لا يطيقون اطالة الاختلا. وقومًا من ذوي الامزجة القوية يحبون التقشفات. وبعكس ذلك يوجد اناس من ذوي الاجسام الضعيفة لا يمكنهم ان يمارسوا هذه التقشفات. ومع هذا فيمكنهم ان يكسبوا الكمال. ومن ثمّ فالباري تعالى الذي يدعو الجميع الى الكمال يرشدهم اليه بطرايق امينة مناسبة وموافقة لهم ❊ فيا ايها الاله الجزيل الحكمة انني لاعترف انك تدبرنا تدبيرًا قويًا ولطيفًا. فاشكرك علي انك اقمت في كنيستك جميع هذه الرهبنات المقدسة الموجودة الان. التي هي كاعمدة يستند عليها بيتك. وباختلاف قوانينها وفرايضها ورسوماتها تشبه مايدة يوجد فيها كل انواع المواكيل المناسبة ذوق الجميع

وقابليتهم . فاذ قد اقمتني يارب علي احدى هذه العواميد . فانعم عليّ بان استمر ملتصقاً متمسكاً بها مواظباً على خدمتك على حسب روح رهبنتي . فاستحق ان اكون عموداً في هيكلك المقدس منزل مجدك السماوي *

الجزء الثالث

تامل ثالثاً ان العناية الالهية اهتمت دائماً في انها تدعو كثيرين الى كل رهبنة من الرهبنات . ولكي تفهم ذلك فاعتبر اولاً انهُ لا يجوز لاحد ان يدعو ذاته الى الرهبنة ويدخل فيها قبل ان يدعوهُ الله اليها بدعوة خصوصية . على ان العفة والطاعة والفقر الانجيلي هي اشيا تفوق القوة البشرية بهذا المقدار . حتى انهُ يكون للانسان امراً غير مستطاع نظراً الى ضعفهِ الطبيعي ان يحفظ النذر الرهباني خلواً من الدعوة الالهية . وهو ضربٌ من المجاسرة ان ينذر هذا النذر خلواً من انتظار عون ما خصوصي سماوي . ولذلك قال السيد المسيح : ما كل احد يقبل هذا الكلام الا الذين قد أُعطوا : وقال في محل اخر : لا يقدر احد ان يقبل اليَّ الا ان يجتذبهُ ابي : ويقويه ويقدره بنعمتي على الاتيان اليَّ *

متى ١٩ع١١
يوحنا ٦ع٤٤

اعتبر ثانياً ان الترهب ليس هو على الاطلاق ضروري للخلاص . ولا يدعو الله الى الرهبنة غير الذين ارادهم . واذا دعاهم فلا يفعل ذلك لاجل استحقاقهم بل لاجل مجرد رحمته لهم . علي انهُ جل ذكره يترك اوقاتاً كثيرة في العالم اناساً فضلا جداً . وينجي منهُ اخرين ليسوا بفضلا لنعلم بذلك ان هذه لموهبة ونعمة محضة يهبها تعالى لمن يشا حسب قولهِ لتلاميذهِ : ليس انتم اخترتموني بل انا اخترتكم لتنطلقوا وتاتوا باثمار : فاشكرك ياسيدي على انك دعوتني الى الكمال واخترتني لاكون لك تلميذاً فضلاً عن كثيرين الذين كانوا اهلاً لهذه النعمة اكثر مني . واعترف انك لو لم تسبق برحمتك فتجتذبني لم اكن انا افتكرت في ذلك اصلاً . فاذ قد اخترتني ونقلتني من العالم وغرستني في كرمك فاجعلني ان آتي باثمار حيوة الابد *

يوحنا ١٥ع١٦

اعتبر ثالثاً ان الذي يجتذبهُ الله الى الرهبنة اذا قاوم هذه النعمة يلقي نفسهُ في خطر عظيم . على انهُ تعالى الذي لا يخفى عنهُ شي . ربما سبق وعرف ان الرهبنة هي الطريقة التي بها يصل الي الملكوت . وانهُ ان ابى عن الدخول والسلوك فيها

لوقا ١٤:٢٦

يصير فيه ما قد صار باوليك الذين دعوا الى الوليمة ولم ياتوا فرذلوا الى الابد. وان السيد المسيح سيخاطبه كما خاطب واحدًا نظيره قايلاً : ماس احد يضع يده علي الحراث وينظر الى وراية يكون مستحقا لملكوت الله : فيلزمه اذًا ان يصغا لصوت الله الذي يدعوه . لانه اذا قبل الدعوة حالاً فهذا لدليل على انه من المختارين . وان ابى ولم يطع يكون ذلك دليلاً علي انه من المرذولين *

اعتبر رابعًا ان الله لما يدعو احدًا الى الرهبنة فانه يختار له الرهبنة التي تناسبه اكثر من غيرها . وهذا يصنع شيين لانه تعالى اولاً من حيث انه حافظ الرهبنات وعاضدها . فيمنحها اناسًا قد عرف انهم يحفظونها . ثانيًا من حيث انه المرشد لكل احد . فيري الذين اختار ان ينقلهم من العالم الرهبنة التي هم عتيدون ان يبلغوا فيها الخلاص والكمال باوفر سهولة . فلنحذر اذًا حذرًا كليًا من ان نقاوم الدعوة الالهية . ولنتحقق اننا اذا دخلنا الرهبنة التي يريد الله ان نخدمه بها . فانها ولو مهما كانت قشفة مستصعبة نجد فيها كل عذوبة وحلاوة . ويسهل علينا فيها الخلاص . وبخلاف ذلك اذا اخترنا غيرها التي ترضينا اكثر . فنضجر فيها سريعًا ولا نكتسب الكمال . وربما ان الضجر او غيره يلزمنا بالخروج منها . وذلك لاننا لم نكن نلنا نعمة الدعوة كما قلنا في التامل السابق * فاختم تاملك بتقدمة الشكر لله علي اهتمامه في حفظ الرهبنات . وارجُ من جوده تعالى انه لا يزال يحفظها لتمجيد اسمه . وان دعانا الى واحدة منها فلندخل فيها بابتهاج . ولنستقم هناك الى الانتها صاعدين من فضيلة الى ان نرى اله الالهة وجهًا فوجهًا في صهيون العلوية *

التامل الخامس والاربعون

* في الفوايد الجزيلة الناتجة من الرهبنة وفي حسن سعادة الذي يدعوه الله اليها *

انه لكي نفهم جيدًا جلال هذه السعادة . فينبغي لنا ان نتصور من احدى الجهات شقا العالم . ونتفرس من جهة اخرى في خيرات الرهبنة وما وعد الله به الرهبان في هذه الحيوة وفي العتيدة *

❁ الجزء الاول ❁

تامل اولاً انه في هذا العالم المنظور الذي هو بكليته حسنًا لكونه عمل الله . قد يوجد

عالم اخر بكليته ردي وخبيث وهو الذى ربه وسيد الشيطان . وهناك كما قال
الانجيلي لايرى سوى : شهوة اللحم وشهوة العين وكبريا الحيوة : ففي هذا العالم
الهالك ترى الجميع يحبون اللذات اللحمية والغنا والمجد الباطل . والكل يبغضون
الفضيلة ويبتغون الشر . وقد يتلد من رذايلهم توبيخ الضمير الذى هو كاشواك
تنخز قلبهم وتمزقهُ . وتخنق في نفسهم زرع كلام الله وتعدلها الى الموت . وينقسم
هذا العالم الشقي الى جزءين . فالجزء الاول هو خارج الكنيسة . ويشتمل علي
الوثنيين الذين لعدمهم نور الايمان يسلمون ذواتهم لجميع الخطايا ويطرحون
نفوسهم في النار الابدية * الجزء الثاني هو في وسط الكنيسة وهم المسيحيون
الاشرار الذين يرغبون اللذات الشهوانية وخيرات الارض والكرامات العالمية .
وهم متغاضون عن خلاصهم صامون اذانهم عن الصوت الباطن الذي يدعوهم
الى التوبة . ثم انهُ فيما بين هولاء الخطاة الكثيرين العدد توجد عوام متصفين
بالعبادة . متصرفين بالارزاق والكرامات العالمية بروح الاعتدال والقناعة .
الاانهم مع هذا حاصلون علي مخاطر عظيمة . اما من قبل الخيرات الزمنية . اما من
قبل شرور الناس الذين يعاشرونهم . ولهذا قال السيد المسيح لرجل ما غني قد
كان يحفظ الناموس باحتراس : ان دخول الجمل في خرم ابرة اسهل من غني يدخل
ملكوت الله : ومن ثمَّ ينعم الله علي الرهبان بنعمة عظيمة اذ يخرجهم من هذا
العالم الشقي ويدخلهم في الرهبنة . حيث يجحدون الغنا واللذات وارادة العوام
المعتوقة الكاذبة . ويعيشون عيشًا نقيًا ناجيًا من كل خطر . فمن اين لي ياسيدي
انك كلمتني كما كلمت ابرهيم خليلك : اخرج من بلدتك ومن وسط اقربايك واترك
بيتك بيت ابيك وتعال الى المكان الذي اريكهُ : فلتكن مباركًا يارب لانك
اخرجتني من اتون الكلدانيين حذرًا من اني احترق وافني بنيران الشهوات النجسة .
فلا تسمح يامخلصي ان ادنو ابدًا من هذا اللهيب الذي ابعدتني عنهُ . بل اضرم
في قلبي لهيب محبتك لكي تخمد فيه وتطفى بالكلية نار كل محبة عالمية *
ثم اعتبر ان العناية الالهية تفعل اكثر من ذلك . علي انهُ تعالى اذا رأى اناسًا
محبين خيرات الارض بمحبة هذا حد افراطها حتي انهم لايريدون ان يتركوها

يوحنا ١ ١٦ع٢

متى ١٩ ع٢٤

خليقة ١٢ ع١

اختيارياً حباً له. فمن عادته ان ينزع عنهم قهراً ما لا يريدون ان يهجروهُ اختيارياً. ولكي يصيرهم ان يكرهوا تنعم هذه الحيوة يرسل اليهم احزاناً واوجاعاً وتجاريب مرة. واحياناً يدعهم ان يسقطوا في خطايا ثقيلة لكي يشعروا بضعفهم فيتباعدوا عن الخطر. ومن ثمَّ اذ رأت الملكية ان لوط يستصعب الخروج من صادوم لاجل وجود رزقه هناك. اخذوهُ بيده والزموهُ ان يخرج ليلا يهلك بالنار التي كانت عتيدة ان تلاشي هذه المدينة الشقية * فيا ايها الاب المحبوب كيف اشكرك علي هذا الاحسان الذي به الزمتني بالدخول في بيتك ونجيتني من الهلاك بالنار العالمية. احفظني يارب في هذا الملجا ولو الزمك الامر ان تضايقني فيه لكي انجو من العذابات المعدة من قبل عدلك واحظى بالجازاة المرجوة من جودك *

❂ الجزء الثاني ❂

تامل ثانياً انهُ لتوجد في الرهبنة ثلثة انواع من الخيرات. الخير اللايق الذي يتضمن كل الفضايل ومواهب الروح القدس. والخير المبهج الذى يتوقف على سلام الله الفايق ادراك البشر. وعلي الفرح المعطى من الروح القدس. وعلى اللذة الموجودة في ممارسة الفضيلة. والخير الثالث هو الخير المفيد الذي يشتمل على كل الوسايط التي لها تحفظ فينا حيوة النعمة وتنمو. ونستحق لها حيوة الابد ونستخدم حيوة الجسد لحيوة الروح * فهذه الخيرات كلها توجد علي وجهٍ سامٍ في الرهبنة. وقد يمكن ان نقول عنها ما قالهُ الحكيم عن الحكمة: جاءتني الخيرات كلها معها واقتبلت من يديها ثروة لا تحصى ولم اعلم انها ام هذه كلها: حقاً ان الرهبنة هي ام الفضايل العظمى. على انها تنبتها بواسطة تعاليمها المقدسة. وتنميها بواسطة الفرص التي تقدمها لممارستها. وتحفظها وتمكنها بواسطة الثلثة النذور الرهبانية التي هي كرباط مثلث. وترقيها اخيراً الى كمال هذا مقدار سموه حتى انها تشبه جداً فضايل الملكية. ولهذا قال ماري باسيليوس المعظم ان الترهب هو تغير من حيوة طبيعية بشرية الى حيوة شبيهة جداً بحيوة الطوباويين * فاشكرك ايها الروح الكلي قدسه على انك اقمتني في بيت مقدس. واعطيتني اماً تلك التي هي ام الفضايل كلها. لكي تكون الفضايل اخوات لي وترافقني دايماً. فاصغى اذاً

حكمة ٧ : ١١

امثال ٤ ٧ ا

يانفسي لصوت هذه الامر القايلة لكِ : يابني احفظ اقوالي ووصاياي خبها عندك احفظ وصاياي فتحيي : حيوة مقدسة سماوية الهية . تمم ما تامرك به فتفوز حالاً بالخيرات التي توعدك بها ❁

الجزء الثالث

متى ١٩ ع ٢٧

انه لكي تعلم جلال خيرات الدعوة الرهبانية . فتامل المذاكرة التي صارت بين بطرس وبين السيد المسيح . فقال بطرس له تعالى : هوذا قد تركنا كل شيء وتبعناك فماذا يكون لنا . اجاب يسوع الحق اقول لكم انتم الذين تبعتموني في الجيل الاتي اذا جلس ابن الانسان على كرسي مجده تجلسون انتم على اثني عشر كرسيًا وتدينون اثني عشر سبط اسرايل . وكل من ترك بيتًا او اخًا او اخوات او ابًا او امًا او امرأةً او ابنا او حقولاً لاجل اسمي ياخذ ماية ضعف في هذا الدهر ويرث حيوة الابد في الدهر الاتي : وقد يتبين من سوال بطرس الرسول ومن جواب السيد المسيح له . انه في الرهبنة يتعاهد الله والانسان تعاهدًا ما . وبه يلزم الانسان ذاته بانه يعمل كلما يمكنه لاجل خدمة الله . وكذلك يعد الله الانسان بانه ينعم عليه بانواع الخيرات كافةً ❁

❁ فيما يعمله الراهب من اجل الله ❁

اعتبر اولاً ان الراهب يترك لاجل الله كلما يمكن تركه . على انه بنذر الفقر يترك كل خيراته وحقوقه فيها . ويجعل ذاته اختياريًا على حال عدم امكان الرجوع اليها . حتى انه لو يكون مالكًا كل ارزاق العالم لكان يجرد نفسه منها بالكلية . ولم يبق لذاته شيئًا سوى استعمال الاشيا الضرورية لحياته . وبنذر العفة يجحد اللذات اللحمية . لا تلك المنهي عنها فقط بل التي هي جايزة ايضًا كالكاينة في سر الزيجة . ولكي يطفي في لحمه نار الحمية الدنسة فيعزم عزمًا متينًا على اماتته بافعال التقشف والخلوة وضبط حواسه . واخيرًا بنذر الطاعة يلزم نفسه بجحود رايه الذاتي وارادته الذاتية جحودًا تامًا . حتى انه كما قال القديس باسيليوس لايبقى له اختيار البتة الا في الطاعة لله ولروسايه نوابه تعالى . ولاجل هذا الغرض يباين اباه وامه واخوته ويعامل اقرباه واصدقاه كمعاملته اناس

لا يعرفهم . ويكون مستعدًا ان يخسر عافيته متى تطلب هذا منه المحبة او الطاعة.
ويجوز لنا ان نقول عنه انه عند دخوله الرهبنة يقدم ذاته لله محرقةً . من حيث
انه كما قال القديس غريغوريوس الكبير يقدم كلما يمتلكه ويعرفه ويقدر
عليهِ . لاني اسالك يايسوع الصالح هل يكون عملًا عظيمًا معتبرًا من يكون قدم
لك مثل هذه المحرقة بعد ان قدمت انت ذاتك محرقةً لاجل خلاصنا . انه لمن
الصواب ان اتجرد من كل شيء لاخدمك بعد ان عشت انت لاجلي مجردًا من كل
شيء ومتَّ عريانًا على الصليب لكي تفتدينا *

اعتبر ثانيًا ان الراهب يتبع المسيح ويقتدي بفضايلهِ ويتمسك بمشوراتهِ
المتضمنة كل الكمال المسيحي . ومن ثمَّ يسوغ لنا ان نقول عن الراهب ما قاله الرسول
عن قديسي العهد القديم . وهو انه بالايمان يترك مثل ابرهيم بلاده واقرباه . وان
الرهبان كغربا في هذا العالم يرتاحون دايمًا الى تلك المدينة السعيدة التي بناها الله
على اساسات ثابتة راهنة . ويقدمون لله مثل ابرهيم اسحاقهم الحبيب محرقةً
اعني به ارادتهم . ويحتقرون مثل موسى كرامات العالم . مفضلين الوجود في
الضيقة مع الصديقين على التنعم مع الخطاة واهانات المسيح على كل كنوز مصر .
مزدرين بما تقول عنهم اهل العالم . لانهم ينظرون الله في كل شي . فبقوة ايمانهم
هذا يلقون عنهم نير فرعون اركون الظلام ويجوزون البحر الاحمر . ويقاومون
ويغلبون كلما يصدهم ويمنعهم عن الدخول في ارض الميعاد . يسدون افواه الاسد
اعني شهواتهم ويتخذون قوة من ضعفهم فيتقوون في الحروب ضد الشيطان .
يلبسون المسح ويحتملون الجوع والعطش . يسكنون في البراري ويختفون في
المغاير . واقول علي الاطلاق ان العالم لايستحقهم . ومن ثمَّ يجوز للراهب ان يقول
ماذا يكون لي . حاشاي يايسوع الحبيب ان اخدمك علي نحو الاسير راجيًا الاجر
فقط . ان خدمتنا لك لمكافاة زايدة نظرًا الى مجرد الشرف الواصل لنا من كوننا
عبيد مولى عظيم مثلك . لا انه لكي ازداد شجاعةً ونشاطًا في عبادتك اخبرني بما
انت عتيد ان تعمله لاجلي جزاءً عما اعمله انا لاجلك *

❁ فيما يعمله الله لاجل الراهب ❁ ان المسيح قد اورد ذلك لبطرس بقوله

المتقدم ذكره وهو اولاً ان كل من يترك مثل ذلك الرسول كل شيء لاجله. يقيمهُ المسيح في يوم الدينونة على منبر مجيد متلالي بقربه. فاذا حينما تاتي كل قبايل الارض و يمتثلون امام الديان المرهوب ليسمعوا حكمه الاخير عليهم. سيكون حينيذٍ الرهبان جالسين كقضاة مع الرسل الاطهار. وهذا الشرف الوسيم يُعرف كل من يكون اقتدى بالمسيح على وجهٍ اكمل بالفقر والعفة والطاعة وغير ذلك من الفضايل التي اوصانا بها كثيرًا في الانجيل المقدس. على انهُ تعالى يرغب جدًّا ان يكرم الذين يكرمونهُ و يرفع الذين يتضعون لتمجيد اسمه ❊

ثانيًا يعد المسيح الرهبان بانه سيعطيهم في هذا الدهر ماية ضعف جزاءً عما تركوهُ لاجله في العالم. فاعتبر اولاً ان الذي ينالهُ الراهب في هذا الزمان يشبه احيانًا الشي الذي تركهُ. على انهُ كما قال الانبا كاسيانوس اذا ترك بيتًا او حقلاً او ابًا او اخًا او صديقًا او خادمًا واحدًا او شيًا اخر نظير ذلك. فانهُ يجد في الرهبنة بيوتًا وحقولاً كثيرة واباء واخوة واصدقاء كثيرين يخدمونهُ بافضل امانة واوفر محبة مما كانت تخدمهُ عبيدهُ في العالم. وعوضًا عن قليل من الكرامة التي جدها. ينال بواسطة الثوب الرهباني كرامةً اعظم من تلك بماية ضعف. فلو اننا فرضنا ان الراهب ليس لهُ شي غير العناية الالهية التي تهتم في احتياجاته. فلا جرم في انهُ يكون الذي تركهُ ليس بشيءٍ بالنسبة الى هذا الكنز العظيم. على انهُ كما قلنا انفًا اذا تركنا شيًا حبًا بالله فيلزم الله ذاته بالأ يدع ان يعوزنا شي. وهذا قد اختبرهُ الرسل الاطهار وشهدوا بهِ معترفين اذ سالهم السيد قايلاً: لما ارسلتكم بغير كيس ولا هميان ولا حذا هل أعوزتم شيًا فقالوا لا: ❊

لوقا ٢٢ع٣٥

اعتبر ثانيًا ان الله يجازي الرهبان على نوع اخر مختلف افضل من النوع المتقدم ذكره جدًّا. لانهُ يفيض عليهم تعزياته السماوية بغزارة هذا حدها. حتى ان الفرح الذي يحصلون عليه من تركهم كل شيء. يفوق بماية ضعف الفرح الحاصل عليه الذين يمتلكون خيرات الارض كلها. على ان التنعم الروحي لاحلى بما لا يقدَّر من التنعم اللحمي. والراهب النشيط يجد في الفقر والاهانة عذوبة اعظم بلا قياس من تلك التي يجدها العالميون في غناهم وكراماتهم. وهذا قد اشار اليهِ سيدنا

يسوع المسيح في انجيل ماري مرقس حيث يعدنا بماية ضعف مع الشدائد.

مزمور ٨٣: ١١

فاشكرك يا الهي لانك قبلتني في بيتك: ان يومًا واحدًا في ديارك لافضل من الف يوم في ديار العالم. وقد اخترت ان أُطرح واهان في بيتك افضل من ان اسكن في بلاط ملوك الارض: لانهُ ليس شي ابهج واشرف من العيشة تحت ستر كنفك. فما الذي استطيع ان اتركهُ لاجلك ولا ترد لي حالًا عوضًا عنهُ ماية ضعف. فان تركت ابي وامي تكن لي انت ابًا وامًا. وان جحدت اموالي فتصير انت وراثتي. وان تركت كل شيءٍ فاني اجد فيك كل شيءٍ. فاجعلني يا رب ان اكون لك بكليتي كما تكون لي انت بكليتك ❊

ثم انهُ تعالى يعد الرهبان ثالثًا بحيوة الابد. على انهُ سبحانهُ وان كان يعد بهذا كل المومنين على وجه العموم. الا انهُ يعد بذلك الرهبان علي وجه اخص. والاجر المعد لهم في ملكوتهِ لاسمى واشرف والطريق التي يرشدهم فيها لاوفر استقامةً وامنًا. ولهذا قال القديس باسيليوس ومثلهُ قال قديسون اخرون. ان الاستمرار في الرهبنة الى الانتها هو علامة الانتخاب للنعيم السماوي. علي ان الله يهتم اهتمامًا خصوصيًا في ارشاد الذين جحدوا اختيارهم ليكون الله وحدهُ مدبرهم. فابتهجي اذًا يا نفسي من دعوتكِ السعيدة. ولتكن لكِ القلاية فردوسًا بطهارة تشبه طهارة الملايكة. فان مكثتِ هناك هكذا الى يوم الموت. فتحققي انكِ تنتقلين حينيذٍ من هناك الى ملكوت السما حيث تملكين مع المسيح الى ابد الدهور

التامل السادس والاربعون

❊ في عناية الله الخصوصية نحو المختارين نظرًا الى ما يخص ثباتهم في النعمة ❊

❊ ونظرًا الى موهبة انتخابهم العظيمة ❊

اعلم ان الله لا يقدر ان يظهر لنا محبتهُ علي الوجه الافضل الا حينما يعد ويدبر كل شي علي نوع ما يصيرنا ان نموت في حال نعمتهِ. لانهُ في هذا قايم خلاصنا الابدي كما تعلمنا من الرسول الذي جمع بالفاظٍ وجيزة كلما يخص احسان الانتخاب الالهي فقال: ان الله انتخب كثيرين ليكونوا شبيهين بابنهِ: فالذين انتخبهم دعاهم

رومية ٨: ٢٩ و ٣٠

والذين دعاهم بررهم والذين بررهم مجدهم : وقد عين هنا الرسول ثلثة احسانات جزيلة يمن الله بها على المختارين . فبالاحسان الاول يدعوهم بقوة هذا مقدارها حتي انهم يطيعونه ويقبلون دعوته . وبالاحسان الثاني يبررهم تبريرًا هذا عظم كماله حتي انهم يثبتون في حال البر الى النفس الاخير . وبالاحسان الثالث يأجرهم بعد الموت باكليل المجد السماوي . فهذا هو الانتخاب الابدي الذي يجب علينا ان نتامل اسبابه ومفعولاته وعلاماته وذلك لتعزيتنا ولنمونا الروحي

❁ الجزء الاول ❁

تامل اولاً كيف ان الله بعنايته الخصوصية يدعو ويبرر بعضًا من الخطاة قد انتخبهم للمجد الابدي . فقوة هذه الدعوة كلها متوقفة علي انه تعالى يدعوهم في اتفاقات هذا حد سعادتها . ويجتذب قلوبهم بالهامات هذا عظم كثرتها وقوتها . وبعذوبة باطنة وخارجة موثرة بهذا المقدار . حتي انهم يطيعونه وينالون نعمة التبرير . كما يبان ذلك في اللص الذي تاب علي الصليب . وقد يتفق بعض الاحيان ان الله يستعمل لذلك وسائط غريبة كما ذكرناه في التامل السابع والثلثين *

اعتبر ثانيًا كيف ان الله يمنح المختارين موتًا صالحًا . على انه جل تودده يسبق اولاً ويقويهم بانعامه لكي يقاوموا التجارب . بل يمنع اوقاتًا كثيرة الشيطان عن انه يجربهم اذا رآهم عاجزين عن مقاومة هذا العدو الرهيب ويدخلهم في الدعوة الاكثر مناسبة لخلاصهم . ويريد ان يموت البعض منهم باوجاع شديدة . والبعض يدعهم ان يقضوا أجلهم بوجع خفيف . وقومًا منهم يطيل عليهم اوجاع الموت . واخرين ينقلهم بغتة من العالم حذرًا من ان الموت يرعبهم او ليلا تغير الرذيلة فهمهم . وبعضهم يصيرهم ان يخافوا جدًا من الدينونة لكي يحفظهم في حال الاتضاع . وبعكس ذلك يملا غيرهم من التعزيات السماوية جزاء عن تقشفاتهم . واقول علي الاطلاق ان الله يمنحهم كلهم بوسايط خفية عجيبة هذا الاحسان العظيم . اعني به الثبات الاخير الذي مدحه سيدنا يسوع المسيح بقوله : من يثبت الى الانتها يخلص : فمن حيث ان هذه النعمة هي نعمة محضة لانستطيع ان نستحقها . فيلزمنا ان نطلبها بحرارة ونتوسل الى القديسين لكي

متى ١٠ و ٢٢

يطلبوها لنا . على ان شفاعتهم تسعفنا جدًا في امر الخلاص . فيا الهي ومولاي العظيم ان اعمالك كلها كاملة . فاذ قد ابتدأت عمل خلاص نفسي فكمّلهُ يارب . امنحني الثبات العتيد ان يفتح لي باب ملكوتك التي هي غاية اشواقي . يا ايها القديسون السعداء الذين قد انعم الله عليهم بهذا الاحسان صيروني بصلواتكم لاجلي ان افوز بهِ واكتسب موتًا صالحًا احظى بهِ بحيوةٍ سعيدةٍ مؤبدة *

الجزء الثاني

تامل ثانيًا اسباب انتخاب المختارين حتى اذا عرفنا ذلك يتقوى رجاؤنا في نيل هذا الاحسان . فاعتبر ان اول هذه الاسباب هو جود الله الغير المتناهي ورحمتهُ الغير المحدودة . على انهُ تعالى لمعرفته عدم ثبات البشر في الخير وانهم لضعفا بهذا المقدار حتى انهم يهلكون مع نعمته الاعتيادية الممنوحة للكل . فانهُ يستعمل وسايط خصوصية ليخلص بعضًا منهم الذين يريد ان يرى فيهم غناء مجده . لانهُ اختارهم ليكونوا آنية الرحمة مستعدة للمجد كما قلنا في التامل الثاني عشر *

اعتبر الان ان السبب الثاني لانتخاب القديسين هو استحقاق الام ابن الله . على ان اباه الازلي لا يقدر ان يجازيه على النوع الافضل الا اذا مامنحهُ جماعةً قديسين ومختارين شبيهين بصورته . يكون هو في وسطهم كالاخ البكر بين اخوةٍ كثيرين . متشبهين بهِ في النعمة والمجد كما انهم يشبهونهُ في الطبيعة . ولهذا ولو ان المختارين قليلون نظرًا الى عدد المرذولين الذين يهلكون لانهم لا يريدون ان يتشبهوا بالمسيح . فمع ذلك يمكننا ان نقول مع صاحب الجليان ان عدد المختارين هو عظيم جدًا وان عددهم لا يحصى . وقد يجب ان يكون كذلك لتتضح عظمة رحمة الله وقدرة المخلص وقوة استحقاقاته *

فهذان الاعتباران من شانهما ان يصدرا فينا التعزية والابتهاج . على اننا اذا اعتبرنا رحمة الله واستحقاق المسيح . واحسنا تامل هذين الشيين اللذين منهما تنبع سعادتنا . قلنا ان نرجو من الله ان يكون اختارنا لاسيما بعد ان يكون دعانا الى الايمان والديانة المسيحية : فلنجتهد اذًا في ان نجعل دعوتنا وانتخابنا ثابتًا بالاعمال الصالحة : ولنتحقق ان الله يقدرنا بنعمته على الثبات في رضاه الى وقت

بطرس ٢ ١ : ١٠

الموت. الا انهُ لا يجوز لنا ان نحتسب ثباتنا هذا كشيءٍ لا شك فيهِ وانهُ يتم لا محالة. لان الله على انتخابنا يريد ان نكون في حال الارتياب حذرًا من ان تصيرنا الطمانينة المتجاوزة الحد متراخين في عبادته. فواظبي اذًا يا نفسي الخوف ولكن احذري من ان يكون خوفكِ مفرطًا. القي ذاتكِ بطمانينة بين يدي الهك الغير المتناهي صلاحه. وبين يدي مخلصكِ الجزيل حنوه. ولا تشككي في انهما يكملان فيكِ ما قد ابتدياه. واذ قد جعلا انتخابكِ وثباتكِ الاخير سرًّا محجوبًا عن معرفتكِ. فلا تفحصي باطلاعًا قد خفي عنكِ. بل امدحي الحكمة الالهية: ولا تطلبي ما يفوق طاقتكِ ولا تبحثي عما يعسر عليكِ نيلهُ لكن ما امركِ الله بهِ فتفكري بهِ دائمًا: فعلى هذا النحو ستنالي اكليل المختارين بواسطة طاعتكِ لناموسهِ *

سيراخ ٣:٢٢

الجزء الثالث

تامل ثالثًا العلامات التي بها يُعرف المختارون. وافرغ الجهود في ان تكون متصفًا بها لكي تنجو من الخوف وتسير في سبل الله بفرحٍ وابتهاج. على انهُ من ذا لا يبتهج ويتهلل اذا عرف ان اسمهُ قد كُتب في السموات. فاعتبر الان العلامات الاٰمن والاثبت التي بها يُعرف انتخاب الانسان. فانها هي الرغبة لاستماع كلام الله والاصغا لالهامهِ وحفظ اوامره ومشوراته وترك كل شيءٍ حبًّا بهِ. وتناول الاسرار المقدسة بتكاثر. وحب الصلوة وعبادة خصوصيَّة للطوباويَّة مريم العذرا. والسرور في ممارسة افعال الرحمة. ومخافة الله واحكامه. على ان الخوف المقدس يصيرنا متيقظين حارسين قلوبنا. فاذا مارسنا هذه كلها فلا شك في ان الروح القدس كما قال الرسول وفسرهُ القديس برنردوس: يشهد لنا اننا ابنا الله ووارثون الله وشركا المسيح في وراثته:

رومية ٨:١٦

فيا ايها الراعي الصالح الذي تعرف خرافهُ باستماعهم وتمييزهم صوتهُ وباتباعهم اياهُ. اجعلني بنعمتك ان اسمع جيدًا ما تكلمني بهِ. واتمم دائمًا ما توصيني فيهِ. لكي اعرف بهذه العلامة اني مختار فارجو الخلاص والفوز بمجدك

التامل السابع والاربعون

﴿ في الاتضاع وتسليم الذات اللذين يسعفاننا جداً في تحصيل الفوايد
الناتجة من اهتمام عناية الله فينا ﴾

اعلم ان الاتضاع الذي يصيرنا اهلاً للعناية الالهية. ليس هو الاتضاع الذى تلتزم به الخطاة فقط وهو متاسس على معرفة شرورهم السالفة. بل هو ايضاً ذلك الاتضاع الذي يمارسه القديسون وتقدر ان تمارسه نفس سيدنا يسوع المسيح عينها. وهذا الاتضاع اساسه هو معرفة الانسان ذاته. فاعتبر هنا اولاً ان الانسان نظراً الى جسده ونفسه وقواه وصفاته الطبيعية والفايقة الطبيعة ليس له شي لم يتخذه من الله. وانه تعالى لو لم ينتشلنا من العدم لم نكن خرجنا منه ابداً * اعتبر ثانياً ان الانسان بعدما اتخذ الوجود لم يكن مستطيعاً ان يحفظه بقوته. وانه لو لم تسنده يد الله لكان يرتد حالاً الى العدم * اعتبر ثالثاً اننا متعلقون بقدرة الله نظراً الى استعمال قوانا وحواسنا تعلقاً هذا حده. حتى اننا بدونه تعالى لانقدر ان نفعل شيئاً ولا ان نبرز فكراً واحداً * اعتبر رابعاً ان الخيرات التي اقتبلناها من الله ولو مهما كانت عظيمة فينبغي ان نحتسبها كلاشي بالنسبة الى تلك التي يمتلكها الله ضرورة. وهذه الحقايق سنبحث عنها في هذا التامل الذى نجعل موضوعه هذا المثال المورد من المسيح: فقال لهم الحق اقول لكم ان لم تصيروا كمثل هولاء الصغار فلا تدخلون ملكوت السموات: دعوا الاطفال ان ياتوا الي لان ملكوت الله لمثل هولاء: *

متى ٣:١٨
لوقا ١٦:١٨

الجزء الاول

فلنتعلمن من هذا المثل ماهية الاتضاع الكامل الذى يجدينا من قبل الله خيرات لاتوصف عظمتها. فتصور ذاتك بازاء الله كطفل صغير يتبين ضعفه في اشيا كثيرة. على انه اولاً ان سقط الطفل في وحل فلمن المستحيل ان يخرج منه بقوته. ثانياً انه يحتاج حينيذ الى من يمد له يده ويقيمه. ثالثاً ان كان الطفل واقفاً فلا يقدر ان يستمر قايماً. والذى هو اعظم من ذلك لايقدر ان يمشي اذا لم يكن

لهُ من يعينهُ . رابعًا ان كان جائعًا او عطشانًا فلا يستطيع ان ياكل ولا ان يشرب دون من يسعفهُ . خامسًا ان شعر ببرد او بوجع اخر او حصل على خطر فلمن الممتنع ان يحصل لذاتهِ خيرًا او يدفع عنهُ شرًا واحدًا . سادسًا لا يمكنهُ ان يطلب ما يحتاجهُ ولا يعرفهُ . فهذه الحالة حال الطفل الذي ليس لهُ ان يرجو النجاة والمعونة الّا من قبل امهِ . فامتثل الان بازاء الله وطابق لذاتك هذه الاشيا الستة معتبرًا عظم تفاقم شقايك *

فاعتبر اولًا انهُ امر سهل عليك ان تخطي وتتدنس باعظم الخطايا . الّا انهُ لكي تغتسل وتطهر منها فيلزمك ان تلتجي الى الله هاتفًا مع المرتل : اغسلني يا رب من اثمي ومن خطيتي طهرني : *

مزمور ٥٠ ‎ع ٢

اعتبر ثانيًا ان ثقل ميلنا الردي مع حمل جسدنا الارضي سيبيان لنا سقطات كثيرة ويصير اننا ان نلتصق بالارض . ثم انهُ بعدما سقطنا ليس لنا ان نرجو القيام اذ لم يمد لنا الله يدهُ . وبدونهِ تعالى نستمر دايمًا مطروحين على الارض ويتم فينا ما قالهُ النبي عن بيت اسرايل : انهُ قد سقط ولا يعود ان يقوم : *

عاموص ٥ ‎ع ٢

اعتبر ثالثًا انهُ اذا شرع الله ينهضنا برحمتهِ واذا ما قوانا قليلًا بروح العبادة . فاننا مع هذا لا نقدر ان نواظب على القيام ولا ان ننموا نموًا يسيرًا في الفضيلة اذ لم يحفظنا هو تعالى في الحال التي اقامنا عليها . وبالنتيجة يلزمنا ان نخاف جدًا من الرجوع الى الخطية حسب قول الرسول : من يظن بذاتهِ انهُ قايم فليحذر ليلا يسقط *

قرنتيه ١ ‎ص ١٠ ‎ع ١٢

اعتبر رابعًا انهُ اذا شعرنا باطنًا بجوع وعطش روحي نحو الامور المقدسة كالكلام الالهي والاسرار الالهية والاعمال الصالحة . فلا يمكننا ان نجد هذا الطعام الروحي ولا نقدر ان نستعملهُ كما يجب دون نعمة الهية خصوصية . واذا قصدنا التوبة نفسها يكون هذا القصد باطلًا اذ لم يعيننا الله في تتمتهِ *

اعتبر خامسًا ان التجارب تضغطنا على الدوام . لان الشيطان والعالم واللحم لا يدعوننا ان نستريح اصلًا . بل يحاربوننا ليلًا ونهارًا . فلو لم يسعفنا الله ويحارب عنا لكنا نهلك لا محالة *

اعتبر سادسًا ان شقانا لعظيم لهذا المقدار حتى اننا لا نعرف ماذا نطلب من

الله وكيف يجب ان نطلبهُ ولقد نحتاج الى ان الروح القدس يعلمنا ذلك.
ولذلك لم نكن نشعر بالمخاطر والضيقات التي تصيبنا لو لم يرينا ها الروح الكلي
قدسهُ. فهذا هو الذي لنا من تلقاذواتنا. فاذًا حينما نتقدم الى الله على نحو
الاطفال لنعترف بشقائنا. فلا يجعلنا هذا الاقرار اكثر ضعفًا وشقاءً. لاننا انما
نعترف بما نحن حاصلون عليهِ من الشقا. بل ان هذا الاقرار الجزيل الاتضاع
من شانهِ ان يكون فينا مبدا كمال سامٍ. ومن ثمَّ قال الرسول الالهي يا اخوتي
لا تكونوا كاطفالٍ فيما يخص الفهم والتمييز. بل كونوا كاطفالٍ فيما يخص البرّ
ونقاوة السيرة واظهروا في تصرفكم حكمة رجال كاملين ❊

فبعد ان تتامل جيدًا ضعف الانسان وشقاه ارفع ألحاظك الى السما باتضاع.
وانظر كيف ان الله يمدك بعونهِ. واعترف ان اهتمامهُ فيك ليفوق اهتمام
الامهات باطفالهنَّ فوقًا لا قياس لهُ ولا تقدير. وقد حقق هذا الحق سبحانهُ
بقولهِ على لسان اشعيا النبي: وان كانت المرأة تنسى طفلها لكني انا لا انساك:
حقًا ان الله لا يقدر ان ينسانا. بل هو دايمًا قريب منا ليطهرنا من ادناسنا.
ولينهضنا بعد سقوطنا. وليثبتنا ليلا نسقط. وليغذينا في حال الجوع. وليحرسنا
ضد اعدانا وليعلمنا كيف نصلي. ولا يدعنا محتاجين شيًا. وقد عرف ضرورياتنا.
ونجد باهتمام عنايتهِ كلما نفتقر اليهِ افضل جدًا مما كنا نجد لو كان كل شيءٍ متعلقًا
بتدبيرنا. فان كانت معرفتنا ضعفنا تجعلنا ان نتضع ونياس من ذواتنا. فينبغي ان
معرفتنا جلال محبة الله لنا تصيرنا ان نلتصق بهِ بمحبةٍ قويةٍ ذات طمانينةٍ
كليةٍ. وهكذا عوضًا عن ان نفشل كالاطفال عند نظرنا ضعفنا نزداد بذلك
شجاعةً وثباتًا. على انهُ كما ان الام تهتم في طفلها الصغير الضعيف افضل اهتمامًا
مما تهتم في ابنها الاكبر الذي قد بلغ أشدهُ وتقوى. هكذا الله يظهر رحمتهُ
نحو المتضعين الذين يصغرون انفسهم ويحتقرونها امامهُ اكثر مما يظهرها نحو
الجسورين الذين يترفعون على غيرهم. ومن ثمَّ يعد المتضعين: انهُ يتلطف بهم
ويحملهم على الثديين ويمسكهم على الركبتين ويفرح معهم: فالطوبى للصديق
الذي يحتقر نفسهُ متضعًا. ومرعيًا للاتضاع الذي يشرفهُ الله بهذه الانعام الجزيلة ❊

اشعيا ٤٩ع ١٥
اشعيا ٦٦ع ١٢

الجزء الثاني

تامل ثانيًا ان المسيح بمثل الطفل يعلمنا انهُ ينبغي ان نسلم ذواتنا بين يدي الله . ونلقي كل اهتمامنا على عنايته لكي يكثر علينا حسناته . فاعتبر ان الطفل لا يحمل همًّا البتة من قبل ما يحتاجهُ . والطبيعة تعلمهُ ان يلقي هذا الهم كلهُ على امهِ . ولا يفتكر هل الحليب الذي سيغتذي بهِ يكون لذيذًا ام لا . وان كانت لفايفهُ ثمينة ام دنية ولحافهُ مزخرفًا ام بخلاف ذلك . فيحسب هذه كلها شيًا واحدًا ولا ينظر هل يكون ساكنًا في منزل ملوكي . مضجعًا على سرير ظريف ام على التبن في مذود . وان كان هو ابن ملك فلا يفتخر بالكرامات . وان كان ابن فلاح او اسير فلا يغتاظ من الاهانات . فاعتبر ذاتك على هذا النحو ايها المتامل . واجتهد في انك تتقن بروح العبادة ما قد حصلت عليهِ الاطفال بمجرد حركة الطبيعة . دع عنك كل هم زايد مفرط : القِ كل همك لله : واعتقد انهُ تعالى سيهتم بك كاب في ابنهِ فيعولك ويعطيك كلما تحتاج اليهِ لقيام حياتك . فليفرح قلبك من أن لك ابًا سماويًا ذا جود غير متناهٍ يهتم فينا اهتمامًا يفوق كل اهتمام الابا والامهات الارضيين في اولادهم : على انهُ ان كان الذي لا يهتم في خاصتهِ يكون قد كفر بالايمان وهو اشر من كافر حسب قول الرسول : فكيف لا يهتم فينا الله الذي لا يمكن ان يكفر بذاتهِ ويخون بوعده . كيف يستطيع ان يهمل الذين تعبدوا لهُ وهم بنوهُ الاحبا الذين جعلوا كل اتكالهم عليهِ . اسمع ما قالهُ يومًا لنبي مبكتًا بهِ غيرته المرّ قايلًا : أما تريد ان اغفر لمدينة نينوى التي فيها اكثر من مايةٍ وعشرين الفًا من الناس الذين لا علم لهم اي شيءٍ هو بين يمينهم ويسارهم : فكانهُ تعالى يقول ولو انني لم ارحم الرجال الذين في نينوى . فقد كان يكفي للين قلبي وهدو غضبي ان ارى فيها مايةً وعشرين الفًا من الاطفال بريين من الخطية لا يعرفون خيرًا المعبر عنهُ باليمين ولا شرًّا المعبر عنهُ باليسار . والحال اني انا ابوهم ومن ثمّ يلزمني ان اهتم فيما يحتاجونهُ * فيا ايها الاب المحبوب فوق كل شيءٍ اشكرك على جودك نحو المتضعين ونحو الذين يسلمون ذواتهم لتدبيرك المقدس . فلا تسمح يارب بان اكون كمثل افرام الذي كنت تحملهُ على ذراعيك ولم يعلم انك كنت تملاهُ من

بطرس ١
٧:٥

تيموثاوس ١
٨:٥

يونان
١١:٤

الخيرات وتعينة في شدايدك . انعم علي يارب بان اعرفك واعرف نفسي لكي ياخذني الخوف من شقاي فالتزم بالالتجا الى رحمتك *

الجزء الثالث

تامل ثالثا خمس حسنات اخر ينعم الله بها علي المتضعين وقد ذكرها سيدنا يسوع المسيح . فاعتبر اولاً ان المتضعين لكونهم صغار يدخلون بسهولة في ملكوت السموات . وبخلاف ذلك اعيان العالم المرتفعين المتكبرين لا يدخلون فيها * اعتبر ثانياً ان المتضعين يكونون معظمين في السما بمقدار ما أُحتقروا على الارض * اعتبر ثالثاً : ان مَن يقبل احد هولاء الصغار يقبل المسيح نفسهُ : على ان محبته العظيمة نحوهم تصيرهُ ان يحتسب ذاتهُ ملتزماً لكل من يحسن اليهم . فان كان الله يسرّ هكذا بالاحسان الواصل الى الصغار . فباي سرور وكرامة سيقبلهم هو في بيتهِ وفي ملكوتهِ * اعتبر رابعاً : ان الذي يشكك احد هولاء الصغار : فيسقطهُ في الخطية بمثالهِ الردي . سيقاصص على ذلك بعذاب شديد حتى انه يكون : خيراً لهُ ان يعلق في عنقهِ حجر الرحى ويُطرح في البحر : مِن ان يكون حجر عثرة لاصغر من في العالم . على انهُ كما ان المسيح يحب الذين يحسنون الى الصغار والمتضعين . ويحسبهم محسنين اليه تعالى نفسه . هكذا كل من يضرهم يحسبهُ تعالى عدواً لهُ * اعتبر خامساً ان الصغار لهم ملايكة حارسين ينظرون الله وجهاً لوجه . علي انهُ وان كان لكل واحد ملاك حارس كما قررنا بما تقدم . الا ان المتضعين لهم في هذا الامر شي ما خصوصي . وذلك اما لان الله يوصي فيهم الملايكة الحراس وصية خصوصية . واما لان الملايكة انفسهم يميلون من ذواتهم اكثر ميلاً الى مساعدتهم واسعافهم . ولعمري ان الملايكة يهتمون فيهم اهتماماً خصوصياً لسبب طاعتهم لهم ولين قلوبهم ومعرفتهم بضعفهم وحسن معروفهم *

ولنا مثال في الاسفار المقدسة يوضح لنا عظم محبة الله ومحبة ملايكته لهولاء الصغار . فيذكر الكتاب الالهي عن هاجر وابنها اسمعيل انهُ لما اشتد العطش علي هذه الامرأة المسكينة . وضعت ابنها المذكور تحت شجرة وانفردت ليلا تحضر

متى ١٨ع٥

متى ١٨ع٦

تكوين ٢١ع١٥

موت طفلها الحبيب . فلما تركته ازداد صراخه وبكاوه . فحينئذ ظهر ملاك لهاجر وقال لها . ان الله سمع صراخ اسمعيل وانه اختاره ليكون ابًا لشعب غفير. ثم اراها نبع ماء قريب منها لم تكن ابصرته قبلاً . فتامل هنا ان الام وابنها كانا في ضيقة على حد سوى . ومع ذلك فلم يقل الكتاب المقدس ان الله سمع صوت هاجر بل صوت اسمعيل . وقد اتى الملاك لا من اجل الام بل لاجل طفلها . واكرامًا وحبًا له حفظ الملاك حيوة الام . فانظر حسن اهتمام الباري تعالى في الصغار وكيف يتحنن على تنهدهم وبكاهم . حيث انه لافراط ما يحبهم يحزن علي شقايهم بهذا المقدار . حتي انه اذا تركتهم اباوهم وامهاتهم يقبلهم هو ويرسل اليهم مليكة ليهتموا في ضروريّاتهم . فيا لحسن سعادة الطفولية التي يحبها الله وتحبها هكذا سكان السما . فيا ايها الاتضاع السعيد انت باب السما وقياس عظمتنا واستحقاقنا وكمالنا . فعليك يبسط الله يده ويفيض حسناته بوفور جزيل . وحبه اياك يصيره ان يحب محبيك وان يبغض مبغضيك . فيغني اوليك اما هولاء فيرسلهم فارغين . يرفع المتواضعين ويضع المتكبرين . يسمع حالاً لصلاتك ويرسل سريعًا مليكته لمعونتك . فيا ليتني احبك من كل قلبي لاماثل الذي من كونه عظيمًا صار صغيرًا ذليلاً حبًا بي . فيايسوع يا ابن الله الحي الوحيد الذي قد ارتضيت أن تظهر في العالم بشكل طفل صغير لتعلمني كم مقدار ما تحب الاتضاع . اجعلني صغيرًا متضعًا مثلك وشريكًا لك في الاهانات علي الارض . لكي استحق ان اكون لك شريكًا في عظمتك ومجدك في الدهر العتيد *

التامل الثامن والاربعون

* في مجد الفردوس السماوي وبها هذا المكان السعيد وفي عذوبة جماعة الطوباويين *

اننا نختم هذا الكتاب ببعض تاملات في مجد الفردوس الذي هو غاية رجاينا وكمال الحسنات الالهية . على ان كل الانعام التي نقتبلها من الله فانها وسايط لنتصل بها الى هذا المكان السعيد . فلنطلب من سيدنا يسوع المسيح ان يرينا الان هذا المجد كما اراه للتلميذ الحبيب فقال : اني رايت المدينة المقدسة اورشليم

رويا ٢١ و٢

الجديدة نازلة من السما كعروس مستعدة لختنها: وسمعت صوتاً عظيماً قايلاً هذا هو المنزل الذي يسكن الله فيه مع البشر: فيا ايها الاله الضابط الكل الذي تحدر اورشليم السماوية لتريها للبشر. أضي علي بنورك وافتح اعين نفسي وارني عظمة شرف هذه المدينة السعيدة وقداسة الذين يسكنون فيها. ارني نهر السلام الذي يجري في وسطها. وجلال البها الموجود في هذا المكان الشهي. ليت صوتك يصرخ في وسط قلبي قايلاً. هاهنا يسكن الله مع البشر. فتريني حينيذ كل بها هذا المكان المقدس ومجده. وعلى الخصوص كيف تكون انت موجوداً في الساكنين هناك. ارفع الحجاب الذي يخفي عني هذه الخيرات المرغوبة مني. لكي يزيدني النظر الى الاجر المعد لي حرارةً ونشاطاً في خدمتك. فافرغ جهدي في اكتسابه لاجل تمجيد اسمك

الجزء الاول

تامل اولاً على وجه العموم ماهية مجد الفردوس والسعادة الابدية. قال جمهور الابا القديسين ان حال السعادة الابدية هي حال يمتلك الانسان بها كل نوعٍ من الخيرات. او انها هي حال ثابتة هادية غير قابلة التغيير. منزهة من كل شرٍ وبلا ومفعمة من كل خير طبيعي وفايق الطبيعة الذي يمكن ان نرتاح اليه بكل لياقةٍ وصواب. ولهذا قال القديس اغوستينوس انه لقد حصل سعيداً من بلغ كل مرغوباته ولا يرغب شيئاً رديئاً. وقد يمكننا ان نفهم هذه الحقيقة بسهولة اذا تفرسنا بجميع الشرور والبلايا التي نحتملها او نخاف منها. ونظرنا ايضاً الى كل خيرات الجسد والنفس التي يجوز لنا ان نشتهيها ونرتاح اليها. الا انه يجب ان ننزع عن هذه كلما يوجد فيها من النقايص في هذه الدنيا. لكي تكون على حال الكمالات الاربع التي لا يمكن البلوغ اليها الا في العالم العتيد *

فالكمال الاول هو الابدية لان السعادة التي يكون الله موضوعها ينبغي ان تدوم بمقدار دوام الله الذي ليس لملكه انتها *

الكمال الثاني هو اعتقاد القديسين وتحققهم اليقين بابدية سعادتهم. لانهم قد عرفوا انهم فيما بعد لا يعملون شيئاً يصيرهم غير اهل لهذه السعادة. وانه تعالى سيثبت على قصده الذي عزم به الا يعدمهم سعادتهم ابداً *

الكمال الثالث هو عدم تغير هذه السعادة. علي ان مجدهم الجوهري لايشوبه النقص اصلاً. واذا حدث تغيير ما في السما. فيكون سببه حدوث شي جديد يسبب فرحاً للقديسين وبهذا يحصلون على مجد عرضي *
الكمال الرابع هو ملوء مايشبع النفس بغير تكره. لان الراحة المستطيلة التي يتمتع بها القديسون لا تسبب لهم ضجراً. والخيرات التي يذوقوها يجدونها جديدة دايماً. ولا ينزع عنها طول الزمان عذوبتها الاولى. فهذه الاربع الكمالات المختصة بالمجد السماوي ينبغي ان تعتبرها في كل جزء من اجزاء هذه التاملات.
والان فاعتبرها على وجه العموم وقابل سعادة الحيوة العتيدة مع شقا حياتنا هذه الحاضرة. التي من حصل بها على الحال الاسعد تعوزه خيرات كثيرة وتلم به شرور مختلفة. حيث ان حال اصحابها حال سريعة الزوال مملوة نحساً وحزناً. وقد حقق لنا ذلك سيدنا يسوع المسيح بقوله: لا تكنزوا لكم كنوزاً علي الارض حيث الاكلة والسوس يفسد وحيث ينقب السارقون فيسرقون: ولكن اكنزوا لكم كنوز في السما حيث لا اكلة ولا سوس ولا سارق: وبهذه الكلمات اوضح لنا رب المجد الفرق الموجود فيما بين خيرات الارض وبين خيرات السما. فالخيرات الارضية هي زايلة ذاتياً. وتزول حقاً علي نوع من الانواع الثلثة الاتي ذكرها. لانها اما انها تفنى بالاستعمال كالمواكيل. اما تصدر عنها ماديفنيها كالثياب التي ياكلها العث الذى يتلد منها. اما تسلب منا بايدي اللصوص او بغيرهم بطريق الحيلة والاغتصاب. فمن يحب هذه الخيرات بافراط لا بدّ له من النحس والهم الحزن. اما خيرات السما فبخلاف ذلك لكونها ابدية غير فانية. لاتنقص بالاستعمال بل تستقيم علي حال صحتها الى ابد الابدين. فان كنت يانفسي تحبين الخيرات الحقيقية فاحتقري بايمان حسن خيرات النصيب والتمسي برغبة شديدة خيرات النعمة. فانك على هذا النحو ستربحين بلا شك خيرات المجد الابدي

الجزء الثاني

تامل الان خيرات المجد السماوي بالتفصيل. فاعتبر اولاً انها السما الاطلس وجماله العجيب الذي خلقه الله ليكون منزل المختارين. حيث لايوجد شي مما يحزننا في

مـي ١٩٢٦

وادينا هذا وادي الدموع . قال صاحب الجليان ان القديسين . هناك يستمرون علي حال الفرح . لانهُ ما علا انهُ في السما لايوجد شقا البتة. فانهُ توجد هناك كل انواع الخيرات المنظورة التي نتمتع بها الآن . وذلك على نوع حقيقي او علي نوع اخر اكمل واسمي بغير مخالطة نقص او فساد . ومن ثمَّ لما يقول الرسول الحبيب : ان ازقة مدينة اورشليم السماوية وشوارعها تكون من الذهب الابريز الذى يشبه الزجاج النقي : وان اسوارها تكون مزينة بكل نوع من الجواهر الثمينة وابوابها من اللؤلؤ : فلا يجب ان نفهم بذلك سوى رسم ما قصد الرسول ان يوضح لنا بهِ شرف المدينة السموية متنازلاً الي ضعفنا . فادخل فيها اثمن واكرم ما يوجد بين المعادن الارضية . مع ان هذه كلها هي كلا شي نظراً الى ما يوجد في السما . ولهذا قال بولس الرسول : ان الذى اعده الله لمحبيهِ لم تبصرهُ عينٌ ولا سمعت بهِ اذنٌ ولم يخطر في عقل بشر : علي انهُ شي لم يقع تحت الحس ويفوق ادراك فهمنا . الا انهُ يجب ان نعتبر ابهى والذ ما يوجد في هذه السما الاطلس .

رويا ٢١ع١٨

قرنثيه ١ ع٢ ٩

فاعتبر اولاً انهُ هو مكان منير لا يظلمهُ الليل اصلاً . لان هناك نور مبهج مبرق يكون عنهُ نهار دايم . وهذا النور يصدر بالتبعيض من عزة الله الذى هو شمس العدل الحقيقية . ومن ناسوت سيدنا يسوع المسيح الذي هو كمصباح منير يضي ويبهج سكان هذا البلاط العظيم الي الابد *

اعتبر ثانياً انهُ في هذا الفردوس لا يوجد شتا ولا صيف ولا ضبابات ولا غيوم ولا مطر ولا حر متزايد . بل طقسهُ مستمر علي حال الاعتدال لا يشتهي احد تغييرهُ . ولا يوجد شي الطف والذ من هذا الوطن العلوي حيث لا رعد ولا زلزال لا حرب ولا طاعون ولا بلية اخرى تسجس بهجة سكونه . لكن تلك الارض هى ارض البركة وارض الاحيا حيث لا يظهر ولا ظل الموت . واقول اخيراً انها هى ارض مختلفة بالكلية عن هذه الارض التي سقطت عليها لعنة الله *

اعتبر ثالثاً ان هذا الوطن السماوي هو ابهى بلا قياس من ابهى اماكن وطننا الارضي . وهو الذ من الفردوس الارضي الذى سمي فردوس النعيم . لانهُ ليس هو مسكناً للابرار والاشرار معاً ولا منزلاً للمتغربين . بل هو منزل الصديقين

المختارين و ورثة المجد الابدي . فان كان الله املا من الخيرات هذا العالم المنظور حيث البشر يسكنون مع الحيوانات والصديقين . مع الخطاة . فما الخيرات واللذات التي تكون في السما حيث تسكن الملايكة مع القديسين . فيا ايها المسكن السعيد ما احبك ان نفسي لتشتاق اليك غاية الاشتياق . فمتى يصبح النهار الشهي الذى اراك فيه . فلتغض عيناي لحاظها ولا تبصر شيًا مما على الارض . لان كل شي فيها بالنسبة الى ما سنراه فيك ليس هو شيًا اخر سوى طين وحماة ❊

✤ الجزء الثالث ✤

تامل ثالثًا صفات الذين نرجو ان نسكن معهم في اورشليم السماوية . فاعتبر اولاً ان عددهم لا يحصى ومع هذا فانهم يعرفون بعضهم بعضًا . ويعاشر بعضهم بعضًا بدالة كاملة مقدسة كانهم قليلوا العدد . قال دانيال النبي عن الملايكة الماثلين امامه تعالى : الوف الوف يخدمونه وربوات ربوات وقوف قدامه : وقال الرسول الحبيب في جليانه عن القديسين الذين في السما : انه لا يقدر احد ان يحصى عددهم : نعم ان عدد المرذولين يفوق جدًا عدد المختارين كما يشهد السيد المسيح بقوله : ان الطريق التي تودي الى السما هي ضيقة وقليلين هم الذين يدخلون فيها : الا ان عددهم مع هذا كله لعظيم جدًا ولهذا قال تعالى في محل اخر : ان المنازل لكثيرة في بيت ابي : فمن احدى الجهات لنا سبب لان نخاف ونجزع . ومن جهة اخرى نتعزى بالرجا بانه سيكون لنا منزل في هذا المكان السعيد حيث توجد منازل كثيرة لكل احد ❊

دانيال ٧ : ١٠
رويا ٧ : ٩
متى ٧ : ١٣
يوحنا ١٤ : ٢

اعتبر ثانيًا ان كل سكان السما متسامون بالعظمة والشرف ومتصفون بكمال القداسة والحكمة وبكل الفضايل . لانه لا يخالطهم لا شيطان ولا خاطي لكن جميعهم انقيا بريين من كل عيب منزهين من كل نقيصة . يشبهون زنبقًا بلا شوك وحنطة بغير تبن وزوان . لان الشوك والتبن والزوان هي مادة النار الجهنمية . فاذًا ان كانت المذاكرة مع انسان حكيم عالم فاضل تسدينا سرورًا عظيمًا . فماذا ترى يكون سرورنا وفرحنا حين نرى الطوبانيين . المتسامين في الحكمة والعلم والقداسة ونخاطبهم ونسمع خطابهم ❊

اعتبر ثالثًا انهُ في السما توجد نظام عجيب . وان الجميع هم في مراتب مختلفة على حسب اختلاف استحقاقهم . على انهُ كما نرى بين النجوم اختلافًا من حيث ان بعضها اعلى من بعض وانور . هكذا ما بين الطوباويين فان بعضهم اسمى شرفًا ومجدًا من الاخرين . فيا ايتها المدينة البهية مدينة السلام مدينة سليمن السليم الطوبى للذين يسكنون في وسطكِ *

اعتبر رابعًا الاتحاد الموجود في جماعة الملئكة والقديسين . علي ان جميعهم يحبون بعضهم بعضًا بمحبة عظيمة متجهة الى الله شانها ان تصير قلوبهم وارادتهم قلبًا واحدًا وارادة واحدة . لا يوجد فيما بينهم حسد ولا خصومة . فالاولون منهم والاسمى رتبة وعظمة يحبون الاخرين . ولو يمكن الامر لكانوا يشركونهم فيما يمتلكونهُ من المجد اكثر منهم لكي يكونوا مساوين لهم في العظمة . وهكذا الاخرون يحبون الاولين ويسرون في زيادة مجدهم . حيث ان المحبة تصير سعادة كل واحد منهم سعادة الجميع . وسعادة الجميع سعادة كلٍ منهم . وتجعلهم ان يحتسبوا خير الاخرين خيرهم . فهولاء كلهم ياكلون على مايدةٍ واحدةٍ ويشربون في كاس واحدة . ويعيشون عيشًا واحدًا ويعبدون الهًا واحدًا بروحٍ واحد . ويسكن الله في وسطهم وهو لهم كل شيءٍ * فيا لها من جمعيةٍ سعيدةٍ حيث الكثرة لا تسبب حسدًا . والتفضيل لا ينفخ القلب . والاختلاف لا يبلبل النظام . وعدم التساوي لا يصدر الحسد ولا ينقص المحبة . فان اردتِ يا نفسي ان تدخلي في هذه الجمعية المقدسة جمعية جماعة الطوباويين . فاقتدي بفضايلهم تممي ارادة الله على الارض كما انهم يتممونها في السما . حبي الجميع كانهم اخوتكِ اخضعي للذين قد رفعهم الله عليكِ . واكرمي الذين وضعهم دونكِ . افرحي من سعادة هولاء واوليك . وعلى هذا الاسلوب فانكِ تقتدين بكمال الذين تشتهي ان تتبعيهم في المجد الابدي . فاطلبي ذلك من سيدنا يسوع المسيح بشفاعة القديسين *

التامل التاسع والاربعون

☙ في السعادة الجوهرية التي تخص النفس والجسد والحواس ☙

الجزء الاول

تامل اولاً ماهية سعادة المختارين الجوهرية. قال القديس توما اللاهوتي ان هذه السعادة لعظمتها بهذا المقدار. حتى ان زيادتها ضرب من المحال لكونها حاوية الله نفسه. ولان الطوباني حينما يدخل في السما يحصل متالها بكليته مفعماً من الله وكانه قد استحال الى الله بواسطة اشتراكه في الطبيعة الالهية اشتراكاً ابدياً لا يشوبه التغيير. فتكون حينئذ نفسه في الله كمثل الحديد في النار التي تشرك الحديد في نورها وحرارتها وبقية خواصها حتى انه يستبين بكليته جمراً ملتهباً. وهذا هو الشي الذي يصير نفس الطوباني مسرورة سروراً تاماً ويشبع كل اشواقها حسب كلام النبي: اني ساشبع حينما يظهر مجدك ☙

مزمور ١٦ع ٥

فاعتبر اولاً ان القوة الذاكرة تحصل علي هذا الشبع السعيد. حيث انها تدخل في قوات الرب وتنفذ في جميع اعمال قدرته الضابطة الكل. وتلج حضن الله وستذكر عدله فقط فيكون الله موضوعها الوحيد. لا تستطيع ما دامت الابدية ان تنساه تعالى او تفتكر في غيره. لكن يكون سرورها في تذكرها احسانات الله الى الابرار. ولا يختلج فيها ذكر محزن. حتي ان الحاصل علي هذه الطوبى اذا تذكر الاتعاب والاهانات والعذابات التي كابدها في العالم او الخطايا التي فعلها وتاب عنها. فانه يبتهج لاجل هذه كلها ويبارك الله لاجلها. ولا يزال يشكره علي انه انقذه من شرور كثيرة وانعم عليه بخيرات متعددة. ذكر كثرة صلاحك يارب يذيعون وبعدلك يتهللون لانك امين عادل وتتمم على الدوام ما وعدت به عبيدك ☙

اعتبر ثانياً ان الفهم يكون ايضاً ممتلياً من الله. لانه يعاين جوهر الله والثلثة الاقانيم الالهية. فينظر الله بلا ظل وخلواً من حجاب لكن كما قال الرسول: سينظره وجهاً لوجه: اي ينظر الاب والابن والروح القدس. وسيعرف كيف الاب يلد الابن وكيف الاب والابن ينبثقان الروح القدس. وكيف ان الاب والابن والروح

١ كورنثية ١٣ع ١٢

القدس هو اله واحد غير متناهٍ ازلي غير ممسوح وفايق كل ادراك مخلوق .
ويتفرس بكل كمالات الله . جوده ومحبته وحكمته وعنايته وقدرته الضابطة
الكل . ويفهم سر التجسد الالهي وموت ابن الله وكلما صنعه من الامور الطبيعية
والفايقة الطبيعة . وسيعرف هذه كلها بكمال هذا حده حتى انه لا يبقى فيه جهل
ولا ضلال ولا شك في كلما يريد ان يفهمه . ففيما بين هذه الانوار لا تعود النفس
الطوبانية تفتقر الى الايمان لانها تشاهد ما امنت به . ولا الى الرجا اذ تتمتع بما قد
كانت ترجوه . لا انها تفرح فرحًا خصوصيًا عظيمًا عند نظرها مقاصد العناية
الالهية وتدابيرها السرية نحوها في امر خلاصها . واخيرًا نقول انه ستشبع
حينيذٍ رغبتها العلم الغير القابلة الشبع . وذلك حينما ترى الله الذي هو كمراة لمن
يطلع فيه حيث انه بلحظة واحدة يرى كل شي . وبالنتيجة انه حينيذٍ يحق
للطوباني قول الحية لحوا . اي انه يكون كالهٍ يعرف الخير والشر لانه يملك كل
خير ولا يدنو منه الشر *

اعتبر ثالثًا ان الله يتخذ ايضًا ارادة الطوباني فتكون متحدة به تعالى بمحبة
راهنة راسخة . لانها ترى فيه كل الحجج التي تحرك الى المحبة . فيظهر الله لها ابًا
وصديقًا وختنًا ومحسنًا و منجيًا . وتتحقق جليًا انه هو الخير الاعظم والمبدا
الاول وغايتها القصوى . فمن هذه المحبة كانه من ينبوع غير قابل الانقطاع تجري
اودية النعيم السرمدي التي تملا النفس الطوبانية وتسكرها . ففي حين دخولها الى
مجد ربها توجه كل فكرها واجتهادها الى حبه تعالى . ومحبتها هذه تصيرها ان
تمارس نحوه افعال جميع الفضايل لا سيما افعال الطاعة لاوامره وافعال الاتضاع .
معترفة بان كلما لها قد اتاها من كرمه وسخايه . وافعال التقوى بسجودها له
بتهيب بليغ . وافعال المعروف بتسبيحها مراحمه وبممارستها هذه الافعال تشعر
بسرورٍ لا يوصف على انها تكون ناجية من الشهوات التي تنجس راحة هذه
الحيوة . ومن ثم لا يعيقها شي عن انها تذوق الله الذي لا يمكن ان يعرف عذوبته
الّا من يذوقها . لانه تعالى يشبه المنّ الخفي الذي لا يعرفه احد الّا بعد ان ياكله *

اعتبر رابعًا انه لكي تفهم عظم سعادة المختارين في السما يكفيك ان تحسن التفلسف

لاتي ذكره. وهو انهُ لمن الحقق الذي لا يشوبهُ ريب ان الشي الذي يجعل الله سعيدًا يكفي بزيادة لسعادة الانسان. والحال ان نظر الله الى ذاته وحبه اياها هو الذي لم يزل تعالى سعيدًا به منذ الازل والى الابد بغير انهُ يحتاج الى شيءٍ خارج. فكيف اذًا لا تجد الخليقة كل سرورها وسعادتها في مشاهدتها الله وحبها لهُ وحظوتها به الى الابد. أتراها تحتاج الى شيءٍ آخر غير الله. او تشتهي شيئًا وهي متمتعة بالخير الاعظم *

اعتبر خامسًا ان نظر الطوبانيين الى الله لا يمكن ان يشوبهُ الضجر. من حيث ان هذا البها الالهي يبان لهم دائمًا جديدًا. والنظر اليه يزيدهم شوقًا الى مشاهدته. الهي ومجدي ونصيبي الى الابد. متى ياتي هذا الزمان السعيد الذي لا اشتهي فيه شيئًا خارجًا عنك. دبر يارب قواي ومرنها على ما هي عتيدة ان تمارسهُ الى الابد. اشغل قوتي الذاكرة بذكرك. وفهمي بمعرفتك. وارادتي بحبك. ولساني بتمجيد عظائمك. وحواسي وجسدي بخدمتك *

❂ الجزء الثاني ❂

تامل ثانيًا سعادة اجساد الطوبانيين وصفاتها الجيدة. فاعتبر اولًا ان جسد الطوباني يتلالا ببهاء يفوق جدًا كل بهاءٍ ارضي يبهر ببهجته اعين البشر. لانهُ يكون متلالئًا كالشمس والذين يكونون افضل استحقاقًا يكونون ايضًا اعظم نورًا ولمعانًا * اعتبر ثانيًا صفة جسد الطوباني الثانية وهي عدم التالم. وهذه الصفة تجعلهُ غير قابل الوجع والموت. لا يجوع ولا يعطش ولا يمرض ولا يحس بوجع ما. لا يحترق في وسط النار ولا يختنق في عمق المياه. ولا يضعف الزمان قوته ولا ينقص صحة مزاجه وعافيته: لكن قلبه وجسمه يبتهجان بالاله الحي * اعتبر ثالثًا صفة اجساد الطوبانيين الثالثة اعني الخفة التي بها النفس تحرك جسدها كيفما تشا والى اينما تريد بسرعةٍ لا توصف. وهذه الحركة الجزيلة السرعة لا تسبب لها ادنى تعب. فينتقل القديسون بدقيقةٍ من الزمان من اقصى السما الى اقصاها * اعتبر رابعًا صفة اجسادهم الرابعة وهي اللطافة التي تصيرهم روحيين على نوع ما. فلا يحتاجون بعد الى مباشرة وظائف الحيوة

مزمور ٨٣: ٣

متى ٢٢ع ٣٠ الحيوانيّة كالاكل والشرب والنوم. ولهذا قال سيد الكل: انهُ بعد القيامة لايتزوجون ولا يزوجون لكن يكون الجميع عفيفين روحيين كملايكة الله * فاعتبار هذه الصفات الجيدة من شانها ان تحث المتامل على احتمال بلايا هذا العالم بصبر بل بفرح. من حيث اننا نربح بها مجداً هكذا عظيماً. فيا لحسن سعادة الاهانات التي دعتنا مثل هذا المجد. ما اشهى الاتعاب التي تصيرنا غير رومية ٨ع ١٨ قابلين التعب والموت وتبلغنا الى الراحة الدايمة. اني لاعترف يا الهي: ان كل اتعاب هذا الدهر واوجاعهُ لا توازي المجد العتيد ان يظهر فينا: فاجعلني ياسيدي ان احمل في جسدي علامات بواسطة الاماتة وممارسة افعال التوبة *

الجزء الثالث

تامل ثالثاً ماذا يكون سرور حواس الطوبانيين وابتهاجها. فاعتبر اولاً ان العين لا تزال مشاهدة بهاء اجساد القديسين. ونظرها جمال وجوههم يجد بها لذة لا تدرك. لان سعادتها الخصوصيّة العظمى تتوقف على مشاهدتها ناسوت سيدنا يسوع المسيح. وبهذا الرجا كان ايوب البار يتعزى في حال احزانه واوجاعه ايوب ١٩ع ٢٥ قايلاً: اني اعلم ان مخلصي حيّ وفي الاخرة ساقوم من الارض وفي جسدي ابصر الهي * اعتبر ثانياً ماذا يكون فرح الاذن حينما تسمع خطاب الطوبانيين الحلو ومذاكراتهم اللطيفة وتراتيلهم اللذيذة. واصوات الالات الموسيقيّة. فبهذا يجازي الله عبيده الذين جعلوا سرورهم في استماع كلامهِ ليومنوا بهِ واوامره ليحفظوها * اعتبر ثالثاً ان الشم يستلذ بعذوبة رايحة اجساد القديسين. لا سيما متى ٢٤ع ٢٨ بتلك التي تفوح من جسد المسيح الذي قال عنهُ تعالى: حيث يكون الجسد تجتمع اليهِ النسور: فهذه الروايح الزكيّة تبهج الذين كانوا في زمان حياتهم رايحة المسيح الطيبة * اعتبر رابعاً ان الذوق ايضاً يحصل على اللذة المختصة بهِ في الفردوس. على انهُ وان كان الطوبانيون لايحتاجون الى الاكل والشرب. فمع هذا يشعرون بلذة المواكيل اللذيذة. على ان الذي لاجل الاسرايليين اعطى المن طعم كل الاطعمة ولذتها. سيجد لاجل المختارين منا اخر الذ منهُ جداً الذي يشبعهم بهِ ويبهجهم بغير انهم ياكلونهُ * اعتبر خامساً ان اللمس يجد سعادة

في وفور لذات نقية . وبها يكون الطوباني في وادي التنعم . هكذا يجازي الله حواس المختارين عما مارسوهُ من التقشفات : وكثرة اوجاعهم تعزيانه تفرحهم *
فتقوى وتشجع اذًا يا جسدي وارغب الان التالم لاجل المسيح العتيد ان يشرك حواسك في سعادة حواسهِ . افرح بقولهِ لك انك الى بيت الرب تمضي . يااورشليم المدينة المبنية على حجارة حية اعني بها سكانك المتحدين بالمحبة . اقبلي الان قلبي . افتحي لي ابوابك لكي اسكن في وسطكِ بالفكر الى ان ياتي اليوم السعيد الذي فيه تتحد نفسي بجسدها فادخل فيكِ باكليل المجد الابدي . الهي ابا سيدنا يسوع المسيح انت الذي ولدتنا ثانيةً الى الرجا الحي باننا ننال الوراثة الابدية السماوية التي لا تفسد ولا تفنى . اسالك باستحقاق ابنك الوحيد انك لا تعدمني هذه الوراثة التي وعدني بها وقد اشتراها لي بثمنٍ كريم *

التامل الخمسون

* في كيف ان المجد الابدي يحتوي على كل الجازاة المذكورة في التطويبات الانجيلية *

الجزء الاول

تامل اولاً ان المجد الذي نحن في صددهِ هو ملكوت السماوات التي وعد بها سيدنا يسوع المسيح المساكين بالروح والمضطهدين من اجل العدل . والحال ان هذا المجد يتوقف على مشاهدة الله علانيةً وجهًا لوجهٍ وعلى التمتع الابدي بكنوزهِ الغير المتناهية لا سيما بالقداسة والعدل والسلام والفرح . فاذًا هذا جميعه يوجد في السما على الوجه الاكمل . على ان الطوبانيين يشاهدون هناك الله خلوًا من حجاب ورمزٍ . والكنوز الغزيرة التي يمتلكونها تنافي الفقر بالكلية . وقداستهم لا يشوبها نقص . والعدل الموجود هناك لا يخالطهُ غش ولا ظلم . وسلام هذا المكان السعيد وفرحه لا يبعثهُ حزن ولا انقسام *
فاعتبر الان ان كل واحد من القديسين يملك هذا الملك السماوي بكليتهِ . وسعادتهُ ليست هي متعلقة باحدٍ من شركايهِ في المجد . لانهُ وان كان اجتماع الطوبانيين يزيد فرح كل واحدٍ منهم . الا انهُ لمن المحقق انهُ لقد كان كل واحد

منهم يمتلك ملكوت الله كله ولو وجد وحده. ومن ثم كل الابرار الذين في السما يتمتعون بهذا الملك كانه ملكهم وشي يحق لهم. ولهذا يجوز لنا ان نسميهم ملوكاً لكونهم حاصلين حقاً على المرتبة الملوكية ويملكون مع مولى العالم المطلق. ولذلك الكتاب المقدس يسمي الكنيسة المنتصرة ملكة ويصورها لنا كعروس جالسة من عن يمين ختنها مشتملة لباساً مذهباً موشى. اعني متصفة بجميع الفضايل التي تناسب عروس ملك الملوك وربهم * فيا لعظم شرف من يتمتع بهذا الملك الجليل ويملك مع مثل هولاء الامرا الذين اصغرهم يسمو شرفاً على اعظم ملوك الارض. فلتكن مباركاً ياملك الملوك ورب الارباب الذي تجازي خدمتنا الدنية بملكوتك هذا المجيد. فيا ايها الملك العظيم ان كنت تمنح كل خيرات الارض للذين يطلبون ملكوت السما. فماذا تكون الخيرات التي تمنحها للذين ظفروا بملكوتك هذا * فالطوبى اذاً لتلاميذ يسوع المتضعين والمحبين الفقر والمضطهدين لاجل العدل. لانهم بهذه الاسلحة اعني بها الفقر واحتمال الشدايد والاتعاب ينتصرون على ابهى الممالك واغناها. فلياتنا ملكوتك يارب وليكن الان في داخلنا لكي نستحق ان نتمتع بك في ملكوتك الى الابد *

✤ الجزء الثاني ✤

تامل ثانياً ان المجد السماوي هو ارض يعد المسيح الحليمين بامتلاكها. وهذه الارض تفوق في الغنى والعذوبة الارض التي تحت ارجلنا بمقدار ما تفوقها السما في العظمة والشرف والبها. على ان هذه الارض التي نمشي عليها ليست هي شيئاً اخر سوى منزل الانام المايتين. والاجدر ان نقول انها ليست هي شيئاً سوى مقبرتهم. مع كونها ايضاً وادي البكا والمنفى المملو من الاتعاب والاحزان. واخيراً هي ارض ملعونة من الله ومن ثم لا تنبت لا حسكاً وقرطباً. وبعكس ذلك فان الارض التي يعدنا بها مخلص العالم هي ارض الاحيا حيث لا يذوق احد موتاً. بل كل واحد يعتاض بها عن حياته الزمنية بحيوة ابدية. وهي وادي التنعم حيث يجري لبن التعزيات الالهية وعسلها. فهناك لا يبكي احد وليس لاحد سبب للبكا. لانها ارض البركة ارض سمينة مخصبة يسقيها على الدوام:

رويا ١:٢٢

: نهر يخرج من كرسي الله والحمل ومياه هذا النهر نقية كالبلور ومن جانبيه
اشجار الحيوة تثمر في كل شهر واوراقها تشفي الامم : فيا لسمو سعادة هذه الارض
حيث يشاهد القديسون جلياً باوضح البيان الجوهر الالهي وناسوت المسيح
الاقدس . فمن يدخلني في هذا المسكن العجيب . فاقتدي يا نفسي بحلم حمل الله
ودعته وهو يدخلك الى هذه الارض التي لايقبل بها تيوساً لان هولاء يكونون
في يوم الدينونة من عن شماله . واما الحملان فقط فانه يجعلهم من عن يمينه ❋

❋ الجزء الثالث ❋

تامل ثالثاً ان المجد السماوي هي تلك التعزية التي يعد السيد المسيح بها الحزانا
والذين يبكون . ولنا هنا اربعة اشيا يجب علينا ان نعتبرها . وهي من هو الذى
يعزي الحزانا . وما الذي يعزيهم به . وكيف يعزيهم . وكم مقدار من الزمان تدوم
هذه التعزية ❋ فاعتبر اولاً ان الذي يعزى الحزانا هو المعزي بالذات واله كل
تعزية . الذي منه ياتينا مهما يمكن ان يعزى في هذه الحيوة لا سيما في الحيوة الاخرى .
على انه هناك نجد كل الاشيا المعزية المفرحة . هناك ننظر الله علانية وناسوت
المسيح ووالدته الجليلة مع الملايكة والقديسين الذين يعزي بعضهم بعضاً . وكما
ان خيراتهم مشتركة هكذا يكون فرحهم مشتركاً . وسيكون لهم ايضاً سبب
تعزية عظيمة اعتقادهم اليقين . انهم لايفقدون سعادتهم ولا ينفون من الملكوت
ومن ذلك يتلد سلام القلب الذي يفوق كل لذات الحواس . ومن ذا الذي يقدر
ان يصف كيف الرب يعزي المختارين . ويفرحهم . فان هذا يفوق كل وصف
وادراك بشري . وهذه التعزية الغير الموصوفة والغير المدركة تدوم الى الابد .
لانهم يدخلون الى فرح الرب وفرحهم لا يستطيع احد ان ياخذه منهم ❋ فيالها
من حيوة سعيدة حيث تدوم التعزية بمقدار دوام الحيوة . والحيوة تكون دايمة
كدوام الذي تاتي منه . فالطوبى اذاً للذين يبكون الان . الهي اله الرجا املاء
نفسي تعزية وسلاماً لكي احتمل بشجاعة احزان هذه الحيوة . فاذوق عذوبة
تعزياتك الابدية ❋

❋ الجزء الرابع ❋

تامل رابعاً انه في السما يشبع الجياع والعطاش بالبر لانهم يجدون هناك كل

الخيرات. واعتبر هنا ان الانسان في هذه الدنيا هو على الدوام حاصل على جوع وعطش ما. على ان البعض يطلبون برغبة مفرطة اللذات الشهوانية: وبعضاً يرتاحون الى الغنى والجاه بعطش وشوق متزايد. وبعضاً يوجهون كل رغبتهم واهتمامهم الى تحصيل العلوم. اما الذين حسن ذوقهم فانهم يرتاحون الى الخيرات الابدية. الّا انهُ لا يوجد احد من هولاء مكتفياً شبعاناً. وذلك لان الخيرات الزمنية لا تقدر ان تشبع قلب الانسان وتكفيه. والخيرات الروحية لا تعطى الّا بالكيل. ومن اقتبل منها شيأً يشتهي دائماً ان ينال اكثر حسبما قالت الحكمة الازلية: من ياكلني يعود جائعاً: وبخلاف ذلك فان الانسان في السما لا يشتهي شيأً. لانهُ هناك يكمل حقاً قول النبي اني ساشبع حين ظهور مجدك. وذلك لان النظر الى الله ظاهراً يشبع القديسين شبعاً كلياً. وهذا بمفرده يغنيهم عن كل خير وفي هذا وحده يجدون خيرات هذا عظم مقدارها. حتى انهم يحتقرون كل غنى آخر ويزدرون بكل كرامات الارض. لعلمهم اليقين انها ليست هي بالنسبة الى خيرات السما وكراماتها سوى فقر ودناة. وهذا النظر يطفي ايضاً في قلب الطوباني كل رغبة للعلم. لان الذي ينظر الله لا يمكن ان يجهل شيأً مما يشتهي معرفته. ويطفي ايضاً في قلبهِ كل رغبة للنمو في الفضيلة. على ان هذا النظر هو كمال كل الفضايل واجر جميع الاستحقاقات. ولا يمكن ان يسبب للطوباني مللاً وضجراً لدوامهِ وعدم زوالهِ. بل يتبين لهُ على الدوام جديداً ويسبب لهُ في كل وقت سروراً حديثاً. واقول اخيراً انهُ يتم في السما ما سطر عن القديسين: انهم لا يجوعون ولا يعطشون بعد ولا تقع عليهم شمس ولا حرّ لان الخروف الذي هو في وسط الكرسي يرعاهم ويهديهم الى ينابيع مياه الحيوة ويمسح الله كل دمعة من عيونهم: فارغبي يا نفسي هذا المجد باضطرام شوق مقدس. متذكرةً ان الواسطة الموصلة اليهِ هي الجوع والعطش بالبر *

سيراخ ٢٤و٢٩

رويا ١٦٠٧و١٧

الجزء الخامس

تامل خامساً ان المجد السماوي هو كمال تلك الرحمة الوافرة الغزيرة وملوها. اعني الرحمة التي وعد المسيح بها الرحومين. ولكي تفهم هذا جيداً. اذكر انهُ في هذا

العالم العظيم توجد ثلثة منازل لثلثة انواع من الانام . وهي الجحيم والسما والارض .
اما الارض فكما قال الرسول : تشبه بيتًا كبيرًا ليس توجد فيه آنية الذهب
والفضة فقط بل آنية الخشب والخزف ايضًا وبعضها للكرامة وبعضها للهوان :
فهذه الآنية اعني التي للهوان هي انية الغضب التي سيسحقها الله في يوم رجزه
قصاصًا عن صلابتها . اما تلك الآنية التي للكرامة فهي انية الرحمة التي
يحفظها الله لتمجيد اسمه جزاءً عن افعالها الصالحة . فالارض الموضوعة بين
السما والجحيم تملا هذين المكانين من السكان سعدا وتعيسين . ففي الجحيم تلقى انية
الهوان ويظهر الله فيهم شدة غضبه بتعذيب اعدايه . وبعكس ذلك السما فهي
المكان الذي يضع فيه تعالى انية الرحمة . حيث يظهر فيهم رحمته العظيمة
بفيض مجده على احبايه . فلا يوجد اذًا في السما سوى آنية الذهب والفضة انية
الرحمة والكرامة اعني بها المختارين الذين قال عنهم المرتل : ان الله يكللهم بالرحمة
والرافة ويجدد مثل النسر شبابهم : ومن هذا ينتج انه ولو ان القديسين في
ملكوت السما ينالون اكليل العدل . لكن من حيث ان هذا الاكليل هو عمل
النعمة وفعلها . فمن الصواب والافضل ان يسمى اكليل الرحمة المستعد للذين
يمارسون الرحمة في هذه الحيوة . فاذ كنت اذًا يا نفسي موضوعة بين جهنم والسما .
فاجتهدي في ان تكوني اناءً من فضة بطهارة سيرتك وانا من ذهب بواسطة
المحبة . اخضعي اللحم للروح . اقمعي شهواتك وتطهري من خطاياك . فعلى هذا
النحو تحصلي اناءً مقدسًا يفيض الله فيه كل كنوز رحمته ومجده ❋

❁ الجزء السادس ❁

تامل سادسًا ان المجد السماوي هو تلك الحال السعيدة التي فيها انقيا القلوب
يعاينون الله وبالنتيجة يحظون بالسعادة الجوهرية . على انه كما ان الامير اذا
زوج ابنته يعطيها على حسب قدرها ونسبها . وكما ان الختن يهب لعروسه في
يوم زيجته هدايا فاخرة ثمينة . هكذا الاب الازلي يهب ثلث عطايا جزيلة الثمن
لعرايس ابنه الوحيد حينما يقبلهن في السما حيث تكمل هذه الزيجة الالهية . وهذه
الثلث العطايا اللاتي تصيرهن سعيدات جدًا ومقبولات في الغاية لختنهن

قيمو ٢ ص ٢ : ٢٠

مزمور ١٠٢ : ٤

تطابق ثلث فضايل قد مارسنها بنشاط في هذه الحيوة * فاعتبر اولاً ان الله يجازي ايمانهم بنور المجد الذي يريهم جلياً جوهر الله وكل الاسرار المحجوبة الان عن ادراكنا. وقد قال النبي عن هذا النور العجيب: بنورك سنعاين النور. وقال في محل اخر عن القديسين: يارب بنور وجهك يسلكون وباسمك يبتهجون لانك انت فخر قوتهم: فيا ما احلى هذا النور للعينين وما اعذب مشاهدة الشمس. فيا ايتها الشمس الازلية شمس العدل اشرق على نفسي اشعتك لكي تبصرك علانية في وسط مجدك * اعتبر ثانياً ان الله يا جري في السما رجا القديسين بامتلاك مهما كانوا يرجونه ويشتهونه في هذا العالم. وبهذه العطية الثانية تتمتع النفس بالله وتعتنقه كانه اب لها وختنها وخيرها الاعظم. حتى انه تعالى يكون لها بالكلية وهي تكون له باتحاد هذا حد شدته. حتى انه لمن الممتنع ان يفرقها شي منه عز وجل فتقول: اني وجدت من احببته فامسكته ولا افلته * اعتبر ثالثاً ان الله يجازي محبة القديسين في السما بحبهم الخير الاعظم والتمتع به بسرور لا يوصف. والفرح الواصل لهم من قبل حبهم لله ومن قبل حبه تعالى لهم يصيرهم ان يهتفوا بغير فتور: حبيبي لي وانا له: فتعلمي يا نفسي كم يجب عليك ان تحفظي قلبك نقياً وتمارسي هذه الفضايل التي يجازيها الله بهذه العطايا العظيمة *

مزمور ١٠ع٣٥ ١٧ع٨٨

انشاد ٤ع٣

انشاد ١٦ع٢

الجزء السابع

تامل سابعاً ان المجد السماوي هو كمل صيرورة الانسان ابن الله بالذخيرة. وهذه البنوة قد وعد بها المسيح السليمين. فكما انه تعالى اظهر نفسه مرتين انه ابن الله اظهاراً مشتهراً. وذلك اولاً في عماده ثانياً في تجليه. حيث ان الروح القدس حل عليه حينئذ بشكل حمامة. وبشكل سحابة نيرة. وكان صوت الاب الازلي يعلن قايلاً: هذا هو ابني الحبيب: فهكذا يظهر الله في محلين ان الصديقين هم بنوه بالذخيرة * فاعتبر اولاً انه تعالى يظهر ذلك في هذه الحيوة التي فيها يدعوهم الى خدمته ويبرهم باسراره ويضاعف عليهم انعامه بمقدار هذا حده حتى انه يتبين علانية انهم بنوه حقاً. الا ان هذه البنوة بالذخيرة هي ناقصة غير كاملة. لخطر ان يخسرها الانسان ما دام حياً. ومن ثم فجميع القديسين حتى الرسل

متى ١٧ع٣

الذين فيهم بداية الروح كانوا يتاوهون في نفوسهم متوقعين ذخيرة ابنا الله . اي
كمال هذه الذخيرة الاولى التي تكمل بذخيرةٍ اخرى افضل شرفًا ودوامًا ويُعبر
عنها بتجلي المسيح * اعتبر ثانيًا ان القديسين لاينالون هذه الذخيرة الثانية
الاحين دخولهم الى المجد الابدي . لانهم حينئذٍ يتمتعون حقًا بوراثة بني الله . ففي
هذا الوقت يظهر الله جليًا عظم شرف هذه البنوة السامية . لانهُ كما قال الانجيلي
: لم يتبين بعد ماذا سوف نصير ونحن نعلم انهُ اذا ظهر المسيح فاننا نكون
شبههُ لاننا سنراهُ على ماهو عليهِ *

يوحنا ١:٣ ٢

التامل الحادي والخمسون

في كيف ان المجد السماوي يتضمن السبعة الاشيا التي وعد بها السيد المسيح الذين يفوزون بالغلبة

اعلم ان سيدنا يسوع المسيح يظهر لنا جلال المجد السماوي بسبعة انواع من المجازاة
يعد بها في سفر الرويا الذين يغلبون اي الذين ينتصرون على الشيطان واللحم والعالم

الجزء الاول

تامل اولًا ان المجد السماوي يتضمن الاجر الموعود للذين يواظبون على نشاطهم
الاول او يرجعون اليهِ بعد تركهم اياه . فقال تعالى : مَن يغلب انا اعطيه ان ياكل
من شجرة الحيوة التي في فردوس الهي : فاعتبر اولًا ان هذه الشجرة هي الله عينه .
واثمارها هي الافعال الالهية . اما الافعال الباطنة كولود الكلمة الازلية بطريق
المعرفة وبثق الروح القدس بسبيل المحبة . اما الخارجة كخلقة العالم وتقديس
المختارين وتمجيدهم . وقد يدعى الله شجرة الحيوة لانهُ هو حي على الدوام في
ذاتهِ . وكل شيءٍ حي منهُ يقتبل الحيوة . وقد تقتضي طبيعته جوهريًا ان يكون
حيًا . وهو النبع الذي ينبع الحيوة الطبيعية وحيوة النعمة والحيوة المجيدة في
السما . فيا الهي وحياتي الى الابد . احفظ حياتي الطبيعية على قدر ما تريد . وزد
في حيوة النعمة وهبني اخيرًا الحيوة الابدية * اعتبر ثانيًا ان المكان الذي
انغرست فيهِ هذه الشجرة هو الفردوس السماوي . وان الذين ياكلون من اثمارها
يذوقون تنعمًا غير موصوف في حضن الله . بمشاهدتهم لاهوته وناسوت المسيح

رويا ٢:٧

التي هي الشيء المتوقفة عليه حيوة الابد . واكلهم اثمار شجرة الحيوة يصيرهم اشجار الحيوة بجزيل تشبههم بالله . ولهذا يعبر صاحب الجليان عن جماعة القديسين ايضاً باشجار الحيوة المغروسة عن جانبي النهر الذي يسقي مدينة الله . ويقول ان هذه الاشجار تثمر اثنتي عشرة ثمرة . وقد يشير الرسول هنا الى ان القديسين يحيون الى الابد . وان فرحهم يكون كاملاً دائماً . وبهذه كلها يرينا السفر الالهي السعادة المعدّة للمنتصرين * فاصغي اذاً يا نفسي لصوت الحكمة الازلية المتجسدة . وان كنتِ تركتِ محبتك الاولى او حصلتِ باردة متراخية في امور الخلاص . فاضرمي هذه النار المقدسة التي طُفيت فيكِ . ابذلي المجهود في ان تكوني دائماً شجرة خضرة على مجاري النهر لكي تحيي من اثمارك في الدهور العتيدة *

❂ الجزء الثاني ❂

تامل ثانياً ان المجد السماوي يتضمن الاجر الثاني الموعود من المسيح لمن يكون امينًا في التجارب الى الموت . فيقول ابن الله انه بعد انتصاره يعطيه اكليل الحيوة : فاعتبر اولاً ان الذين يدعون الشيطان ان ينتصر عليهم فينغلبون للتجربة . فهولاء نعم انهم ينجون الى زمان من الموت الاول الذي هو الموت الطبيعي . الا انهم لا ينجون من الموت الثاني الذي هو موت الخطية والموت الابدي . وبالنتيجة لا يجتنون اثمار شجرة الحيوة في فردوس النعيم السماوي . بل يُطردون الى اسفل الجحيم حيث لا يذوقون سوى اثمار الموت اعني بها النار والكبريت والدود والحيات . ويشربون الى اخر نقطة مرارة كاس غضب الله * اما الجنود الشجعان الذين يموتون من قبل الجراحات التي اصابتهم في المحاربة عن ربهم وسيدهم . فلا يتم لهم هكذا حيث ان الموت الثاني لا يمسهم . بل يضع الله على روسهم اكليل الحيوة اكليلاً مجيداً غير فانٍ . فانتج من ذلك ان موت الجسد المسمى الموت الاول ليس هو شراً لهم . بل خير وسبب سرور جزيل . لانهم قد عرفوا ما قاله الحكيم : ان نفوس المقسطين في يد الله وانه لا عذاب ولا موت يمسهم *

اعتبر ثانياً ان الله ينجيهم الى الابد من موت الجسد . فكما ان المغلوبين يتخذون في يوم القيامة حيوة يسميها السفر الالهي الموت الثاني لانهم يطرحون في بحيرة

روما ١٠:٢

حكمه ١:٣

نار وكبريت. هكذا المنتصرين يتخذون حيوة حقيقية والموت الثاني لا يكون له قدرة عليهم. علي ان اجسادهم تكون غير قابلة الالام والموت. بل تتنعم تنعماً ابدياً. فافتح يا يسوع اذاني لاسمع جيداً ما يقوله روحك للكنايس. قوني بنعمتك على اعداء خلاصي ومجدك. فان كنت عتيداً ان افقد حياتي في الحرب. فلتنتصر نفسي ولا يدركها الموت الثاني. بل استمر امينا في خدمتك الى الانتها فانال اخيراً اكليل الحيوة *

الجزء الثالث

تامل ثالثاً ان المجد السماوي هو الثواب الثالث الذي يعد به السيد المسيح الذين يقاومون اعداءه ويرذلون كل شوكة معهم بقوله: من يغلب فانا اعطيه المن الخفي وحجراً ابيض مكتوب عليه اسم جديد لا يعرفه غير الذي يقبله: فتامل ما هو هذا المن وهذا الحجر الابيض. وما هذا الاسم المكتوب عليه. ومن هو الذي يقبله ويعرف هذا الاسم * اعتبر اولاً ان المن المذكور ليس هو شيئاً اخر سوى العذوبة الغير المحدودة التي يجدها الطوبانيون في الله. وهي حاوية في ذاتها على وجه سام منزه عن كل نقص مهما يوجد من اللذة في الغنا والجاه والتنزه العالمي وفي كل الخلايق حتى في كل لذات الحواس ايضاً. وهذا المن الذى يظهر للقديسين عذوبة الله نحو ابنايه يسمى مناً خفياً. على انه وان كان هو معروفاً في السما. الان قليلين الذين يعرفونه علي الارض ما عدا الصديقين الذين اختبروه قليلاً بالذوق على الارض. وقد قال عنهم النبي: ما اعظم كثرة عذوبتك يارب التي اذخرتها لخايفيك: علي انه لمن المستحيل ان يشتهي الانسان لذات مقدار تلك اللذات التي اذخرها الله للذين ينظرونه ويتمتعون به في ملكوته السماوي *

رويا ١٧:٢

مزمور ٣٠:٢٠

اعتبر ثانياً ان الحجر الابيض المعطى من المسيح للقديسين هو شهادة باطنة وعلامة ما يعرفون بها ان الله يحبهم. وانه اختارهم ليحظوا به الى الابد. ومن ثم يرجون رجاء ثابتاً انه تعالى لا ينفيهم من السما. وانهم لا يعطون الحجر الاسود الذى هو علامة الهلاك الابدي. فالحجر الاول هو ابيض لسبب ان الروح القدس يعطيه للذين غسلوا ثيابهم وبيضوها بدم الحمل. وهو جزيل الثمن لا يستحق احد ان

بنااله لا ان يكون اهلاً لان ياكل ذلك المن الالهي . فان كانت شهادة الروح القدس للقديسين ان اسماهم قد حررت في سفر الحيوة تسبب لهم سروراً عظيماً جداً . فماذا يكون فرحهم في السما حيث ياخذون عربون سعادتهم المويدة . ثم ان هذا الحجر الابيض ياخذه الابرار من السيد المسيح في يوم الدينونة بعد خروجهم من معركة الحرب ظافرين . لانه حينيذ يكمل استحقاقهم بقوله لهم : تعالوا يامباركي ابي رثوا الملك المعد لكم من قبل انشا العالم : وبعكس ذلك يصنع مع المرذولين الذين انغلبوا للتجارب لانه يعطيهم علامة سودا اعني بها علامة الهلاك الابدي *

متى ٢٥ و٣٤

اعتبر ثالثاً ان الاسم المكتوب علي الحجر الابيض هو اسم ابن الله ووارث ملكه . ومن ثم يعرف من ياخذه : ان الله ابوه ويشهد له الروح القدس انه ابن الله ووارثه وشريك المسيح في وراثته : فطوبى لمن يظفرون الان بالخطية . ما اغزر غنايم انتصارهم . ما احلى المن الذى ياكلونه . وما اعز واثمن الحجر الذى يتخذونه علامة لانتخابهم . وما ابهج تسميتهم بني الله المرتسمة عليهم . فقد يراهم الهالكون في يوم الدينونة فيصرخون قايلين : اننا نحن الجهال احتسبنا سيرتهم جنوناً ووفاتهم مهانة فكيف قد حسبوا ابنا الله وحصل حظهم في القديسين *

رومية ٨ و١٦

حكمه ٥ و٤ و٥

الجزء الرابع

تامل رابعاً ان القديسين ينالون في السما الاجر الرابع الذى وعد المسيح به المنتصرين والذين يحفظون اعماله الى التمام . اي يحفظون وصاياه فيمارسون اعماله فيقول : انه يخضع لهم الامم كما ان اباه اخضعهم له : وانهم يرعونهم بعصا من حديد فينسحقون كانية خزفية وانه يعطيهم نجمة الصبح : فاعتبروا لا كيف يجد ابن الله الصديقين الذين اضطهدهم الخطاة . حقاً انه تعالى في يوم الدينونة يصنع كل شيء جديداً . حيث ان القديسين يرون تحت اقدامهم الشعوب والملوك الذين كانوا يسودونهم ويضطهدونهم . فهولاء تنظرهم الابرار في الاهانة والاحتقار ويمدحون عدل الله الذى يعذب بصرامة اعداهم المتكبرين ويسحقهم كانية لا نفع لها . قال المرتل : يبتهج الابرار بالمجد ويفرحون ويفوزون بالراحة الابدية : يرفعون الله ويسبحونه وفي ايديهم سيوف ذات فمين لينتقموا

روبا ٢ و٢٦ و٢٧

مزمور ١٤٩ و٥

من الامم ويعذبوا الشعوب ويقيدوا ملوكهم بالقيود وشرفاهم بالاغلال ليصنعوا بهم حكم الله. هذا المجد يكون لجميع ابراره: فيا له من مجد عظيم ما اكثر ما تكرم اصفياءك يا الله ما اكثر ما تعز رياستهم. فلانهم خضعوا التدبيرك المقدس اشركتهم انت بسلطانك المطلق الذى اتخذته من الله ابيك. فاشكرك يا الهي علي المجد العظيم الذي كللتهم به. واطلب منك ان تجعلني بنعمتك ان اقتدي بهم علي الارض لكي اكون بعد موتي شريكا لهم وشبيها بهم في المجد الابدى *

اعتبر ثانيا ان نجمة الصبح هو سيدنا يسوع المسيح الاله والانسان الذى اتخذ هذا الاسم ليعلمنا انه نظرًا الى لاهوته ولد من ابيه قبل الصبح كنور ازلي. وانه نظرًا الى ناسوته ولد وقام من الموت كمبلغ النور وكبكر كل العتيدين ان يخرجوا بالقيامة من الظلام وينجوا من ظلال الموت. فيمنح يسوع هذه النجمة للمنتصرين الذين اقتدوا باعماله لكي ينظروه ويفوزوا بفرحه ويصيروا ايضًا مثله نجومًا زاهرة باجساد نيرة كجسده * فيا يسوع الحلو الذى ظهرت في العالم كنجمة الصبح لكي تبيد الضلال والخطية. اسالك ان تجعلني في كنيستك المحاربة نجمة بتعليمي وافعالي وان تقبلني بعد ذلك بين الكواكب السماوية في كنيستك المنتصرة *

✤ الجزء الخامس ✤

تامل خامسًا ان المجد السماوي يتضمن الاجر الخامس الذى وعد به المسيح الذين لم ينجسوا ثيابهم واعمالهم مملوءة عند الله ابيه. لانه تعالى يقول: الذى يغلب سيلبس ثيابًا بيضًا ولا امحو اسمه من سفر الحيوة وانا اعترف باسمه قدام ابي وقدام ملائكته: وبهذه الكلمات يعد السيد المسيح الغالبين بثلث مناقب باهظة *

رويا ٣ ع ٥

فاعتبر اولاً انه تعالى يعطيهم اولاً ثيابًا بيضًا. اي انه ينقي نفوسهم ويزينها بنعمته ويكللهم بمجده ويملاهم من فرحه ويكسو اجسادهم ثوب عدم الموت والبلى ونورًا يفوق نور الشمس * اعتبر ثانيا ان المسيح لا يمحو من سفر الحيوة اسامي المنتصرين اي انهم يكونون معه الى الابد. وكما انه قبل كل الدهور رسم اساميهم في فكره وقلبه فانه يحفظها هكذا الى دهر الدهور. وينتج من ذلك انهم لا يلقون في بحيرة النار مثل الاشرار الذين لا توجد اساميهم محررة في هذا السفر *

اعتبر ثالثاً المنقبة الثالثة وهي ان السيد المسيح يمدح الغالبين قدام ابيهِ وقدام ملايكته. ويصف علانية كل خدمتهم لهُ. وعلى هذا النحو يلزم الجميع بتمجيدهم ولكي يتم ذلك باوفر اكرام فانهُ ياتي في اخر الدهور ويضع على روسهم اكاليل المجد امام الجميع حتى امام الاشرار ايضاً ❋

الجزء السادس

تامل سادساً ان الصديقين ينالون في المجد السماوي الاجر السادس الذي وعد به يسوع الذين يتصرفون حسناً بالوزنات التي اقتبلوها منهُ لانهُ يخاطبهم هكذا: الذي يغلب انا اجعلهُ عموداً في هيكل الهي ولا يخرج خارجاً فيما بعد واكتب عليهِ اسم الهي واسم اورشليم الجديدة التي تنزل من السما واسمي الجديد: ❋

رويا ١٢ ٣

اعتبر اولاً ان الذين ينتصرون على اعدا المسيح بامثال سيرتهم الصالحة. وتعليمهم المستقيم يسندون الكنيسة. يكونون في السما اعمدة حية افضل زينة وقيمة من تلك التي كانت في هيكل سليمن الحكيم. وهذه الاعمدة تكون ثابتة غير متزعزعة لا تنتقل من المكان الذي يضعها فيهِ البنا السماوي. لا خطر عليهم من ان يسقطوا من السما. وهذا يظهر لنا الفرق العظيم الموجود ما بين الطوباويين وبين الصديقين الذين يسندون الكنيسة ههنا. على ان هولاء يكونون حقاً عواميدها لانهم يكونون عواميد خزفية سريعة العطب. ومن ثمَّ يعظهم يسوع قايلاً: امسك ما معك ليلا ياخذ احد اكليلك فان غلبتَ فانا اجعلك عاموداً في هيكل ابي فلا تخرج منهُ ابداً: اعتبر ثانياً ان المسيح لزيادة تكريم هذه الاعمدة السرية دعد بانهُ يكتب عليها ثلثة اسامي: اعني اسم الله واسم اورشليم الجديدة واسمهُ الجديد الاقدس الذي هو يسوع. وهذا يوضح لنا ان الصديقين هم خاصته حقاً. وانهم هم فقط سكان اورشليم السماوية التي تاويلها مشاهدة السلام. وانهُ عليهم وحدهم كتب اسم يسوع في جباههم دليلاً على انهم وحدهم عرفوا ان ينتفعوا من الاحسان العام اعني بهِ فدا البشر ❋ فيا زينة هذه العواميد المحررة عليها هذه الثلثة الاسامي الشريفة. فاسالك يا الهي ان ترسمها في قلبي فلا تمحى ابداً. وانت يا يسوع حرر اسمك الحلو في جميع قوى نفسي واجعلني ان انتفع من كرنك مخلصي ❋

تامل سابعًا ان القديسين ينالون في السما الاجر الذي وعد به المسيح الذين ينتصرون علي الفتور في العبادة لانهُ تعالى يقول: الذي يغلب اعطيه ان يجلس معي على كرسيَّ مثلما غلبتُ انا وجلستُ مع ابي على كرسيهِ: فاعتبر اولاً عظم جلال ارتفاع مجد الابرار في السما. على انهُ لفرط ما يشبهون المسيح في مجدهِ مع انهُ تعالى يكون متساميًا عليهم جدًّا. فانهُ يصف تفاقم مجدهم بالفاظ تدل على تساوٍ ما حيث انهُ يقول. الذي يغلب فاني اقبلهُ في ملكي ويكون هناك لا ماثلاً كعبدٍ مستعدٍ لخدمة مولاه. بل جالسًا مستريحًا كاحد شرفا سرايتي. حتى انهُ لا يكون جالسًا بعيدًا مني بل معي وبازاي لا يمنعهُ شي من مخاطبتي وعن التمتع بكل خيراتي. وليس هذا فقط. بل يجلس علي كرسيَّ ويكرَّم مثلي. على اني اشركهُ في لاهوتي على قدر الامكان فيرتفع الى تلك العظمة التي كان يرتاح اليها لوسيفروس قايلاً: اصعد الى السما وفوق كواكب الله ارفع كرسيَّ اجلس في جبل الميثاق فاصعد فوق علو السحاب واكون شبيهًا بالعلي: فلتسبحك السما والارض يا ايها الاله الضابط الكل: لانك تقيم الفقير من التراب وترفع البايس من المزبلة ليجلس مع عظما الشعب ويرث كرسي العظمة: فهنا تدعهُ قايمًا مباشرًا اعمال الخدمة المتعبة. وهناك تجعلهُ علي كرسيك جالسًا مستريحًا. الان تهملهُ مطروحًا على المزبلة. وفيما بعد تقيمهُ على منبر المجد فوق اعلى السموات. لان يبذل جهدهُ في ان يكون شبيهًا بالعلي في كمالاتهِ وسوف يشبههُ افضل شبهًا بالاشتراك في مجدهِ. فطوبى للذين يتعبدون لك يا رب. لانك ترفعهم من لجة العدم الى مثل هذه العظمة الجزيلة ✻

اعتبر ثانيًا المثل الذي بهِ يفسر لنا السيد المسيح مجد الطوباني في السما فيقول: انهُ سيجلس معي على كرسيَّ مثلما غلبت انا وجلست مع ابي على كرسيهِ: فكانهُ يقول انهُ لقد اصابتني اضطهادات كثيرة شديدة من قبل الشيطان واحزابهِ. الا اني انتصرت عليهم دايمًا. وجزاءً عن ذلك رفعني ابي الى اعلى السموات واجلسني من عن يمينهِ علي منبرهِ. فعلى هذا النحو اكرم انا كل من احتمل لاجلي الاتعاب والاضطهادات. لاني اجلسهُ من عن يميني واشركهُ في منبري ومجدي. فتقويّ

رويا ٣ع ٢١

اشعيا ١٤ع ١٣

ملوك ١ ٢ع ٨

اذاً يا نفسي وحاربي عن يسوع ربك ٠ وانتصري على اعدايه واعدايك. لانك بعد الانتصار ستملكين معهُ الى ابد الدهور امين ❊

فهرس

ما تضمنهُ هذا الجزء من الفصول و التاملات

المقدمة

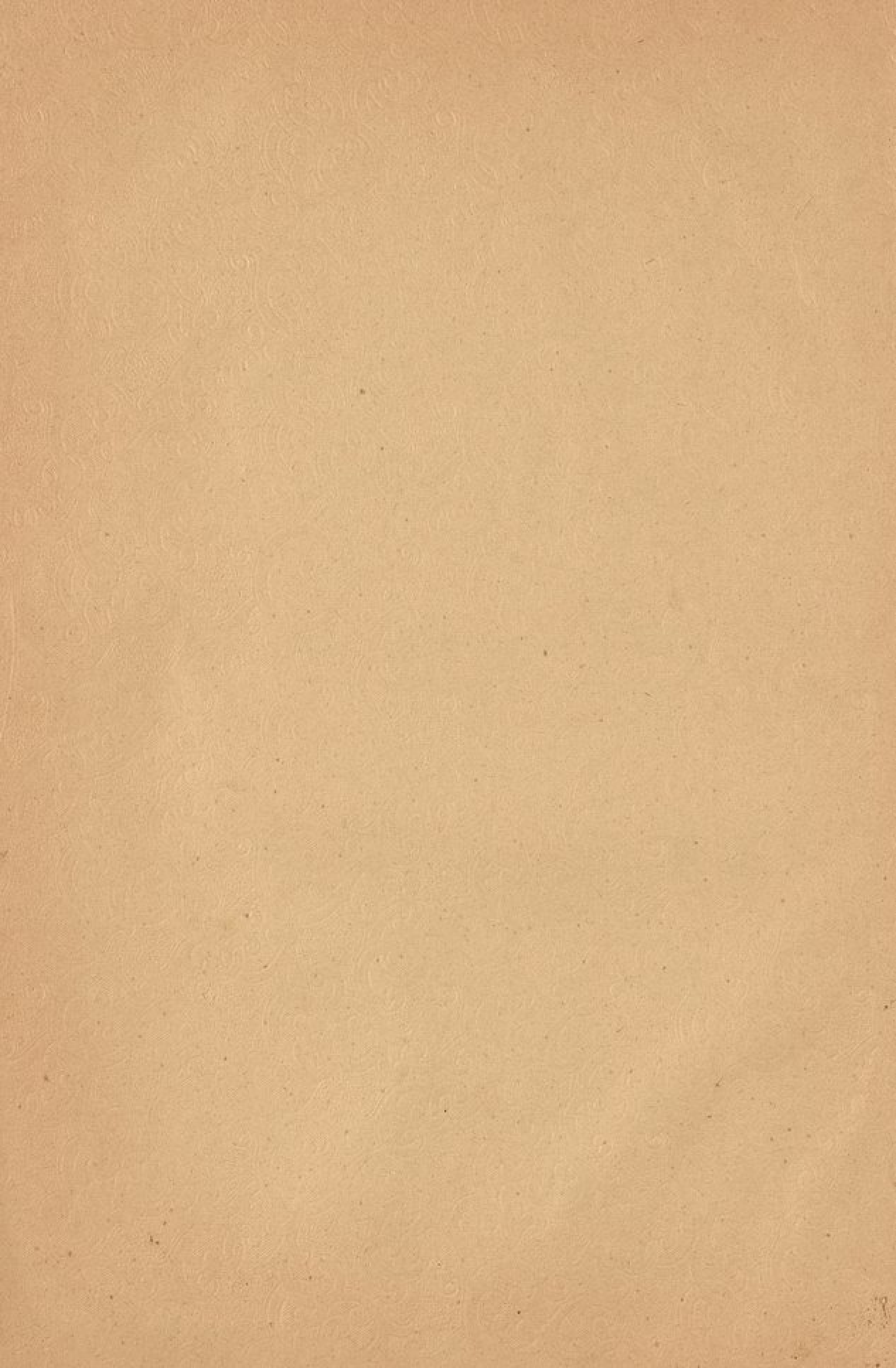
❊ في كيفية ممارسة الصلوة العلية وتشتمل على ثلثة عشر فصلاً ❊

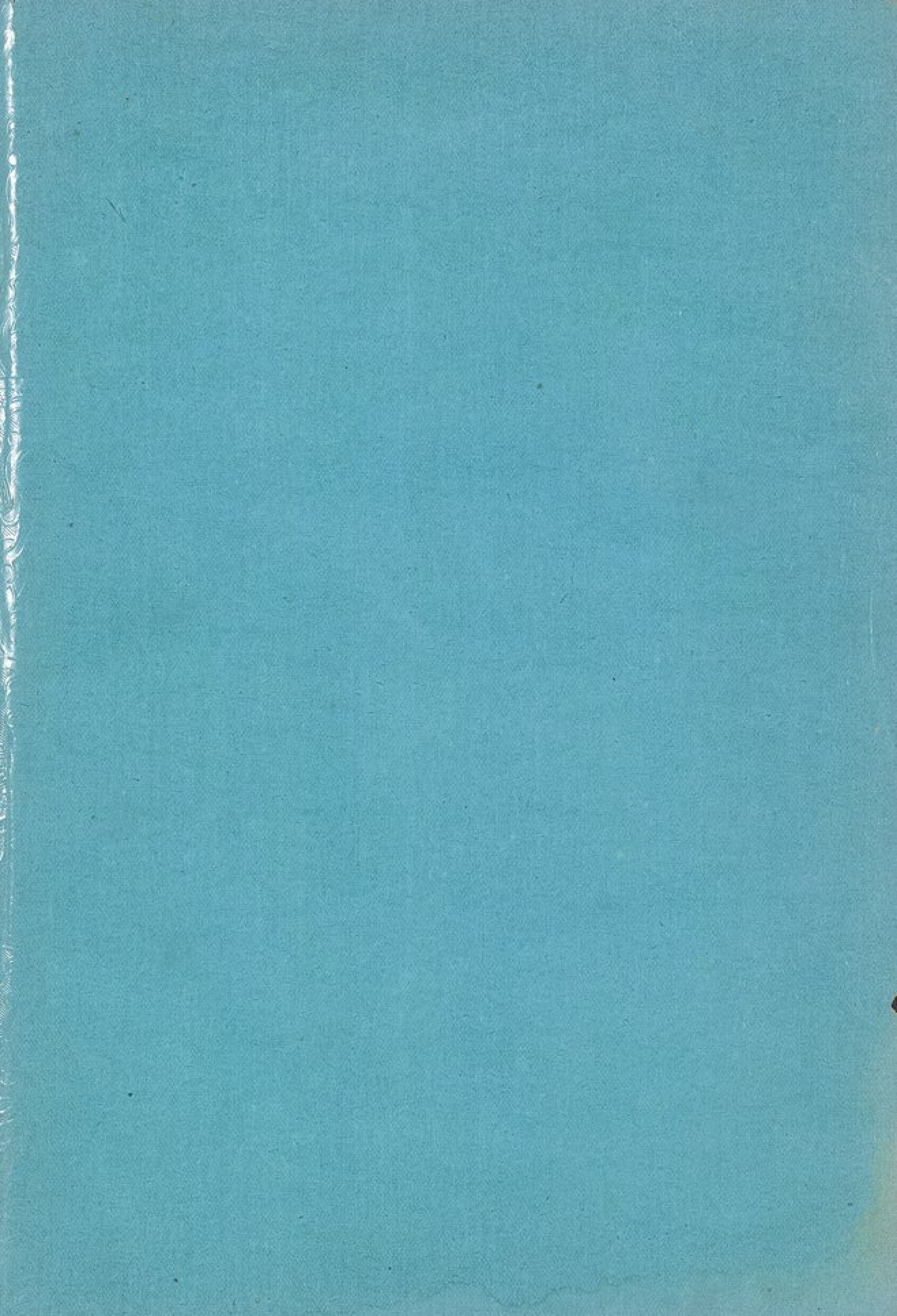
التاملات

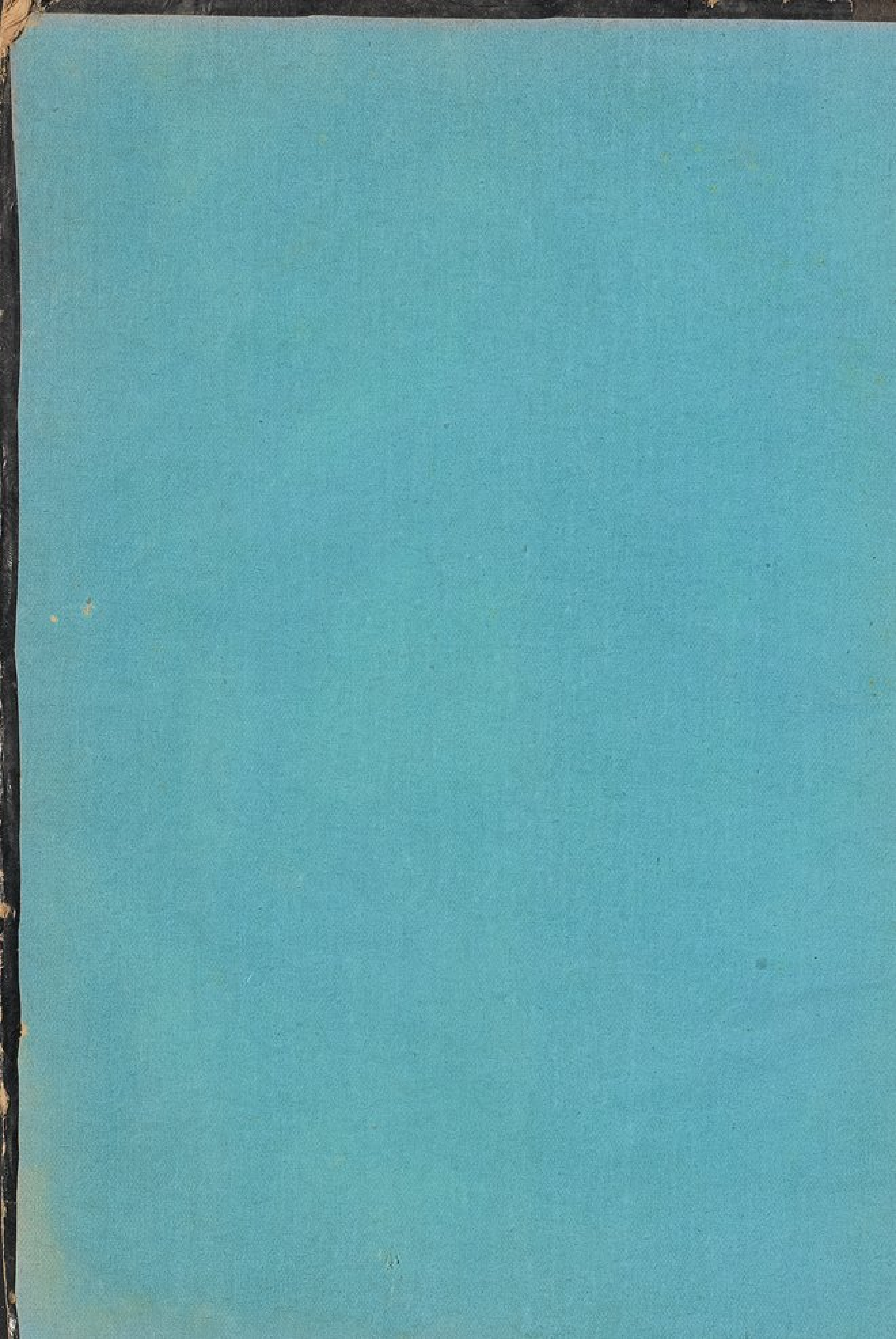
* وهي واحد وخمسون تاملاً *

ايضاح مفيد في فحص الضمير وهو اثني عشر فصلاً










Princeton University Library
32101 070010341